الدكتور عيسى علي العاكوب

رباعيات

مولانا جلال الدين الرومي



اســــم الكتـــــاب: رباعيات مولانا جلال الدين الرومي

اســــم المؤلـــــف: جلال الدين الرومي

اســــم المحقــــق والمتـــــــرجم: الدكتور عيسى علي العاكوب

بلـــــد النشـــــر: سوريا

الناشـــــــــــر: دار الفكر

رقــــم الطبعـــــة: بدون

تـــــاريخ النشـــــر: ٢٠٠٤ م

عــــدد الصـــــفحات: ٥٢١ صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رباعيات

مولانا جلال الدين الرومي

رباعيات مولانا جلال الدين الرومي / جلال الدين
الرومي ؛ ترجمه وقدم له عيسى علي العاكوب. –
دمشق: دار الفكر ؛ ٢٠٠٤ – ٥١٧ ص ؛ ٢٤ سم –
١ – ٨٩١ روم ر ٢ – العنوان
٣ – الرومي ٤ – العاكوب
مكتبة الأسد

ألفه بالفارسية

جلال الدين الرومي

رباعيات

مولانا جلال الدين الرومي

ترجمه وقدم له

الدكتور عيسى علي العاكوب

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

٢٠٠٧ _ ٥٠ عاما
نحو فكر إنساني مشترك
الرقم الاصطلاحي: ٠١١ / ١٨٠٢
الرقم الدولي: ISBN: 1- 59239-338-1
الرقم الموضوعي: ٢١٨
الموضوع: موضوعات الإسلامية المتنوعة
العنوان: رباعيات مولانا جلال الدين الرومي
التأليف: جلال الدين الرومي
الترجمة: د. عيسى علي العاكوب
التنفيذ الطباعي: دار الفكر – دمشق
عدد الصفحات: ٥٢٠ صفحة
قياس الصفحة: ١٧ × ٢٥ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص . ب: (٩٦٢) دمشق – سوريا
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
e-mail: info@fikr.com

الإعادة الأولى
١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م
ط ١ : ٢٠٠٤ م

المحتوى

تقديم المترجم

(ضَـرَبَ اللهُ مَـثَلًا كَلِمَـةً طَيِّبَـةً كَشَـجَرَةٍ طَيِّبَـةٍ أَصْـلُهَا ثَابِـتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) [إبراهيم: ١٤ / ٢٤]

صدق الله العظيم

الحمد لله الذي فجر ينابيع الحكمة من قلوب الصادقين فجرت، وفتح لها أسماع المحبين والراغبين فسرت، ونور بها بصائر المتوجهين والطالبين فأبصرت.

أحمده حمد معترف بمنته في حمده، وأشكره شكر عارفٍ بإحسانه ورفده، وأستغفره من كل ذنبٍ في هزل العمل وجدّه، وأستعينه استعانة من علم أن كل شيءٍ من عنده.

وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعبده، وعلى آله وأصحابه وذريته وكافة أهل وده ؛ صلاةً أؤدي بها ما وجب من تعظيم قدره ومجده ؛ وأسلم عليه وعليهم تسليمًا كثيرًا. والحمد لله المنعم بذلك كلّه، أما بعد:

فإن السعي إلى إنماء غرسٍ أصيلٍ وجذّاب في حقل الأدب والتعبير الجميل بالكلمة، من أكثر شواغل الفقير، كاتب هذا التقديم ومترجم الرباعيات التي بين أيدينا، في السّنوات الأخيرة. إذ كان الهاجس ضاغطًا باتجاه تعبير أدبي جميل يمتح من معين النفوس التي أشرقت بنور ربّها واهتدت بهداه وعرفت أن العبودية الحقة ليست إلا تذكرًا دائمًا للمبدع العظيم، نرو السماوات والأرض، ولّي الذين آمنوا ومخرجهم من الظلمات إلى النّور. والنفوس التي هذا شأنها تبدع دائمًا من وحي المعرفة الروحية التي تأنس فيها النفس بالحقيقة المطلقة، وتركن إلى ضيائها وإشراقها، وتسير في

هداها، فلا يأتي منها إلا المفيد النافع الآخذ بيد الإنسان نحو ملكوت ينتصر فيه الروح على الطين، ويتحرّر فيه الإنسان من قيود الضعف والهوان وكلّ عوامل الإخلاد في الأرض.

والمرجع في جزءٍ من هذا الهاجس الضّاغط إلى حِسّ المسؤولية الذي ينتاب الإنسان حين يشعر بأنّه مسؤولٌ أمام من لا تخفى عليه خافية عن كلّ ما يصنع ويدع. وليس هذا فحسب، بل يغدو الهاجس أكثر تأثيرًا حين يضع المرء في باله أن ما يقدّمه من آثار هو محل تأمل كثيرين، يقرؤون ما كتب، ويستظهرون ما أثبت وتبنّى من فكر، وقد يبنون بعضًا من قواعد سلوكهم وفاقًا لهذا الذي قرؤوه واستظهروه ؛ فإذا المسؤولية مضاعفةٌ والحساب عسير.

ومن هذه الوجهة كان ثمّة تركيز على ضرب من أدب الكلمة يزيد أدب النفس ويضاعف أنس الإنسان بالحقيقة، وينمّي قربه من مولاه الذي تولاّه ويتولاّه في مراحل كينونته جميعًا. أليس الإنسان من العالمين، والله سبحانه رب العالمين، ثمّ أليس الإنسان من النّاس، والله سبحانه ربه النّاس؟! ثّم ألا يعني هذا أنّ المربوب مطالبٌ دائمًا براعية مراد ربّه، حتّى قال الشبليّ في حدّ التصوف: «هو ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك».

فالأدب المراد وفقًا لهذا التوجّه هو نتاج عبقريات من ضبطوا حواسهم وراعوا أنفاسهم، فلم يكونوا إلا لله. وحين نضع هذا في الحساب، لا نجد في أنفسنا حرجًا من الدّعوة إلى مائدة هذا الأدب، والنداء له ؛ لأنه في النهاية نداءٌ للإيمان ؛ فهل يجوز أن يحتشم ويخجل من ينادي للإيمان عبر الكلمة المستضيئة بنور الله المستهدية بهداه؟!.

وليس في مقدور أحدٍ إنكار أنّ مسيرة البشرية تشهد دائمًا تغييرًا في قبول الحقّ والازورار عنه، ويتولّى المبدعون في مجال الكلمة الجميلة جزءًا كبيرًا من انصراف الأجيال عن الحيّ القيوم، من لا تأخذه سنة ولا نوم، ومن له ما في السماوات والأرض. وحال الأديب الصّادّ عن دين الله كحال من وضع بين يديه أدوات البناء

والتمكين فأخذ يهدم ويخلخل. وهي حالٌ غريبة حقًا، غريبٌ ما فيها. ولعلّ العلّامة محمد إقبال، شاعر الباكستان وشاعر الإسلام الكبير، عني ذلك حين قال في «الشكوى»:

مـــا بـــال أغصـــان الصّـــنوبر قـــد نـــأت
عنهـــــا قماريهـــــا بكــــــلّ مكــــــان
وتعـــرّت الأشـــجار مـــن حلـــل الرّبـــى
وطيورهـــــا فــــرّت إلــــى الوديــــان
يـــــا ربّ، إلا بلــــبلا لــــم ينتظــــر
وحــــي الربيــــع ولا صــــبا نيســــان
ألحانــــه بحــــرٌ جــــرى متلاطمَــــا
فكأنّــــه الحــــاكي عــــن الطوفــــان
يـــا ليـــت قـــومي يعلمـــون شـــكاية
هـــي فـــي ضـــميري صـــرخة الوجـــدان
إن الجـــواهر حيـــرّت مـــرآة هـــــ
ـــذا القلــب، فهــو علــى شــفا البركــان
أســـــمعهمو يــــا ربّ مــــا ألهمتنــــي
وأعــــد إلــــيهم يقظــــة الإيمــــان
أنـــا أعجمـــي الـــدّن لكـــن خمرتـــي
صـــنع الحجـــاز وكرمهـــا الفينـــان
إن كـــان لـــي نغـــم الهنـــود ولحـــنهم
لكـــنّ هـــذا الصّـــوت مـــن عـــدنان

إنّنا على يقين تام أنّ بين ما ينسب إلى الأدب ضربًا في مقدوره أن يبهج الإنسان ويحرّره من نوازع الإخلاد إلى الأرض والرّضا بيسيرٍ من فتات مائدة هذه الدنيا. والمتوافر منه في تاريخ الثقافة الإنسانية ليس بالقليل، لكنّ احتراف الشرّ والدعوة إليه وتجميل صورته البغيضة ممّا شاع ووجد أنصارًا ودعاةً ورعاةً منذ أن فقدت الأمة زمام المبادرة والإقدام وصارت تبعًا مقلدًا، تنطبق عليه أحكام القطيع المعروفة.

إن الأمة لتبخع نفسها بخنجرها حين يتهيأ من بنيها المتميزين من لا يرقبون فيها إلا ولا ذمةً، فتراهم يمطرون أجيالها بكلّ نشاز وماحق لقيم الحركة المبدعة الخلاقة المضاعفة لإنسانية الإنسان وأنسه بقربه من ربّه سبحانه. وإنّ ما ينبغي أن يختار ويقدم لناشئة الأمّة من أمثلة الكلمة الطيبة هو ما أبدعه افنسان في لحظات سموّه وإشراقه، وليس في لحظات إسفافه وانحطاطه واستبداد هواه به.

وفي ضياء من هذا الفهم هيّأ الله سبحانه أن نمضي الكثير من الوقت ونبذل الكثير من الجهد في ترجمة آثار واحدٍ من خير من عرفتهم البريّة المهتمة بالكلمة الطيّبة ؛ وذلكم هو شاعر الصّوفية الأكبر مولانا جلال الدّين الرّوميّ، المتوفّي في مدية قونية التركيّة سنة ٦٧٢ هـ. كما ترجمنا عددًا من المصنّفات التي تلقي الضّوء على آثاره وإبداعاته العرفانية والأدبية لنفرٍ من كبار المستشرقين. وها نحن اليوم نقدّم للقارئ الكريم أثرًا آخر من آثار الشاعر الكبير الشعرية ذات الأهمية الفائقة، وهو:

رباعيات مولانا جلال الدين الرومي

ولأننا قد أطلنا في مقدمات مترجماتنا السابقة [1] الحديث عن اسمه ولقبه وأسرته ونسبه وحياته ورحلته وآثاره الشعريّة والنثرية، آثرنا إغفال الحديث عنها في هذا

(١) نشر لنا مما ترجمناه من آثار مولانا الروميّ كتابان هما : ١ – كتاب فيه ما فيه ، وقد صدر عن دار الفكر في دمشق عام ٢٠٠٢ م. ٢ – يد العشق – مختارات من ديوان شمس تبريز لجلال الدّين الروميّ ، وقد صدر ضمن سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية والتي تصدرها المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق ، عام ٢٠٠٢ م أيضًا. ونشر لنا قبل ذلك ثلاثة كتب حول مولانا الرّوميّ هي : =

التقديم تجنبًا لتكرار لا نرى له ضرورةً. وسنقصر الحديث هنا على ثلاث قضايا رئيسية، نحسب أنه لا غنى عن وقوف القارئ عليها قبل الولوج إلى عالم الرباعيات، وهذه القضايا هي:

١ – الرباعي في الشعر الفارسي.

٢ – رباعيات مولانا جلال الدّين الرّوميّ.

٣ – ترجمتنا هذا الأثر.

١ – الرّباعيّ في الشعر الفارسيّ.

الرّباعيّ أكثر ضروب الشعر الفارسي أصالةً، وأكثر تجليات الرّوح الإيراني والثقافة الإيرانية إشراقًا، وينطوي على الفكر الإيرانية الصّرفة ببيان بسيط وجذّاب، بعيد عن كلّ ضروب التكلّف والتصنّع، وأوج ذلك الرّباعيّات المنسوبة إلى الخيّام.

والرُّباعيّ، لغةً، منسوبٌ إلى «رُباع» بمعنى أربعة ؛ لأنّ كلّ شيء له أربعة أجزاء يسمّى «رُباعًا». وفي الاصطلاح: «الرباعيّ» شعرٌ ذو أربعة أجزاء أو مصاريع ويسمّى في المصادر القديمة أحيانًا «دوبيتي» أي: بيتين.

ويقوم نظام القافية في الرّباعيّ على أساس تصريع البيت الأول وإتباع المصراع الأخير قافية البيت الأول. وإتباع هذا النظام للقافية في المصراع الثالث أمرٌ اختياريّ. ويمكن القول مثلًا إنّه إذا كان رويّ القافية في المصراع الأول ألفًا فإنّه يكون في

= ١ – يد الشعر : خمسة شعراء متصوفة من فارس ، ترجمة عن الإنكليزية. وصدر عن دار الفكر في دمشق عام ١٩٩٨ م. ٢ – جلال الدين الرومي والتصوفي للمستشرقة الفرنسية المسلمة إيفا دي فيتراي ميروفتش ، ترجمة عن الإنكليزية. ٣ – الشمس المنتصرة ، للمستشرقة الألمانية أنيماري شيمل ، ترجمة عن الإنكليزية. وقد صدر الكتابان الأخيران عن وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في إيران عام ٢٠٠٠ م.

المصراع الثاني والرّابع ألفًا أيضًا. أمّا في المصراع الثالث فروي القافية اختياريّ ؛ أي يمكن أن يكون ألفًا أو باءً أو ... أي إنّ نظام التقفية في الرّباعيّ يأخذ الصّورة الآتية:

١) ________ ألف　　　٢) __________ ألف

٣) ________ ألف ، باء ....　　　٤) __________ ألف

وحين يكون المصراع الثالث في الرّباعيّ موافقًا لبقية المصاريع في حرف الرّويّ يسمّى ذلك الرّباعيّ «مصرعًا»، أمّا حين يكون مخالفًا فيسمّى الرّباعيّ «خصيًا». وقد سمّي الرّباعيّ بسبب شكله الظاهريّ ذي المصاريع الأربعة في بعض المصنّفات القديمة «جهار خانه»، أي: مربّع الشكل، أو «جهار دانه»، أي: أربعة أرباع. ويسمّى حينًا نظرًا إلى مضمونه «ترانه» بمعنى: لحن، نغمة، غناء أنشودة. وفضلًا عن الشكل الخاصّ نسبيًا يتمتع الرّباعيّ بوزن عروضي خاصّ. وقد لاحظ الأقدمون ذلك منذ القديم. وينسب شمس قيس الرازيّ في كتاب (المعجم في معايير أشعار العجم) حكاية ظهور وزن الرّباعيّ، أو ترانه، إلى الشاعر الإيراني الرودكي. إذ صادف الرّودكيّ في يوم من الأيام أثناء طوافه في مدينة غزنة طفلًا كان يستعمل في كلامه، وهو يلعب الجوز، سجعًا متوازنًا ومتوازيًا، وفي أثناء اللّعب صدرت عنه جملة يقول فيها:

غلتان غلتان همي رود تا بن كو

ومعناها:

تظلّ تمضي متدحرجة متدحرجة إلى الحفرة

وقد أعجب الرودكي بقول الصّبيّ، وعلى أساس تتبع ذلك ومقارنته بالأوزان العروضية استخرج وزنه من تفريعات وزن بحر الهزج، وبمقتضى هذه الحكاية يمكن إدراك أنّ الرباعيّ شعرٌ استمدّ وزنه العروضيّ من أغاني الناس وأناشيدهم. ويبحث جيلبر لازار الفرنسي عن نشاة وزن الرّباعيّ في الألحان الإيرانية. ولأن الرّباعيّ كان يغنى بمصاحبة الآلات الموسيقي قد يذكّر بالتقاليد الشعرية الإيرانية في مرحلة ما قبل

الإسلام. ولأن لبحر الهزج حضورًا في الفهلويات والأشعار العامية للنّاس، يمكن اعتداد هذا الرأي مقبولًا.

ويأتي وزن الرّباعي وفقًا لآخر التحقيقات العلمية من وزنه الأصلي، أي:

مفعول مفاعيل مفاعيل فعل

الذي يسمّى في الاصطلاح: «الهزج المشخّص الأخرب المكفوف المجبوب». ثم على أساس التغييرات التي تحصل في أركانه العروضية وبناء حروفه يتوسّع حتى يبلغ اثني عشر وزنًا.

ويذهب بعضهم إلى أن الرّباعيّ ذو منشأ تركيّ، وأنه وجد طريقه من آسية الوسطى إلى إيران. لكنّ هذا الاحتمال لم يجد تأييدًا له في أيّ مصدر موثوق في الأدوار السابقة. ولم يشر إليه إلاّ في أشعار منوجهري الداماغاني، شاعر القرن الخامس الهجريّ، على نحو مبهم. ويظهر أن هذا الاحتمال قد نشأ من أنّ نوعًا من الشعر شبيهًا بالرّباعيّ، يسمّى اصطلاحًا «هايكو»، كان له رواجٌ في الصّين وتركستان.

وفي الأدب الفارسي يأخذ الرّباعيّ من وجهة المحتوى ثلاثة أنواع، سنشير إلى اثنين منها هما:

١ ــ الرّباعيّ العِشقيّ، أو الرّباعياتّ القديمة.

٢ ــ الرباعيّ الصّوفيّ، الذي تنتمي إليه رباعيّات مولانا جلال الدّين الروميّ، التي نقدّم لها الآن.

أمّا الرباعيّ العشقيّ فقد وجد في أشعار شعراء الدور الأوّل والثاني في أقاليم الشرق وخراسان وأذربيجان ؛ مثل رودكي، وفرّخي ومنوجهري، ومعزّيّ و ...

وأما الرباعيّ الصوفيّ فكانت نقطة البدء فيه رباعيّات فضل الله أبي سعيد بن أبي الخير (٣٥٧ ــ ٤٤٠ هـ)، وقد بلغ أوجه بفريد الدّين العطّار (ت ٦٢٧ هـ تقريبًا) ومولانا جلال الدين الروميّ (ت ٦٧٢ هـ).

علـى أن أهميـة الرباعيـات الصـوفية تحتـاج إلـى التأمـل ؛ ذلـك لأن الصـوفية لـم يتعاملوا البتة مع أي نوع أدبي رسمي وذي صلة بالبلاط (القصيدة)، وتعلقوا بالرّباعيّ ؛ لأن جمهورهم هو النّاس العاديون، وكان الصّوفية في أوّل الأمر ينظمون بهذه الطريقة وينشدون رباعياتهم في المجالس.

ومن الوصفية الآخرين الذين نظموا الرّباعيّ في الأدب الفارسيّ: أبو العبّاس القصّاب الآملي في القرن الرّابع، وأبو الحسن الخرقاني وخواجه عبد الله الأنصاري ومحمّد الغزالّي في القرن الخامس ؛ وأحمد الغزالي وعين القضاة وأحمد جام وأبو الفضل الميبدي وروزبهان البقلي الشيرازيّ ومجد الدين البغداديّ، في القرن السّادس ؛ ونجم الدين كبرى وأوحد الدّين الكرمانيّ ونجم الدّين الرّازيّ وسيف الدّين الباخرزي، في القرن السّابع.

وقد بز أبو سعيد بن أبي الخير الجميع في هذا الميدان ؛ لأنّه بإنشاء الرّباعيّات العرفانية أدخل العرفان في الشعر الفارسيّ حتى قبل السّنائي.

ويحدّد شمس قيس الرازي في كتابه (المعجم في معايير أشعار العجم) الشروط الفنية التي يضعها الأقدمون للرّباعيّ، فيقول:

«وللرّباعيّ بحكم أن بناءه على بيتين لا أكثر، ينبغي أن يكون تركيب أجزائه صحيحًا، وقوافيه متمكنةّ، وألفاظه عذبةً، ومعانيه لطيفة، وأن يخلو من الحشو والتجنيسات المتكرّرة وصور التقديم والتأخير القبيحة. وإن يصحب ذلك شيء من الصناعات المستحسنة والزّينات البيديعية المطبوعة، كالطّباق اللطيف والتشبيه المستقيم والاستعارة الحسنة والتقابل الموزون والإيهام الحلو، يأتي أحسن وأجمل ...» [(١)].

---

(١) استفدنا في موضوع « الرباعي في الشعر الفارسي » من مقدمة الأستاذ الدكتور أمين رياحي لـ « رباعيات مولانا » تحقيق محمد ولد جلبي ، صورة من طبعة ١٣١٢ هـ ، في إستانبول، نشر خرّم ؛ ومن « تاريخ أدب بارسي » للدكتور أحم تميم الدّاري، انتشارات بين المللي الهدى ، جاب أول ١٣٧٩ هـ.ش (المترجم).

٢ ـ رباعيات مولانا جلال الدين الروميّ

جاء مجموع رباعيات مولانا الرّوميّ في آخر ديوانه الكبير أو «كليات ديوان شمس تبريزي». وتبلغ عدتها في نشرة العلامة المرحوم بديع الزمان فروزانفر ألفًا وتسع مئةٍ وثلاثًا وثمانين رباعيّة. ورباعيّات مولانا من أوّلها إلى آخرها تتحدّث عن رحلة الإنسان إلى الحقّ سبحانه وما يتقدّم ذلك ويكتنفه ويعقبه. وطيف الموضوعات والفكر التي تعالجها هذه الرّباعيّات واسعٌ جدًا، يشمل آفاق التجربة الروّحيّة الواسعة لمبدع مسلم قليل النظير في تاريخ الثقافة الإنسانية بله الإسلاميّة. ويعزّ علينا، وعلى أيّ باحث، ضبط التجليّات الدّلاليّة الكثيرة المتباينة لهذه الرّباعيّات. والملمح العام البارز في هذه الرّباعيات من جهة الموضوع هو حال العاشق مع المعشوق وما يكتنف الصّلة بينهما من وصال وهجر، وقبول وصدّ، وغمّ واشتياق. وعلى الجملة كلّ ما يكتنف سير السالك في طريق الحقّ سبحانه.

والرسالة التي تحملها الرباعيات جميعًا هي عطف العنان إلى فضل الديان سبحانه على الخلق، وجمال التسليم لمبدع كلّ جمال، وروعة التوجّه إلى الواحد الأحد، الحبيب الحقيقي الأوحد، سبحانه.

وتضفي العبقرية الشعرية عند الشاعر الصوفّي الكبير على كلّ ما يعبر عنه من مواجيد وأحوال أبعادًا غريبة وقشيبة، وألوانًا بديعة زاهية، وإشراقًا يملأ آفاق نفس المتلقي الذي تتجلىّ له قدرة الصّانع في المصنوع وحكمة الذي ما خلق شيئًا باطلًا، سبحانه.

وبرغم أنّ الطبيعة الفنية للرباعية تستلزم أن يكون الموضوع في كلّ رباعية مستقلًا منبتًا عم سبقه وعمّا لحقه يأنس المتأمّل أنّ الموجة الشعوريّة في بحر إبداع الشاعر المسلم جلال الدّين الرّومي كانت تمتدّ طويلًا لتشمل عددًا من الرّباعيّات، حرص الشاعر على أن يجمعها في أحيان كثيرة رباط من الشكل شبيهٌ بالفاصلة القرآنية. وهذا الرباط الموحّد بين عدد من الرّباعيّات كثيرًا ما يكون عبارةً خاصةً تأتي في مطلع عدد من الرّباعيّات المتوالية أو في أواخرها أو في أواسطها.

ويلاحظ المتأمّل أنّ فكرة الزّمان تشكّل إطارًا للدّلالة في معظم الرّباعيات المقدّمة. ومرجع ذلك فيما يبدو، كون الزّمان إطاراً لأحوال النفس ؛ ومن هنا يكثر ذكر الليل والنهار، والسحر والصباح، والشتاء والربيع، والشمس والقمر، والنوم واليقظة ...

وكذلك فإنّ جمال المعشوق استحضر لتصويره وتقديمه أبرز ما قدمته المعرفة العقلية والنقلية من ضروب الجمال وعناصره الممثلة ؛ فإذا الأزهار والرياحين والأشذاء والرّوائح، والجواهر والأحجار الكريمة، والأجناس البشرية، والحيوانات (هذه جميعًا) مادةٌ شكل منها الشاعر الكبير معانيه وأخيلته وصوره، في عرضٍ أبرز مميزاته جمع الجزئيات الصغيرة والدقائق لتشكل معنى مؤثرًا وصورةً جذابةً وتعبيرًا بسيطًا مبهجًا للحسّ والرّوح. المعنى في رباعيّات مولانا شبيه بالمنمنات الفارسيّة التي تستخدم الأصباغ والأشكال والفراغ في تشكيل لوحة عجيبة قادرة على الإبهاج والإدهاش والإثارة.

والرّوح الذي تعبّر عنه رباعيّات مولانا هو روح العارف الشاعر الذي فقه الإسلام العظيم في أبعاده وتجليّاته الصّوفية، وأدرك وحدة الصّانع في المصنوع وتبدّى له الجمال الذي ما بعده جمالٌ، فسجل ما ارتسم في مرآته الصّافية من ذلك بهذا الشكل التعبيري الذي عدّ من خصائص الشخصية الإيرانية في تجلّيها الأدبي.

أمّا الأفق القيميّ الذي ترتفع إليه الرّباعيّات المقدّمة هنا، فليس من شأني أن أحدّده وأقرّره، وأترك للقارئ الكريم الذي أثق بحصافته وبصيرته النقدية مهمّة الحكم في هذه القضية.

٣ ـ ترجمتنا هذا الأثر

أجدني مضطرًا إلى أن أخبر القارئ الكريم بأنني قد بذلت جهدًا يعلم الحقّ وحده سبحانه مبلغه، لإخراج هذه الترجمة العربية لرباعيّات ملانا جلال الدّين إلى العربيّة، وإخالها الأولى لهذا الأثر. وقد هيّأ المولى سبحانه أن يكون إلى جانبي أثناء

الترجمة أستاذ إيراني براع هو الأخ الفاضل السيد مرتضى قشمي الذي يحمل الماجستير في الأدب الفارسي، وهو من ذوي اللسانين الفارسيّ والعربيّ، وقد أبدى تمكنًا واضحًا في فهم المعاني الدقيقة للرباعيات، وقد بذل معي جهدًا كبيرًا، فأسأل الله سبحانه أن يجزل ثوابه.

وكانت الطريقة في الترجمة أن أقرأ أنا المادّة الفارسية ثم أترجم المراد منها إلى العربيّة، وهو يتابع ما أقول ويصحّح لي إن آنس أنني لم أقدّم المراد الدقيق، وبعد ذلك أكتب ما انتهينا إليه من معنى بالعربية بجوار أصله الفارسيّ على الكتاب نفسه. ثم بعد الانتهاء التّام من ترجمة الرّباعيّات كاملةً نسخت الترجمة النهائية ثانيةً ؛ ليشكل ذلك الصّورة العربيّة لرباعيات مولانا، كما هي مقدمةٌ هنا. وتجدر الإشارة إلى أن عددًا من رباعيّات مولانا جاء بالعربيّة في الأصل، لكنّ مستوى الأداء فيها لا ينبئ عن تمكن بالعربية، ولست أدري مردّ ذلك على وجه الدقة.

وإنني إذ أقدّم للقارئ الكريم هذه الترجمة العربيّة الأولى لرباعيّات مولانا جلال الدّين الرّوميّ، أحتسب ما قدّمت من جهد ووقت عند الله سبحانه، وأسأله سؤال من لا حول له ولا قوة أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يبارك لي فيه في هذه الدّنيا وفي تلك الأخرى التي ألقى فيها وجهه وحيدًا كساع إلى الهيجا بغير سلاح، وأن يجعله مادّةً لإفادة القراء علمًا ونورًا وهدايةً وسرورًا ؛ فإنه، سبحانه، نعم المولى ونعم النصير.

حلب المحروسة في السّابع والعشرين من جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ

السّابع والعشرين من تموز ٢٠٠٣ م

عيسى علي العاكوب

رباعيات مولانا جلال الدّين الرّوميّ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

أيّها الليل، أنت في سرور دائمٍ فجئنا مسرورًا، جئنا مسرورًا،

أعطـــــاك الله عمـــــرًا إلـــــى يـــــوم القيامــــــة،

فــــي ذاكرتـــــي نـــــارٌ مــــن جمــــال الحبيـــــب،

فيـــا أيتهـــا الغصّـــة، إن كانـــت عنـــدك الجـــرأة فتعـــالي

(٢)

ألا أيهـــا المســـافر، إلـــى أيـــن تعـــزم؟ إلـــى أيـــن؟

أينمـــــا ذهبـــــت جلســـــت فـــــي قلبنــــــا

مـا أكثـر اغتمامـك مـن الفـراق كاغتمـام السّـمك مـن فـراق البحـر

ولـــــذلك تنثـــــر شـــــفتك الجافّـــــة درر البحـــــر

(٣)

ألقـــــي بنفســــــي باحتيـــــالٍ ههنـــــا ثمـــــلاً

لكـــي أرى ذلـــك المعشـــوق والمحبـــوب الموجـــود هنـــاك،

فإمّـــا أن توصـــلني قـــدمي إلـــى مقصـــودي ومـــرادي،

وإمـــا أن أســـلم رأســـي، كمـــا ســـلمت قلبـــي

(٤)

جعل الله صوتك موافقا لقلوبنا
جعل الله صوتك مسرورًا ومنشدًا في الليل والنهار
ولو ضعف صوتك لأصابنا السقم
جعل الله صوتك حلوًا كالناي الماضغ للسكر

(٥)

جعل الله العاشق ثملا ومفتضحًا طوال العام،
جعله الله مجنونًا ومضطربًا والهـا
في الصحو نتجرع غصّة كل شيء،
وعندما ثملنا، فليكن ما يكون

(٦)

إن مضى العمر أعطى الحق عمرًا آخر،
وإن ذهب عمر الفناء فهناك عمر البقاء،
العشق ماء الحياة، فادخل في هذا الماء،
فكل قطرةٍ منه بحر حياةٍ مستقل

(٧)

واحسرتاه، فقد انقضى الوقت ونحن عشاقٌ والهون،
في بحرٍ ساحله غير واضح،
سفينة وليلٌ وغمامٌ، ونحن نجري
في بحر الحقّ، بفضل الحقّ وتوفيقه

(٨)

رأيـــــــت فـــــــي المنـــــــام ســـــــاقيَا فتّانَـــــــا
ممســـــــكًا بيـــــــده كـــــــأس الصّـــــــهباء،
قلـــــــت لخيالـــــــه: «أنـــــــت غلامـــــــه؟
أنـــــــت أهـــــــلٌ لأن تكـــــــون ســـــــيّدنا»

(٩)

نـــــــار العشـــــــق هـــــــذه تنضـــــــجنا
كـــــــل ليلـــــــةٍ تجـــــــذبنا إلـــــــى الخرابـــــــات،
تجلســـــــنا مـــــــع أهـــــــل الخرابـــــــات
لكـــــــي لا يعرفنـــــــا إلا أهـــــــل الخرابـــــــات

(١٠)

يـــــــا نســـــــيم الســـــــحر، أخبرنـــــــا
أرأيـــــــت فـــــــي الطريـــــــق ذلـــــــك القلـــــــب المشـــــــتعل؟
أرأيـــــــت قلبًـــــــا مليئًـــــــا بالنـــــــار مليئًـــــــا بالعشـــــــق،
فقـــــــد أحـــــــرق بنـــــــاره ألـــــــف حجـــــــرٍ أصـــــــم؟

(١١)

أيهـــــــا الســـــــيد، لا ترانـــــــا فـــــــي المنـــــــام،
لـــــــن ترانـــــــا مـــــــرةً أخـــــــرى حتـــــــى الســـــــنة القادمـــــــة،
أيهـــــــا الليـــــــل، كلمـــــــا نظـــــــرت إلينـــــــا
لا ترانـــــــا مـــــــن دون ضـــــــياء القمـــــــر

(١٢)

يـــا مــــن لــــم يشــــقّ قمــــر الليــــل غبــــارك،
هنــــاك تحــــفٌ مــــن قمــــرك لســــاهريك،
بــــرغم أن أطــــراف الشّــــفق حمــــراء الوجــــه،
فإنّهــــا تنهــــزم أمــــام وجهــــك الأصــــفر

(١٣)

مــــا رأينــــا فــــي حياتنــــا روضــــك،
ولـم نـر عينـك النرجسـية المليئـة بالخمـار والمسـببة للخمـار،
تواريــــت عــــن النّــــاس، مثــــل الوفــــاء،
ومــــا رأينــــا وجهــــك منــــذ أمــــدٍ بعيــــد

(١٤)

أيهــا الحبيــب، نحــن قرنــاء لــك فــي المحبّــة،
وحيثمــا تضــع قــدمك نكــون أرضًــا لــك،
وكيــف يجــوز فــي مــذهب العشــق
أن نــرى العــالم بــك، ولا نــراك؟!

(١٥)

اختــــرت نفســــي مــــدةً مقلــــدًا،
كنــت أســمع اســمي ولا أرى نفســي،
كنــت منشــغلا بنفســي، ولــم أكــن مســتحقًا لنفســي،
وعنــدما خرجــت مــن نفســي وجــدت نفســي

(١٦)

قلـــــــت حينَـــــــا: «أنـــــــا أميــــــــر نفســـــــي»
وصــــــــرخت حينَـــــا: «أنـــــا أســــير نفســـــي»
وقــد مضـــى ذلـــك، ومنـــذ الآن فصـــاعدًا لـــن أقبـــل نفســـي،
بــــــــــــــدأت أتواضـــــــــــــــــــع

(١٧)

وضـــــــعت قلبــــــي فـــــــي طريـــــــق الـــــــبلاء،
وأطلقــــت ســــراح القلـــب مــــن أجلـــك خاصــــة،
جــــــــاءتني اليــــــوم رائحتــــــك مــــــع الـــــــرّيح،
فأعطيـــــــت قلبــــــــي للــــــــرّيح بشــــــــارةً

(١٨)

ذلـــــــك الــــــــذي منـــــــع عنّــــــي النّـــــــوم،
يريــــــد لمحرابـــــي أن يكـــــون نـــــديًا بالـــــدّمع،
أمســــك بــــي وألقـــــاني فــــي المـــــاء صـــــامتًا،
ذلـــــك المـــــاء الـــــذي يعطـــــي حـــــلاوةً لمـــــائي

(١٩)

عنـــــــدما تحـــــيط بــــي ذات الحـــــقّ كـــــالبحر،
يغـــــدو جمـــــال الـــــذرّات مضـــــيئًا لـــــي،
أحتـــــرق كالشّـــــمع فــــي طريــــق العشـــــق ؛
لكــــي تغـــدو الأوقـــات كلهـــا وقتًـــا واحـــدًا لـــــي

(٢٠)

في البدء دللني بالآف الألطاف،

وفي الآخر أذابني بالآف الغصص

كان يلعب بي كخرزة محبته،

وعندما صرت كله رماني

(٢١)

قصة إنسانٍ جعلتني أصفق،

جعلتني من دون وقارٍ ومن دون عقلٍ ومن دون روح،

والحاصل أن قلبه حوّل قلبي،

وكل شكلٍ أراده صوّرني به

(٢٢)

أقول: «من رافع روحي؟»

إنه ذلك الذي أعطاني روحًا في البدء،

حينًا يغلق عيني كالباز،

وحينًا يفتحها للصيد، كالباز

(٢٣)

لا نجيَّ لي إلى العشق،

لا في الألو ولا في الآخر ولا في البدء

يناديني الرّوح من الدّاخل [قائلا:]

أيّها الكسول في طريق العشق، أفدني

(٢٤)

«لا حـــــول ولا» تفيـــــد فـــــي هـــــذا الغـــــمّ،

الغـــم الـــذي يصـــل إلـــى روح بنـــي آدم مـــن الشـــيطان،

ذلـــك الـــذي يغـــتمّ مـــن كلمـــة «لا حـــول ولا»،

«لا حـــــول ولا» تزيـــــد لحظـــــة الاغتمـــــام

(٢٥)

حــذار أيهــا القلــب، لا تســمح للغــمّ بــأن يجــد طريقًــا إليــك،

ولا تختـــــر فـــــي الـــــدنيا صـــــحبة الغربـــــاء،

إذا قنعـــت بقليـــلٍ مـــن الكزبـــرة ورغيـــفٍ مـــن الخبـــز،

فـــــلا تعـــــدل بـــــالكزبرة عـــــزة العـــــالم

(٢٦)

العاشـــق فـــي ليلـــة الخلـــوة مـــن أجـــل الإضـــلال،

كثيــرًا مــا يرســم لنفســه طريقًــا بــالنجوم لا يعرفــه غيــره،

لأنّـــــه فـــــي ليلـــــة الوصـــــال هنـــــاك مشـــــقة

لأعـــــين النـــــاس ممّـــــا تـــــراه أعيـــــنهم

(٢٧)

أنـــــا ذرةٌ، ولقـــــاؤك شـــــمسٌ عنـــــدي،

أنـــــا مـــــريض الغـــــمّ، وأنـــــت عـــــين دوائـــــي،

أطيـــــر خلفـــــك مـــــن دون جنـــــاحٍ وريـــــش،

وقـــــد صـــــرت قشًـــــا، وأنـــــت كالكهربـــــاء لـــــي

(٢٨)

أيّهـــــا الــــــدّمع المنهــــــل، قــــــل لمعشـــــوقي،

ذلــــك الـــذي هـــو بســـتاني وربيعـــي ومتنزهـــي:

عنـــــــدما تتـــــــذكّر لــــــــيلا ليـــــــالي،

لا تفكـــــــر فـــــــي ضـــــــروب جســـــــارتي

(٢٩)

هــــذا الصّـــــوم كالغربــــال ينقّـــــي الـــــرّوح،

يظهــــــــر القراضـــــــــة الخفيّـــــــــة،

الكــــأس التـــــي تجعـــــل القمــــر الـــــلالاء مظلمَــــا،

صـــــارت مكشـــــوفة، تعطــــي نـــــورًا للسّـــــماوات

(٣٠)

أصـــــل الكــــلام الــــذي يعطـــي روحًـــا للـــــرّوح،

يعطـــي للـــــرّوح انعــــدامًا للـــــون مثـــــل اللـــــون،

يمــــــــد ســـــــــراج الإيمـــــــــان بالزّيـــــــــت،

قلنـــــا كثيـــــرًا، ولـــــم نقــــــل ذلـــــك

(٣١)

أيّهـــــا الســـــخيّ، أنفـــــق الجـــــوهر والمرجـــــان ؛

فإنّـــــــــه لا طريـــــــــق للأشـــــــــحاء،

فـــــتح الجســــم فـــــاه كالصّـــــدف [قــــائلا:]

كيـــف يتّســـع لـــي، وهــو لا يتّســـع للـــرّوح؟!

(٣٢)

فـــــي أعماقـــــك روحٌ، فابحـــــث عـــــن ذلـــــك الـــــرّوح،
وفـــي جبـــل جســـدك در، فابحـــث عـــن ذلـــك المـــنجم،
أيّهـــا الصـــوفي الســـالك، إن كنـــت تبحـــث عـــن ذلـــك
فـــلا تبحـــث عنـــه خـــارج نفســـك، ابحـــث عنـــه فـــي نفســـك

(٣٣)

انقضـــــــــــى الوقـــــــــــت، ولكـــــــــــن لا شـــــــــــبع
للشـــــــــــبعين، إلا للمـــــــــــدبرين مـــــــــــنهم،
مـــا النهـــار ومـــا الليـــل ومـــا الصـــبح عنـــد الشـــجعان،
مـــا الـــذئب ومـــا الشّـــاة والخـــروف عنـــد الأســـود؟!

(٣٤)

لـــــــــم تـــــــــر البائســـــــــين فـــــــــي التـــــــــراب،
ولـــــم تـــــر مـــــن بعيـــــد أصـــــحاب جهـــــنم،
فلـــــــــم تـــــــــدّعي عشـــــــــق المعشـــــــــوقين؟!
مـــــا شـــــأن أهـــــل الشـــــهرة بالعشـــــق؟!

(٣٥)

انظـــــر بعينـــــك عينـــــي ذلـــــك المعشـــــوق
واســـتمع جيـــدًا إلـــى هـــذه النكتـــة التـــي لا مثيـــل لهـــا،
كـــــــل دمٍ أراقتـــــــه عينـــــــه النّرجســـــــية،
انظـــــر إليـــــه منســـــكبًا مـــــن عينـــــي

(٣٦)

ما الغم حتى نتذكره؟!
ما قيمته حتى نضعه في القلب، علينا أن نرسمه على التراب،
الغم لوزٌ، لكن لا لب له،
فإن لم يستسلم أخرجنا لبه

(٣٧)

جربت معشوقي الجميل الطباع،
السيل العكر لم يعكر ذلك النهر،
لم يعقد يومَا عقدةً على حاجبه،
وسأبقيه لمماتي ومحياي

(٣٨)

يقصر الزمان هذا الحديث،
ويمزّق ذئب الفناء هذا القطيع،
في رأس كلّ إنسان غرورٌ، ولكن
تصفع ضربة الأجل الجميع

(٣٩)

لموسى هذه الأمة عصا عجيبة:
عندما يلقيها تجعل الجميع لقمة واحدة،
لا تبقي وليمة ولا معركة،
ولم يفهم كل عقلٍ هذه الزمزمة

(٤٠)

قتـــــــل عشــــــــقك التركــــــــي والعربــــــــي،
أنــــا عبـــــدٌ لــــــذلك الشـــــهيد وذلــــك الغــــازي،
كــــان عشــــقك يقــــول: «لا ينجـــــو أحـــــدٌ منـــــي»
فقــــال الحـــــق: «أيهــــا القلــــب، دع هــــذا اللعــــب»

(٤١)

يـــــا مــــــن أعطيـــــت بــــــالخبز جــــــوهرًا إيمانيًـــــا،
أعطيـــــــت بشـــــــيءٍ تافـــــــهٍ منجمًـــــــــا،
عنــــدما لــــم يســــلم النمــــرود القلــــب إلــــى الخليـــل،
حقـــــــا أســـــــلم الـــــــرّوح إلـــــــى البعوضـــــــة

(٤٢)

أيهـــا الســـور المتبختـــر، لا وصـــلت إليـــك ريـــاح الخريـــف،
ويـــــا عـــــين الـــــدّنيا، لا أصـــــابتك عـــــين الحســــد
يــــــــا مـــــــــن أنـــــــــت روح السّـــــــماء والأرض،
لا أصـــــــابك إلا الرّحمـــــــة وراحـــــــة الـــــــرّوح

(٤٣)

أيهــــا القلــــب، إن دخـــــان قلبنــــا هـــو أمـــارة العشـــق،
أيهــا القلــب، إن الــدخان الــذي فــي القلــب ظــاهرٌ للعيــان،
أيّهــــا القلـــب، كـــل مـــوجٍ مـــن دم يضـــطرب فـــي القلـــب،
لـــــيس ذلـــــك قلبًـــــا، بـــــل لعلـــــه بحـــــرٌ

(٤٤)

مـــا دامــت صـــورة خيـــال الحبيـــب معنـــا، أيهـــا القلـــب،
يكـــون عمرنـــا كلـــه بهجـــة ونزهـــة، أيهـــا القلـــب،
وحيثمـــا ينـــال القلـــب مـــراده، أيّهـــا القلـــب،
تكـون كـل شـوكةٍ خيـرًا مـن ألـف رطبـةٍ، أيّهـا القلـب

(٤٥)

كـــل مـــن شـــرب شـــربة مـــن مشـــربنا
صـــار ثمـــلا، وصـــار يـــرى ليلنـــا نهـــارا،
مـــن تلـــك الخمـــرة التـــي ليســـت حرامًـــا فـــي مـــذهبنا،
لـــن تجـــد شـــفتنا جافـــة حتّـــى صـــبح العـــدم

(٤٦)

صـــار مركبنـــا جاريًـــا مـــع العشـــق مـــن العـــدم،
وصـــار ليلنـــا مضـــيئًا دائمًـــا مـــن شـــراب الوصـــل،
مـــن تلـــك الخمـــرة التـــي ليســـت حرامًـــا فـــي مـــذهبنا،
لـــن تجـــد شـــفتنا جافـــة حتـــى صـــبح العـــدم

(٤٧)

كـــل مـــن اعتنـــق ملتنـــا ومـــذهبنا
يـــرى مئـــة روحٍ مجـــرّد مـــن قالبنـــا،
وكـــلّ مـــن شـــرب شـــربة مـــن مشـــربنا
صـــار ثمـــلا، ويـــرى ليلنـــا نهـــارا

(٤٨)

لأنّ الحقّ كتب سريعًا فراقنا،
لم احترابنا ووحشتنا؟
إن كنت سيئًا تحرّرت من مشقتي،
وإن كنت حسنًا تتذكر صحبتي

(٤٩)

العشق طريق رسولنا وسبيله
نحن أبناء العشق، والعشق أمنا،
فواعجبَا، أمنا متوارية في خيمتنا،
توارت عن طبيعتنا الكافرة

(٥٠)

من الخمرة الياقوتية صار جوهرنا صافيًا،
وقد ناحت كأسنا من يدنا،
ومن كثرة ما نشرب الخمرة تلو الخمرة،
فنينا في الخمرة، وفنيت الخمرة فينا

(٥١)

إذا مت، فأتوا بي ميتَا،
وسلموني إلى حبيبي،
وإن هو قبّل شفتي الذابلة،
فحييت، فلا تعجبوا

(٥٢)

إلــــــى متـــــى تنظـــــر إلينــــا مـــــن بعيـــــد؟!

نحـــن أصـــحاب التـــدبير، والعشـــق لا تـــدبير لـــه عنـــدنا،

مـــــا الـــــرّوح؟ إنّـــــه أصـــــغر أطفـــــال مهـــــدنا

ومـــــا القلـــــب؟ غريـــــبٌ، ضـــــائعٌ بســـــببنا

(٥٣)

حينَـــــــا يحســـــــد الملـــــــك طهارتنـــــــا،

وحينَـــــا يفـــــرّ الشـــــيطان مـــــن جرأتنـــــا

جســـــدنا الترابـــــي هـــــذا حمـــــال الحـــــق،

أحســـــنت، مـــــا أجمـــــل خفّتنـــــا ونشـــــاطنا

(٥٤)

جســـــدنا الترابّـــــي هـــــذا نـــــور الفلـــــك،

وقـــــد صـــــار نشـــــاطنا ســـــببًا لحســـــد الملـــــك،

حينَـــــــا يحســـــــد الملـــــــك طهارتنـــــــا،

وحينَـــــا يفـــــر الشـــــيطان مـــــن جرأتنـــــا

(٥٥)

أيّهـــــا الحبيـــــب، أي شـــــيءٍ خيـــــرٌ لبـــــائع التـــــين؟

أيّهـــــا الأخ، أيّهـــــا الحبيـــــب، إن بيـــــع التّـــــين خيـــــرٌ لـــــه،

أيّهـــــا الحبيـــــب، نحيـــــل ثملـــــين، ونمـــــوت ثملـــــين،

ونجـــــري إلـــــى المحشـــــر ثملـــــين أيضـًـــــا، أيهـــــا الحبيـــــب

(٥٦)

عندما ينتن الطنبور أثناء العزف،
يكون القلب الذي لا قرار له ممزقًا للقيود،
لأنّ صوتًا خفيًا في القمر يقول له:
«أيها المتعب التائه، تعال»

(٥٧)

من يصوّرك وحده،
لا يدعك وحيدًا وسط القلق،
وفي بيت تصويرك، أي قلبك،
يخلق منتي نديمٍ جميل

(٥٨)

ما دمت معك لا أنام من الوصال والصّحبة،
وما دامت بعيدًا عنك لا أنام من الأنات،
سبحان الله ! إنني أصحو كل ليلتين،
فانظر إلى الاختلاف بين أنواع السهر

(٥٩)

يا دولاب الفلك، من مكرك وسوء صنيعك
فزت بألعابٍ على نطع قلبي
تراني يومًا على مائدة الفلك
أصنع هالاتٍ مثل القمر

(٦٠)

مـــن نـــار العشـــق ثمـــة حـــرارةٌ فـــي العـــالم
ومـــن حليـــب وفائـــه نعومـــاتٌ فـــي الجفـــاء،
وأمـــام ذلـــك القمـــر الـــذي الشـــمس خجلـــة منـــه
يمكـــن أن يكـــون هنـــاك وقـــحٌ؟ أيـــة وقاحـــةٍ هـــذه؟!

(٦١)

يـــا مـــن فـــي طرتـــك تشـــعث
وفـــي شـــفتك الياقوتـــة نثـــرٌ للســـكر،
ســـألت: «أنـــدمت علـــى فراقنـــا؟»
أيّهـــا المعشـــوق، أيّ نـــدم؟! إنـــه أنـــواعٌ مـــن النـــدم

(٦٢)

فـــي رأســـي صـــداعٌ مـــن أثـــر الخمـــرة،
وبوجـــود ســـكر شـــفتك، لـــي نثـــرٌ للســـكر،
أيهـــا السّـــاقي الخفـــي، عنـــدما واصـــلت الســـقيا
افتضـــحت الأســـرار كلهـــا عندئـــذٍ

(٦٣)

مـــا دام عشـــقك يمضـــغ الســـكر،
فاســـتمع كـــل يـــوم إلـــى الكـــلام المـــر،
عملـــك كـــل ليلـــةٍ شـــرب الخمـــرة
وزيـــادة المكـــر والـــدخل والخصـــومة

(٦٤)

يـــــا مـــــن أنـــــت فـــــردٌ كالشـــــمس، تعـــــال،
البســتان والــورق صــفرٌ فــي غيــاب وجهــك، فتعــال،
العـــــالم فـــــي غيابـــــك غبـــــارٌ وهبـــــاء، فتعـــــال،
وهــذا المجلــس، وهــذه الحيــاة، بــاردان مــن دونــك، فتعــال

(٦٥)

يـــا كـــم لـــيس شـــمع وجهـــك مصـــنوعًا، تعـــال،
ويـــا مـــن ليســـت صـــورتك مـــن مـــاء المنّـــي، تعـــال،
لا تخـــــــــف نفســـــــــك فـــــــــي الغضـــــــــب،
إن حســـــنك غيـــــر قابـــــلٍ للإخفـــــاء، تعـــــال

(٦٦)

أيهـــا المعشـــوق، لا تلـــح علـــى هلاكـــي، تعـــال،
اللـــــون الـــــذي تعرفـــــه اصـــــنعه، تعـــــال،
يـــــا مـــــن علمـــــت المكـــــر لكـــــلّ روح،
اصـــــنع مكـــــرًا واحـــــدًا لـــــي، وتعـــــال

(٦٧)

يـــا خضـــرة كـــل شـــجرٍ وبســـتانٍ وعشـــب،
يـــا ســـعادتي وإقبـــالي، يـــا عظمتـــي وجلالـــي،
يـــا مـــن الخلـــوة والســـماع والإخـــلاص والريـــاء،
هـــذه جميعًـــا مـــن دون حضـــرتك هـــراء، فتعـــال

(٦٨)

إن لـــم تحمـــل رائحـــة فـــلا تـــأت إلـــى هـــذه الناحيـــة،
وإن لـــم تخلـــع الثيـــاب فـــلا تـــأت إلـــى هـــذا النهـــر،
ذلـــك العـــالم الـــذي تتفـــرّع منـــه الجهـــات
كـــن فـــي ناحيتـــه، ولا تـــأت إلـــى هـــذه الناحيـــة

(٦٩)

مـــولاي، أنـــا التّائـــب مّمـــا ســـلفا،
هـــل يقبـــل عـــذر عاشـــقٍ قـــد تلفـــا،
إن كـــان نـــدامتي صـــدودًا وجفـــا،
مـــولاي، عفـــا الله، عفـــا الله، عفـــا

(٧٠)

مـــا أطيـــب، مـــا ألـــذ، مـــا أحلانـــا
كنّـــا مهجـــا، ولـــم نكـــن أبـــدانا،
إن شـــاء بنـــا كرامـــة مولانـــا
يعفـــو ويعيـــدنا كمـــا أبـــدانا[1]

(٧١)

درت فـــي الليـــل حـــول المدينـــة مثـــل الـــريح والمـــاء،
أيظفـــر أحـــدٌ بـــالنوم مـــن الـــدّوران حـــول المدينـــة؟
العقـــل هـــو الـــذي يبحـــث عـــن الأشـــياء فـــي مواضـــعها،
فـــلا تطلـــب تمييـــزًا وأدبًـــا مـــن الثمـــل

(١) هذه الرّباعية والتي قبلها بالعربية في الأصل [المترجم].

(٧٢)

القلــــب مــــن هوســـك مثـــل الربـــاب، الربـــاب،

وكــــل قطعـــةٍ مــــن حرقــــك كبــــابٌ، كبــــاب

وإن كـــان المعشـــوق صــــامتًا فـــي شـــأن ألمنـــا

فــــإن فــــي صــــمته مئـــة جـــاوب وجـــواب

(٧٣)

مــــن صـــــوت إســــرافيل ظهـــــر الرّبـــــاب،

فأحيـــــــا وحـــــــدد قلـــــــوب الكبــــــاب،

أحـــوال العشـــق وأوصــــابه التــــي غرقـــت وفنيـــت

طلعـــــت مـــــن قعــــر المـــــاء كالأســـــماك

(٧٤)

يــــا رب، يـــــا رب، بحـــــق تســــبيح الربــــاب،

الـــــذي فــــي تســــبيحه مئـــــة ســــؤالٍ وجـــــواب،

يــــا رب، بقلـــب الكبــــاب، والعـــين المملـــوءة بالمـــاء،

نحـــن أكثـــر جيشـــانًا مــــن شــــراب الـــدنان

(٧٥)

أتعـــــرف مـــــا يقـــــول صـــــوت الرّبـــــاب؟

[يقـــول:] «الحقنـــي، وابـــدأ السّـــير فـــي الطريـــق،

لأنّـــك بالخطـــأ تجـــد الطريـــق إلـــى الصّـــواب،

ولأنـــك بالسّـــؤال تجـــد الطريـــق إلـــى الجـــواب»

(٧٦)

جـــــاء حـــــارًا وعاشـــــقا ونشـــــيطا وســـــريعًا،

عائـــــدة روحـــــه مـــــن ريـــــاض الصّـــــواب،

وقـــــد هـــــاجم اليـــــوم القضـــــاة كلهـــــم

بحثــا عــن مــاء الحيــاة، قاضــي كــاب [قاضــي الثرثــرة]

(٧٧)

لا تجلـــس مـــن دون عمـــلٍ، ادخـــل، تعـــال ســـريعًا،

فالتعطـــل يجـــر إمـــا إلـــى الأكـــل وإمـــا إلـــى النّـــوم،

ومـــن أهـــل الســـماع يصـــل صـــوت الربـــاب،

فـــأدرك حلقـــة الـــذاهلين ولا تتـــأخر

(٧٨)

يـــا مـــن جئـــت متـــأخرًا إلـــى الكتـــاب،

إن أســـرع الأطفـــال، فـــلا تســـرع أنـــت،

إن عجـــز النـــاس وفـــاتهم الحصـــول علـــى المـــراد،

فأنـــت صـــاحب الاختيـــار، أمســـك بالربّـــاب

(٧٩)

لا وجـــود ولا طاقـــة للفكـــر والغـــم

حيـــث يوجـــد الشـــراب والكبـــاب والرّبـــاب،

فاشـــربوا مـــاء حيـــاة الأبـــد، أيّهـــا الأصـــحاب،

ومثــل الخضــار والــورد، ضــعوا الشــفاه علــى شــفة المــاء

(٨٠)

فـــي هـــذا اليـــوم، مثـــل أيّ يـــوم، نحـــن خربـــون، خربـــون،
لا نتحـــــرر مـــــن الســـــيل إلـــــى يـــــوم القيامـــــة،
جـــــاء ضـــــياء القمـــــر لـــــيلا وقطـــــع عنـــــق النـــــوم،
فلـــــم يخشـــــى ضـــــياء القمـــــر ســـــفك الـــــدماء؟!

(٨١)

فـــي هـــذا اليـــوم، مثـــل أي يـــوم، نحـــن خربـــون، خربـــون،
فـــــلا تفـــــتح بـــــاب التفكيـــــر، وأمســـــك بالربـــــاب،
مئـــــة نـــــوعٍ مـــــن الصـــــلاة والركـــــوع والســـــجود،
لمـــــن يكـــــون جمـــــال الحبيـــــب محرابَـــــا لـــــه

(٨٢)

لا حاجـــــــــــة لســـــــــــكرنا إلـــــــــــى الشـــــــــــراب،
ولا حاجـــــة لمجلســـــنا إلـــــى طـــــرب الصـــــنج والرّبـــــاب،
فإننـــــا مـــــن دون ســـــاقٍ وحســـــناء ومطـــــربٍ وخمـــــرة،
مفتونـــــون وثملـــــون، مثـــــل ســـــكارى الحانـــــات

(٨٣)

شـــــرابٌ فـــــي هـــــذه الحلقـــــة مـــــن دون كـــــأسٍ،
وكبـــــابٌ فـــــي هـــــذا الصـــــدر، مـــــن دون دخـــــان،
فحـــذار أن تقـــول إن صـــياح ربـــاب العشـــق مـــن مضـــرابه،
بـــل مـــن الربـــاب نفســـه، مـــن الرّبـــاب [مـــن الحـــقّ]

(٨٤)

لاح للعـــــين خيـــــال ذلـــــك الـــــدر الصـــــافي،

فـــي تلـــك اللحظـــة التـــي انهـــل منهـــا الـــدمع ســـريعًا،

فقلـــــت فـــــي خفـــــاءٍ ســـــرا فـــــي أذن العينـــــين:

«ضـــــيفٌ عزيـــــزٌ، فزيـــــدي الشـــــراب [الـــــدمع]»

(٨٥)

ســــبحان الله، أنـــــا وأنـــــت أيّهـــــا الـــــدر الصّـــــافي،

مختلفـــــان دائمَـــــا فـــــي كـــــلّ بـــــابٍ،

أنـــــا حظـــــك الـــــذي لا تأخـــــذه ســـــنة مـــــن النـــــوم،

وأنـــــت حظـــــي، الـــــذي لا يفيـــــق مـــــن النـــــوم

(٨٦)

لا تفكـــــــر، وأســـــــلم نفســـــــك للنـــــــوم،

لأن التفكيـــر فـــي وجـــه القمـــر حجـــابٌ فـــي حجـــاب

القلـــــب مثـــــل القمـــــر، لا تضـــــع فـــــي القلـــــب قلقـــــا،

ألـــــــق القلـــــــق فـــــــي الـــــــيم

(٨٧)

جـــاء النـــوم ولـــيس للنّـــوم موضـــعٌ فـــي العـــين،

فـــالعين بســـببك مملـــوءةٌ بالنّـــار والمـــاء،

اتجـــه نحـــو القلـــب، فـــرأى قلبَـــا كـــالزّئبق،

واتّجـــه نحـــو الجســـد، فـــراه خرابَـــا خرابـــا

(٨٨)

أيّهـــــا النـــــوم، إن كنـــــت تستســــيغ مـــــاء الحيــــاة،
فإنّـــه لا عمـــل لـــك عنـــدنا فـــي هـــذه الليلـــة، أيّهـــا النّـــوم،
ولــــو كـــان لـــك رؤوسٌ بعـــدد شـــعرك هـــذه الليلـــة،
لما استطعت أن تذهب بواحدٍ منها، ولما ارتحت أبدًا، أيّها النوم

(٨٩)

أيّهـــا الســـاقي، اســـقنا مـــن أجـــل الوصـــال والصّـــلاح،
مـــن تلـــك الخمـــرة التـــي لـــم تـــر ترابَـــا ومـــاءً،
لســـت مـــريض الجســـم بـــل أنـــا مـــريض القلـــب،
ومـــا الشـــراب؟! صـــبّ الشّـــراب وعـــاطني

(٩٠)

جــاء الليــل، وأيــة حرقــةٍ فــي الصــدر؟ إنّهــا شــيء عجيــب،
حتـــى إنّنـــي أظـــنّ أنـــه أوّل النهـــار، وهـــذا عجيـــب،
فـــي عـــين العشـــق لا متّســـع لليـــل والنّهـــار،
إن عـــين العشـــق هـــذه مغمضـــة، فيـــا للعجـــب !

(٩١)

أنـــت مـــن يـــدخل الفلـــك معـــك فـــي الطـــرب،
فـــإذا مـــا عشـــق إنســـانٌ فـــلا عجـــب،
ومـــا دمـــت حيَـــا فســـأظلّ طالبَـــا لأن أكـــون عبـــدًا لـــك،
ســـــواءٌ أطلبتنـــــي أم لـــــم تطلبنـــــي

(٩٢)

ارفـــع الحجـــب دفعـــة واحـــدةً فـــي هـــذه الليلـــة،

لا تــدع شــعرةً واحــدةً مــن الكــونين كليهمــا، هــذه الليلــة،

البارحـــة، كنـــت تتحـــدّث بحـــديث الـــروّح والقلـــب،

وفـــي هـــذه الليلـــة، نضـــعهما أمامـــك قتيلـــين وكئيبـــين

(٩٣)

فـــي هـــذه الليلـــة مجـــردو الأســـرار ثملـــون،

جلســوا فــي الخلــوة مــع الحبيــب، فــي هــذه الليلــة،

فيـــا أيّهـــا الكـــائن الغريـــب، قـــم مـــن هـــذا الطريـــق،

إن وجـــود الأغيـــار مـــزعجٌ فـــي هـــذه الليلـــة

(٩٤)

يـــا مـــن أنـــت يوســـفي، وأنـــا يعقـــوب،

ويـــا مـــن أنـــت صـــحة للجســـد، وأنـــا أيـــوب،

أي شـــخصٍ أنـــا؟! يـــا مـــن أنـــت محبـــوبٌ عنـــد الجميـــع،

ســـأظل أصـــف، وأنـــت تـــرقص

(٩٥)

لا تـــنم هـــذه الليلـــة مـــن أجـــل قلـــوب أصـــحابك،

أمســـك بـــأذن الليـــل وألوهـــا، ولا تـــنم،

يقولـــون: «أن تكـــون الفتنـــة نائمـــة خيـــر»،

وأنــت فتنــة، لكــن صــحوك خيــرٌ، فــلا تســرع ولا تــنم

(٩٦)

يـــا مـــن طـــالعي وحظـــي صـــاحيان بســـببك، لا تـــنم،
ويـــا مـــن أنـــت رونـــقٌ للربيـــع والـــروض، لا تـــنم،
أيهـــا النـــرجس المملـــوء بالخمـــار الســـافك للـــدم، لا تـــنم،
هـــــذه الليلـــــة ليلـــــة الســـــرور، حـــــذار، لا تـــــنم

(٩٧)

يـــــا مـــــن الجلنـــــار خـــــادمٌ لوجهـــــك، لا تـــــنم،
ويـــا مـــن أنـــت رونـــقٌ للربيـــع والـــروض، لا تـــنم،
أيهـــا النـــرجس المملـــوء بالخمـــار الســـافك للـــدم، لا تـــنم،
هـــــذه الليلـــــة ليلـــــة السّـــــرور، حـــــذار، لا تـــــنم

(٩٨)

أيهـــا المحبـــوب، فـــي هـــذه الليلـــة أنـــت كـــالقمر، فـــلا تـــنم،
وأبـــــدأ الـــــدّوران، كالفلـــــك الـــــدوار، ولا تـــــنم
إن صـــــــــــــحونا ســـــــــــــراج العـــــــــــــالم،
فـــــاحفظ هـــــذا الســـــراج ليلـــــة واحـــــدةً، ولا تـــــنم

(٩٩)

أيهـــــا الحبيـــــب، الـــــذي لا حبيـــــب مثلـــــه، لا تـــــنم،
ويـــــا مـــــن بـــــك تســـــتقيم الأمـــــور، لا تـــــنم
فـــــي هـــــذه الليلـــــة ستشـــــتعل مئـــــة شـــــمعةٍ بســـــببك،
وقـــــد دخلنـــــا فـــــي أمانـــــك، فـــــلا تـــــنم

(١٠٠)

أعـــن، وكـــن مســـاعدًا، أيهـــا الحبيـــب، ولا تـــنم،

أيهـــا البلبـــل الثمـــل فـــي الـــرّوض، لا تـــنم،

أحفـــــظ الأحبّـــــة الغربـــــاء، ولا تـــــنم،

هـــذه الليلـــة ليلـــة العطـــاء، حـــذار، لا تـــنم

(١٠١)

إن شـــئت البقـــاء والانتصـــار، فـــلا تـــنم،

واحتـــرق بنـــار عشـــق الحبيـــب، ولا تـــنم،

نمـــت مئـــات الليـــالي، ورأيـــت محصـــلة ذلـــك،

فبـــالله عليـــك، لا تـــنم هـــذه الليلـــة حتـــى الفجـــر

(١٠٢)

أيهـــا القلـــب، لا تـــنم عـــدة أيـــام حتـــى الســـحر،

وفـــي فـــراق الشـــمس لا تـــنم، مثـــل القمـــر،

شـــق طريقـــك فـــي ظلمـــة البئـــر هـــذه كالـــدلو،

لعلـــك ترتفـــع إلـــى أعلـــى البئـــر، لا تـــنم

(١٠٣)

علـــى حـــين غـــرةٍ ينمـــو فـــرعٌ للنبـــات،

وعلـــى حـــين غـــرةٍ يجـــيش مـــاء الحيـــاة،

وعلـــى حـــين غـــرةٍ جـــرت الصـــدقات مـــن مليـــك الملـــوك،

فالصـــلوات مـــن أجـــل ســـرور روح المصـــطفى

(١٠٤)

قـــــم وطــــــف حـــــول قطـــــب النجـــــاة،

مثـــــل الحجـــــاج فــــي الكعبـــــة وعرفــــات،

فلــــم التصـــــقت بـــــالأرض كـــــالطين النّـــــدي؟!

مهـــام يكـــن، فقـــد غـــدت الحركـــات مفتاحَـــا للبركـــات

(١٠٥)

نحـــن العشّـــاق الخلـــص ؛ لأنّ العشـــق هـــو النجـــاة،

والـــرّوح مثـــل الخضـــر، والعشـــق مثـــل مـــاء الحيـــاة،

فويـــلٌ لمـــن لـــيس لديـــه وثيقـــة مـــن مليـــك العشـــق،

وأيّ خبـرٍ لـدى الحيـوان عـن مـنجم النبـات [قصـب السـكر]؟!

(١٠٦)

إن ميـــــراث النجـــــاة عنـــــد نـــــوح ســـــفينة،

تـــــدور وتجـــــري وســـــط بحـــــر الحيـــــاة،

وفـــي القلـــب مـــن ذلـــك البحـــر ينمـــو نبـــاتٌ،

ولكـــن مثـــل القلـــب، لا صـــورة فيـــه ولا جهـــات

(١٠٧)

ذلـــك الـــرّوح المحبـــوس فـــي صـــورة الصـــفات،

صـــار جاريَـــا مـــن شـــعاع المصـــطفى عنـــد الـــذات،

وعنـــدما صـــار جاريَـــا، أخـــذ يقـــول مـــن السّـــرور:

«الصــــــلوات لســــــرور روح المصــــــطفى»

(١٠٨)

يـــا مـــن بيـــدرك مـــن ســـنابل مـــاء الحيـــاة،
إن مخـــازن العـــالم مليئـــة بالبـــذور الميتـــة،
لا أريـــد مـــن المخـــازن المملـــوءة بـــالخيرات،
فاكتـــب لـــي علـــى بيـــدرك صـــكًا هـــذه الليلـــة

(١٠٩)

يـا مـن غايـة منـاك القـش والشـعر، مثـل الحمـار والبقـر،
إلـــى متـــى ســـيظلّ ســـائس الفلـــك يؤدّبـــك؟!
ألا كـــم تطيـــل شـــفتاك نحـــو شـــفته؟!
وكـــل نـــتن الفـــم ذاق طعـــم شـــفتك

(١١٠)

يـــا مـــن كـــل صـــدفٍ منعقـــدٌ فـــي بحـــر شـــفتيك،
ويـــا مـــن كـــل جـــوهرٍ واقـــعٌ عنـــد قـــدم شـــفتك،
وصـــل روحـــي إلـــى شـــفتي مـــن طريـــق اللســـان،
وإذا لـم تفسـح لـه [الـروح] الطريـق فويـلٌ لـي وويـلٌ لشـفتك

(١١١)

إن عينّـــي ثملتـــان مـــن عينيـــك الثملتـــين،
فأمســـك بـــي بيـــديك ؛ لألاّ أضـــيع منـــك،
وأنـــت أيضَـــا حـــرّك رأســـك مؤذنَـــا بالموافقـــة،
إذا كنـــت محبَـــا لحبيـــب العـــالم

(١١٢)

كـــان ذلـــك العشـــق المجـــرد ينطلـــق نحـــو الصـــحراء،
فـــــرآه قلبـــــي، فعرفـــــه مـــــن كـــــره وفـــــره،
فقـــال [قلبـــي] لنفســـه: عنـــدما أتحـــرر مـــن الصـــورة
ســـألعب مـــع صـــورة العشـــق ألوانًـــا مـــن العشـــق

(١١٣)

كـــان عشـــقك ينطلـــق فـــي أطـــراف المـــروج،
فـــرأى قلبـــي المســـكين علامتـــه، فعرفـــه،
وعنـــدما يتحـــرر قلبـــي مـــن قيـــد الوجـــود
ســـيلعب فـــي كـــتم العـــدم ألوانًـــا عجيبـــة مـــن العشـــق !

(١١٤)

مـــن كثـــرة مـــا نشـــر قلبـــك مـــن أشـــراك الحيـــل،
أســـقط نفســـه وأســـقطك مـــن عـــين الرحمـــة،
مـــا عـــرف الله، مثـــل فرعـــون،
وهكـــذا فإنّـــه إذا أحـــاط الـــثلج بالعـــالم ذاب

(١١٥)

لـــن يكـــون وحيـــدًا مـــن صـــانع الحبيـــب،
ولـــن يكـــون مفلسًـــا مـــن صـــاحبي المشـــتري،
أخـــذ القمـــر النـــور ابتغـــاء أن لا يخشـــى الليـــل،
وقـــد ظفـــر الـــورد بالرائحـــة لأنـــه صـــاحب الشـــوك

(١١٦)

قـــــالوا: «إن القلـــــب يعـــــد لهـــــوّى آخـــــر،

وقـــد تركنـــا واختـــار هـــوّى فـــي مكـــان آخـــر

وعنـــدما رجـــع للاعتـــذار رأيـــت فـــي كلامـــه

أنـــــه يطـــــبخ لـــــي طعامَـــــا ســـــيئًا

(١١٧)

يـــا مـــن مـــاء الحيـــاة قطـــرةٌ مـــن مـــاء وجهـــك،

ويـــا مـــن قمـــر الفلـــك أثـــرٌ مـــن ضـــياء وجهـــك،

قلـــت: الليـــل طويـــلٌ وأريـــد ضـــياء القمـــر،

ذلـك الليـل هـو ليـل طرّتـك، وضـياء القمـر هـو ضـياء وجهـك

(١١٨)

أعولـــت، وبســـبب ذلـــك العويـــل أحرقنـــي،

صـــمت فـــأحرقني علـــى غـــرار الصـــامتين،

أخرجنـــــي مـــــن الأفـــــاق كلهـــــا،

فـــذهبت إلـــى الوســـط وفـــي الوســـط أحرقنـــي

(١١٩)

ذلـــك المليـــك الـــذي لـــم يفـــرّ مـــن العبيـــد الســـيّئى الطبـــاع،

ولـــم يفـــر مـــن الوقاحـــة والأجـــرام المضـــاعفة،

لا تســـم هـــذا منـــه لطفَـــا، بـــل ســـمه بحـــرَا،

فإنـــه قـــد فـــر منّـــا الشـــيطان الأســـود، ولـــم يفـــرّ هـــو منّـــا

(١٢٠)

رماني قلبي في الضجيج وفر،
وجاء الروح أيضًا من أجل العشق، وفر،
وعندما رأت الزهرة(١) الجبانة نار حبي
ألقت البربط سريعًا، ثم فرت

(١٢١)

هبت الريح فأسقطت الورد فوق رؤوس الشاربين
وجاء الحبيب، وصب المدام في أقداح الأحبة
فذهب السنبل النضر برونق العطارين،
وسفك النرجس الثمل دم العقلاء

(١٢٢)

كان المطر ينسكب فوق رأس المنشغل بأمور الدنيا،
وعندما هطل كثيرًا، اندفع إلى المنزل سريعًا،
فرفرف البط بأجنحته مسرورًا [قائلا:] صب هذا [المطر] علي،
لأن الله خلق روحي من الماء

(١٢٣)

تذكرك القلب عندما تملكه القرب،
والله، إنه ما شرب ذلك القدح، وصبه،
رأى القلب نفسه من دونك جسدًا ميتًا،
وذلك جزاء من فرّ من الروح

(١) الزهرة في الأدب الفارسي رمزّ المطرب والعزف والسرور [المترجم].

(١٢٤)

لـــــو هبـــــت الـــــريح علـــــى طرتـــــك الشـــــعثاء،
لقـــال لـــك القمـــر مـــن أعمـــاق قلبـــه: طـــال بقـــاؤك
فيـــا مـــن تســـدي لـــي النصـــح، لـــو ذاق قلبـــك
مـــا ذقـــت لـــذهلت ونســـيت النصـــح !

(١٢٥)

نعـــم أيهـــا المعشـــوق، أكانـــت حججـــك قليلـــة،
حتـــى يـــأتي النـــوم ويخطفـــك منـــا؟
نـــم طيـــب الـــنفس، فســـأقول حتـــى الســـحر:
«ويـــلاه مـــن عينيـــك النرجســـتين الناعســـتين»

(١٢٦)

هـــذا النّجـــيّ الـــداخلي الـــذي يمنحـــك الأنفـــاس،
ويعطيـــك أمـــل الوصـــول إلـــى الحـــرم [محـــل المعشـــوق]،
فتجـــرع أنفاســـه حتـــى أخـــر لحظـــةٍ،
فإنهـــا ليســـت خـــداعًا، بـــل يعطيـــك إياهـــا تكرمًـــا

(١٢٧)

مـــا ذلـــك الـــذي لـــذة الصـــورة منـــه؟
ومـــا ذلـــك الـــذي تتكـــدر الصـــورة فـــي غيابـــه؟
لحظـــة يتـــوارى ذلـــك الشـــيء عـــن الصـــورة،
ولحظـــة أخـــرى يتجلـــى فـــي الصّـــورة مـــن اللامكـــان

(١٢٨)

يـــا مــــن اتخــــذت هــــوى الـــنّفس الجاهلــــة مســــيرًا،

ولـــــم تأخـــــذ العبــــرة مــــن حــــال غيـــرك،

لعـــلّ أخـــد أفضـــالك أنـــك صـــنعت مســـتراحًا [دورة ميـــاه]

لكـي يقضـي أهل المدينـة جميعًا حـاجتهم فـي فضـلك [مستراحك]

(١٢٩)

فــــي هـــــذا اليــــوم جــــاء قمــــري مصــــفقًا،

جــــاء جليًـــا وخفيًـــا مثـــل صـــورة الــــروح،

جــــاء ثمـــلا ورائعًـــا وظريفًـــا وعلــــى حــــين غـــرة،

وأنـــا علـــى هـــذه الصّـــورة ؛ لأن حبيبـــي قـــد جـــاء عليهـــا !

(١٣٠)

أي يــــومٍ هـــذا اليــــوم الـــذي فيـــه الشــمس شمســــان؟

هـــذا اليـــوم خــــارجٌ عـــن الأيـــام، ومنفصـــلٌ عنهـــا،

ومــــن الفلــــك لأهـــل الأرض نثـــارٌ ونـــداء [يقـــول:]

أيهـــا العشــــاق، البشـــارة، إن هـــذا اليـــوم يـــومكم

(١٣١)

تبـــــت وإننـــــي مـــــا دمـــــت حيًـــــا

لـن أنحـرف إلـى اليسـار، ولـن أتحـوّل عـن الصّـراط المسـتقيم،

وكلمـــــــا نظـــــــرت يســـــــارًا ويمينًـــــــا

وجـــــدت حبيبـــــي فـــــي الجهـــــات جميعًـــــا

(١٣٢)

أيـــن الشـــمع الـــذي كـــان منتصـــبًا فـــي هـــذا المنـــزل؟
كـــان فـــي العـــين وهـــو اليـــوم وســـط القلـــب،
وقـــد قعـــد فـــي القلـــب وقـــام مثـــل الصـــورة الجميـــل،
لا لا، لـــم يـــذهب مـــن القلـــب، مـــا زال أيضًـــا فـــي قلبنَـــا

(١٣٣)

القمـــر الـــذي لـــيس فـــي الأرض ولا فـــي الســـماء، أيـــن هـــو؟
والنقـــد الـــذي لـــيس معنـــا ولـــيس مـــن دوننـــا، أيـــن هـــو؟
لا تقـــل هنـــاك ولا هنـــا، قـــل بصـــدق أيـــن هـــو؟
العـــالم كلـــه هـــو، ولكـــن أيـــن ذلـــك البصـــير؟

(١٣٤)

أرنـــي شخصًـــا أســـوأ حـــالًا مـــن العاشـــق الـــذي لا صـــبر لديـــه،
فـــإنّ هـــذا العشـــق ابـــتلاءٌ لا عـــلاج لـــه،
وعـــلاج غـــمّ العشـــق لا البخـــل ولا الريـــاء،
فلـــيس فـــي العشـــق الحقيقـــي وفـــاءٌ ولا جفـــاء

(١٣٥)

ثمـــة قـــومٌ مغتمـــون وجـــاهلون مصـــدر هـــذا الغـــم،
وثمـــة قـــومٌ مســـرورون وجـــاهلون مصـــدر هـــذا الســـرور،
كثيـرو الـذهاب يسـارًا ويمينًـا ولا خبـر عنـدهم عـن اليسـار واليمـين،
كثيرو قول «أنـا» و«نحـن» ولا خبـر عندهم عن «أنـا» و«نحـن»

(١٣٦)

انهضـــــوا، فقـــــد نهـــــض صـــــاحب السّـــــعادة،
انهضـــوا فقـــد رفـــع عـــن العشـــق الغرامـــة،
انهضـــوا، فقـــد نهـــض ذلـــك اللطيـــف القامـــة،
انهضـــــوا، فقـــــد قامـــــت اليـــــوم القيامـــــة

(١٣٧)

مـــــرّ فـــــارس الغيـــــب، وآثـــــار الغبـــــار،
وقـــد غـــادر المكـــان، وظـــل غبـــاره موجـــودًا،
انظـــر باســـتقامةٍ، لا تنظـــر إلـــى اليمـــين واليســـار،
إن غبـــاره ههنـــا، والرجـــل فـــي دار البقـــاء

(١٣٨)

قـــالوا: «إن الجهـــات الســـت جميعَـــا نـــور الله»
فجـاءت الصـيحات مـن الخلـق: مـن أيـن ذلـك النـور؟
نظـــر الغريـــب إلـــى الجهـــات كلهـــا يســـارًا ويمينًـــا،
فقـــالوا: «انظـــر لحظـــة مـــن دون اليســـار واليمـــين»

(١٣٩)

كـــل ذرةٍ، مثـــل الجـــائع علـــى مائـــدة الحـــق،
ولو أكلت هذه الذرّات حتى الأبد، لظلت تلك المائدة على حالها،
وبـــرغم أنـــه علـــى مائـــدة الحـــق ضـــجيج للنـــاس،
الـذين أكلـوا ويـأكلون، ظلـت المائـدة علـى حالهـا لـم تـنقص

(١٤٠)

أيهـــا الحبيـــب، لا تعمـــل ســـوءَا ؛ فـــإن للأيـــام غـــدَا،

والإحســـان والإســـاءة واضـــحان، كالنهـــار الواضـــح،

وفـــــي مــــذهب العشـــق لا تجـــوز الخيانــــة،

أمضي أنا في الطريق المستقيم، وتمضي أنت في الطريق المعوج، فلا ينبغي ذلـــك

(١٤١)

كـــان ملـــكٌ متـــوارٍ عـــن الأنظـــار يقـــول:

«ذلـــك الـــرّوح المنـــزّه عـــن المكـــان أيـــن هـــو؟»

هـــو ذلـــك الـــذي يبعـــث الـــرزق للعـــالمين كليهمـــا،

فرزقهمـــا عنـــد مـــن لا حلـــق لـــه ولا فـــم

(١٤٢)

صـــباح ذلـــك الليـــل الـــذي أراك فيـــه فـــي المنـــام جليَـــا

ملـــــئ بالضـــجيج مثـــل نهـــار القلـــب،

ذلـــك الفيـــل الـــذي رأى البـــارح فـــي المنـــام الهنـــد

انطلـــق مـــن القيـــد، ولـــيس فـــي وســـع أحـــدٍ منعـــه

(١٤٣)

كـــان قمـــري يطلـــع دائمَـــا مـــن الجانـــب الأيمـــن،

فقلـــت: «إن النظـــر إلـــى اليســـار حـــرامٌ وخطـــأ»

وعنـــدما زيّـــن ذلـــك القمـــر يســـاره

قلت: «اليسار واليمين واليمينُ واليسار كلهما خيالٌ باطلٌ»

(١٤٤)

أيهـــا الســـاقي، إن كـــان ثمـــة مـــن ســـعادةٍ فهـــي لـــك،

فأنـــت الـــروح والقلـــب، والـــروح والقلـــب ثمـــلان بـــك،

وفـــــــي رؤوســـــــنا يـــــــرقص عشـــــــقك،

فصـــــفق ؛ فـــــإن اليـــــد لـــــك إلـــــى الأبـــــد

(١٤٥)

لمـــاذا عشـــقك حكـــيمٌ وأســـتاذ إلـــى هـــذا الحـــد؟!

ولمـــــاذا أســـــاس حبـــــك لطيـــــفٌ هكـــــذا؟!

فلمـــاذا ترتجـــف مـــن العشـــق إن لـــم يكـــن رائعًـــا؟!

وإذا كـــان العشـــق رائعًـــا، فلمـــاذا هـــذا الصـــياح؟!

(١٤٦)

يســـــألونني: «لـــــم كـــــل هـــــذا المـــــرض؟

ولـــم هـــذا الصـــياح والتـــأوه وصـــفرة الوجـــه؟»

فقلـــت: «لا تقـــل مثـــل هـــذا ؛ فـــإن هـــذا عمـــلٌ خـــاطئ،

انظـــر إلـــى وجهـــك الشـــبيه بـــالقمر تـــزل المشـــكلات كلهـــا»

(١٤٧)

إن لـــم يكـــن فـــي القلـــب نـــارٌ، فلـــم هـــذا الـــدخان؟

وإن لـــم يحتـــرق العـــود، فمـــن أيـــن رائحـــة هـــذا العـــود؟

وكـــــوني عاشـــــقًا هالكًـــــا، مـــــا ســـــببه؟

وســـرور الفراشـــة باحتراقهـــا بالشـــمع، مـــا ســـببه؟

(١٤٨)

إذا ســــــمع العاشــــــق الصّـــــادق تهديـــــد العـــــدو
ســاق حمــاره بقــوة إلــى تلــك الناحيــة التــي فيهــا الحــق،
فإنــه مــن غيــر اللائــق أن يهجــر الحبيــب بادعــاء العــدو،
ومن غير اللائق أيضًا أن ينصرف عن الحقيقة بناءً على الوهم

(١٤٩)

لمـــن كـــل هـــذه الأشـــربة مـــن دون الكـــؤوس؟!
نحـــن طيـــورٌ محبوســـة، وهـــذا الفـــخ لمـــن؟!
ومـــن أجـــل نثـــار العاشـــقين كـــل لحظـــة
لمـــن هـــذا الســـكر والفســـتق واللـــوز كلهـــا؟!

(١٥٠)

لـــم تغـــار مـــن أن يكـــون هـــذا الصـــيد لـــه؟!
ولـــم لا تغـــار مـــن أن يكـــون أســـد الحـــق؟!
ومتـــى يفخـــر أســـد الحـــق بالصـــيد
عنـــدما يكـــون خـــالق الصـــيود كلهـــا لـــه؟!

(١٥١)

صـــرت مجنونًـــا، والنـــوم مـــن المجنـــون خطـــأ
وأنـــى للمجنـــون أن يعـــرف طريـــق النـــوم؟!
ولأن الحـــق لـــم يـــنم، وهـــو منـــزهٌ عـــن النـــوم
اعلـــم أن المجنـــون بـــالحق مـــلازمٌ[1] للحـــق

(١) حرفيًا : ضجيع الحق ، أو النائم مع الحق [المترجم].

(١٥٢)

فـــوق مـــنجم الســـكر ضـــجيجٌ لكثيـــر مـــن الـــذباب
وأنـــــى لمـــــنجم الســـــكر العنايـــــة بالـــــذباب؟!
الطـــائر الـــذي حـــط فـــوق ذلـــك الجبـــل ثـــمّ طـــار
انظـــر مـــاذا أضـــاف لـــذلك الجبـــل، ومـــاذا أنقـــص منـــه !

(١٥٣)

بـــــرغم أن للخنـــــق ضـــــجيجًا حـــــول مائـــــدة الأزل
وقـد أكلـوا ويـأكلون، لـم تـنقص هـذه المائـدة، وبقيـت كمـا هـي
الطـــائر الـــذي حـــط فـــوق ذلـــك الجبـــل ثـــمّ طـــار،
انظـر مـاذا أضـاف إلـى ذلـك الجبـل ومـاذا أنقـص منـه

(١٥٤)

حيثمــــا حللــــت يكـــــون غــــم وحــــــربٌ وجفــــاء،
وعنـدما غرقـت فـي بحرنـا لـن تجـد إلا اللطـف والوفـاء،
وإذا مــا صــدقت فــإنّ كــلّ مــا هــو عنــدنا هــو لــك،
وحتـى إذا لـم تصـدق جعلنـا يسـارك يمينـك [سـيئاتك حسـناتٍ]

(١٥٥)

تلـك النـار التـي لا صـورة لهـا التـي أكلتـك ولـم تبـق منـك شـيئًا،
تلـك النـار التـي لا صـورة لهـا خيـرٌ مـن مئـة صـورةٍ غـدًا،
ونـــار الشـــهوة التـــي مـــا أصـــفاها ومـــا أخلاهـــا مـــن الصّـــور،
انظـــــر كـــــم مـــــن الصـــــور ســـــتخرج منهـــــا !

(١٥٦)

أينمـــــا وجـــــد القلـــــب، فهـــــو مـــــن معشـــــوقنا،
وحيثمـــا لمـــع ذلـــك البـــرق، فإنـــه مـــن جوهرنـــا،
وكـــل ذهـــبٍ عليـــه خـــتم «ألســـت» و «بلـــى»
فـــي أي مـــنجمٍ وجـــد ذلـــك الـــذهب، هـــو ذهبنـــا

(١٥٧)

العشـــق الـــذي لـــيس علـــى قياســـنا، مناســـبٌ لنـــا،
وهـــذه طرفـــة ؛ أن حملنـــا أكبـــر مـــن حمارنـــا،
وحيثمـــا يوجـــد حســـن جمـــال معشـــوقنا
لســـنا مناســـبين لـــه، بـــل هـــو مناســـبٌ لنـــا

(١٥٨)

ذلـــك المعشـــوق الـــذي هـــو جمـــال مجلســـنا وزينتـــه،
لـــيس موجـــودًا فـــي مجلســـنا، لا أعـــرف أيـــن هـــو،
إنـــه ســـروةٌ طويلـــة، وذو قامـــةٍ مســـتقيمة،
ومـــن قيامتـــه قامـــت قيامتنـــا

(١٥٩)

حـــر تمـــوز مـــن قلـــبكم الملـــئ بـــالهم،
وبـــرد الشـــتاء مـــن صـــقيع بـــردكم،
وهـــذا الحـــر وهـــذا البـــرد لا يصـــلان بمئـــة جنـــاحٍ
إلـــى غبـــار العـــالم الـــذي فيـــه غبـــاركم [وجـــودكم]

(١٦٠)

هـــــذه الأفـــــلاك التـــــي هـــــي أقصـــــى مـــــا نـــــرى،
فـــي قبضـــة تصـــرف الحـــق أقـــل مـــن العصــــا،
ولـــــو صـــــارت كـــــل ذرة وقطـــــرةٍ تمســـــاحًا
لكـــان ذلـــك كلـــه مثـــل ســـمكةٍ فـــي بحـــر

(١٦١)

إذ لـــم يكـــن ثمـــة دف فـــإن قصـــب الســـكر هـــو دفنـــا،
وفـــي النهايـــة، ألـــيس شـــراب العشـــق فـــي كفنـــا؟
وفـي النهايـة، ألـيس قبـاد الهـازم لصـفوف الأعـداء فـي صـفنا؟
وفـــي النهايـــة، ألـــيس ســـليمان المتـــواري هـــو آصـــفنا؟

(١٦٢)

أدرك عالمَـــــا هـــــو مثـــــل الـــــدّم فـــــي عروقنـــــا،
وكيف يتوقف الدم عن الجريان، خاصة عندما يكون في عروقنا؟!
وإنـــه لـــن يزعجنـــا أن تكـــون آثـــار الجنـــون فـــي عروقنـــا ؛
لأن ســـــاحر الســـــحر فـــــي عروقنـــــا

(١٦٣)

إن ظللـــــك هـــــو مقرنـــــا ومنزلنـــــا،
وطرتـــــك هـــــي قيـــــد قلبنـــــا المجنـــــون،
فـــي كـــلّ زاويـــةٍ شـــمعة وعـــددٌ مـــن الفراشـــات،
لكنـــه لـــيس مثـــل شـــمعنا الـــذي هـــو فراشـــتنا

(١٦٤)

عنـــــدما أشـــــاهدك يكـــون ذلــــك يــــوم جمعتــــي
وكـــل يـــوم فـــي ظـــل ســـعادتك خيـــرٌ مـــن أمســـنا،
وحتـــــى لـــــو حقـــد علينـــــا الفلــــك وألـــــفٌ مثلـــــه
فـــلا غـــمّ حـــين يكـــون حـــب الحبيـــب فـــي صـــدرنا

(١٦٥)

الأفـــــلاك التســـــعة غـــــلام طبـــــع رايتنـــــا،
والوجـــــود مـــــن أجـــــل العـــــدم أســـــاس قوتنـــــا،
ووراء الســـــــــــــــتور أم رؤومٌ لنـــــــــــــــا،
ونحـــــن لـــــم نجـــــئ، بـــــل هـــــذا ظلنـــــا

(١٦٦)

يـداك اثنتـان، وقـدماك اثنتـان، وعينـاك اثنتـان، هـذا جـائز ولائـق،
أمـا أن يكـون فـي القلـب معشـوقان فهـذا خطـأ وغيـر لائـق،
ومـا المعشـوقة إلا ذريعـة، والمعشـوق علـى الحقيقـة هـو الله،
وكـــل مـــن ظنّهمـــا اثنـــين يهـــوديّ ونصـــراني

(١٦٧)

معشـــــوقنا مطـــــربٌ يعـــــزف علـــــى صـــــنجه،
يظـــلّ يعـــزف علـــى الصـــنج طـــوالي الليـــالي،
[قـــــائلا:] ســـــآتي اليـــــوم منشـــــدًا أغزالـــــك
وقولـــــه (المخـــــالف لهـــــذا) لـــــيس صـــــحيحًا

(١٦٨)

هـــــــذه الليلـــــــــة هـــــــي الـــــــــرّوح لليـــــــــالي،

هــــــذه الليلـــــــة ليلـــــــة الحاجـــــــات المقضــــــية،

هــــذه الليلـــــة ليلـــــة الوهـــــب والإنعـــــام والعطـــــاء،

هــــــذه الليلــــــــة ليلــــــــة نجـــــــــيّ الحــــــق

(١٦٩)

ولــــولات الافتتـــــان بوجهـــــه صـــــاعدةٌ حتـــــى العـــــرش،

وفــــي الصّـــدر مـــن ســـوق وجهـــه جلبـــة وضـــجيج،

ومـــــن خمرتـــــه فـــــوق كـــــفّ روحنـــــا أبـــــاريق،

وفــــي عنــــق قلبنــــا مــــن طرتــــه سلاســــل وقيــــود

(١٧٠)

هـــذا الصّـــياح مـــن العاشـــقين بســـبب شـــمع الطـــرب

وقـــد جـــاء الشـــمع والفراشـــة صـــامتة، وهـــذا عجيـــب!

والآن هـــــذا شــــــمعٌ أفضــــل مــــن النهــــار والليــــل،

فأســـرع أيّهـــا الـــروح ؛ لأنّ شـــمع القلـــب طالـــبٌ للـــروح

(١٧١)

هـــذه الليلـــة، كـــل قلـــبٍ هـــو، مثـــل القمـــر، طالـــبٌ

وهــــــو مثــــــل الزهـــــرة مــــــلازمٌ للطــــــرب،

ومـن أمـل الوصـول إلـى شـفته كـادت روحـي تصـل إلـى شـفتي،

الله يعلــــم أيـــــة ليلــــةٍ هـــــذه، فاصـــــمت!

(١٧٢)

أيهــا الجســد، أنــت لا تمــوت ؛ لأن مثــل هــذا الــرّوح معــك،

أيهـــا الكفـــر، ازدد طربَـــا ؛ لأن الإيمــــان معــــك،

ومهمـــا تعبـــت مـــن ذوي الصّـــفات النســـائية

فـــإنّ لـــديك صـــفات الرّجـــال، وهمـــة الرجـــال معـــك

(١٧٣)

أيتهـــا الليلـــة، أيـــة ليلـــةٍ أنـــت؟ إذ الأيـــام خادمـــة لـــك،

وأنـــــت البحـــــر، وروح الـــــروح شـــــرارٌ لـــــك،

فـــــي قلبـــــي شـــــعلة متقـــــدةٌ هـــــذه الليلـــــة،

فيـــه تلـــك النـــار وتلـــك الفتنـــة التـــي فـــي رأســـك

(١٧٤)

لا تظـــــــــن أن دوران الزمـــــــــان قتلنـــــــــي،

قتلتنـــــــــي عـــــــــين مـــــــــاء الحيـــــــــاة،

ولـــــيس عجيبًـــــا أن يقتـــــل الإنســـــان عـــــدوّه،

بـــل العجيـــب هـــو حـــالي إذ قتلنـــي روح الـــروح!

(١٧٥)

تلـــك العـــين التـــي صـــارت دمًـــا وصـــار الغـــم قرينًـــا لهـــا

لا تطمـــع منهـــا بـــالنوم، فـــأنى لهـــا أن تنـــام؟!

يظـــــــنّ أنّ لهـــــــذا نهايـــــــة أيضًـــــــا،

أيهـــا الغـــر فـــي ميـــدان العشـــق، مـــن قـــال هـــذا؟

(١٧٦)

لمـــــــاذا أتـــــــوب؟! إنّ تـــــــوبتي ظـــــــل لـــــــك
وقـــــدم التوبـــــة ورأســـــها همـــــا رأســـــمالك،
التوبـــــة عنـــــدك أســـــوأ مـــــن الـــــذنب
وأيـــــن تلـــــك التوبـــــة اللائقـــــة بمقامـــــك؟!

(١٧٧)

أنـــــا لـــــك، وعليـــــك أن تبحـــــث عـــــن مـــــرادي،
لأنـــــه فـــــي هـــــذه المدينـــــة حـــــديثي وحـــــديثك،
ولـــــو كنـــــت فظـــــا غلـــــيظ القلـــــب، ولـــــو كنـــــت رقيقًـــــا،
لمـــــا ضـــــعفت مـــــن قلبـــــك الفـــــظ الغلـــــيظ

(١٧٨)

لا بـــــد لـــــك أن تبحـــــث عـــــن مـــــراد قلبـــــي،
لأنـــــه فـــــي هـــــذه المدينـــــة حـــــديثي وحـــــديثك،
ولـــــو كنـــــت فظـــــا غلـــــيظ القلـــــب، ولـــــو كنـــــت رقيقًـــــا،
ســـتخرج مـــن قســـوتك كمـــا يتفجـــر المـــاء مـــن الصـــخر

(١٧٩)

فـــي هـــذه الليلـــة أطـــل خيـــال ذلـــك المعشـــوق الرشـــيق،
يبحـــــث فـــــي منـــــزل الجســـــد عـــــن مقـــــامٍ للقلـــــب،
وعنـــــدا وجـــــد القلـــــب امتشـــــق خنجـــــره ســـــريعًا،
فطعـــــن قلبـــــي [وقلـــــت:] قـــــواه الله

(١٨٠)

فــــي عشــــقك لـــــم تجـــــد حيلـــــة مـــــن الحيـــــل،
وكــــل نصـــبٍ لقيتـــه فـــي هجـــرك ذهـــب هبـــاءً،
ومــــــن ألمـــــك لا عـــــلاج لـــــي البتـــــة
فمـــن ذا الـــذي يعـــالجني؟! إنّ دائـــي لا دواء لـــه

(١٨١)

ذلـــك الـــذي أعطـــاك الأمـــل بالمســـاعدة علـــى الغـــمّ،
حـــذار أن تغتّـــر بـــه ؛ لأنّـــه قـــد خـــدعك،
عنـــدما تكـــون مســـرورًا يكـــون العلـــم كلـــه نصـــيرًا لـــك،
وأنـــه لـــم يحـــدد أحـــدٌ علامـــة لمعـــين ليلـــة الغـــمّ

(١٨٢)

ذلـــــك الــــــذي أعطــــــاه الله حبيبَــــــا مثلــــــك،
أعطــــاه قلبَــــا وروحَــــا لا قـــــرار لهمـــــا،
فتنبــــــه، لا تطمـــــــع بشـــــــيء منـــــــه،
لأنّ الله قــــــد أعطــــــاه أمــــــرًا عجيبَــــــا

(١٨٣)

عنـــدما رآنـــي ثمـــلا ضـــرب إحـــدى يديـــه بـــالأخرى،
وقـــــال: كســـــر توبتـــــه، وعـــــاد ثمـــــلًا،
إن توبتنــــا دائمَــــا مثــــل صــــنع زجــــاج،
صــــعبٌ عملــــه، ســــهلٌ كســــره

(١٨٤)

عنـــــدما يكـــــون لنـــــا مــــددٌ مــــن رؤيـــــة الأغيــــار،
لا نكــــــون قليلــــين، وأمرنــــــا مرهـــــون بالعـــــدد،
نحـــن عـــارفون للحســـن والقبـــيح، وهـــذا قبـــيح جـــدًا،
وكـــل قلـــبٍ لا ينفـــي ذاتـــه يظـــلّ تحـــت الركـــل والـــرفس

(١٨٥)

فـــي هـــذا اليـــوم أنـــا وكـــأس الصـــبوح فـــي يـــدي،
أقـــــــع وأنهـــــــض وأغـــــــدو ثمـــــــلا،
وأنـــا ثمـــلٌ وذليـــلٌ أمـــام ســـروري الممشـــوق القـــدّ،
أغـــدو عـــدمًا، لكـــي لا يبقـــى موجـــودًا إلـــى هـــو

(١٨٦)

التوبـــــــة التــــــي جعلــــــت قلبـــــه كالحديـــــــد،
جعلــــــت عينيـــــه مفتـــــوحتين فـــــي قتلـــــي،
وبـــــــرغم أننــــــي متكســــــر مثــــــل طرّتــــــك
ســـــــأفعل بالتوبـــــــة مـــــــا فعلـــــــه بـــــــي

(١٨٧)

توجـــه روحـــي نحـــو ذلـــك المعشـــوق والمحبـــوب،
جعـــــل قبلتـــــه وقبلتـــــه فـــــي تلـــــك الناحيـــــة،
وقـــد جعـــل لنـــا ملـــك العـــرش مثـــل هـــذه الطبيعـــة،
إذ يقتضــــي عملـــه أن توجّـــه مثـــل هـــذا التوجّـــه

(١٨٨)

أنــت الــروح الــذي شــرب شــراب العشــق مــن تلــك الناحيــة،

وأكـــل مـــن مائـــدة ذلـــك الجميـــل المحيّـــا وبســـتانه

وذلـــك البســـتان يمســـك بخنـــاق الـــرّوح ويقـــول:

«أســـفك دمـــه ؛ لأنـــه قـــد ســـفك دمنـــا»

(١٨٩)

قــد صــارت تلــك العــين مغمضــة بســبب ضــياء العشــق،

فــلا تظــنّ أن الفتنــة قــد غطــت فــي نــومٍ عميــق،

مئــــة مــــاءٍ جــــرت مــــن أعيننــــا البارحــــة،

أمــا اليــوم فــانظر لتــرى مئــة روحٍ صــارت مــاء

(١٩٠)

قـــال: «تعـــال، فقـــد بـــدأ الســـماع»،

قلـــت: «انصـــرف، فقـــد مرضـــت»،

شـــدّ أذنـــي وقـــال: «أقلـــع عـــن هـــذا،

إنّ فتنـــة الكـــونين قـــد اســـتيقظت»

(١٩١)

قلـــت: «تعـــالى، فقـــد بـــدأ الســـماع»،

قـــال: «انصـــرف، فقـــد مرضـــت»

قلـــت: «إن كنـــت ميتَـــا فستصـــير حيّـــا

لأن عيســـى الزمـــان قـــد بـــدأ عملـــه»

(١٩٢)

إذا لـــم تضـــرب الـــدف وقلنـــا: «حـــان وقـــت العشـــاء»

فقـــد صـــار روحـــي محتسـيًا للســماع كـــل مســـاء،

وقـــد صـــارت زجاجـــة الليـــل كأسَـــا للخاصـــة،

فإذا لم يكن ثمة دف فليس مهما، فقد صارت زجاجة الليلِ عامة

(١٩٣)

أي ســـاقي الـــروح، مـــاذا حـــدث لمطربنـــا؟

وإذا لـــم يقطـــع هـــو طريقًـــا، فمـــن قطـــع طريقـــه؟

وهـــو يعلـــم أن للعشـــق خيـــرًا وشـــرًا،

وثمـــة مـــددٌ مـــن المطـــرب لخيـــر العشـــق وشـــره

(١٩٤)

الـــروح الـــذي صـــار نـــديمًا صـــار غريبًـــا،

والعقـــل الـــذي كـــان طبيبًـــا صـــار مجنونًـــا،

يضـــع الملـــوك الكنـــوز فـــي الخرائـــب،

وقـــد صـــار خرابنـــا بســـبب الكنـــز خربًـــا

(١٩٥)

هيّـــا، فـــإن ســـماع الـــروح قـــد بـــدأ،

وقـد صـار ذلـك الـدف الشـبيه بالسـكر نـديمًا لـذلك النـاي،

وقـــد صـــار العشـــق القـــديم ملتهبًـــا،

فـــأين صـــيحاتك؟ فقـــد حـــان وقـــت الصـــياح

(١٩٦)

أمسكت بقدمك، ولن أتركك،

وممّن أطلب العلاج؟ وقد جرح حبك قلبي،

وأنت تطعنني، عندما لا يكون ماءك على كبدي،

وماذا إذا لم يكن على كدبي؟ إنه على أهدابي

(١٩٧)

لماذا أحاط بي غم الليل الأعمى؟

أهو أعمى أم رآني أعمى؟

أنا فوق الفلك، وفي الماء والطين صورتي،

فمتى اختطف أحدّ النجمة من الماء؟

(١٩٨)

من رآك بعين الظاهر

سخر من شاربه ولحيته،

ومن قاسك على نفسه

أية أشواكٍ في عيني هذا المسكين!

(١٩٩)

رأى روحي القمر في المنام الليلة الماضية،

رآه بوجهه وشفته اللذين هما ضياء العين،

فإما أن يكون منجم السكر قد نما فوق الورد الطري

وإما أن يكون الورد الطري قد نما فوق منجم السكر

(٢٠٠)

التـــــراب أخضـــــر نضـــــرٌ لأنـــــه مملـــــوءٌ بالنـــــار،

خاصـــــة ذلـــــك التـــــراب النـــــاطق والصـــــاحي،

وهـــــذا التـــــراب لا خبـــــر لـــــه عـــــن مشـــــاطته،

لا خبـــر لـــه أبـــدًا ؛ لأنـــه صـــاحٍ فـــي شـــأن الحبيـــب

(٢٠١)

امـــــض لـــــيلا، فالليـــــل دليلـــــك إلـــــى الأســـــرار،

لأنـــــه متـــــوارٍ عـــــن أعـــــين الأغيـــــار،

القلـــب مغمـــورٌ بالعشـــق، والأعـــين مغمـــورة بالرقـــاد،

والأمـــــر لجمـــــال حبيبنـــــا حتـــــى الصـــــباح

(٢٠٢)

إذا كـــــان فـــــي البســـــتان ســـــروٌ أو ورد،

فإنـــه صـــورة للقـــد مـــن ذلـــك المعشـــوق والخـــد،

وإنّ فكـــــري كلـــــه ثمـــــلٌ بهـــــذا الإقـــــرار

وأنـــا كـــافرٌ لـــو أن عرقـــا واحـــدًا مـــن عروقـــه صـــاحٍ

(٢٠٣)

إذا كـــــان فـــــي البســـــتان ســـــروٌ أو ورد،

فإنـــه صـــورة للقـــد مـــن ذلـــك المعشـــوق والخـــد،

بـــــالله، بالاســـــم الـــــذي لـــــك إيمـــــانٌ بـــــه،

لـــــيس لـــــي اليـــــوم عـــــرق واحـــــدٌ صـــــاح

(٢٠٤)

هـــــذه الليلــــة ليلتـــــي أنـــــا الضـــــعيف الـــــواهن،
هــــذه الليلــــة ليلــــة الاســــتغراق فـــــي الأســــرار،
إن أســــــرار قلبــــــي كلهــــــا خيــــــال الحبيــــــب،
أيهـــا الليـــل، لا تمـــض ســـريعًا، فـــإن لنـــا عمـــلا

(٢٠٥)

مـــــا دام هـــــذا الفلـــــك الشــــبيه بـــــالمرآة شــــغالًا،
فـــــإن مـــــوج الــــدم فـــــي قلـــــب العشـــــق،
[وهـــــذا المـــــوج] يظهـــــر يومًـــــا ويغيـــــب آخـــــر،
لكنـــه شـــغالٌ دائمًـــا فـــي كـــلّ الليـــالي والأيـــام فـــي قلـــب العشـــق

(٢٠٦)

أنصـــــــف، فـــــإن العشـــــق عمـــــلٌ طيـــــب،
وإذا كـــان ثمـــة مـــن خلـــلٍ فإنّـــه بســـبب الطبـــع المســـئ،
وأنـــــــت تســـــــمي شـــــــهوتك عشـــــــقًا،
ومـــــن الشـــــهوة إلـــــى العشـــــق طريـــــقٌ طويـــــل

(٢٠٧)

أنــــــا جبــــــلٌ وقــــــالي صــــــدى الحبيــــــب،
أنــــــا صــــــورةٌ ومصــــــوري ذلــــــك الحبيــــــب،
كالقفـــــل الـــــذي يصـــــوت مـــــن المفتـــــاح،
تظـــــن أن قـــــولي هـــــو القـــــول

(٢٠٨)

إن قلبـــــــي خبيـــــــرٌ بحلقـــــــة أذنـــــــه [قرطـــــــه]،

وفـــــي حلقتـــه تحــــررّ القلـــب مـــن كـــل حلقـــة،

والفلـــــــك أســـــــفله وأعـــــــلاه مملـــــــوءٌ بغمـــــــه،

وكـــــل ذرةٍ فـــــي غليـــــان متصـــــل، مثـــــل الشـــــمس

(٢٠٩)

ذلـــــــــك الخبيـــــــــر بأســـــــــرار العشـــــــــق،

معـــــروفٌ أمـــــره بـــــين العاشـــــقين، مشـــــهورٌ،

وذلـــــــك الـــــــذي يتـــــــوارى مـــــــن الحيـــــــاء،

يبـــــــدو فـــــــي الفـــــــراق لا قـــــــرار لـــــــه

(٢١٠)

هـــــذا شـــــهر العبـــــد والنـــــاس لا قـــــرار لهـــــم،

لكـــــي يتفـــــرج كـــــل صـــــاحب نظـــــر،

لـــــم تقـــــرع الطبـــــل؟ إنّ الطبـــــل مـــــزعجٌ بضـــــجيجه،

وهـــــو يظـــــل يقـــــرع الطبـــــل ؛ لأن ذلـــــك الســـــيد أصـــــم

(٢١١)

أيهـــا الـــروح، إن غمـــك أســـوأ مـــن كـــل مـــا تقولـــه،

إنـــــه ألـــــمٌ للقلـــــب وحـــــرقٌ للجســـــد والكبـــــد،

إن كـــــل شـــــيء يؤكـــــل يدركـــــه الـــــنقص إلا غمـــــك،

كلمـــــــــــــا أكلـــــــــــــت منـــــــــــــه ازداد

(٢١٢)

ذلـــــك الســــــيد الــــــذي حملـــــه كلـــــه ســـــكرٌ،

لا خبـــــر لـــــه عــــن ســــكره بســــبب الســــكر،

قلـــت: «ألا تعطينـــي نصـــيبًا مـــن ذلـــك الســـكر؟»

فقـــال: «لا»، ولـــم يعـــرف أن «لا» هـــي الســـكر

(٢١٣)

كـــل يـــوم يـــزداد قلبـــي ضـــعفًا مـــن غمـــك،

ويـــزداد قلبـــك الـــذي لا رحمـــة فيـــه بـــراءةً منـــي،

وقـــد تركتنـــي، لكـــن غمـــك لـــم يتركنـــي،

حقـــا إن غمـــك أكثـــر وفـــاء منـــك

(٢١٤)

يـــومٌ صـــعبٌ، وعـــين الســـحاب ثجاجـــة الـــدموع،

وهـــذا البكـــاء مـــن أجـــل ضـــحك الـــورق والخضـــروات،

وإن لعـــــــب الأطفـــــــال وضـــــــحكهم

مبعثـــــه بكـــــاء الأم وشـــــدة الوالـــــد

(٢١٥)

إن عينيـــك أكثـــر ســـفكًا للـــدم مـــن الزمـــان

وســـــهم أهـــــدابك أمضـــــى مـــــن السّـــــنان،

والســـر الـــذي همســـته فـــي أذنـــي اذكـــره لـــي مـــرةً أخـــرى،

لأن أذنـــــــي ثقيلـــــــة الســـــــمع

(٢١٦)

أي يوســـــف، إن أمانــــــك فـــــي بيـــــت أبيــــك،
وإن الصــــــحراء والإخـــــوة هــــــلاكٌ وخطـــــر،
فرافــــــق الــــــذئب، ولا تصــــــحب الحســــاد،
إن ذئــــب الحســــد أســـوأ مــــن ذئــــب البريــــة

(٢١٧)

أيهـــا اليـــاقوت والعقيـــق والـــدر والــــلازم والكامـــل،
لســـت فـــي المكـــان، ولكنّـــك ثابـــتٌ وكامـــل،
فيـــا ســـيد الـــروح، ومـــانح الحيـــاة، يـــا أيهـــا الكامـــل،
تـــأخرك جـــائزٌ، فتعـــال متـــأخرًا وكـــاملا

(٢١٨)

الـــرّوح والـــرأس مـــن ذلـــك الحبيـــب الكاشـــف للأســـتار،
هـــذا السّـــتر لـــيس ســـترًا، إنـــه بـــابٌ،
إذا كـــان الحبيـــب كاشـــفًا للأســـتار، وإذا كـــان الســـتر بابًـــا،
فاضـــرب حلقـــة هـــذا البـــاب، لأن فـــي الســـتر بابًـــا

(٢١٩)

المنكــــــر الــــــذي يفكــــــر فـــــي الإنكـــــار،
الفكـــرة أمـــر الحـــق، وهـــو غافـــلٌ عـــن ذلـــك،
قلـــت: «هـــل ســـكرٌ مـــن ياقوتـــك [شـــفتك]؟»
قـــال: «لا»، ولـــم يعـــرف أن «لا» ســـكرٌ

(٢٢٠)

ذلـــك المليـــك الـــذي غبـــار قدميـــه تـــاجٌ للـــرؤوس،

قلـــت لـــه: إن فراقـــك أشـــد علـــي مـــن المـــوت،

والآن، هـــذا وجهـــي المصـــفر دلـــيلا، قـــال: امـــض

أي شـــكوى للوجـــه؟! إنّ شـــأنه كشـــأن الـــذهب

(٢٢١)

كـــل مـــا هـــو خيـــرٌ وشـــر فـــي الظـــاهر والبـــاطن،

هـــو مـــن حكـــم الحـــق، ومـــن القضـــاء والقـــدر،

وأنـــــا أظـــــل أجتهـــــد، والقضـــــاء يقـــــول:

«هنـــاك عمـــلٌ آخـــر لـــيس فـــي قـــدرتك»

(٢٢٢)

الـــــروح المخـــــاطر مـــــن أجـــــل عشـــــقك،

مـــا أكثـــر مـــا رأى فيـــه مـــن النـــائمين الجهلـــة،

والحاصـــــل أن العـــــين التـــــي تـــــراه لا تعـــــرف،

لأن لـــــه علـــــى الخـــــد ألـــــف رقيـــــبٍ

(٢٢٣)

بـــرغم أن أحمـــال تلـــك الجمـــال مـــن الســـكر،

فـــإن عينـــه التـــي كالجمـــل الثمـــل شـــيءٌ آخـــر،

عينـــه ثملـــة وهـــو أشـــد ثمـــلا مـــن عينـــه،

وبســـبب ســـكره هـــو غافـــلٌ عـــن عينـــه

(٢٢٤)

مهمـــــا كــــــان الســـــكر لـــــــذةً للـــــــروح والكبـــــد،

فهـــــو شــــــيءٌ، وســــــكره شـــــــيءٌ آخـــــــر،

قلـــــت: «زدنـــــي مــــــن ســــــكرك [كلامـــــك]»،

فقـــــال: «لا»، واليقـــــين أن تلـــــك الـــــ «لا» ســــــكرٌ

(٢٢٥)

نحـــن عاشـــقون مخلصـــون، والمســـلمون شـــيء آخـــر،

نحـــن نمـــالٌ ضـــعيفة، وســـليمان شـــيءٌ آخـــر،

فاطلـــب منـــا الوجـــه الأصـــفر والكبـــد المقطعـــة،

إن ســـويق بـــائعي قصـــب الســـكر شـــيء آخـــر

(٢٢٦)

فـــــي مجلـــــس العاشـــــقين قـــــرارٌ آخـــــر،

ولخمـــــرة العشـــــق هـــــذه خمـــــارٌ آخـــــر،

والعلـــم الـــذي حصّـــلوه مـــن المـــدارس شـــيءٌ،

والعشـــــــــق شـــــــــيء آخـــــــــر

(٢٢٧)

فـــي رؤوســـنا همـــة أخـــرى وعلـــمٌ آخـــر،

ومعشـــــوقتنا الجميلـــــة حبيـــــبٌ آخـــــر،

والله، إننـــــــا لا نقنـــــــع بالعشـــــــق،

وإن لنـــا وراء هـــذا الخريـــف ربيعَـــا اخـــر

(٢٢٨)

هـــذه الغمـــزة التـــي تغمزهـــا مـــن نـــورٍ آخـــر،
وهـــذه الفكـــرة التـــي تفكـــر فيهـــا عبـــورٌ آخـــر،
وبــــــرغم أن إنشـــــادنا مـــــن حلاوتــــــه،
فـــإنّ يـــــدك تصـــــفّق مـــــن افتتـــــانٍ آخــــر

(٢٢٩)

لـــيس هـــذا فصـــل الربيـــع، بـــل هـــو فصـــلٌ آخـــر،
والخمـــار فـــي كـــل عـــينٍ مـــن وصـــالٍ آخـــر،
وبـــرغم أن الأغصـــان كلهـــا تتمايـــل وتـــرقص،
فـــإن حركـــة كـــلّ غصـــنٍ مـــن أصـــلٍ آخـــر

(٢٣٠)

إن لنـــا لســـانًا آخـــر غيـــر هـــذا اللســـان،
وإن لنـــا مكانًـــا آخـــر، غيـــر جهـــنم والفـــردوس،
إن أحــــرار القلـــوب أحيـــاءٌ بـــروح آخـــر،
وإن جـــوهرهم الصـــافي مـــن مـــنجم آخـــر

(٢٣١)

إن صــــوتك هــــو هديــــة نفــــخ الصــــور،
ومنــــه قـــوةٌ وقـــوتٌ لكـــل قلـــب ســـقيم،
فــــارفع صــــوتك لكــــي يغــــدوا أذلاء،
حيثمـــا يوجـــد أميـــرٌ أو مـــأمور

(٢٣٢)

طرتـــــك التـــــي بســــببها قيــــدت قـــــدم قلبـــــي،

مجعّـــــــدة، حلقـــــــة، مثـــــــل السلســـــــلة،

وعنـــدما أمســـكت بهـــا، أمســـكت بيـــدي [وقالـــت:] لا تمســـك

فقلـــــت: «اصـــــمت! هــــذا يـــــوم الأخــــذ بالشــــدة»

(٢٣٣)

لأن القلــــــب مقيـــــدٌ بتلـــــك السلســــلة [الغــــديرة]،

كــــــان التمســــــك بــــــك قــــــدرًا مقــــــدورًا،

وعنــــــدما أمســــــكت بــــــه قــــــال: «دع ذا»

قلـــــت: «اصـــــمت! هــــذا يـــــوم الأخــــذة بشــــدة»

(٢٣٤)

حاشــــــى أن شــــــبع قلبــــــي مــــــن الخلـــــوة،

أو أن يكــــون ســــاقينا مــــن دون مــــددٍ أو مــــدبرًا،

ومــن النــوم الشــبيه بالظــلّ انقلبــت العقــول رأسًــا علــى قلــب،

وغــدا تعــال مبكــرًا، فإنــك فــي هــذه الليلــة قــد تــأخرت

(٢٣٥)

يــــا ذا الفكــــر المقيــــد، أليســـــت قـــــدمك طليقـــــة؟!

مهمــا يكــن، فــإن الحركــة التــي رأيتهــا فيهــا ســر أيضًــا،

بالحركـــــــة يغـــــــدو القـــــــبض بســـــــطا، يقنيًـــــــا

وإن مــاء البئــر ومــاء النهــر مختلفــان فــي هــذه الناحيــة

(٢٣٦)

ذانـــــك الجـــــاه والجمـــــال المضـــــيئان للـــــدّنيا،

وتلـــك الصـــورة الخفيـــة النـــي هـــي كالنهـــار للطـــرب،

ولأنّ اليـــــوم معنـــــا فـــــنحن متمســـــكون بـــــه،

مضـــى أمـــس، واليـــوم الـــذي قبلـــه، واليـــوم هـــو هـــذا اليـــوم

(٢٣٧)

القلـــــب تلميـــــذك، وهـــــو المعلـــــم للعشـــــق،

كالليـــــل الـــــذي أمســـــك بقـــــدم النهـــــار،

وحيثمـــا أذهـــب تثمـــل أمـــامي صـــورةّ العشـــق ؛

ذلـــك أنّ الزيـــت يبحـــث عـــن حـــارق الزّيـــت [المصـــباح]

(٢٣٨)

إنـــــه لزاهـــــدٌ وعابـــــدٌ وســـــافكٌ للـــــدماء معَـــــا،

وإن ســـــفكه للـــــدماء خلاصـــــة تقـــــواه،

وعنـــــدما يكـــــون للشـــــمس عنايـــــة بـــــي

لا غيـــــب فـــــي أن أنهـــــض متـــــأخرًا

(٢٣٩)

ثمـــــة آلاف المهووســـــين بوصـــــالك،

وعلينـــا الانتظـــار لنـــرى مـــن تخصـــه بوصـــالك،

ومـــن ظفـــر بوصـــالك ظفـــر بالرّاحـــة التامـــة،

أمـــا مـــن لـــم يظفـــر بـــه فـــإن ألـــم إخفاقـــه كـــافٍ لـــه

(٢٤٠)

بــرغم أن حبيبنــا متحمــلٌ كثيــرًا بمــا تحلــى بــه مــن حلــم،

فـــإنّ نـــواح العاشـــقين جميـــلٌ أيضَـــا،

وإن روح العاشـــق يضـــحك مثـــل روضـــة الـــورد،

ويرتعـــد الجســـم وينـــتفض كـــالورق فـــي الخريـــف

(٢٤١)

تـــذكرك القلـــب حـــين جلـــس للســـرور،

فـــاختطف الكـــأس مـــن السّـــاقي وألقاهـــا وكســـرها،

ثـــم خـــرج مغضـــبًا لا صـــاح ولا ثمـــل،

فأدركتـــه الشـــهرة إذ صـــار مجنونـــا

(٢٤٢)

أيهـــا الجـــالس فـــي قلبـــي، حـــان وقـــت الجلـــوس،

وأيّهـــا النـــاقض للتوبـــة، حـــان وقـــت الـــنقض،

تلـــك الخمـــرة الحمـــراء اتخـــذت هـــذا اللـــون بنفســـها،

وحـــان وقـــت تـــداولها بيننـــا، مثـــل الـــورد

(٢٤٣)

عنـــدما جلـــس حبيبـــي طـــويلا مـــع عـــدون،

علـــى أن لا أجلـــس مـــع الحبيـــب مـــرةً أخـــرى،

ابتعـــد عـــن تلـــك الـــوردة التـــي جالســـت الشـــوك،

وفـــر مـــن تلـــك النحلـــة التـــي جالســـت الحيـــة

(٢٤٤)

مــع العشــق يكــون عقــد القبعــة علــى النطــاق أمــرًا محمــودًا،

ومــع نــواح الســرناي يكــون حــرق الكبــد أمــرًا محمــودًا،

فيـا أيّهـا المطـرب، اعـزف علـى الـدّف والنّـاي علـى هـذه الحـال

حـــــق السَّـــــحر، لكـــــي يكـــــون النهـــــار ســـــعيدًا

(٢٤٥)

يقـــال: «إذا كـــان العشـــق ممتزجًـــا بالعقـــل فهـــذا حســـنٌ

وفـــي الأحـــوال جميعًـــا فـــإنّ التقـــوى أمـــرٌ حســـنٌ»

نعـــــم، إنّ كلامـــــك كالـــــذهب الأحمـــــر ولكـــــن

الـــرّوح الـــذي يكـــون فـــداءً لشـــمس تبريـــز رائـــع أيضًـــا

(٢٤٦)

أنـــا عبـــدٌ لـــذلك الـــذي هـــو مســـرورٌ مـــن دون وجودنـــا

ومـــــلازمٌ لغـــــمّ ذلـــــك الـــــذي وحدتـــــه رائعـــــة،

يقـــــــول: «أيـــــــة لـــــــذةٍ لوفائـــــــه !»

لا خبـــــر لـــــدّي عنـــــه، وإنّ جفـــــاءه لرائـــــع!

(٢٤٧)

مضـــى القلـــب إلـــى ذلـــك الـــذي يكـــون مســـرورًا مـــن دوننـــا،

والغـــــمّ لـــــيس رائعًـــــا، أمّـــــا غمـــــه فرائـــــع،

يطلـــــب روحـــــي، وأنـــــا لا أعطيـــــه لأيّـــــام،

ولا قيمـــــــة للـــــــرّوح، وطلبـــــــه رائـــــــع

(٢٤٨)

ولــــــيس ضـــــــحكه وســــــيماؤه رائعــــــين وحــــــدهما،
بـــل إنّ غضـــبه وشـــتمه وطعنـــه وســـخطه رائعـــة،
طلبـــت الـــرأس، فإمّـــا أن أعطيـــه وإمّـــا أن لا أعطيـــه،
فمـــا قيمـــة الـــرّأس؟ لكـــنّ طلبـــه رائـــع

(٢٤٩)

أنـــت المعشـــوق والمحبـــوب، والـــدّنيا بوجـــودك رائعـــة،
وإن تجـــرح، فـــإن جـــرح الســـنان بوجـــودك رائـــعٌ،
والحـــقّ أن معـــدن الكيميـــاء هـــو غبـــار كفّـــك،
وكـــل مـــا لـــيس جمـــيلا، يكـــون جمـــيلا معـــك

(٢٥٠)

حــــذار أن تحســــب هــــذه الأرض غافلــــة،
بـــل هـــي مســـتيقظة، مغمضـــة العينـــين مثـــل الأرنـــب،
ومثــــل القــــدر تقــــذف بــــآلاف الزبــــد،
لكــــي يعلــــم النــــاس أنّهــــا جائشــــة

(٢٥١)

كــــل درويــــشٍ مشــــغولٌ بكســــر نفســــه،
فــــلا تحســــب أنّــــه يفكّــــر بالأوهــــام،
وحيـــث يكـــون ســـرداق ذلـــك الحســـن الســـيرة،
يكـــون أســـمى مقامًـــا مـــن الكـــون والمكـــان والعـــالم كلـــه

(٢٥٢)

يقولـون: تعـالى إلـى البسـتان، فحيـث أنـت لـيس ثمـة إلا اللغـو،
لـــيس ثمـــة رحمـــة التنـــزّه ولا نغمـــة الـــزاغ،
إن فـــــي قلبـــــي صـــــبّاغًا حاذقـــــا،
ففـــي جنـــاح كـــل زاغٍ منـــه مئـــة بســـتان

(٢٥٣)

لأنّ الـــــدّفّ هـــــدفٌ لـــــلأذى والظلـــــم،
كـــان صـــوته رونقـــا لكـــلّ ســـماع،
ويقـــــول الـــــدفّ: «إنمـــــا يتقـــــدم
مـــن هـــذه الضـــربات المتتابعـــة علـــفٌ لقلبـــه»

(٢٥٤)

مـــن ذلـــك الـــذي منـــه شـــرفٌ للســـماع؟
ومـــن ذلـــك الـــذي إذا ذهـــب تلـــف؟
يـــأتي ويمضـــي خفيـــة، لكـــي يعلـــم
أنّ ذوق الســماع هــذا لــيس مــن النــاي والــدف

(٢٥٥)

ذلـــك المتقـــدم الـــذي يتقـــدم روحـــه الصـــفوف
يعـــرف أنّـــك بحـــرٌ، وأن العـــالم كالزبـــد،
وعاشـــقك يـــرقص مـــن دون دفّ ونـــاي
ومـاذا يفعـل فـي هـذه الليلـة حيث الـدف والنـاي فـي كـلّ مكـان؟!

(٢٥٦)

أنــا ثمــلٌ مــن تلــك الخمــرة التــي صــورة كأســها العشــق
وأنــا فــارسٌ علــى ذلــك الجــواد الــذي لجامــه العشــق
إن عشــــق قمــــري عظـــيمٌ، ولكــــن
أنــا عبــدٌ لــذلك الــذي العشــق غلامــه [خادمــه]

(٢٥٧)

جــــاء العشـــق فكســــر التوبـــة كالزجاجـــة
وعنــدما تكســر الزجاجــة مــن ذا الــذي يعــرف تجبيرهــا؟!
وإن كــــان ثمــــة جــــابرٌ فهـــو العشـــق أيضَــــا
ولا مفــــر مــــن جبــــره وكســــره

(٢٥٨)

بــــرغم أن الفــــراق قــــد كســــر ظهــــر الأمــــل
وبــــرغم أن الجفــــاء قطــــع يــــدي الأمــــل
لا ييــــــأس قلــــــب العاشـــــق الثمـــــل
وينــــال الإنســــان كــــل مــــا عقــــد العــــزم عليــــه

(٢٥٩)

خــــرج ثمــــلاً مــــن مأدبــــة «ألســــت»
معانقــــا المعشــــوق، وخمــــرة العشــــق فــــي يــــده
وقــد شــربت حليــب شــراب العشــق، فقــال العقــل،
«هنيئَــــا لــــك، يــــا عابــــد العشــــق»

(٢٦٠)

هـــذا القالـــب الخزفـــيّ لجســـدي هـــو كـــأس القلـــب
وفكرتـــي الناضـــجة هـــي الخمـــرة غيـــر المعتقـــة للقلـــب
وذرة العلــــــم هـــــــذه كلهــــــا فـــــخ للقلـــــب
أنــــا قلــــت هـــذا، لكنــــه رســــالة مـــن القلـــب

(٢٦١)

ذلــــك الوجــــه لـــيس عبوسَـــا، بـــل هـــذا فعلـــه
يقـــــول ويأكـــــل، وفـــــي هـــــذا فعلـــــه
وذلـــك الـــذي فعلـــه فـــوق هـــذا الفلـــك الأعلـــى
لـــيس عجيبَـــا أن يكـــون فعلـــه فـــي الأرض

(٢٦٢)

يقـــــال: «العقلـــــي الكلـــــي صـــــاحب فنـــــون
والعقـــل الكلـــي هـــو الـــذي يعطـــي القـــوّة لهـــذا الفلـــك»
وذلـــك العقـــل الـــذي لديـــه عقـــلٌ كـــان عقـــلا جزئيَـــا
وبســـبب العقـــل أضـــاع العقـــل، وهـــو الآن العقـــل الكلـــي

(٢٦٣)

بـــــرغم أن العشـــــق يكـــــون علـــــى مراحـــــل
فإنــــه المرحلــــة التــــي كانــــت منــــذ القــــدم
وفــــي دار العـــــدم تـــــرى الوجـــــود كثيـــــرًا
فـــافرك عينيـــك ؛ فـــإنّ أغلـــب مـــا تـــراه عـــدمٌ

(٢٦٤)

دخـــل مـــن بـــابي علـــى حـــين غـــرةٍ ذلـــك المعشـــوق الثمـــل

فشـــــرب كـــــأس الخمـــــرة الياقوتيـــــة، وجلـــــس

وابتغـــاء رؤيتـــه والإمســـاك بطرتـــه الشـــبيهة بـــالقوس

صـــار وجهـــي كلـــه عينًـــا وعينـــي كلهـــا يـــدًا

(٢٦٥)

كـــل يـــومٍ، مـــن جديـــدٍ، يطلـــع علينـــا هـــذا المعشـــوق الثمـــل

وقـــد حمـــل بيـــده كأسًـــا مليئـــة بالفتنـــة والإثـــارة

ولـــو أخـــذتها لكســـرت قرابـــة العقـــل

وإن لـــم آخـــذها، فـــإنني لا أســـتطيع الخـــلاص مـــن يـــده

(٢٦٦)

إذا كـــان فـــي الحـــرم غـــدا طـــاهرًا وســـاذجًا

ويمضـــي بكيســـه نحـــو الـــدّراهم الصـــحيحة

إن المخـــادع لا ينبغـــي أن يكـــون مـــع الحبيـــب

وهـــو يفـــرّ مـــن مخالفـــه ولـــو كـــان محترمًـــا

(٢٦٧)

القـــدم التـــي كانـــت تضـــمي إلـــى الخلـــوة ثملـــة

واليـــد التـــي تعـــودّت أن تقطـــف مـــن الـــورد طاقـــاتٍ بيـــدها

مـــن فـــتح فـــم فـــخّ الأجـــل وإغلاقـــه،

قطعـــت تلـــك اليـــد، وكســـرت تلـــك القـــدم

(٢٦٨)

يـــــا مــــــن جئـــــت صـــــباحًا مفتونًـــــا وثمـــــلًا
يبـــدو أن الخمـــرة قـــد أثـــرت فيـــك الليلـــة الماضـــية
أنـــت اليـــوم مشـــوشٌ، ولـــيس اليـــوم يـــوم تفـــرّج لـــديك
وجلوســـــك فـــــي البيـــــت هادئًـــــا أولـــــى لـــــك

(٢٦٩)

قلـــت لـــك مئـــة مـــرةٍ: «أي صـــاحٍ أنـــت وأيّ ثمـــل،
فـــــلا تهـــــزل ولا تتعلـــــق بكـــــل حبيـــــب»
ومـــــن كثـــــر مـــــا تعلـــــق قلبـــــك بهـــــذا وذاك،
ذهبـــــت قيمتـــــك، وانطفـــــأت نـــــار حبنـــــا

(٢٧٠)

إن تـــــرد الهجـــــران فطريـــــق العشـــــاق هـــــو ذلـــــك
ومـــــن هـــــو ســـــمكٌ، فـــــروح بحـــــر عمـــــان
حينًـــــا يطلبـــــون الظـــــل وحينًـــــا الشـــــمس
وتلـــك الـــذرة التـــي لا تريـــد الظـــل إنمـــا هـــي الـــروح

(٢٧١)

أنـــا مـــن تلـــك الـــرّوح التـــي هـــي روحٌ لـــلأرواح
أنـــا مـــن تلـــك المدينـــة التـــي هـــي مـــلاذ المشـــردين
وطريـــــق تلـــــك المدينـــــة طريـــــقٌ لا نهايـــــة لـــــه
اذهـب وصـر مـن دوس رأسٍ وقـدمٍ ؛ لأنـه هـو الـرأس والقـدم

(٢٧٢)

كـــــــــــل روح مبـــــــــــــتهجٍ بمعشـــــــــــــوقنا
دائمَـــــــا رأســــــه أخضـــــــر وشـــــــفتاه ضـــــــاحكتان
وذلـــــك اللطـــــف والجمـــــال ليســـــا علـــــى قـــــدر الـــــروح
نــــــــتكلم بــــــــبطءٍ لعلـــــــــه يكـــــــون الحبيــــــــب

(٢٧٣)

مـــــن لديـــــه شـــــغلٌ لـــــيس هـــــو مـــــن هـــــؤلاء الأحبـــــة
ذلـــــــك لأن حرفتنـــــــا هـــــــي حرفـــــــة المتعطلـــــــين
هــذا الطريــق الــذي هــو طريــق الســارقين وقــاطعي الطريــق
كيـــــف يكـــــون محـــــلا للأغنيـــــاء ومـــــلاك الـــــذهب؟!

(٢٧٤)

فـــــي اللحظـــــة التـــــي يكـــــون لـــــي دورانٌ حولـــــك
تكـــون هـــذه اللحظـــة السّـــاقي والشـــراب والقـــدح والـــدور
وفـــــي اللحظـــــة التـــــي يكـــــون لـــــك تجلـــــي الإحســـــان
يكـــون الـــروح فـــي حيـــرةٍ مثـــل موســـى بـــن عمـــران

(٢٧٥)

اليــــــوم الـــــــذي يكـــــــون لـــــــي فيـــــــه دورانٌ حولـــــــك
يكـــــون هـــــو السّـــــاقي والشـــــراب والقـــــدح والـــــدّور
وفـــي اللحظـــة التـــي يكـــون لـــي فيهـــا تجلـــي الإحســـان
يكـــون الـــروح فـــي جســـدي مثـــل موســـى بـــن عمـــران

(٢٧٦)

أولئـــــك الســـــاهرون لــــيلا بســـــبب شــــجرة هوســـــك
مثـــــــل الثملــــــين، متعلقـــــــون بكـــــــلّ فـــــــرع
ولـــــو كـــــان فـــــرع الطـــــرب حـــــاملا بولـــــدٍ
فـــــأين قـــــرة عـــــين المثيـــــرين للطـــــرب

(٢٧٧)

إن قطـــع طمعـــي مـــن الموجـــودات جميعًـــا ســـهلٌ علـــيّ
إلا مـــــــن واحـــــــدٍ هـــــــو روحٌ لروحنـــــــا
وكـــل مـــن يتـــرك أحـــدًا فإنمـــا يتركـــه مـــن أجلـــك
فمـــن ذا الـــذي ينقطـــع عنـــك لحظـــة؟! لمـــن هـــذه القـــدرة؟!

(٢٧٨)

مـــــــا دام وجــــــــه شـــــــمس الــــــــرّوح لألاءً
يبقـــــى الصّـــــوفي راقصَـــــا مثـــــل الـــــذرّات
يقولـــــــون: «هـــــــذه وسوســـــــة شـــــــيطان»
الشّـــــيطان لطيـــــفٌ إذا وحيـــــاةِ للـــــرّوح

(٢٧٩)

اليـــــوم فـــــي هـــــذه الـــــدّار شـــــخصٌ راقـــــصٌ
إنـــه ذلـــك الشـــخص الـــذي الكمـــال كلـــه أمامـــه نقصـــان
ولـــو بقـــي فيـــك عـــرق واحـــدٌ متحـــركٌ بالإنكـــار
لكـــان ذلـــك القمـــر فـــي إنكـــارك لألاءً أيضـــا

(٢٨٠)

لا حـظ لـي بـالجلوس معـك لحظـة
ولـيس لـي طاقـة علـى العـيش مـن دونـك لحظـة
والفكـر حـائرٌ فـي هـذه الواقعـة
وليسـت هـذه واقعـة، بـل ألـمٌ لا عـلاج لـه

(٢٨١)

الصـبر فـي ناحيـة غمّـك غيـر مـأذون بـه
وفـي العـين مـن دمعـك حرمـانٌ لـه
وللقلـب منـك آلامٌ لا عـلاج لهـا
وأنـا راضٍ بهـذا كلـه، والكـلام فـي الـرّوح

(٢٨٢)

قلـت لليـل: «إن كـان لـك إيمـانٌ بـالقمر
فـإن انقضـاءك السـريع هـو مـن النقصـان»
توجّـه الليـل إلـيّ وقـال معتـذرًا:
«أيّ جريـرة لنـا، إذا كـان العشـق لا نهايـة لـه»

(٢٨٣)

عـد، فـإن الحبيـب علـى عهـده
لـم يعـدل عـن حبـك، بـل تضـاعف مئـات المـرات
وأنـت الـذي لـك روحٌ واحـدٌ علـى العهـد
فكيـف يكـون هـو، وهـو روح روحِ الـرّوح؟!

(٢٨٤)

ضع قدمك، فإن هذا ماء الحياة
ودر مثل الفلك ما دام قمرك يدور
لك روحٌ دائرٌ حول الحضرة
وهذا الروح دائرٌ من دوران ذلك الروح

(٢٨٥)

هذا الحمام الذي هو منزل الشّيطان
إنه مكان خلوة الشيطان واستراحته
فيه ملكٌ، ملكي الوجه متوارٍ
وهكذا فإن الكفر يقينًا مكمن الإيمان

(٢٨٦)

كل ذرةٍ في الهواء وفي السماء
كلها عندنا رياضٌ وبساتين تفاح
برغم أن الذهب في عروق المنجم
فإن كل قطرةٍ طلسمٌ فيها بحر عمان

(٢٨٧)

هذه الليلة ليلة السعادة التي لا تنتهي
ليست ليلة، بل هي عروسٌ للباحثين عن الحق
ذلك الزوج اللطيف متكلمٌ مع الواحد
هذه الليلة سرداق التّقيين الصباح الوجوه

(٢٨٨)

ابـــــداَ الســــير بــــرغم اَنّ الطريـــق لا نهايــــة لــــه
ذلـــك أن النظــر مـــن بعيـــدٍ لـــيس عمـــلا للرجـــال
فـــــاظفر بهــــذا الطريــــق مـــــن حيــــاة القلـــــب
ذلـــــك أن حيــــاة الجســــد صــــفة الحيـــــوان

(٢٨٩)

مضــــى أمـــدٌ بعيــدٌ وروحــــي لا وجــــود لــــه
وهـــو المشـــار إليـــه بالبنـــان فـــي عـــالم الرّجـــال والنســـاء
والـــتخلص مــــن الـــروح والــــدنيا لـــيس مشـــكلا
بــــل إن المشــــكل هـــــو تــــرك جنابــــك

(٢٩٠)

تلـــك الكلمــــات المــــرة التـــي تكســـر القلـــب
أنصـــفها، فإنهــــا غيــــر جـــديرةٍ بـــــذلك الغــــم
فشـــفته الحلـــوة لا تقـــول كلامَـــا مـــرَا علـــى الإطـــلاق
وهـــــذه الوقاحــــة مـــــن ســـــوء حظــــي

(٢٩١)

عنـــدما عرفــــت أن العشــــق هــــو دائمَـــا لـــي
وأنّ تلـــك الطــــرّة ذات الألـــف خصـــلة فــــي يـــدي
بــــرغم أنّنـــــي كنـــــت البارحــــــة ثمــــلا
فــــإنّ القــــدح اليـــــوم هـــــو الثمـــــل بـــــي

(٢٩٢)

إنّ معشـــوقي علـــى حـــالٍ مـــن العهـــد والوفـــاء
تجعلنـــي أســـكب الـــدّم لـــيلاً ونهـــارًا
فاختـــار حبيبًـــا آخـــر وجلـــس فـــارغ البـــال
وجلســـت أنـــا كالبُلهـــاء، زاعمًـــا أنـــه حبيبـــي

(٢٩٣)

لـــم يعشـــقه أحـــدٌ ؛ لأنّـــه ســـافكٌ دمـــي
وقـــد مـــت، فمـــا قيمـــة حـــذائي وعمـــامتي؟!
أيّهـــا القلـــب، اذهـــب أنـــت أيضًـــا، فلـــيس هـــذا عملـــك
هـــــذا علمـــــي، عملـــــي، عملـــــي

(٢٩٤)

قلـــــت: «إنّ قلبـــــي هـــــو آلتـــــي وعـــــدّتي
والقلـــب مشـــاركتي فـــي النّـــواح، مثـــل الرّبـــاب»
ثـــم قلبـــي نفســـه كـــان حبيبًـــا لشـــخص آخـــر
وكنـــت أقـــول: «لعلـــه يكـــون حبيبـــي»

(٢٩٥)

يـــا مـــن قلبـــي مملـــوءٌ منـــك بالياســـمين
فمـــن ذا الـــذي فـــي ســـعادتك هـــو مثلـــي؟!
وتـــرك الـــرّوح والعـــالم لـــيس مشـــكلا
المشـــكل هـــو تـــرك جنابـــك

(٢٩٦)

قلـــــت: «إنّ عشـــــقك هـــــو قرابتـــــي وخاصّـــــتي
فـــلا غـــم، لأنّ الغـــمّ مرجعـــه قلبـــي الســـيئ الظـــن»
قـــــال: «إنّـــــك تفتخـــــر بقوســـــك وســـــهمك
فـــلا تـــرم الســـهم مغتـــرّا ؛ فـــإنّ الـــرّهن عنـــدي»

(٢٩٧)

فـــــي كـــــلّ جـــــزءٍ منّـــــي علامـــــة لمعشـــــوقي
وكـــــل قطعـــــةٍ منـــــي لســـــانٌ لمعشـــــوقي
وأنـــــا مثـــــل الصّـــــنبح متّكـــــئ علـــــى صـــــدره
ونـــــواحي هـــــذا مـــــن بنـــــان معشـــــوقي

(٢٩٨)

تـــــــــراب قـــــــــدميك ســـــــــعادةُ روحـــــــــي
والتـــــراب مـــــن قـــــدميك كلـــــه وردٌ وياســـــمين
وفـــــي ترابـــــك كلـــــه تنمـــــو الأعشـــــاب
فكيـــف الإعـــراض عـــن تـــراب القـــدم ذلـــك؟!

(٢٩٩)

فـــي الوصـــل، يكـــون جمالـــه وردًا ضـــاحكًا لـــي
وفـــي الهجـــر، يكـــون خيالـــه قلبـــي وإيمـــاني
وبســـــببه أنـــــا وقلبـــــي فـــــي نـــــزاع
وكـــل منـــا يقـــول: «ذلـــك المعشـــوق لـــي»

(٣٠٠)

ذلـــــك الصــــوت الجميــــل آتٍ مــــن ناحيــــة زحلــــي

وتلــك الرّائحـــة الطيبـــة مـــن ريـــاض وردي وبســـتاني

ذلـــــك الشــــيء الــــذي فــــي قلبــــي وفــــي روحــــي

اســـمح لـــه أن يـــذهب، وإلـــى أيـــن يهـــب؟ إنّـــه لـــي

(٣٠١)

إنّ ســــلطان الجمــــال والملاحـــة هـــو قمـــري المـــوزون

وفــــي سلســــلته [طرّتـــه] قيـــد قلبـــي المجنـــون

وعلــــــى تــــــراب بابــــــه أســـــفح دم الكبـــــد

بـــــرغم أنّ ترابـــــه خيـــــرٌ مـــــن دمـــــي

(٣٠٢)

لا تتحـــــدث عـــــن العهـــــد، لأنـــــه لا يقيـــــدني

إن عهــــــدي مثـــــل طرّتـــــك مكســـــرٌ

ولا تتحـــدّث عـــن كاســـر القيـــد الـــذي فـــي شـــفتيك

أو عـــن تلـــك النـــار التـــي فـــي فمـــك مـــن شـــفتك

(٣٠٣)

قلــــت للقلــــب: «القلــــب بســــببه مثـــل جيحـــون

والمعشــــــوق غاضـــــبٌ ومتغيـــــر عليـــــك»

فضـــــحك قلبـــــي وقـــــال: «هــــذه أســــطورة

بعــد كــلّ شـــيءٍ، كيــف يمكــن أن تــرى السّــكَر حامضَــا؟»

(٣٠٤)

إنّ شـــــمس محيــــاك خارجـــــة عـــــن الســـــماء

مثـــل حســـنك الـــذي هـــو خـــارجٌ عـــن شـــرح اللســـان

إن لعشـــــــقك مكانًـــــــا داخـــــــل روحـــــــي

وهـــذه طرفـــة: أن يكـــون خـــارج الـــرّوح والعـــالم

(٣٠٥)

الحبيـــب الـــذي تعجـــز الصّـــفة عـــن وصـــف جمالـــه

دخـــل البيـــت [وقـــال:] كيـــف حـــال قلبـــك؟

جـــــرّ ذيلـــــه، وقـــــال لـــــه القلـــــب:

«ارفـــع ذيلـــك ؛ إن البيـــت ملـــئ بالـــدّم»

(٣٠٦)

كـــــل ذرةٍ فـــــي الهـــــدوء وفـــــي الفضـــــاء

انظـــر إليهـــا جيّـــدًا ؛ فإنهـــا مجنونـــة مثلنـــا

وكـــل ذرةٍ ســـواءٌ أكانـــت مســـرورةً أم محزونـــة

مفتونـــة بالشـــمس الفتانـــة التـــي لا نظيـــر لهـــا

(٣٠٧)

المعشـــــوق ظريـــــفٌ، وهـــــذه جنايتـــــه

جميـــــلٌ ولطيـــــف، وهـــــذه جريرتـــــه

وفـــي النهايـــة، بســـبب أيّ عيـــبٍ يفـــرون منـــه؟!

إنـــه خـــالٍ مـــن العيـــب، وهـــذه جريرتـــه

(٣٠٨)

حـــين تكـــون مواصـــلا، فهـــذه هـــي الجنـــة والبســـتان

وحـــين تكـــون هـــاجرًا، فهـــذه جهـــنم والعـــذاب

العشـــق هـــو القـــديم المتـــواري فـــي العـــالم

وأن يتعـــرّى المتـــواري، هـــذا لغـــوٌ

(٣٠٩)

أيهـــا العبـــد، اعلـــم أن هـــذا هـــو ســـيد الشـــرق

إنـــه بـــرقٌ مـــن ســـحاب الأزل المحمّـــل بـــالجوهر

إن كـــل شـــيءٍ تقولـــه، تقولـــه علـــى القيـــاس

وهـــو يحكـــي عـــن المشـــاهدة، وهـــذا فـــرقٌ

(٣١٠)

مـــا دمـــت حيًـــا فهـــذه حرفتـــي وهـــذا عملـــي

هـــذا هـــو راحتـــي وقـــراري ومزيـــل همـــي

هـــو يـــومي، وهـــو حيـــاتي

هـــو صـــيدي، وهـــو طريـــدتي ومطلـــوبي

(٣١١)

أيّهـــا القلـــب، الـــزم ألمـــه، فهـــذا هـــو العـــلاج

تجـــرّع الغـــمّ ولا تـــتكلم، فهـــذا هـــو الأمـــر

لـــو وضـــعت قـــدمك فـــوق الأمـــل بـــين الفينـــة والأخـــرى

وقتلـــت كلـــب الـــنفس، فـــإنّ هـــذا هـــو القربـــان

(٣١٢)

النـــــــزر بعيـــــــدًا عنـــــــك، وهـــــــذه ذريعـــــــة
لأن أعينـنــــــــــا الآن مبصـــــــــــرة للصـــــــــــورة
وهـــــي غيـــــر مؤهلـــــةٍ لرؤيـــــة وجهـــــك، ولكـــــن
أنّـــى لهـــا أن تصـــدّ عنـــك، فـــإن الـــرّوح حلـــوٌ؟!

(٣١٣)

فـــــي المـــــوت حيـــــاةٌ لأهـــــل العـــــدل والـــــدّين
وفـــــي المـــــوت تمكـــــينٌ للـــــرّوح الطـــــاهر
وذلـــــك المـــــوت لقـــــاءٌ، لا جفـــــاءٌ ولا حقـــــدٌ
والحـــــي يظـــــلّ يمـــــوت، وهـــــذا ألمـــــه

(٣١٤)

إذا كـــــان العاقـــــل ذهبـــــاً أو مـــــذهبًا
فإنـــــه جـــــوادٌ، لكـــــن ثمنـــــه أقـــــل مـــــن هـــــذا
وكـــــل مـــــن لا يـــــذهب إلـــــى الخرابـــــات هـــــو عنـــــين
لأن الخرابـــــات هـــــي أصـــــول الـــــدين

(٣١٥)

إن قولـــــك ذهـــــبٌ، لكـــــن فعلـــــك قصـــــديري
ولـــــذلك فإنّـــــك لا تســـــاوي شـــــيئًا عنـــــد أحـــــدٍ
الجـــــواد الـــــذي ثمنـــــه أقـــــل مـــــن القصـــــدير
لا تـــــــراه جـــــــديرًا بـــــــالطريق

(٣١٦)

يقولـــــــون: «العشـــــــق عاقبتــــــــه التســــــكين
أوّلــــــــه ثــــــــورةٌ وآخــــــــره تمكــــــــين
والــــرّوح هــــو الحجـــر السّــــفليّ لرحــــى العشــــق
وهــذه الصّــورة التــي لا قــرار لهــا هــي الحجــر الأعلــى»

(٣١٧)

هــــــو شمســــــنا وكواكبنـــــــا وبـــــــدرنا
وهـــو بســـتاننا وقصـــرنا وصـــدر مجلســـنا
وهـــــو قبلتنــــا وصـــومنا وصـــــبرنا
وهـــو عيـــدنا ورمضـــاننا وليلـــة قـــدرنا

(٣١٨)

هــــذا الصـــدر منشـــغلٌ بســـبب تعاليمـــه [العشـــق]
واليــــوم أنــــا مــــريضٌ مــــن حرارتــــه
أجتنــــب كــــل مــــا يوصــــي بــــه الطبيــــب
إلا الخمـــرة والســـكر الآتيـــين مـــن شـــفته

(٣١٩)

حيثمـــا أســـجد، يكـــون هـــو المســـجود لـــه
وفـــي الجهـــات الســـتّ، وخارجهـــا هـــو المعبـــود
والبســـتان والـــورد والبلبـــل والســـماع والحســـناء
هـــذه جميعهـــا ذرائـــع، وهـــو المقصـــود كلـــه

(٣٢٠)

ذلـــك الـــذي قطـــع رأســـك هـــو شـــريك غمّـــك
وذلـــك الـــذي ارتـــدى قبعتـــك هـــو ســـارقك
وذلـــك الـــذي يعطيـــك حمـــلا هـــو حملـــك
وذلـــك الـــذي ينســـيك نفســـك هـــو حبيبـــك

(٣٢١)

فـــي قلبـــي باطنَـــا وظـــاهرًا هـــو
وفـــي جســـمي الـــرّوح والعـــرق والـــدم هـــو
وهـــذا المكـــان كيـــف يتّســـع للكفـــر والإيمـــان؟!
ولـــيس لوجـــودي كيفيـــة، لأنّ الكـــلّ هـــو

(٣٢٢)

أيّهـــا الغافـــل عـــن اللـــبّ، مغتـــرًا بالقشـــر
اصـــح ؛ فـــإن وســـط روحـــك الحبيـــب
الحـــس لـــب الجســـم، ولـــب حســـك الـــروح
ولـو تخليـت عـن الجسم والحس والـروح لكـان الكـل هـو أيضًـا

(٣٢٣)

إذا شـــقّ المعشـــوق قشـــري
فلـــن أنـــوح، ولـــن أقـــول إنّ هـــذا الألـــم منـــه
كـــل النـــاس أعـــداءٌ لنـــا، وهـــو وحـــده الحبيـــب
ولـــيس جمـــيلا الشـــكاية مـــن الحبيـــب إلـــى الأعـــداء

(٣٢٤)

إن جلـــــدي ليضــــــيق عــــــن حـــــبّ محبــــوبي
لا يتّســـع جلـــدي لـــي ؛ لأن مليكـــي فـــائق الجمـــال
لا يعــــيش المعشـــــوق بأمــــل العشــــق البتـــــة
والمعشـــوق الـــذي يعـــيش وفـــق مـــراد عاشـــقه إنمـــا هـــو

(٣٢٥)

ظهـــر العشـــق وجـــرى مثـــل الـــدّم فـــي عروقـــي وجلـــدي
وقــــد أفرغنــــي مــــن نفســــي وملأنــــي بالحبيــــب
وقــــد أخــــذ الحبيــــب أجــــزاء وجــــودي كلهـــا
لــــم يبقــــي لــــي إلا اســـــمٌ، والبـــــاقي هـــــو

(٣٢٦)

الــــزم العشــــق ؛ لأنــــه الجــــوهر لروحــــك
واطلـــب ذلـــن الإنســـان الـــذي هـــو لـــك إلـــى الأبـــد
لا تســــــم غـــــمَّ روحـــــــك روحَـــــــا
حـــرّم ذلـــك علـــى نفســـك، حتـــى لـــو كـــان خبـــزك

(٣٢٧)

أنــــت مــــنجم العـــالم، والعـــالم نصـــف حبـــة شـــعير
أنــــت أصــــل العــــالم، والعــــالم بســــببك جديــــد
ولــــو امــــتلأ العــــالم بالمشــــاعل والشــــموع
مـــن دون الحديـــد والحجـــر [أســـبابها] لـــذهبت بهبّـــة ريـــح

(٣٢٨)

يغلـــــق الحبيـــــب علـــــيّ شـــــفة الوصـــــال
ويكســـــر الحبيـــــب قلبـــــي بالعنـــــاء والمشـــــقة
ومـن الآن فصـاعدًا فـإنّني وانكسـار قلبـي علـى بـاب الحبيـب
لأنّ الحبيـــــب يحـــــب القلـــــب المنكســـــر

(٣٢٩)

أيّهـــا الحبيـــب، إنّ ذكـــرك مـــانعٌ مـــن مشـــاهدتك
أيّهـــا الحبيـــب، إنّ بـــرق خـــدك نقـــابٌ لســـيمائك
وإنّنـــي محـــرومٌ مـــن شـــفتك بســـبب ذِكـــر شـــفتك
أيهـــا الحبيـــب، إن ذكـــر شـــفتك حجـــابٌ لشـــفاهك

(٣٣٠)

إن شـــئت أن ينكشـــف لـــك وجـــود الحبيـــب
فـــامض إلـــى أعمـــاق اللـــبّ، ودع عنـــك القشـــر
هـــو ذاتٌ حولهـــا طبقـــاتٌ مـــن الحجـــب
هـو مسـتغرقٌ فـي نفسـه، والعالمـان كلاهمـا غارقـان فيـه

(٣٣١)

فـــي هـــذه الليلـــة أطـــوف ببيـــت الحبيـــب
أدور حتـــى الصـــباح فـــي منـــزل الحبيـــب
لأنـــه فـــي كـــلّ صـــباحٍ يصـــدر أمـــرٌ:
إنّ كـــأس الحبيـــب هـــي كـــأس رأس أحـــد العشـــاق

(٣٣٢)

كـــل يـــوم لـــي منـــك مســـاقاتٌ جديـــدة تـــدفعني إليـــك
وأذنـــي هـــي ســـامع البشـــارة عـــن ســـخائك
ولـــي طمـــعٌ آخـــر مـــن بحـــر كفّـــك
وذلـــك الطمـــع الآخـــر مرهـــونٌ بـــالخبز والسّـــمك

(٣٣٣)

جـــاء ثمـــلٌ فـــي الطريـــق، وانضـــم إلينـــا
ودارت الكـــأس بيننـــا مـــن يـــدٍ إلـــى يـــد
فوقعـــت مـــن اليـــد علـــى نحـــو مفـــاجئ وانكســـرت
ومـــا شـــأن الكـــأس بـــين جمهـــور الثملـــين

(٣٣٤)

أيّهـــا الـــروح، ثمـــة طريـــقٌ مـــن قلبـــك إلـــى قلبـــي
وفـــي قلبـــي معرفـــة للبحـــث عنـــه [الطريـــق]
لأنّ قلبـــي كالمـــاء الصّـــافي الـــزلال
والمـــاء الصـــافي مـــرآة لظهـــور القمـــر

(٣٣٥)

كـــل مـــن كـــان فـــي السّـــرداق مـــع الملـــك
فـــذلك مـــن كـــرم الملـــك ولطفـــه وعطائـــه
كيـــف تصـــل إلـــى الملـــك بكـــلّ تخـــل عـــن الـــذات؟!
إن وراء التخلـــي عـــن الـــذات الاف الطـــرق

(٣٣٦)

كـــــــل روحٍ عزيـــــــز خبيـــــــرٍ بـــــــالطريق

يعـــــرف أنّ كـــــل شـــــيء يـــــأتي مـــــن هنـــــاك

فكيـــف تنســـب الجـــرم إلـــى الفلـــك وابـــن الفلـــك؟!

لأنّ هـــــذا الفلـــــك بـــــريءٌ مـــــن دورانـــــه

(٣٣٧)

فـــــي صـــــورتك مـــــا هـــــو معنـــــى لكـــــلّ شـــــيء

وفـــــي معنـــــاك ادعـــــاءٌ لكـــــلّ شـــــيء

وفـــــي دار الكـــــون والفســـــاد عجيـــــبٌ جـــــدًا

النـــور الـــذي هـــو صـــلاح الـــدّين والـــدّنيا للجميـــع

(٣٣٨)

إن مـــــن بقـــــي فـــــي بيتـــــه مـــــتعطلاً

لا يشـتري السّـكر مـن ذلـك التركـيّ البـائع العزيـز للسـكر

أختطـــــف ســـــريعًا عـــــدّة لـــــوزات

فـإنّ الشـعر الأسـود [اللحيـة] يقصـد وجـه التركـيّ [الجميـل]

(٣٣٩)

كـــل صـــورةٍ تـــأتي، مـــا هـــو ممكـــنٌ خيـــرٌ منهـــا

وعنـــدما يكـــون خيـــرًا منهـــا، لا تكـــون معشـــوقي

أفـــــرق قلبـــــك مـــــن الصّـــــور كلهـــــا

لكـــي تأتيـــك الصّـــورة التـــي لا صـــورة لهـــا

(٣٤٠)

قلـــــت: كيــــف حالــــك؟ إننـــي كمـــا كنـــت
عشـــقك فـــوق رأســـي، ورأســـي فـــوق يـــدي
إن شـــــــيئًا يـــــدور فـــــي رؤوســــــنا
لا يمكـــن تســـميته، لكنـــه فـــي غايـــة الجمـــال

(٣٤١)

علينـــا علامـــة ارتكـــاب الأخطـــاء كلهـــا
ســـوء ســـمعة العشـــق والاضـــطراب والســـكر كلهـــا
أيهـــا الحبيـــب، لأنـــك أنـــت المقصـــود مـــن الزمـــان
فـــلا مكـــان للشـــكوى، فلأنـــك موجـــودٌ وجـــدت الأشـــياء كلهـــا

(٣٤٢)

نُـــحْ ؛ فـــإنّ الســـامع لـــذلك النـــواح هـــو جـــارك
نُـحْ ؛ فـإن صـراخ الطفـل هـو محبـة مـن ناحيـة الأم
وبــــرغم أن أم الـــــروح مســـــتبدةٌ برأيهـــــا
نُـــحْ ؛ فـــإن النّـــواح رأس مـــالٍ للعشـــق

(٣٤٣)

إن كـــان لـــك فـــخّ فـــي عـــين الصّـــورة
فتجـــاوز ذلـــك لحظـــة، إن كانـــت لـــك قـــدم
ومـــن لديـــه قلـــبٌ فـــي آلاف العـــوالم
يعلـــم أنّـــه لـــيس ثمـــة حركـــة، ولـــيس ثمـــة ســـكون

(٣٤٤)

كـــــــل يـــــــــومٍ لقلبنــــــــا ســـــــــماعٌ وطـــــــــربٌ
فيقـــــول حســـــنه: «لا تقــــف عنـــــد هــــذا أيضَــــا»
يقولـــــــون: «لمـــــاذا تأكــــــل بخمــــــس أصــــــابع؟»
لأن الأصــــــابع جـــــاءت خمسَــــــا، ولــــــم تـــــأت ســــتَا

(٣٤٥)

هــــذه الفتنــــة فــــي القلـــب الحـــزين، مـــا ســــببها؟
وهـذا العشـق الـذي تقـوّس القـد بسـببه مثـل الصـنبح، مـا سـببه؟
وهــــذا القلـــب الـــذي فـــي قـــالبي لـــيلا ونهـــارًا
يحــــــــاربني مــــــــن أجلــــــــه، فلمــــــــاذا؟

(٣٤٦)

قـــــال معشــــوقي: «مــــا ســــبب حيـــاة فــــلان؟ -
عنـدما أكـون روحـه، يـا للعجـب، كيـف يعـيش مـن دون روح؟»
صــــــرب أبكـــــــي، فقـــــال: «هـــــذا أعجــــب:
مــــن دونـــــي، وأنــــا عينـــاه، كيـــف يبكـــي؟»

(٣٤٧)

شــــــبعت ولـــــــم أشـــــبع، فمــــا العـــــلاج؟
أرنــــي العـــوض، ولكـــن مـــا العـــوض للحبيـــب؟!
قلـــــت: «فـــــي النهايـــــة أتـــــؤمن بالصّـــــبر؟»
فيــــا عــــين الإيمـــــان، مــــا الإيمـــــان ســــواك

(٣٤٨)

كـــــل ذرةٍ وكـــــــل خيـــــــالٍ مثـــــــال الصـــــــحو

وفـــــــي ســــــــرورنا وأحزاننـــــــا صـــــــحوٌ

فلمـــــاذا تكونـــــون غربـــــاء بـــــين الأقـــــارب

إن عـــــدم العلـــــم مــــن العـــــارفين أمـــــرٌ ســـــيئ

(٣٤٩)

اعلــــــــم أنّ داخلـــــــــك مثـــــــل الغـــــــار

وأن وراء ذلــــــك الغــــــار ســــــوقا عجيبــــــة

أخـــــذ كـــــل إنســـــانٍ حبيبًـــــا، واختـــــار عمـــــلا

وهـــــذا الحبيـــــب متـــــوارٍ، إنـــــه حبيـــــبٌ عجيـــــب

(٣٥٠)

حاشـــــى أن يوجـــــد فـــــي العـــــالم حبيـــــبٌ خيـــــرٌ منـــــك

أو أن يكـــــون علـــــمٌ خيـــــرًا مــــن رؤيـــــة وجهـــــك

وفـــــي العـــــالمين كليهمـــــا تكفينـــــي أنـــــت معشـــــوقًا وحبيبًـــــا

وحيثمـــــا يوجـــــد معشـــــوقٌ فإنـــــه مـــــن شـــــعاعك أيضـــــا

(٣٥١)

مـــــا دامـــــت فـــــي قلبـــــي صـــــورة ذلـــــك الفـــــائق الجمـــــال

فمـــن ذا الـــذي يكـــون مســـرورًا مثلـــي فـــي هـــذا العـــالم؟!

والله إنّـــــــي لا أســـــــتطيع أن أعـــــــيش إلا مســـــــرورًا

أســـــــمع بـــــــالغمّ، ولا أعـــــــرف مـــــــا هـــــــو

(٣٥٢)
ذلـــك الـــذي بوجهـــه الجميـــل محـــل حســـد الملائكـــة
جـــــاء ســـــحرًا، وبكـــــى علـــــى قلبـــــي
هـــو يبكـــي، وأنـــا أبكـــي، حتـــى طلـــع الصّـــبح
فســأل [الصــبح]: أي مــن هــذين العجيبــين هــو العاشــق؟

(٣٥٣)
إحـــدى عينـــيّ بكـــت مـــن يـــوم الهجـــران
فقالـــت عينـــي الأخـــرى: «لمـــاذا؟ مـــم تبكـــين؟»
وعنـــدما ذهـــب يـــوم الوصـــال أغمضـــت عينـــي
قلـــت: «ألـــم تـــرى، عليـــك أن لا تنظـــري»

(٣٥٤)
ذلـــك الـــذي نظـــر إلينـــا البارحـــة مـــن ناحيـــة السّـــطح
إمـــــا روح ملـــــكٍ، وإمّـــــا روح جـــــانّ
ميـــتٌ كـــل مـــن يحيـــا مـــن دون خـــدّه الفتّـــان
والعلـــــم مـــــن دونـــــه مـــــن الجهـــــل

(٣٥٥)
الليلـــة الماضـــية مـــن اللطـــف نظـــر الحبيـــب إلينـــا
قـــال: «كيـــف تســـتطيع العـــيش مـــن دوننـــا؟»
قلـــت: «والله، مثـــل الســـمك بعيـــدًا عـــن المـــاء»
فقـــال: «الـــذنب ذنبـــك، فقـــد بكيـــت علينـــا»

(٣٥٦)

منــذ ذلــك اليــوم الــذي نظــرت فيــه عينــي إلــى وجهــك
لــم تمــض لحظــة لــم تبــك فيهــا دمًــا اغتمامًــا عليــك
جعــل الله الكــأس التــي أخــذتها مــن دونــك ســمًا لــي
وأمــاتني الله، إن كنــت أريــد العــيش مــن دونــك

(٣٥٧)

ليتنــي مــت دفعــة واحــدةً ولــم يرنــي أحــدٌ
وإن عشــت مــرةً أخــرى، أعــرف كيــف أعــيش
فيــا مــن قصــدت إلــيّ، مــا قصــدك؟
إنــك أبلــه، وصــحبة البلهــاء قــدرٌ فارغــة

(٣٥٨)

قلــت: «تعــال»، فنظــر إلــيّ بغضــب
فقلــت لــه فــي الحــال: «هــذا دخــل [غــش]»
قلــت: «لمــاذا تفــر؟ ولمــن هــذا
أنــت مفتــون بهــذا العمــل، فمــا قصــدك كلــه؟

(٣٥٩)

العشــق الــذي يعــيش الوجــود مــن دونــه بــلا روحٍ
لمــاذا هــذا العشــق لطيــفٌ جــدًا وحلــوٌ؟
أهــو فــي داخــل جســمنا أم فــي خارجــه؟
أم فــي نظــر [عــين] شــمس الحــقّ التبريــزي؟

(٣٦٠)

مـــــــا دام شـــــــيءٌ مـــــــن وجـــــــود باقيَـــــــا معـــــــك
لا تكـــــــن آمنَـــــــا؛ لأن عبـــــــادة الصـــــــنم باقيـــــــة
ولـــــــو افترضـــــــت أنـــــــك كســـــــرت صـــــــنم الـــــــوهم
فـــي الآخـــر، يظـــل صـــنم خلاصـــك مـــن الـــوهم باقيـــا

(٣٦١)

قلـــــــــت للنّـــــــــاي: «مـــــــــن ظلمـــــــــك؟
لمـــاذا تنـــوح وتصـــرخ مـــن دون أن يؤذيـــك أحـــدٌ؟»
قـــال النّـــاي: «أبعـــدت عـــن الشـــفة الســـكّرية ؛
ولـــذلك لا أســـتطيع العـــيش مـــن دون نـــواحٍ وعويـــل»

(٣٦٢)

أيهـــا الحمـــار، أعنـــدك خبـــرٌ عـــن هـــذا الـــذي علـــى ظهـــرك؟
ضـــع قـــدمك فـــوق الفلـــك ؛ لأن حملـــك ملـــك
وقـــد صـــرت حمـــالا للشـــخص الـــذي لا تســـتطيع الشـــمس
أبـــــــــدًا النظـــــــــر إلـــــــــى وجهـــــــــه

(٣٦٣)

أيهـــا الـــروح، أعنـــدك خبـــرٌ عمـــن هـــو حبيبـــك؟
أيهـــا القلـــب، أعنـــدك خبـــرٌ عمـــن هـــو ضـــيفك؟
أيهـــا الجســـم الـــذي يبحـــث عـــن طريـــقٍ بكـــل حيلـــة
هـــو الـــذي يـــدفعك، فـــانظر إلـــى ذلـــك الـــذي يطلبـــك

(٣٦٤)

مـــــن يســـــــتوي عنـــــــده الـــــــورد والشـــــــوك
ويســـــتوي فـــــي مذهبـــــه المصـــــحف والزّنّـــــار
حـــــــــذار، لا ترســـــــل إليـــــــه أحـــــــدًا
ذلـــك لأنّ الحمـــار الأعـــرج والرّهـــوان ســـيان عنـــده

(٣٦٥)

ألا أيهـــا القلـــب المعنـــى، هـــذا يـــوم الفتـــوة
فـــي عشـــقك، أيّ مكـــان للغربـــة عنـــدي؟
وكـــل شـــيء يقـــع تحـــت تصـــرّف العقـــل اتركـــه
إنّ الأوان أوان الجنـــــــــــــــــــــــــــــــــون

(٣٦٦)

أنـــــا غريـــــبٌ عـــــن الوجـــــود والعـــــدم
وانقطـــاعي عنهمـــا لـــيس مـــن الفتـــوّة
وإذا أنـــا لـــم أجـــن مـــن العجائـــب التـــي فـــي قلبـــي
فهـــــــذا مـــــــن الجنـــــــون

(٣٦٧)

رأس مـــــال العقـــــل ســـــر الجنـــــون
ومجنـــــون العشـــــق إنســـــانٌ حكـــــيمٌ
ومـــن صـــار عارفـــا بالقلـــب فـــي طريـــق الألـــم
لـــــه ألـــــف غربـــــةٍ مـــــع نفســـــه

(٣٦٨)

أهلـــــك الله رأسَــــا لا يكـــــون قـــــدمَا للرؤســـــاء
وقلبَـــا لـــيس مســـتغرقا مـــن أعماقـــه فـــي ذلـــك العشـــق
قـــالوا: «لـــيس فـــي هـــذا المكـــان محـــل لشـــعرةٍ واحـــدة»
وقـد صـرت شـعرةً، ولـذلك لـيس لـي فـي ذلـك المكـان متسـع

(٣٦٩)

أيهـــــا العقـــــل، امـــــض، فـــــلا عقـــــل هـــــان
وحتـــى لـــو صـــرت شـــعرةً، لـــيس لشـــعرتك مكـــان
جـــــاء النهـــــار، وكـــــل مصـــــباحٍ اشـــــتعل نهـــــارًا
فـــــي ضـــــياء الشـــــمس لا يكـــــون إلا مفتضـــــحًا

(٣٧٠)

هـــــذا العشـــــق ملـــــكٌ، ورايتـــــه غيـــــر ظـــــاهرة
إنـــــه قـــــرآن الحـــــقّ، وآيتـــــه غيـــــر واضـــــحة
وكـــــل عاشـــــقٍ يصـــــيبه ســـــهمٌ مـــــن هـــــذا الصـــــياد
يلعـــــق الـــــدم، وجُرحُـــــه غيـــــر واضـــــح

(٣٧١)

مـــــاء الحيـــــاة فـــــي المـــــاء والطـــــين غيـــــر ظـــــاهر
وفـــــي حـــــب قلبـــــك، قـــــاطع المحبـــــة غيـــــر ظـــــاهر
كثيـــــرو الخجـــــل ممـــــن يخجلـــــون غيـــــر ظـــــاهرين
فاســـلك هـــذا الطريـــق، إنّ طريـــق القلـــب غيـــر ظـــاهر

(٣٧٢)

لا يوجـــــد أحـــــدٌ إلا وهـــــو مفتـــــون بـــــالهوس

ولا يوجـــد أحـــدٌ إلا وفـــي رأســـه هـــذا الافتتـــان

ورأس خـــيط ذلـــك الـــذوق الـــذي يصـــدر عنـــه الشـــوق

ظـــاهرٌ أنـــه موجـــودٌ، ولكـــن هـــذا غيـــر ظـــاهر

(٣٧٣)

ســـــكرنا هـــــذا لـــــيس مـــــن الخمـــــرة الحمـــــراء

ولا توجـــد هـــذه الخمـــرة إلا فـــي قـــدح الافتتـــان

وقـــــد جئـــــت لتريـــــق خمرتـــــي علـــــى الأرض

وأنـــا ذلـــك الثمـــل الـــذي خمرتـــه غيـــر ظـــاهرة

(٣٧٤)

لـــــيس لطـــــائر الـــــروح ميـــــلٌ إلـــــى الأعلـــــى

ولـــيس لـــه فـــي الجهـــات الســـت طيـــرانٌ واهتمـــام

قلـــــت: «إلـــــى أيـــــن يطيـــــر لكـــــي يجـــــده؟»

لا، بـــل إلـــى أيـــن يطيـــر وهـــو غيـــر موجـــودٍ هنـــاك؟!

(٣٧٥)

قـــــل حتـــــى الليـــــل: لـــــيس لنهارنـــــا ليـــــلٌ

فـــــي مـــــذهب العشـــــق، ولا مـــــذهب للعشـــــق

العشـــــق بحـــــرٌ لا ســـــاحل لـــــه ولا حـــــدّ

ومـــا أكثـــر مـــن يغرقـــون فيـــه ولا يتضـــرعون: يـــا رب

(٣٧٦)

لمـــاذا أنـــت مغتـــاظ؟ إلا إذا لـــم يكـــن حبيبـــك ســـكرًا
أو أن الســـكر موجـــودٌ، لكـــن شـــاريك غيـــر موجـــود
أو أنّـــك لا تعـــرف عمـــلا، وقـــد صـــرت منشـــغلا؟
أو أنـــك تعـــرف، ولكـــن لا علـــم لـــك بســـبب الكســـاد؟

(٣٧٧)

إن تأوهـــــت فـــــإن الآهـــــة لا تقنـــــع بهـــــذا
وإن صـــرت ترابَـــا فـــإن الملـــك لا يقنـــع بـــذلك
وإن ســـجدت كالظـــل إلـــى الجهـــات كلهـــا لـــيلا
فلمـــــاذا أختفـــــي؟! القمـــــر لا يقنـــــع بـــــذلك

(٣٧٨)

ليســـت الطفولـــة استصـــغارًا لـــدى الكبيـــر
ولا شـــك أن الطفولـــة تـــأتي مـــن الكمـــال
وإنّـــه إن تحـــدّث الأب بلغـــة الأطفـــال
فـــإن العاقـــل يعـــرف أنّ ذلـــك الأب لـــيس طفـــلا

(٣٧٩)

لـــيس عاشـــقًا مـــن لا يكـــون خفيفَـــا مثـــل الـــروح
ولا يكـــون دائـــرًا حـــول القمـــر كـــالنجم لـــيلا
اســـتمع إلـــيّ ؛ فهـــذا القـــول لـــيس ببهتـــانٍ
ذلـــك أن تـــراقص العلـــم غيـــر ممكـــن مـــن دون الـــريح

(٣٨٠)

لـــــيس بـــــين المعشــــوقين مثــــل معشــــوق
وهــــو لا يهلــــك ولا ينتهــــي مثــــل الــــدنيا
وإذا مــــا لغــــا الجاهــــل فقــــل لــــه: لغــــوت
فلــيس فــي الإمكــان أن توجــد معشــوقة ألطــف مــن هــذه

(٣٨١)

هــــذا الطبــــع الــــذي لــــك، لا يبحــــث عنــــه أحــــدٌ
ولا تــــدور عجلــــة مــــن مــــاء نهــــرك
ومــــن لا يســـتطيع شــــد القــــوس غيــــر جــــدير بــــالقوس
فــلا بــد مــن رســتم ؛ لأن هــذا لــيس عمــل أشــباه الرجــال

(٣٨٢)

لــــيس فــــي الــــدنيا طبــــعٌ أحســــن مــــن طبعــــك
ولــــيس ثمــــة قلــــبٌ لا يعتكــــف فــــي زاويتــــك
مــــا شــــأن شــــعرة الــــرأس؟ إن كــــل رؤوس الــــدنيا
عنــــدما أتأمــــل لــــيس فــــداء لشــــعرةٍ واحــــدة منــــك

(٣٨٣)

كــــان المعشــــوق يــــذكر ســــوء فعلــــي مــــن وراء حجــــاب
لا جهــــة وراءه، بــــرغم أن هــــذا لــــيس طبعــــه
وعنــــدما رآنــــي غيــــر الكــــلام ســــريعًا [قــــائلا:]
هــــو لــــي، ولــــيس هــــذا الكــــلام عنــــه

(٣٨٤)

أيهـــا الليـــل لـــيس لـــي ســـكر مـــن خمرتـــك
ولـــــيس ســـــهري لغـــــوًا وســـــهلا
إن نـــومي طـــار إلـــى الســـماء مثـــل الفلـــك
لأننـــي بحثـــت كثيـــرًا ولـــم أجـــده فـــي هـــذا الحضـــيض

(٣٨٥)

لا حبيـــــب أظـــــرف مـــــن الوحـــــدة
ولا عمـــــل ألطـــــف مـــــن التعطـــــل
وكـــل مـــن يقطـــع عـــن العياريـــة والحيلـــة
والله، إنـــــه لا ذكـــــي ولا عيـــــار مثلـــــه

(٣٨٦)

فـــارغ البـــال مـــن لا يشـــغل نفســـه بكثيـــرٍ وقليـــل
ولـــيس هـــو فـــي قيـــد الغنـــى والفقـــر
خلـــوٌ مـــن غـــمّ الـــدنيا وأهـــل الـــدّنيا
لا صـــلة لـــه بنفســـه حتـــى بمقـــدار ذرّة

(٣٨٧)

لـــــيس قاضـــــينا كالقضـــــاة الآخـــــرين
لـيس لـه ميـلٌ إلـى الأطلـس (١) والمقـراض [متـاع الـدنيا]
وقـــد صـــار قاضـــينا عاشـــقًا منـــذ الأزل
ولـــيس قضـــاء عشـــقه بـــراضٍ عـــن قضـــاء الآخـــرين

(١) نوع من القماش الحريريّ الفاخر [المترجم].

(٣٨٨)

أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب، الـــروح والـــدنيا زائـــلان
ولـــيس هنـــاك حســـناء وســـاقٍ إلا العشـــق القـــديم
وللعاشـــــق طـــــوافٌ حـــــول كعبـــــة العـــــدم
لأنـــه مـــن الكعبـــة، ولـــيس مـــن الآفـــاق [الـــدنيا]

(٣٨٩)

يـــا مـــن لا طـــاهر مثلـــك فـــي هـــذه الـــدّنيا
ولا جميـــل مثلـــك ولطيـــف ورشـــيق وســـريع
ســـيكون هنـــاك الكثيـــر مـــن الطعـــن فـــي هـــذا الطريـــق
غايـــة مرادنـــا كيفيـــة وجـــودك معنـــا، إذ لا خـــوف بعـــد ذلـــك

(٣٩٠)

لا حـــــرب إن تمســـــكت بأذيـــــال وصـــــالك
ولا عـــــار إن ســـــمعت طعنـــــة عشـــــقك
أتمسّـــــك بوصـــــال الجميـــــل وأتعلـــــق
ذلـــك الوصـــال الـــذي لـــيس للفـــراق تـــأثيرٌ فيـــه

(٣٩١)

طريـــــق العشـــــق ســـــرٌ ولا ادّعـــــاء فيـــــه
ذلـــــك لأنّ صـــــفاته ليســـــت ســـــوى معـــــانٍ
ولـــــيس للعاشـــــق جـــــوابٌ فـــــي التـــــوى
إنـــــه مســـــألة فنـــــاءٍ، ولـــــيس مســـــألة وجـــــود

(٣٩٢)

الشـــــيء الـــــذي فيـــك باحـــــثٌ عنـــــه مـــــن دونـــــك

وفـــــــــي ترابـــــــــك در مـــــــــن منجمـــــــــه

ومـــــا فيـــك كـــــالكرة وهـــــو الجـــــواد فـــــي الصـــــولجان

ذلـــــك لـــــه، وذلـــــك لـــــه، وذلـــــك الـــــذي هـــــو لـــــه

(٣٩٣)

أيهـــا القلـــب الحـــائر هنـــاك طريـــقٌ مـــن الـــروح إلـــى الحبيـــب

أيهـــــا الضـــــالّ، الطريـــــق واضـــــحٌ وخفـــــيّ

ولـــــو أغلقـــــت عليـــــك الجهـــــات الســـــت فـــــلا خـــــوف

لأنـــــه فـــــي أعمـــــاق وجـــــودك طريـــــقٌ إلـــــى المعشـــــوق

(٣٩٤)

خـــــــــارج عـــــــــالم الكفـــــــــر والإيمـــــــــان مكـــــــــانٌ

ولـــــيس هـــــو مقامَـــــا للأغـــــرار وأهـــــل الرّعونـــــة

لا بـــــدّ مـــــن بـــــذل المهجـــــة والقلـــــب شـــــكرًا للـــــروح

لمـــــــــن تمنـــــــــى مثـــــــــل هـــــــــذا المـــــــــأوى

(٣٩٥)

إن خـــــــارج الكفـــــــر والإســـــــلام فضـــــــاءً واســـــــعًا

ولنـــــــــا وســـــــــط ذلـــــــــك الفضـــــــــاء عشـــــــــقٌ

وعنـــدما وصـــل العـــارف إلـــى ذلـــك المكـــان بـــذل رأســـه

إذ لا مكـــــــــان ثمـــــــــة لكفـــــــــرٍ وإســـــــــلام

(٣٩٦)

إن كـــــان لا بـــــدّ مــــن خجــــلٍ مــــن ذلــــك وهــــذا
فــــلا بــــدّ مــــن دفــــن عيــــب الأشــــخاص تحــــت الأرض
وإن تظهــــر الحســــن والقبيــــح مثــــل المــــرآة
فــــلا بــــدّ لــــك مــــن وجــــهٍ حديــــديّ كــــالمرآة

(٣٩٧)

لـيس لملـكٍ القـدرة علـى امـتلاك الجـيش مـن دون الـذهب والقـدرة
ولا يمكــن حفــظ الطريــق مــن دون الإقــدام والجــرأة
ويســتطيع أن يحمــل الكــأس إلــى الأرض الكثيــرة الحجــر
مــن يســتطيع أن يحمــي الكــأس مــن الحجــر

(٣٩٨)

لا يمكــــن حفظنــــا بــــنفس الشــــيخ
ولا يمكــــن حفظنــــا فــــي منــــزل الآســــر
ومــــن لــــه طــــرةٌ كالسلســــلة
لا يمكــن إبقــاؤه فــي المنــزل بالسلســلة [القيــد]

(٣٩٩)

جــاء إلــيّ عنــدما ظــن أنّ فــي يــدي ذهبًــا
وعنــدما لــم يجــد ذهبًــا تخلــيّ عــن الوفــاء
وتظــــنّ حلقــــة أذنــــه أنــــه
حيــث يكــون الــذهب ينبغــي أن تصــغي الأذن

(٤٠٠)

ليس للسنبل قصد عتاب طرتك
وليس في عالم الحسن رونق طرتك
وبرغم أنه يدّعي الطراوة
تجعّد كثيرًا، وليس لديه رونق طرتك

(٤٠١)

إن لطفك أوجد العالم والقران [الإقبال]
وكتب خططه واستعداداته على الأشياء
وسكب قطرةً من ذلك الماء في هذا البحر
وزرع حبة من مخزنه في هذا الفضاء

(٤٠٢)

نحترب مع النّهار لأنّه مضى
كالسيل إلى النهر، وكالريح إلى الصّحراء
وفي هذه الليلة لا نجلس لأنّ القمر فيها خسف
وسنظلّ نضرب الطاسات والصّحون حتى الصباح

(٤٠٣)

يا من وجهك الجميل حسرة حسان العالم
ويا من حاجباك الجميلان قبلة الزهاد
تخليت عن صفات نفسي كلها
لكي أسبح عاريًا في نهرك الجميل

(٤٠٤)

يـــــا مــــــن كـــــل صــــــاحٍ قـــــرينٌ لأخبــــارك

ويـــــا مـــــن كـــــل نــــائمٍ، هــــو نــــائمٌ بلطفــــك

ويـــــا مــــن مِــــن دونـــك لا يظهــــر شــــيءٌ ولا يختفــــي

ومــــن خوفــــك لا أســــتطيع أن أقــــول أكثـــر مــــن هــــذا

(٤٠٥)

هكـــــــذا صــــــــرت قرينَــــــا لـــــــروح مؤقــــــت

ولا ينبغـــــــي التحـــــــدث بحـــــــديث المـــــــوت

الــــروح طالـــــبٌ للمنـــــزل، والمنــــزل هـــــو المــــوت

لكـــــــن حمـــــــارك نـــــــام وســـــــط الطريـــــــق

(٤٠٦)

دخـــــــل عشـــــــقك قلبـــــــي ومضـــــــى مســـــــرورًا

ثـــــم عـــــاد وألقــــى بضــــاعة العشـــق ومضـــــى

قلــــت: «اجلــــس بضـــــعة أيـــــام فــــي ضــــيافتي»

فجلـــــــــــس، ونســـــــــــى ذهابـــــــــــه الآن

(٤٠٧)

الملـــــك الــــذي يشـــــفع فـــــي الـــــذنوب كلهــــا ذهـــــب

وتلــك الليلـــة التـــي هـــي خيـــرٌ مـــن ألـــف شـــهر مضـــت

ولـــــــو عـــــــاد فإنـــــــه لـــــــن يجـــــــدني فقـــــــل:

«مـــــن كــــان مــــثلكم علــــى الطريــــق، ذهـــــب»

(٤٠٨)

ختمـــــــت دنّ الخمـــــــرة، وانتشـــــــرت الرائحـــــــة
انتشـرت تلـك الرائحـة فـي كـلّ طريـق وفـي كـلّ ناحيـة
وقـــــد جـــــرى دم القلـــــوب مــــن رائحتهــــا كـــالنهر
ومضــــى إلــــى الجهـــة نفســـها التـــي جـــاء منهـــا

(٤٠٩)

حســـــنك الــــذي اســـتبدّ ســـحره بالعـــالم كلـــه
فكيـــف يأخـــذ الألـــم وحســـد الحســـود هـــذا الحســـن؟
وصـــفرة وجهـــك لـــيس مـــن الحـــرارة والجفـــاف
بـــل ذهـــب دمـــه مـــن كثـــرة مـــا قتـــل مـــن العشـــاق

(٤١٠)

لـــــو اســــتبدّ الغـــــم بالآفـــــاق كلهـــــا
فلـــن يكـــون مغتمَـــا مـــن تمســـك بالعشـــق
انظـــر إلــــى ذرةٍ أصـــرّت علـــى العشـــق
فقـد صـارت تلـك الـذرة ممتلكـة للعـالمين [الـدّنيا والآخـرة]

(٤١١)

منــــذ أن مسّـــني حـــب حبيبـــي الـــوفي
كنـــت نحاسَـــا، فغيرنـــي كالكيميـــاء
صـــرت باحثـــا عنـــه بـــألف يـــدٍ
فمـــد يـــده وأمســـك بقـــدمي

(٤١٢)

ذهـــــب القلـــــب، وســـــدّ طريـــــق الحبيـــــب
ومـــن أجـــل العشـــق جعـــل طرتيـــه ســـجنًا
وقـــد ســـأل: مـــن أنـــت؟ وعنـــدما فتحـــت فمـــي
فـــرّ مـــن فمـــي، وســـلك طريـــق الصـــحراء

(٤١٣)

جـــاء العقـــل وبـــدأ بنصـــح العشـــاق
وجلـس فـي الطريـق، وجعـل قطـع الطريـق دينًـا لـه
وعنـــدما لـــم يجـــد فـــي رؤوســـهم موضـــعًا للنصـــح
قبـــل الأقـــدام، ومضـــى إلـــى شـــأنه

(٤١٤)

قلـــت: «مللـــت وألـــم بـــي الاضـــطراب
وصـار القلـب حزينًـا مـن هـذا الصـنيع ومـن هـذه الكـأس»
أخـــاف أن تـــذهب وتعـــود ممـــزق الثيـــاب [قـــائلا:]
ذلـــك الـــذئب الممـــزق وجـــدني وحيـــدًا

(٤١٥)

إن لـــم يأخـــذ أحـــدٌ الخمـــرة مـــن عينيـــك الثملتـــين
فلـــن يأخـــذ أحـــدٌ حلقـــة طرتـــك الشـــبيهة بالشـــص
يطعننـــي أعـــدائي لـــيلا ونهـــارًا [قـــائلين:]
هـــا قـــد هلكـــت ولـــم يســـاعدك الحبيـــب

(٤١٦)

مـــــا ضـــــاق قلبـــــك ؛ لأن قلبـــــك لـــــم يعشـــــق
إن مـــــن عشـــــق لا يغـــــتم مـــــن أجـــــل الطـــــين
وعلـــى الجملـــة فـــإنّ طينـــي لـــم يأخـــذ ســـوى صـــفة القلـــب
ولـــم يظفـــر عـــدم حصـــولي إلا بطريـــق الحصـــول

(٤١٧)

إذا بـــــدأ طـــــائر قلبـــــي بتـــــرك هـــــذه الحـــــب
فأنصـــــف، فإنّـــــه أخـــــذ الأمـــــر برجولـــــة
وعنـــــدما فقـــــد القلـــــب ســـــاعده الحبيـــــب
وعنـــدما تخلـــى عـــن الـــرّوح، تمســـك بقـــدم الحبيـــب

(٤١٨)

إن تتبـــــع شـــــهوتك وهـــــواك
أخبرتـــــك بأنـــــك ســـــتكون عـــــاجزًا
وإن تخليـــــت عـــــن هـــــذا، رأيـــــت عيانًـــــا
لـــــم جئـــــت، وإلـــــى أيـــــن ســـــتذهب

(٤١٩)

قلـــــت: «ســـــأطير مـــــن كفّـــــك كالحمامـــــة»
فقـــــال: «إن طـــــرت فـــــإنّ غمّـــــي ســـــيذلك»
قلـــت: «صـــــرت ضـــــعيفًا وذلـــــيلا بســـــبب إتلافـــــك»
فقـــال: «إنّ عـــزك وشـــرفك فـــي إتلافـــي إيـــاك»

(٤٢٠)

إن مـــن لديـــه غـــم وهـــو قـــادرٌ علـــى التصـــريح بـــه
يمكنـــه أن يزيـــل الغـــم مـــن قلبـــه بالتصـــريح بـــه
انظـــر إلـــى هـــذا الـــورد العجيـــب الـــذي تفـــتح لنـــا
لا يمكـــن أن يظهـــر لونـــه، ولا أن يخفـــي رائحتـــه

(٤٢١)

ســـــأتحدث إليـــــك بكـــــلامٍ مـــــن دون لســـــان
ســـــأقول قـــــولا خفيَـــــا عـــــن كـــــلّ الآذان
ولـــــن يســـــمع أحـــــدٌ حـــــديثي غيـــــر أذنـــــك
بـــــرغم أنّنـــــي ســـــأتحدّث بـــــين النـــــاس

(٤٢٢)

منصـــور الحـــلاج الـــذي كـــان يقـــول: أنـــا الحـــق
كـــان يكـــنس تـــراب كـــل طريـــقٍ بالأهـــداب
وقـــــد غـــــرق فـــــي قلـــــزم فنائـــــه
وعندئـــــذ أخـــــذ يـــــنظم در «أنـــــا الحـــــق»

(٤٢٣)

إذا جلســـــت مـــــع مـــــن لا يطمـــــئنّ قلبـــــك لـــــه
ولـــــم تفـــــرّ منـــــك طبيعتـــــك الماديـــــة [البشـــــرية]
فحـــــــــذار، اجتنـــــــــب صـــــــــحبته
وإلا، فـــــإنّ روح الأحبـــــة لا يحـــــل لـــــك

(٤٢٤)

مضـــيت إلـــى الصـــحراء بجنـــاح قلبـــك وقدمـــه
وقـــد ضـــاعت الصـــحراء وســـط قلبـــك الواســـع
ومـــا شـــأن الصـــحراء؟! والسّـــموات الســـبع العاليـــة
كـــــف مفتوحـــــة أمـــــام بحـــــر قلبـــــك

(٤٢٥)

أنـــا متعـــب القلـــب وســـقيمٌ وعـــاجز بســـبب غمـــك
وأبكـــى دمَـــا مـــن العـــين بســـبب غمـــك
وبـــرغم أن روحـــي وصـــل إلـــى شـــفتي مـــن غمـــك
أصـــير مغتمَـــا عنـــدما أتخلـــى عـــن غمـــك

(٤٢٦)

أجعلـــــــك دائـــــــرَا كالطـــــــاحون
أجعلـــك دائـــرَا بـــلا رأس، مثـــل الكـــرة
قلـــت: «أذهـــب، أصـــاحب شخصَـــا آخـــر»
ســـأتلفك ســـريعًا مـــع أي إنســـانٍ كنـــت

(٤٢٧)

أنـــا ثمـــلٌ مـــن خمـــار عبهـــرك الســـاحر
فلـــم تـــدفعني عنـــدما جئـــت إلـــى حمـــاك؟!
وأنـــا لا أرتـــوي مـــن جرعـــة ضـــئيلةٍ
فـــالخير أن تلقينـــي فـــي نهـــرك

(٤٢٨)

قلـــــت: «عينــــي التـــــي هـــــي تــــراب جنابـــــك

لا تجعلهـــا مملـــوءةً بالـــدمع مـــن دون وجهـــك الجميـــل»

فقـــــــــال: «ألا يكفـــــــــي أن قـــــــــدرك

هـــو منّـــي طـــول العمـــر فـــي ظـــل دولتـــي؟!»

(٤٢٩)

العـــــــين لفقـــــــدكم كثيـــــــر العبـــــــرات

والقلـــــــب لـــــــذكركم كثيـــــــر الحســـــــرات

هـــل يرجـــع مـــن زماننـــا مـــا قـــد فـــات

هيهـــات وهـــل فـــات زمـــان هيهـــات[1]

(٤٣٠)

لـــــيس فـــــي رأســـــي إلا الـــــرأي الصـــــالح

وفـــي الليـــل والنهـــار أنـــا باحـــثٌ عـــن الصّـــلاح فقـــط

وأنـــا فـــي هـــذا العـــام لســـت قـــادرًا علـــى الكـــلام

أمـــا الســـنة الآتيـــة فويـــلٌ لـــي وويـــل للصـــلاح

(٤٣١)

يـــا مـــن وجهـــك مـــن اللطـــف مـــرآةٌ للـــروح

أريـــد أن أصـــوّر أقـــدام خيالـــك فـــي الصـــباح

فـــــي عيـــــين، لكننـــــي أخشـــــى أن تجـــــرح

قـــــــدم خيالـــــــك بســـــــهام أهـــــــدابي

(١) هذه الرباعية بالعربية في الأصل [المترجم].

(٤٣٢)

يـــــا كـــــافر، يـــــا منكـــــر شـــــرب الـــــراح
لا تحســــــبها مــــــن عنــــــب الفــــــلاح
وجـــــــدي خمـــــــري، وخـــــــاطري أقـــــــداحي
والســـــــاقي، ويـــــــك، فـــــالق الإصـــــباح [1]

(٤٣٣)

العشــــــق حــــــذاكم جميــــــلٌ وصــــــبيح
يــــــدعو وينـــــادي بـــــه مقـــــالات فصـــــيح
مــــــا العشــــــق علــــــى طالــــــب عشــــــق بشــــــحيح
لا شــــــح إذا حــــــب ملــــــيحٍ لملــــــيح [2]

(٤٣٤)

أطـــال الله عمـــر ذلـــك الحبيـــب الشـــبيه بـــالقمر مئـــة عـــامٍ
وجعـــــل قلبـــــي كنانـــــة لســـــهام غمـــــه
وقـــد مـــات قلبـــي علـــى ثـــرى بابـــه مســـرورًا ســـعيدًا
يـــا رب، مـــن ذلـــك الـــذي دعـــا أن يكـــون ترابـــه طيبًـــا

(٤٣٥)

جعــــل الله فــــي القلــــب غيــــر الــــوفي غمًــــا ومأتمًــــا
وأزال مــــن الــــدنيا كــــل مــــن لا وفــــاء لــــه

(١) هذه الرباعية بالعربية في الأصل [المترجم].
(٢) هذه الرباعية بالعربية في الأصل [المترجم].

أرأيـــــــت أنــــــه لــــــم يــــــذكرني أحـــــــدٌ
ســــوى الغـــم؟ فـــألف ســـقيٍ ورعـــيٍ لـــذلك الغـــم

(٤٣٦)

جعـــل الله رأســك أخضـــر وشـــفتك ضـــاحكة علـــى الـــدوان
وجعـــــل أرواح العاشـــــقين وقلـــــوبهم مســــرورةً بـــــك
وكـــــــــل مـــــــن يـــــــــراك ولا يســـــــــر
أذلـــــه الله، ونكـــــد حظـــــه، وأبقـــــاه حـــــائرًا

(٤٣٧)

نشـــــــــر الله أنـــــــوار صـــــــــلاح الـــــــدّين
وســـــــكبها فـــــي أعـــــين العاشـــــقين وأرواحهـــــم
وكـــــل روح غـــــدا لطيفـــــا ثـــــم ســـــبق اللطـــــف
مزجـــــــه الله بتربـــــــة صـــــــلاح الـــــــدين

(٤٣٨)

قطـــــــع الأســـــــتاذ النـــــــاي مـــــــن القصـــــــباء
فجعـــــــل لـــــــه تســــــعة ثقــــــوب، وســــــماه ادم
أيهـــــا النـــــاي، جئـــــت مـــــن هـــــذه الشـــــفة بالصـــــياح
فتأمـــــل تلـــــك الشـــــفة التـــــي أعطـــــت شـــــفتك الأنفـــــاس

(٤٣٩)

منـــــــذ أن وقـــــــع حالنـــــــا فـــــــي غـــــــمّ عشـــــــقك
وقـــــع قلبـــــي المســـــكين فـــــي غـــــم كبيـــــر

وقـــد وقـــع أيضَـــا مـــراتٍ كثيـــرة فـــي غـــم العشـــق
ولكـن لـيس فـي حالـة الضـعف التـي وقـع فيهـا هـذه المـرة

(٤٤٠)

منـــذ أن وقـــع جـــوهر الـــرّوح فـــي هـــذه الطبـــائع
صـــارت الطبـــائع الأربعـــة الفاســـدة جيرانَـــا لـــه
يأخـــذ العنـــب الجيـــد لونَـــا مـــن العنـــب الـــردئ
فـــــلا جعـــــل الله لأحـــــدٍ جـــــارًا ســـــيئًا!

(٤٤١)

أصـــــابتنا الآلام كلهـــــا مـــــن الطمـــــع الخـــــام
وقــع لنــا ذلــك كلــه مــن شــهوة الــنفس وحــض الرغائــب
الطـــائر الـــذي مـــن أجـــل الحبـــة وقـــع فـــي الفـــخ
إنمـــا وقـــع فـــي قفـــصٍ ضـــيق وعلـــى حافـــة الســـطح

(٤٤٢)

قـــدي الممشـــوق كـــالألف، صـــار بســـبب العشـــق كـــالجيم
وفـــي الجهـــة التـــي أنـــت فيهـــا صـــار الحســـن هنـــاك
ذلـــك الحســـن البـــاقي منـــك أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب
ســـلب قلبـــي، وهـــو يتعقبنـــي مـــن أجـــل مـــا بقـــي منـــي

(٤٤٣)

عنـــدما وقـــع نظـــري علـــى ذلـــك العـــارض الفضّـــي
صـــــار روحـــــي فـــــي شـــــفتك مثـــــل حلقـــــة المـــــيم

غـــــاب قلبـــــي عـــــن أعـــــينٍ مثـــــل نمـــــرود

ووقـــــع فـــــي نـــــار عشـــــق إبـــــراهيم

(٤٤٤)

أدبـــــر نـــــومي مـــــن خيـــــال وجهـــــك

وأريـــــد منـــــك أن تنصـــــفني مـــــن خيالـــــك

وقـــــد ودّعنـــــي النـــــوم وتعلـــــق بأذيالـــــك

وقـــد مـــات نـــومي نفســـه عنـــدما ولـــد خيالـــك

(٤٤٥)

انهـــــض ونـــــم، لأن الحبيـــــب أذن بـــــذلك

وقـــد تجـــاوز الضـــيق الحـــد، فـــنحن أحـــرار

ومـــــا دمـــــت حيَـــــا، فـــــإن نـــــومي ميـــــتٌ

أَطـــــال الله عمـــــرك، مـــــا دام عليـــــه التـــــراب

(٤٤٦)

أريـــد أن يمضـــي يومـــك بـــالعش الهـــانئ والظفـــر بـــالمراد

يـــا فيـــل ابـــاد، وجعـــل الله الســـرور رفيقـــا لـــك

فمـــن الـــذي خلصـــك مـــن غصـــتك؟ إنـــه خـــالق الألـــم

ومـــن خلصـــك مـــن البعوضـــة يـــا فيـــل ابـــاد؟

(٤٤٧)

أيهـــا الســـيد قـــل لـــي: «أنـــت عبـــدٌ أم حـــرّ؟»

فمـــــن يشـــــتري عبـــــدًا للقـــــبح والفســـــاد؟

يـــا مـــن مـــددت يـــديك للاســـتجداء، مـــن أعطـــاك اليـــد؟

دع مـــــــــــــرادك، إن المـــــــــــــراد أعمـــــــــــــى

(٤٤٨)

أيهـــا الســـرو المتبختـــر، حمـــاك الله مـــن ريـــاح الخريـــف

ويـــا عـــين الـــدنيا، حمـــاك الله مـــن أعـــين الحاســـدين

يـــــا مـــــن أنـــــت الـــــروح للســـــماء والأرض

لا أعطـــــى الله روحـــــك إلا الراحـــــة والرحمـــــة

(٤٤٩)

العشـــــق هـــــو الـــــذي يمـــــنح النـــــاس الســـــرور

العشـــــق الـــــذي مـــــنح الإنصـــــاف الســـــرور

لـــــم تلـــــدنا أم، بـــــل الـــــذي ولـــــدنا هـــــو العشـــــق

أغـــــدق الله مئـــــة رحمـــــةٍ ونعـــــيمٍ علـــــى تلـــــك الأم

(٤٥٠)

مضـــى الوقـــت الـــذي كنـــت فيـــه مســـرورًا مـــن عشـــقك

وبســـبب عشـــقك، لا تـــأتيني ذكـــرى مـــن عشـــقك

وقـــد صـــارت الأســـباب والعلـــل عنـــدي كـــالريح

فكيـــف يبنـــى علـــى البحـــر أســـاسٌ مـــن الطـــين؟!

(٤٥١)

يـــا مـــن مِـــن قـــدمك صـــار تـــراب الأرض ســـعيدًا ومســـرورًا

صـــار حـــاملا مـــن الســـرور، وولـــد مئـــة بـــرعم

وبســـبب ذلـــك وقـــع ضـــجيج الفـــرح فـــي الأنجـــم والفلـــك
وفـــي هـــذا الضـــجيج وقعـــت عـــين القمـــر علـــى الـــنجم

(٤٥٢)

ذلـــــك الــــــذي ألقـــــاني فـــــي جحـــــيم الــــــدّنيا
ألقـــى مئـــة نـــوعٍ مـــن الشّـــرر علـــى لســـاني
وعنـــدما أحاطـــت شـــعلة النـــار بجهـــاتي الســـتّ
تأوهـــــت، فوضــــــع يــــــده علــــــى فمــــــي

(٤٥٣)

فـــــي جهـــــةٍ، وضـــــع مشـــــكاة أمـــــر الرســـــالة
وفـــي جهـــةٍ أخـــرى، وضـــع ألـــف نـــوع مـــن الفخـــاخ
وكـــــل حســـــنٍ وقبـــــيحٍ جـــــرى أولا واخـــــرًا
هـــو الـــذي يصـــنعه، لكنـــه يتـــذرّع أمـــام عامّـــة النـــاس

(٤٥٤)

أنـــت معطـــي الأجـــر لـــلأرواح، وســـلطان الأبـــد
بـــرغم أنـــك ملقـــبٌ ببهـــاء الـــدين وبهـــاء ولـــد،
لا تـــــأذن بـــــأن تكســـــر كـــــأس الوفـــــاء
فعنـــدما تكســـر الزجاجـــة، تجـــرح أقـــدام الســـكارى

(٤٥٥)

فـــــي عشـــــقك، ينـــــام العقـــــل ذو الفنـــــون
وينــــــام المشــــــتاق فــــــي النــــــار

فمـــــا العجـــــب أن أنـــــام مـــــن دون عـــــينٍ وقلـــــب؟!
وقـــــد صـــــارت عينـــــاي دمَـــــا، أينـــــام الـــــدم؟

(٤٥٦)

الـــــرأس الـــــذي لا علـــــم لـــــه بـــــه ينـــــام
ومـــــن لديـــــه علـــــمٌ بـــــه، متـــــى ينـــــام؟!
يقـــــول العشـــــق كـــــل ليلـــــةٍ فـــــي عينـــــي:
«ويـــــلٌ لمـــــن ينـــــام مـــــن دونـــــه»

(٤٥٧)

إن تعلـــــق أمـــــري بالقلـــــب والعـــــين
فـــإن الحبيـــب قـــد وقـــع قريبَـــا منـــي وقـــت الوصـــال
أجريـــــت دم القلـــــب ومـــــاء العـــــين
لكـــي يقـــع ذلـــك القلـــب وتلـــك العـــين إلـــى جـــانبي

(٤٥٨)

عنـــــدما يقـــــع ســـــوء الســـــمعة طـــــول الحيـــــاة
لا يكـــــون رجـــــلا مـــــن لديـــــه ســـــمعة طيبـــــة
وإذا أنـــــت أردت الـــــدر فاطلبـــــه فـــــي قعـــــر البحـــــر
فـــإن مـــا هـــو علـــى الســـاحل زبـــدٌ صـــرف

(٤٥٩)

عنـــــدنا يقـــــع البـــــدن فـــــي خـــــدمتك أيهـــــا الـــــروح
فإنمـــــا يقـــــع بســـــبب ســـــجدته القويـــــة

وكلمـــــــــا وقعــــــــــت تحــــــــــت قـــــــــدمك
يقــــع الـــــروح فـــــي البــــاطن علـــــى قـــــدمي

(٤٦٠)

ظرفــــــــــه أن يتســــــــع الــــــــــرداء للحبيــــــــــب
وأن يـــدخل روح ألفـــين مـــن الأجســـاد فـــي هـــذا الجســـد
فـــــي حبّـــــة قـــــم واحـــــدة يختـــــزن ألـــــف بيـــــدر
وثقـــــب إبـــــرةٍ واحـــــدة يتّســـــع لمئـــــة عـــــالم

(٤٦١)

أنـــــــا ســـــــعيدٌ ؛ لأن قلبـــــــي يتســـــــع لغمـــــــك
لأن غمـــــــك يوضـــــــع فـــــــي مكـــــــان نيـــــــر
وذلـــك الغـــم الـــذي لا تتســـع لـــه الأفـــلاك والأرض
يتســــــع لــــــه قلــــــبٌ كســــــم الخيــــــاط!

(٤٦٢)

حيثمـــــــا يتجـــــــوّل قلبنـــــــا بكـــــــل كـــــــلام
أعـــــــرف أنـــــــه سيفتضـــــــح ســـــــريعًا
يتـــــــذكر كثيـــــــرًا جمالـــــــك الفتـــــــان
ففـــي كـــل نفـــسٍ مـــن أنفاســـه تظهـــر صـــورتك

(٤٦٣)

عنـــــــدما ينصـــــــرف نظـــــــرك عنّـــــــي
يصـــــير قتلـــــي فـــــي يـــــدك ميســـــورا

ولـــــو صـــــارت عينـــــك رطبـــــة فــــي مـــــأتمي
لكنـــــت فـــــي غصـــــة مـــــن يطلـــــب لـــــك العـــــذر

(٤٦٤)

إن مـــــــــن يقنـــــــــع بـــــــــالوجود والعـــــــــدم
يغـــــدو الوجـــــود والعـــــدم مـــــانعين لـــــه
فمتـــــى يكـــــون موقوفـــــا عنـــــد الصـــــفات والأفعـــــال
مـــــن يتخلـــــى عـــــن الصّـــــنع، ويغـــــدو صـــــانعًا؟!

(٤٦٥)

متـــى يـــدور الغـــم حـــول العاشـــقين ممـــن فقـــدوا قلـــوبهم؟!
فالعاشـــــق يـــــدور دائمَـــــا حـــــول الطـــــرة المرســـــلة
إنّ روح العاشـــــق لديـــــه ربـــــابٌ فـــــي قلبـــــه
بـــــرغم أنـــــه يعـــــزف ألحانًـــــا معقـــــدة

(٤٦٦)

صـــــارت المعشـــــوقة وضّـــــاءةً كالشـــــمس
وصـــــار العاشـــــق دائـــــرًا كالـــــذرة
عنـــــدما صـــــارت نســـــائم الربيـــــع محركـــــة للعشـــــق
رقـــــص كـــــل غصـــــنٍ طـــــريّ لـــــدن

(٤٦٧)

مـــــا الغـــــم لكـــــي يـــــدور حـــــول قلـــــوب الرجـــــال؟
الغـــــم يـــــدور حـــــول الجامـــــدين والبـــــردين

فـــــــي قلــــــوب رجـــــــال الحـــــــق بحــــــرٌ
تـــــــدور مـــــــن موجـــــــه القبـــــــة الــــــدائرة

(٤٦٨)

هـــــــذا العشـــــــق يميـــــــل إلـــــــى الشـــــــجعان
والغـــــزال يــــــدور مــــــن أجــــــل الأســــــود
وبيــــــت العشـــــق هــــــذا معمـــــورٌ منـــــذ الأزل
وتظـــــــنّ أنـــــــه يخــــــرب مـــــــن دونـــــــك

(٤٦٩)

يـــــا مـــــن بـــــك يغـــــدو مشـــــكلي ســـــهلا
ويغـــــدو الســـــر والـــــورد والبســـــتان ثملـــــة بإحســـــانك
الـــورد مســـرورٌ، والشـــوك ســـيّئ الحـــال ومصـــابٌ بالصـــداع
فهـــات الكـــأس، إن حـــال الجميـــع صـــار واحـــدا

(٤٧٠)

متـــــى يكـــــون للغـــــم ســـــلطانٌ علـــــى العبيـــــد؟!
فهنـــــاك صـــــارت الحظـــــوظ كلهـــــا ضـــــاحكة
وهنـــــاك شـــــيءٌ آخـــــر خيـــــرٌ مـــــن الســـــرور
يـــدور فـــي رؤوس الســـكارى الـــذين نـــال مـــنهم الخمـــار

(٤٧١)

عنـــــــدما تتبختـــــــر الحســـــــناء المســـــــتورة
يتعـــــــرّى كـــــــل مســـــــتورٍ مـــــــن لباســـــــه

فمـــا أكثـــر بضـــاعة البخيـــل التـــي تصـــبح رهينـــة
عنـــدما يغـــدو الحجـــر مثـــل المـــنجم، نـــاثرًا للـــدر

(٤٧٢)

كـــل مســـاءٍ، إذ يغـــدو قلـــب الفلـــك روضـــة وردٍ
يغـــدو العـــالم كلـــه ســـاكنًا، مثـــل قلبـــي
أتـــأوه مئـــة آهـــةٍ فـــي مـــرآة القلـــب
فتغـــدو مـــرآة القلـــب لألاءة مـــن الآهـــات

(٤٧٣)

يجـــري الـــدم فـــي قلـــوب العاشـــقين مثـــل نهـــر جيحـــون
ويغـــدو العاشـــق كالزبـــد فـــوق ذلـــك ادم
إن جســـمك مثـــل الطـــاحون، ومـــاءه العشـــق
وعنـــدما لا يكـــون مـــاءٌ، كيـــف تـــدور الطـــاحون؟

(٤٧٤)

فـــي هـــذه اللحظـــة يـــدور شـــيءٌ فـــي رؤوســـنا
وقـــد صـــار القلـــب طـــائرًا، يـــدور فـــي الجـــو
وكـــلّ قطعـــةٍ مـــن وجـــود تـــدور منفصـــلة عـــن الأخـــر
فلعـــلّ ذلـــك الحبيـــب يـــدور حـــول الوفـــاء؟

(٤٧٥)

هـــذا الســـر الـــذي يـــدور فـــي صـــدرنا
مـــن دورانـــه يغـــدو الفلـــك معوجَـــا

لا يعـــرف الـــرأس مـــن القـــدم، ولا القـــدم مـــن الـــرأس
وبوجـــود الـــرأس والقـــدم يـــدور بـــلا رأسٍ ولا قـــدم

(٤٧٦)

كــــــم يغـــــدو لطيفَـــــا ورائعَـــــا هـــــذا الليـــــل
لـــــه لطـــــفٌ لا يدركـــــه أحـــــدٌ البتـــــة
وفـــــي الـــــورد والســـــنبل الـــــذي ترعـــــاه الأرواح
يغـــــدو النـــــوم مندهشَـــــا وينظـــــر إلـــــى الأمـــــام

(٤٧٧)

فـــــي رمضـــــان ينقلـــــب ترابـــــك ذهبَـــــا
كـــالحجر الـــذي يغـــدو كحـــلًا، ثـــم يصـــير بصـــرًا
تلـــك اللقمـــة التـــي أكلتهـــا تغـــدو قـــذارةً
وذلـــك الصـــبر الـــذي صـــبرته يغـــدو بصـــيرةً

(٤٧٨)

هـــــذا الثمـــــل يـــــدور بخمـــــرةٍ أخـــــرى
وقـــد فرغـــت الكـــأس، والثمـــل يـــدور علـــى رأســـه
فيـــا أيهـــا المحتســـب، لا تضـــرب ثملنـــا بـــدرتك
فإنـــــك كلمـــــا ضـــــربته ازداد ســـــكرًا

(٤٧٩)

أنظـــــر إلـــــى الحبيـــــب، فيخجـــــل
وإذا لـــن أنظـــر إليـــه، فإنـــه يغـــدو آفـــة للقلـــب

وفـــــــي مـــــــاء وجهــــــه كانـــــــت النجـــــــوم لألاءةً
ومـــــن دون مائــــــه، يغـــــدو مــــائي كلــــه طينَـــــا

(٤٨٠)

إنّ راحــــــــة الـــــــرّوح تـــــــدور حـــــــول القلــــــــب
تـــــــدور حـــــــول قلبــــــي وروحــــــي الخجلــــــين
أتطـــــاول ضـــــاحكًا كالشـــــجر مــــــن هــــــذا الطــــين
لأن مـــــــاء الحيـــــــاة يــــــدور حـــــــول طينــــــي

(٤٨١)

كـــــــل لقمـــــــةٍ لذيـــــــذةٍ تـــــــدور فـــــــي الفـــــــم
تنهضـــــــم وتصـــــــير خلاصـــــــتها كلهـــــــا روحَـــــــا
تـــــــدور الشـــــــمس والقمـــــــر والفلـــــــك
لكـــــي يغـــــدو كـــــل خفـــــيّ ظـــــاهرًا معاينَـــــا

(٤٨٢)

بــــــرغم أنّ الكـــــلام يـــــدور فـــــي الفـــــم
تـــــدور صـــــورةٌ عجيبـــــة حلـــــو الكـــــلام
لا تنظـــــر متعجبًـــــا لأنـــــه يـــــدور حولـــــه
بـــــل انظـــــر إلـــــى ذلـــــك الـــــذي يـــــدور حـــــولي

(٤٨٣)

كـــــل قلـــــبٍ يغـــــدو خربًـــــا مـــــن تـــــأثير شـــــفته
أنـــى لـــه أن يتنـــزّه فـــي البســـتان والرّبيـــع وشـــاطئ النهـــر؟!

ففـــــــي فــــــرع الشــــــجرة تتلفـــــف الـــــريح
لكــــــي تتواصــــــل ســــــجدات الفــــــروع

(٤٨٤)

الحبيــــــــب الــــــــذي قيـــــــدني بغمــــــــي
أنـــا مغــتم ؛ لأنـــه لا يرضـــى بـــأن أكـــون مســـرور القلـــب
وعنــــدما يرانـــــي وأنـــــا بـــــاكٍ علـــــى هـــــذا النحـــــو
يضـــــحك ضـــــحكًا حلـــــوًا كالســــكر فــــي الخفــــاء

(٤٨٥)

القمـــــر الـــــذي يعقـــــد النطـــــاق حـــــول القمـــــر
أنـــا مغــتم لأنّـــه لا يرضـــى بـــأن أكـــون مســـرور القلـــب
وعنــــدما يرانـــــي وأنـــــا بـــــاكٍ علـــــى هـــــذا النحـــــو
يضـــــحك ضـــــحكًا حلـــــوًا كالســــكر فــــي الخفــــاء

(٤٨٦)

كــــــــل مـــــــن يعقــــــــد عقـــــــدةً محلولـــــــة
يضـــــــحك علـــــــى نفســـــــه وعلـــــــى الـــــــدنيا
يقولـــون كلامًـــا عـــن الوصـــل والهجـــران، وفـــي النهايـــة
فـــــإن الشـــــيء الـــــذي لا ينفصـــــل كيـــــف يتصـــــل

(٤٨٧)

حلـــــــو الكـــــــلام يضـــــــحك فـــــــي قلبنـــــــا
ويعيــــــــــب خســــــــــرو وشــــــــــيرين

يشـــــتدّ علــــــيّ حينَـــــا، ويرفـــــق بــــــي حينَـــــا آخــــــر
يرفـــــق بــــــي حينَـــــا، ويشـــــتدّ علــــــيّ حينَـــــا آخــــــر

(٤٨٨)

أتـــــــى الحبيـــــــب وهـــــــو يضـــــــحك كالسّـــــــكَر
وبســـبب منزلتـــه العاليـــة، يســـخر مـــن الشـــمس والقمـــر
وذلـــك النظيـــر الوحيـــد الـــذي هـــو محرمـــه فـــي الـــدنيا
يســـــخر منـــــه الحبيـــــب أيضَـــــا فـــــي الخفـــــاء

(٤٨٩)

إن حـــــــرق قلـــــــوب العاشـــــــقين لهـــــــا شـــــــررٌ
وإنّ آلام قلـــــــوب الـــــــوالهين لهـــــــا آثـــــــار
ألـــــم تســـــمع بـــــأن اهـــــات قلـــــوب المتحـــــرّقين
لهــــــا طـــــــرقٌ إلـــــــى جنـــــــاب رحمتـــــــه؟!

(٤٩٠)

إن تجـــــــــر، فأيّـــــــــة قيمـــــــــةٍ للعهـــــــــد؟!
وإن تقـــــدم الســـــم، فأيـــــة قيمـــــةٍ للشـــــهد؟!
وإن كـــــان الســـــعي شـــــيئًا طيبًـــــا عنـــــد الخلـــــق
فأيـــــة قيمـــــةٍ للســـــعي عنـــــدي أنـــــا؟!

(٤٩١)

العـــادات الحميـــدة والخلـــق الحســـن الـــذي يتحلـــى بـــه محمـــد
لا تتركنـــــا بـــــلا طـــــربٍ فـــــي الليـــــل البهـــــيم

وهـــو يعـــزف علـــى ذلـــك الرّبـــاب حتـــى السّـــحر
وعنــــــدما يهجـــــم النّــــــوم يمســــــك بخناقـــــــه

(٤٩٢)

جـــــــاء النهــــــار وهـــــو يحتضـــــن ضـــــجيجك
جـــــــاء الليـــــــل وفـــــي رأســــــه عشـــــقك
ولـــيس هـــذا بعمـــل الليـــل والنهـــار، بـــل هـــو عملـــي
وأنـــــى لحمـــــارين أعـــــرجين أن يحمـــــلا حملـــــي؟!

(٤٩٣)

هـــــذا اليـــــوم رائـــــعٌ لمـــــن هـــــو ســـــعيد
ولـــــه روحٌ شـــــاربٌ للقـــــد مـــــن كـــــأس الأزل
قلبــــــه غـــــارقٌ فـــــي مـــــاء الحيـــــاة
لكـــــي يغـــــتم مـــــن فـــــي قلـــــوبهم النـــــار

(٤٩٤)

إن لعينـــــــك ألـــــــف ســـــــحرٍ مطلـــــــق
لهـــــا مئـــــة روحٍ وألـــــف روح معلـــــق
طرتـــــك كفـــــرٌ، ووجهـــــك القمـــــري إيمـــــان
فـــــانظر فـــــي الكفـــــر أي رونـــــقٍ للـــــدّين!

(٤٩٥)

أنـــــا عبـــــدٌ لـــــذلك الـــــرّوح الـــــذي يحفظنـــــي كـــــالروح
ويجعلنـــــي أخضـــــر الـــــرأس كالحديقـــــة والبســـــتان

فـــــي لحظـــــةٍ يجعلنـــــي علامـــــة للعـــــالم
وفـــي لحظـــةٍ أخـــرى يجعلنـــي مـــن دون علامـــةٍ، مثلـــه

(٤٩٦)

أنـــــــا مـــــــريضٌ، والغـــــــم يمتحننـــــــي
أمـــا غمـــه فيجعلنـــي أكثـــر طـــراوةً وشـــبابًا
فتأمـــل هـــذه الطرفـــة: كـــل مـــا أكلـــه
فـــي المـــرض، غيـــر غمـــه، يـــؤذيني

(٤٩٧)

هـــذا اليـــوم رائـــعٌ وكـــل مـــن لديـــه روحٌ
يجعـــل وجهـــه تحـــت أخمـــص قـــدم أميـــر الحســـان
ولأنّ البلبـــل الثمـــل فيـــه أثـــر الهجـــران
فـــإن لـــه ســـكنًا فـــي روضـــة الـــورد لـــيلًا ونهـــارا

(٤٩٨)

كـــل شـــعرةٍ مـــن طرتـــه لـــديها روحٌ واحـــد
وهـــو يشـــعثنا [يفرقنـــا] مثـــل الطـــرة
أتعـــرف لمـــاذا لـــديّ غـــمّ كثيـــر؟
لأن لديـــــه دلالا كثيـــــرا

(٤٩٩)

الجـــوزة التـــي فـــي داخلهـــا لـــب حلـــوٌ
والـــدرج الـــذي فيـــه در رائـــع

لا تطلـــــــــــب تكســـــــــــير هما حســـــــــــدًا

فــــــإن تكســـــرهما، فــــــإنّ فيهمـــــا الآلاف مثلهمـــــا

(٥٠٠)

إن لعشـــــــقك ثمـــــــلاً فـــــــي كـــــــلّ صــــــــومعةٍ

وســــــــوق الحســـــــان كاســـــــــدةٌ بســـــــــببك

وقـــــد وصـــــلت يـــــد غمـــــك إلـــــى العـــــالمين كليهمـــــا

والحـــــــق أنّ غمّــــــــك طويـــــــــل اليــــــــد

(٥٠١)

إن لروحــــــــــي حقـــــــا مــــــــن هـــــــــواك

ولــــــــــه مـــــــــرادٌ خـــــــــارج المـــــــــرادات

أتلـــــــف نفســــــــي بخمـــــــرة العشـــــــق هــــــذه

لأن لهـــــذه الخمـــــرة غـــــرورًا بســـــبب عشـــــقك

(٥٠٢)

للقلـــــب مـــــيلادٌ وحيـــــاةٌ بســـــبب عشـــــقك والهـــــوس بـــــك

ولــــــــــه حــــــــــوارٌ مــــــــــع ظلـــــــــــك

وأظـــــــــل أحوقــــــــل، ولكــــــــن لا تحســـــــــب

أن الحوقلـــــــــة ذات فائـــــــــدة فـــــــــي العشـــــــــق

(٥٠٣)

مــــــن لـــــــه معشـــــــوقٌ مـــــــن مـــــــاء وطـــــــين

ســـــيكون لـــــه ارتيـــــاحٌ بوصـــــاله فـــــي يـــــومٍ مـــــن الأيـــــام

عجيبٌ ذلك الذي انصرف عن عشق من هم من ماء وطين
فكان له سلطان عجيبٌ مثلك

(٥٠٤)
روحي الشبيه بالسمندل له معشوقٌ
وأيّة راحةٍ له في ناره
فأدر أيها السّاقي خمرة شفاه
فإن لرأسي منه خمارًا عجيبًا

(٥٠٥)
إنّ لوجهي جمالا من وجهك
ولعيني من خدّك خيالًا رائعًا
ولكبدي منك ماء زلالا
واليوم لسماعنا كمالٌ

(٥٠٦)
من له من الفلك نصف رغيف
وله للإقامة بيتٌ
لا يكون طالبًا لأحدٍ ولا مطلوبًا لأحد
فقل له: «عش مسرورًا»، فإنّ له حياةً طيبة

(٥٠٧)
تلك الوسوسة التي تذهب بالخجل
وذلك الباعث الذي يمزّق القيود

عنـــدما يغـــدوان عـــاريين مـــن ســـنن الكـــون مثـــل الثـــوم
لا يشــــتريان الـــدنيا ببصـــــلةٍ فـــي مجــــال العشــــق

(٥٠٨)
يـــــــذهب المـــــــاء ببيتـــــــي وغزلـــــــي وشـــــــعري
ويـــــــذهب الســـــــيل ببضـــــــاعةٍ لا نمتلكهـــــــا
أعطـــاني ضـــياء القمـــر الحســـن والقـــبح والزهـــد والـــورع
ثـــــــم يـــــــذهب بهـــــــا جميعَـــــــا

(٥٠٩)
إن يـــأت النـــوم يـــذهب بقلبـــه المتحـــرّق كالكبـــاب
مثـــل ظلمـــة الليـــل التـــي تـــذهب الشـــمس بهـــا
يـــــــأتي البكـــــــاء ولا يـــــــأتي النـــــــوم
يخشـــى أنّـــه إذا جـــاء ذهـــب بـــه المـــاء

(٥١٠)
ســـعيدٌ ذلـــك الـــذي يـــذهب بـــه جمـــال ضـــياء القمـــر
ذلـــك الـــذي يـــذهب بـــه ســـاقي الكـــرم ثمـــلا وخربَـــا
يـــــــأتي البكـــــــاء ولا يـــــــأتي النـــــــوم
يخشـــى أنّـــه إذا جـــاء ذهـــب بـــه المـــاء

(٥١١)
عشـــــقك يـــــذهب الســـــلامة مـــــن العـــــالم
وصـــــار هجـــــرك أجـــــلا يقـــــبض الأرواح

ذلـــــك القلـــــب الـــــذي لا يبــــاع بمئــــة ألـــــف روحٍ
تأخـــــــذه مجانَـــــــا ضـــــحكة واحـــــــدة منـــــــك

(٥١٢)

علينـــــــا أن نجعـــــــل الــــــرّوح نـــــــديمًا لجنابـــــــه
وأن نجعـــــل القلــــــب مليئَـــــا بـــــالغمّ والآهـــــات
ولـــــــن تجـــــــد طريقـــــا إلينـــــا مـــــن نفســـــك
لا بـــــــدّ أن يكــــون الطريـــــق إلينـــــا منـــــــا

(٥١٣)

لا يمكـــن لأحـــدٍ أن ينتـــزع الكـــرة مـــن عقفـــة صـــولجانك
ولـــن يظفـــر أحـــدٌ بوصــــالك بالبحـــث والتقنيـــــب
وإن يجعـــــل يوســـــف عينــــه مثـــــل عــــين يعقـــوب
فلــــن يظفـــر مــــن قمــــيص حســــنك برائحــــة

(٥١٤)

جـــــاء العيـــــد وهــــو ينتظـــــر منــــك العيديـــــة
وأن يحمــــل حبـــــة مــــن بيــــدر هــــلال عيـــدك
فــــــي مقـــــــدوره أن يتوجّــــــه إلـــــى القمـــــر
ولـــيس فـــي مقـــدوره أن يـــذهب بـــالهلال إلـــى البيـــت

(٥١٥)

مـــا أجمـــل المكـــان الـــذي يأخـــذني إليـــه الحبيـــب الفتّـــان
ياخــــذني إلــــى خـــــارج عـــــالم جســــمي وروحــــي

قلـــــــت: «لا أذهــــــب»، واصــــــطنعت المعــــــاذير
قـــــــال: «تـــــــذهب» ويأخـــــــذني ســـــــحبًا

(٥١٦)

يطيــــر الطــــائر الملكـــــي إلـــــى مــــا وراء الفلـــــك
يطيــــر إلـــــى الجهـــــة التـــــي لا جهـــــة لهـــــا
الطـــائر الـــذي انبعـــث مـــن بيضـــة الســـيمرغ [العنقـــاء]
قـــل: إلـــى أيـــن يطيـــر، إلا إلـــى ناحيـــة الســـيمرغ؟!

(٥١٧)

عنـــــدما يمتلـــــئ قلبـــــك بغـــــمّ المعشـــــوق
عليـــــك أن تقـــــدّم ألـــــف روحٍ شـــــكرًا
لأنـــه فـــي طريـــق العشـــق، أيهـــا الرجـــل الصـــافي
لا يمكـــن أن يظفـــر بعقوبـــة الحبيـــب، مـــن دون شـــكر

(٥١٨)

إننـــــي صـــــافٍ ومكـــــدرٌ ومعكـــــر
إننـــــي شـــــيخٌ وطفـــــلٌ صـــــغيرٌ
وإذا مـــــا مـــــت فـــــلا تقولـــــوا: «ميـــــت»
بـــل قـــل: «كنـــت ميتـــا، صـــرت حيـــا، أمـــاتني الحبيـــب»

(٥١٩)

إننـــي كـــافرٌ ومـــؤمنٌ، وإنّنـــي صـــافٍ وعكـــرٌ
إنّنـــــي شـــــيخٌ وشـــــابٌ وطفـــــل صـــــغير

وإذا مـــــا مـــــت فـــــلا تقولـــــواك «ميـــــت»
بـــل قـــل: «كنـــت ميتَـــا، صـــرت حيَـــا، فأماتـــه الحبيـــب»

(٥٢٠)

عنـــــدما يمـــــرّ بنـــــا ينظـــــر إلــــى التـــــراب
لكـــــي يحســـــد وجهنـــــا علــــى التـــــراب
ولا شـــــيء خيـــــرٌ لنـــــا ن أن نصـــــير ترابَـــــا أمامـــــه
لعلـــــه يمـــــر بنـــــا علــــى هـــــذا الطريـــــق

(٥٢١)

أطـــــل الصـــــبح والصـــــبا النـــــاثرة للمســـــك تمـــــرً
فـــــاظفر بهـــــا، فإنهـــــا تمـــــرّ مـــــن ناحيـــــة كـــــذا
انهـــــض، لمـــــاذا تنـــــام؟! إن الـــــدنيا تمضـــــي
وخـــــذ الرائحـــــة، فـــــإنّ القافلـــــة تمـــــر

(٥٢٢)

الســـــفينة التـــــي تمضـــــي منطلقـــــة فـــــي البحـــــر
تخـــــال أن القصـــــباء هـــــي التـــــي تمضـــــي
ونحـــــن نمضـــــي مـــــن هـــــذه الـــــدّنيا فـــــي رحلـــــةٍ
ظـــــانين أن هـــــذه الـــــدنيا هـــــي التـــــي تمضـــــي

(٥٢٣)

ســـــــيبتلى القلـــــــب بغـــــــمّ العشـــــــق
وســـــأجعل الـــــرّوح ترسَـــــا لســـــهام الـــــبلاء

العمــــــر الـــــــذي لــــــم أمضـــــــه فـــــــي عشـــــــقك

سأقضــــــــــيه اليـــــــــوم بـــــــــدم القلـــــــــب

(٥٢٤)

فـــــي هـــــذه الليلـــــة أدار الســـــاقي الخمـــــرة المســـــكية

فنهـــــب القلـــــب، وبـــــادر إلـــــى نهـــــب الإيمـــــان

صـب كثيـرًا مـن الخمـرة الياقوتيـة حتـى جـري طوفـانٌ مـن ذلـك

وخــــــرب دفعـــــــة واحـــــــدة خيمـــــــة العقـــــــل

(٥٢٥)

المطــــــرب الــــــذي غنــــــى الأناشــــــيد أو نــــــاح

إنمــــا نقــــل ذلــــك مــــؤملا الصــــلة والإحســــان

إذا أخفــت صــورة الإحســان وجههــا عنــك [فــلا تســتغرب]

لأنـــه در، لا يمكـــن الظفـــر بـــه مجانًـــا مثـــل الحجـــر

(٥٢٦)

قلـــــت: «أنـــــت روحٌ، ولا يمكـــــن تـــــرك الـــــروح»

قـــال: «لا يمكـــن الإشـــارة إلـــى الـــروح مثـــل الجســـد»

قلـــــت: «أنـــــت بحـــــر الكـــــرم» قـــــال: «أصـــــمت،

إننـــي درّ، ولا يمكـــن أن أعطـــى مجانًـــا كـــالحجر»

(٥٢٧)

جعلتنــــــــي ضــــــــحكتك الســــــــكرية أبكــــــــي دمًــــــــا

وجعلنــــــي قيــــــدك فــــــي الــــــدنيا مــــــن عتقائــــــك

تقـــــــــول: أيــــــــــن عهـــــــــدك ويمينـــــــــــك؟
ألـــم يجعلنـــي عهـــدك ويمينـــك ســـيئ ســـيّئ العهـــد؟!

(٥٢٨)

جعلنــــــــي حــــــــديثك صــــــــامتًا عـــــــن الكـــــــلام
وجعلتنـــــــي حــــــلاوة عملـــــــك بـــــــلا عمـــــــل
وقـــــد فــــررت مـــــن فخـــــك فـــــي منـــــزل القلـــــب
وقـــد صـــار القلـــب فخّـــا، وجعلنـــي أســـيرًا لـــك

(٥٢٩)

البارحـــــة شـــــكر البســـــتان شـــــهردي[1] علـــــى الســـــلامة
إذ جعــــــــل علامـــــــــاتٍ علـــــــــى البـــــــــراعم
وســــــــرو المــــــــرج كــــــان يــــــدّعي الرّشـــــــاقة
والـــــورد قامـــــت عليـــــه القيامـــــة وهـــــو ضـــــاحكٌ

(٥٣٠)

حاشـــــى أن ينظـــــر قلـــــب العشـــــق إلـــــى الـــــدنيا
ومـــا الـــدنيا أساســـاً إلا العشـــق الـــذي ينظـــر القلـــب إليـــه
أبـــــــــراً مـــــــــن عينـــــــــي يـــــــــوم الأجـــــــــل
إن أن لهـــــا العشـــــق بـــــأن تـــــرى الـــــروح

(١) هو الشهر التاسع من السنة ، ويبدأ من ٢١ / كانون الأول ، وأراد الشيخ الشاعر هنا مطلق فصل البرد [المترجم].

(٥٣١)

ذلك القلب الذي ينظر إلى الحسناء المتوارية
أنّى له أن ينظر إلى ملك الدنيا
أبراً من عيني يوم الأجل
إذا تركت الوجه ونظرت إلى الرّوح

(٥٣٢)

ذلك الشيء الذي ينظر خارجًا وداخلا
ينظر إلى أهل الجنون بمئة حيلة
انظر بالعين كيف تنظر العين
ومن ذلك الذي ينظر من العين إلى الخارج

(٥٣٣)

من قال: «إنّ ذلك الحيّ الخالد مات؟»
من قال: «إن شمس الأمل ماتت؟»
ذلك عدو للشمس صعد إلى السطح
فأغمض عينيه وقال: «ماتت الشمس» [1]

(٥٣٤)

من قال: «إنّ الروح المثير للعشق مات؟»
من قال إنّ جبريل الأمين قضى بسكين حادة؟
ذلك الذي مات عنادًا مثل إبليس
يظنّ أنّ شمس تبريز مات

(١) يشير الشاعر في هذه الرّباعيّة إلى وفاة شيخه الكبير شمس الدّين التبريزيّ [المترجم].

(٥٣٥)

لا تنظـــــــر إلــــــى رجـــــــلٍ ذي فنــــــونٍ وحيــــــل

بــــل انظــــر إلـــــى رجـــــلٍ ذي عهــــدٍ ووفــــاء

ولـــــو وفـــــى أحـــــدٌ بعهــــوده التـــــي قطعهـــــا

لكـــان أكبـــر مـــن كـــل صـــفةٍ يمكـــن أن تصـــفه بهـــا

(٥٣٦)

هـــــا قــــــد عــــــاد وجـــــاء بطرتـــــه المتثنيـــــة

عــــاد بالفتنـــــــة والشــــــر والظلـــــم والجـــــور

ذلــــك القمــــــر الــــــذي قلــــب رايــــــة الزهـــــرة

فاثبــــت، فقــــد عــــاد ذلــــك الطبــــل والعلــــم

(٥٣٧)

توجّــــه الـــــروح إلـــــى العـــــالم الســـــعيد

وأخـــرج القلـــب الـــذي لا كيفيـــة لـــه مـــن عـــالم الســـؤال

وذلــــك الســــر الــــذي بقــــي حتــــى الآن خفيّـــا

أظهــــره مـــــن تحـــــت ألـــــف ســــتار

(٥٣٨)

هـــــذا يـــــوم الســـــرور، فلمـــــاذا تجـــــرع الغـــــم؟!

اليـــــوم لا بـــــدّ مـــــن الشــــرب مـــــن كـــــأس الوفـــــاء

كـــــم رزقنـــــا مــــــن كـــــف الخبـــــاز والســــقاء؟!

لا بـــــد أن نأكـــــل حينًـــــا مـــــن كـــــف الحـــــق

(٥٣٩)

أتعـــــــرف لــــــم يأكــــل الصّـــــوفي كثيـــــرَا؟
لأنــــه يأكـــل مـــرةً واحـــدة فـــي أيـــام عديــــدة
فــــإذن لــــه هـــذه اللحظــــة أن يأكـــل الـــورد والجلنـــار
فـــإلى متـــى يأكـــل الشـــوك مـــن غمـــه مثـــل الجمـــل؟!

(٥٤٠)

يمكــن أن يأكــل الإنســان الســم مــن كــف حبيــبٍ فضــي الصــدر
ويمكـــــن أن يأكـــــل حديثـــــه المــــــر كأنــــــه الســــــكر
الحبيـــــــــب مـــــــــالحٌ جـــــــــدا مـــــــــالحٌ جـــــــــدا
وحيثمـــــا يوجـــــد الملـــــح يمكـــــن أكـــــل الكبـــــد

(٥٤١)

علـــــى العاشـــــق أن يحتســـــي الخمـــــرة مـــــا دام حيـــــا
لكـــــي يمـــــزّق الحجـــــاب العقـــــل والخجـــــل
فـــــــأين أشـــــــرب الخمـــــــرة؟ وإذا شـــــــربتها
ولـــم تجـــد عقـــلا فـــي رأســـي، فبـــأيّ شـــيء تـــذهب؟

(٥٤٢)

عنـــــدما يجـــــد عشـــــقك مكانَـــــا فـــــي قلـــــب الفلـــــك
تنبعـــــث الفتنـــــة والضـــــجيج حتّـــــى العـــــرش
ويغـــــدوا العـــــالم كـــــالرّوح لا فـــــوق لـــــه ولا تحـــــت
عنـــــدما ينتـــــزع عشـــــقك الـــــروح مـــــن فـــــوق

(٥٤٣)

عنـــــــــــــــدما تتصـــــــــــــالح الوجـــــــــــــودات

وعنـــــــدما يلتحـــــق العـــــــدم بالجانــــــب الأعلـــــــى

علينـــا الانتظـــار لنـــرى قبضـــة ســـيفٍ مـــن هـــذه الملطخـــة بالـــدم

ولنـــــرى نـــــار الإقبـــــال مــــن هــــذه التــــي تضــــطرم

(٥٤٤)

لا تـــــــــــأذن للغصـــــــــــة أن تحـــــــــيط بـــــــــك

ولا أن تحــــــيط بــــــك وســــــاوس هــــــذه الـــــدنيا

فـــامض، وضـــع شـــراب العشـــق فـــي فمـــك لـــيلاً ونهـــارًا

قبــــــل أن يغلــــــق حكـــــــم الحــــــق فمـــــك

(٥٤٥)

لا تـــــــــــأذن للوسوســـــــــــة بـــــــــأن تـــــــــذلك

وتأخـــــــذك كالحيـــــــة بالحيلـــــــة والســـــــحر

وعنـــدما أراد ذلـــك القمـــر الـــذي لا نظيـــر لـــه أخـــذك

حـــــارت السّـــماء [وتســـاءلت] كيـــف يأخـــذك

(٥٤٦)

فـــي اليـــوم الـــذي يصـــعد فيـــه روحـــي إلـــى السّـــماء

يأخـــــذ التــــــراب المبعثـــــر أجــــــزاء جســــــمي

فاكتـــب أنـــت بإصـــبعك علـــى التـــراب: انهـــض

لكـــي أنهـــض مـــن القبـــر، ويأخـــذ جســـمي روحَـــا

(٥٤٧)

عنـــــدما أتـــــذكرك يبــــداً قلبـــــي بالتــــــدحرج

ويأخـــــذ الـــــدّمع بالانســــكاب مــــن عينـــــي

وحيثمـــــــا وصـــــــل خبـــــر الحبيــــــب

طــــار قلبـــــي المســـــكين مــــن جســــدي

(٥٤٨)

عنـــدما يبـــداً صــــبح ولايـــة الحـــق بـــالتنفس

يبـــداً الـــروح بـــالطيران فـــي أجســـاد الأحيـــاء

وقـــد بلـــغ الأمـــر أن الرجـــل فـــي كـــلّ نفـــسٍ

صـــار يـــرى الحبيـــب دون إتعـــاب العـــين

(٥٤٩)

الشـمس العاقـدة النطـاق علـى وسـطها [القويـة]، تمـوت أمامـك

وذلـــك القمـــر المقـــروح الكبـــد يمـــوت أمامـــك

والســـر والـــورد الناميـــان يموتـــان أمامـــك

أمـــا هـــذا العاشـــق فيمـــوت أمامـــك دائمَـــا

(٥٥٠)

هــــذه الوحـــــدة خيــــرٌ مـــــن ألــــف روحٍ

وهــــذه الحريــــة خيـــرٌ مــــن ملــــك الــــدنيا

والخلــــوة مـــــع الحـــــق لحظـــــة واحـــــدةً

خيـــرٌ مــــن الـــروح والـــدّنيا وهـــذا وذاك

(٥٥١)

إن لحظـــة واحـــدة مـــن بعـــض النـــاس تعـــادل الـــروح
وشـــعرة واحـــدة تســـقط منـــه تســـاوي منجمـــا
وبعـــض النـــاس أيضَـــا بســـبب صـــحبته
يعـــدل عـــدم رؤيتـــه ملـــك العـــالم

(٥٥٢)

تزينـــت طرتـــك بالحســـن الفتّـــان
وبـــدأت بســـحق العنبـــر
قلـــت إنهـــا مســـكٌ، فثـــارت ثائرتهـــا مـــن هـــذا الكـــلام
اضـــطربت وألقـــت بنفســـها علـــى الأرض

(٥٥٣)

يـــا مـــن أصـــابتك عينـــه بالحســـد منـــذ أوّل وهلـــة
وبســـبب الحـــلاوة قطـــع طريـــق نظـــر عينـــك
ذلـــك الـــذي منحتـــه العـــزّة مثـــل التوتيـــاء
جـــاء وقطـــع طريقـــي إلـــى عينيـــك الســـكريتين

(٥٥٤)

لـــو صـــبرت لاحترقـــت ثيـــابي وروحـــي
تحتـــرق روحـــي وأرواح الخلـــق جميعَـــا
ولـــو صـــرخت شـــاكيًا، لاحتـــرق فمـــي
ومـــا شـــأن الفـــم؟! العالمـــان كلاهـــم يحترقـــان

(٥٥٥)

عنـــــــــدما يخاصـــــــــم العشـــــــــق قلبــــــــــي
يفــــر الـــــروح حـــــافي القـــــدمين مــــن المعركـــــة
مجنـــــــــونٌ مــــــــــن يحســـــــــبني عـــــــــاقلا
وعاقـــــــــــلٌ مـــــــــــن يفـــــــــــرّ منــــــــــــي

(٥٥٦)

خيــــــــرٌ للعشـــــــق أن تنبعــــــث منــــــه البلايـــــا
ولا يكــــــون عاشـــــقًا مــــــن يجتنـــــب الـــــبلاء
والفتـــــــــى فــــــــي طريــــــق العشــــــق هـــــــو
مــن إذا وصــل العشــق إلــى الــروح تخلــى عــن الــروح

(٥٥٧)

مــــــــن عشـــــــقك تشـــــــتعل نـــــــار الشـــــــباب
وظهـــــرت فـــــي الصــــــدر جمـــــالات الـــــروح
إن تقتلنـــــــي فاقتـــــــل، ذلـــــــك حـــــــلالٌ لـــــــك
لأنــــــه مــــــن قتـــــل الحبيـــــب تــــأتي الحيـــــاة

(٥٥٨)

المــــــاء الــــــذي ينهـــــل مــــــن العــــين كالـــــدم
هــــــو دمٌ، فتعـــــال وانظــــــر كيــــــف ينهــــــل
وإنــــــه لواضــــــحٌ أن دمــــــي لا يظفــــــر بشــــــيء
لأنّ القلـــب يشــرب الـــدم، والعـــين تقـــذف الـــدمع

(٥٥٩)

مـــــــن عشــــــقك يجـــــــيش البحـــــــر كلـــــــه
وبـــــين قـــــدميك تصـــــب الســـــحب الـــــدرر
ومـــــن عشــــقك وقـــــع البـــــرق علـــــى الأرض
وهـــذا الـــدخان فـــي الســـماء، ينبعـــث مـــن ذلـــك

(٥٦٠)

حـــين يمتـــزج لحـــن «زيرافكنـــد» بلحـــن «العـــراق»
يتـــرك القلـــب العقـــل، ويفـــرّ مـــن الجســـد
أنـــــا نـــــارٌ، وكـــــالألم أهـــــبّ ســـــريعًا
وكـــــل نـــــارٍ ذا ألـــــمٍ تهـــــب ســـــريعًا

(٥٦١)

الحســـــــــن والجاذبيـــــــــة لا يجتمعـــــــــان
فاصـــح، ولا تتمايـــل، لكـــي لا ينســـكب القـــدح
ففـــي عـــالم التـــراب لا شـــكّ فـــي أن ريـــح الغـــرور
تثيـــــر غبـــــارًا فـــــي كـــــلّ لحظـــــةٍ

(٥٦٢)

ذلـــك الـــذي صـــاح مـــن أعماقـــه: «أنـــا الحـــقّ»
كـــــان اليـــــوم معلقَـــــا بهـــــذه المشـــــنقة
وذلـــــك الـــــذي أصـــــابك بـــــالعين حســـــدًا
يتـــأوّه مـــن غمّـــك علـــى نفســـه الاف الأنـــواع مـــن الآهـــات

(٥٦٣)

البارحـــــة أَبطـــــل لطـــــف عينيـــــك الســـــحر المطلـــــق
وأنـــــــار وجهـــــــك طـــــــرق الفلـــــــك الأزرق
ومـــــا دمـــــت تملـــــك الشـــــمس فـــــي ظـــــلّ طرّتـــــك
فســـــــيظل الـــــــروح معلقـــــــا كالـــــــذرة

(٥٦٤)

كـــــل مـــــن ينالـــــه ظلـــــمٌ مـــــن عشـــــق الحبيـــــب
يصـــــله الإمـــــداد مـــــن رحمتـــــه وفضـــــله
انظـــــر إلـــــى قصـــــر العمـــــر، وامنحنـــــي وصـــــالك
لأن الوصـــــال يغيـــــث مـــــن قصّـــــر العمـــــر

(٥٦٥)

بفضـــــــل وصـــــــالك لا يصـــــــيبك الخســـــــران
وبـــــرغم ذلـــــك فـــــإنّ روحـــــك، لا أزعـــــج الله روحـــــك،
يخيفـــــك لكـــــي تكـــــون شـــــجاعًا دائمًـــــا
ولا تصـــــل إليـــــك أعـــــين الحاســـــدين

(٥٦٦)

يظـــــلّ القلـــــب يجـــــيش لكـــــي يصـــــل إلـــــى جيشـــــانك
وقـــــد صـــــار مـــــن دون عقـــــلٍ لكـــــي يصـــــل إلـــــى عقلـــــك
يتجـــــرّع السّـــــمّ لكـــــي يصـــــل إلـــــى رحيقـــــك
وقـــــد صـــــار مثـــــل الحلقـــــة، لكـــــي يصـــــل إلـــــى أذنـــــك

(٥٦٧)

أنـــــيّ لهــــذا السّـــم أن يصـــل إلــــى رحيقـــك
أيصـــل سُـــمّي إلـــى شـــفتك البائعـــة للســـكّر؟
ولأنّــــــــك كيميــــــــاء لا نهايـــــــة لهـــــــا
بالســـعادة الخـــام الـــذي يصـــل إلـــى جيشـــانك

(٥٦٨)

أنشـــــــد ترابَــــــا يصـــــــل فــــــي هوائـــــــك
لعـــلّ تـــراب قـــدمك يصـــل إلـــى العـــين
إنّ روحــــــــي ســــــــعيد وضــــــاحك بالجفـــــاء
لأنّـــه بالجفـــاء تصـــل رائحـــة وفائـــك

(٥٦٩)

مـــا الشـــمس حتـــى تصـــل إلـــى وجهـــك؟!
ومـــا الـــرّيح الســـفيهة حتـــى تصـــل إلـــى شـــعرك؟!
العقـــل الـــذي يتـــولى ســـيادة مدينـــة الوجـــود
يصـــبح مجنونَـــا عنـــدما يصـــل إلـــى ناحيتـــك

(٥٧٠)

عنــــــدما تصــــــل رائحــــــة مــــــن قميصــــــك
مـــاذا أفعـــل أنـــا؟ والفلـــك يمـــزق ثيابـــه
فـــأين قمـــيص يوســـف ذو الرائحـــة الطيبـــة
لكـــي يأخـــذ اليـــوم رائحـــة مـــن قميصـــك

(٥٧١)

المجنـــــــون ظـــــــاهر الحـــــــال بــــــين النـــــــاس
لأنــــــــه يمتطــــــــي جـــــــواد العشـــــــــق
والمجنــــــون حقـــــا هــــــو مــــــن عرفــــــه
لأنّ المجنـــــــون عنـــــــدنا هـــــــو العـــــــارف

(٥٧٢)

مـــــــن كثـــــــرة اقتـــــــراب الحبيـــــــب منّـــــــا
لا أَظـــــنّ أن هـــــذا الاقتـــــراب يكـــــون للـــــرّوح
والله، إنّنـــــــــــــي لا أتـــــــــــــذكَره أبـــــــــــــدًا
ذلـــــك أنّ الـــــذكرى إنمـــــا تكـــــون للغـــــائبين

(٥٧٣)

اســـخر منـــي [لكـــي أفـــرح] فيكـــون لـــك ثـــوابٌ
ويكـــــــون جوابـــــــك ابتســـــــامًا منـــــــي
أبكـــي بحرقـــةٍ لكـــي تكـــون دمـــوعي شـــرابًا لـــك
ويحتـــرق هـــذا القلـــب لكـــي يكـــون كبابـــك

(٥٧٤)

إن كـــان لـــك ثبـــاتٌ علـــى العشـــق للحظـــةٍ
فمـــــا عملـــــك فـــــي صـــــف العاشـــــقين؟!
كـــــن حـــــادّ الـــــرأس كالشـــــوك
لك يكون حبيبٌ كالورد في صدرك تارةً وإلى جانبك تارةً أخرى

(٥٧٥)

لـــو امـــتلأ العالمـــان كلاهمـــا مـــن شـــوك الغـــمّ

لمـــا خـــاف مـــن الشّـــوك مـــن هـــو جمـــلٌ

ولــــو تلطــــخ الـــرّوح والعــــالم بالغصـــص

لكانـــا طـــاهرين حـــين يكـــون العشـــق هـــو القصّـــار

(٥٧٦)

يســـــجني خيـــــرٌ مــــن النجـــــاة

ولعنتـــي خيـــرٌ مـــن ســـكر القصـــب

وســــيفي خيــــرٌ مــــن الحيـــــاة

ويــــاقوتي خيـــرٌ مــــن الزكـــــاة

(٥٧٧)

يكفـــــي لعشــــقك عــــذرٌ واحـــدٌ

ويكفـــي المنـــدهش بـــك أنشـــودةٌ واحـــدة

لمـــاذا تمتشـــق ســـيف الجفـــاء فـــي قتلنـــا؟!

إنـــه يكفـــي لقتلنـــا رأس ســـوط

(٥٧٨)

الســـباب مـــن شـــفتك الشـــبيهة بـــالقمر

مثـــل اليـــاقوت ؛ لأن أصـــله نـــارٌ

لا عجـــب أن يكـــون ســـبابك خلابًـــا

فـــإن كـــل ريـــحٍ تمـــرّ بـــالورد تكـــون طيّبـــة

(٥٧٩)

رائحـــــة أنفـــــاس أهــــل الإقبــــال طيبـــــة كــــالورد

أمــــا الشـــقي فإنّــــه، مثــــل الشـــوك، حـــاد وعنيـــد

وبصـــــحبة الــــورد يـــتخلص الشـــوك مــــن النــــار

وبصـــــحبة الشــــوك يقــــع الــــورد فــــي النــــار

(٥٨٠)

متــــــــى يغـــــــتمّ ذو السّـــــــرور المطلـــــــق؟!

وذلـــك القلـــب الـــذي هـــو خـــارج الفلـــك الأزرق؟!

وكيـــــف يقبـــــل بـــــذر الغـــــمّ، مثـــــل الأرض

مــــن يكـــون الفلـــك معلقـــا بســـبب هوســـه؟!

(٥٨١)

لــــو كـــان فــــي صـــدر كـــلّ إنســـانٍ ذرةٌ مـــن قلـــب

لكانـــــت حياتـــــه مشـــــكلة مـــــن دون عشـــــقك

وبوجـــــود طرتـــــك المعقّـــــدة مثـــــل السلســـــلة

يكـــــــون المجنـــــــون هــــــو العاقـــــــل

(٥٨٢)

أمــــرت: «قـــل» كيـــف يكـــون اللســـان نـــديمًا؟

لا يكـــون نـــديمًا كـــل مـــن يكـــون فـــي العـــالم

والله لا يمكـــــن الحــــديث هــــذه اللحظـــــة

مــــع مــــن أصــــله مــــن تــــراب

(٥٨٣)

متى يغتم من هو سعيد معك؟!

ومن نورك تأتي شمس العالم؟!

كيف تستر أسرار العالم

عن ضمير من هو نديمٌ لك؟!

(٥٨٤)

ذلك اليوم هو يوم السّحاب والمطر

شرط اجتماع الأحبة جميعَا

لأنّ جمال الحبيب يجدّد الحبيب

مثل مجتمع الورد في فصل الربيع

(٥٨٥)

الطائر الذي يكون من حديقة العشّاق المخلصين

يكون عنيدًا ومسرورًا ومدللا

ولو عاند المعاندين لحقّ له ذلك

لأنّ الغرور دائر في رأسه

(٥٨٦)

ليست الحرارة في التنوّر المشتعل فقط

فإن دخلت بابي فجأةً فهذه هي الحرارة

وليست البرودة في الشتاء البارد فقط

عندما تعد بالمجيء ولا تأتي، تلك هي البرودة

(٥٨٧)

يفـــــــرّ منــــــا المعشــــــوق العيـــــــار

ويفـــــــرّ مـــــــن نصـــــــرتنا الحبيـــــــب

هــــو عقـــــلٌ منـــــورٌ، ونحـــــن ثملـــــون بـــــه

والعقـــــــل يفـــــــرّ مـــــــن الثمّـــــــل

(٥٨٨)

عمـــــل العاشـــــق إنشـــــاد الأناشـــــيد

عملـــه الحـــديث عـــن المعشـــوق الـــذي لا علامـــة لـــه

فإمّـــــا أن يـــــروي قصّـــــة الفـــــخّ والحبّـــــة

وإمّـــــا أن يتـــــرك الـــــدّكان والمنـــــزل

(٥٨٩)

إذا كـــــان للعاشـــــق فنـــــاء ومـــــوت

أو كـــــان فـــــي طريـــــق العشـــــق وفـــــاة

فمـــــا أتفـــــه مـــــا يقـــــال: «العشـــــق

شـــــربٌ مـــــن عـــــين الحيـــــاة»

(٥٩٠)

اســـــتمع إن كـــــان لـــــك قـــــدرةٌ علـــــى الســـــمع

إن الاتصـــــال بالحبيـــــب هـــــو انقطـــــاعٌ عـــــن الـــــنفس

اصـــــمت هنـــــاك، فثمـــــة عـــــالم النّظـــــر

لأن تحـــــدّثهم كلـــــه رؤيـــــة ومشـــــاهدة

(٥٩١)

الجــــوزة التـــــي يكـــــون فـــــي داخلهـــــا لـــــبٌّ حلـــــوٌ
والـــــــــدرج الـــــــــذي يكـــــون فيـــــــه درّ رائـــــــــع
لا تطلـــــــــــــــب تكســـــــــــــيرهما حســـــــــــــدًا
فـــــإن تكســـــرهما يكـــــن فيهمـــــا الآلاف مثلهمـــــا [١]

(٥٩٢)

أريـــــــــد أن يكـــــــون قلبـــــــي آلفَـــــا غمّـــــــه
ولـــــو حصـــــل لـــــي غمّـــــه، فمـــــا أجمـــــل ذلـــــك
ألا أيّهـــــــا القلـــــــب المفتـــــــون، اظفـــــــر بغمّـــــــه
لعـــــلّ غمّـــــه بعـــــد لمحـــــة بصـــــرٍ يكـــــون هـــــو

(٥٩٣)

لـــــــــيس فـــــــــي العشـــــــــق ضـــــــــعة وارتفـــــــاع
لـــــــــيس فيـــــــــه غفلـــــــــة ولا فطنـــــــــــــة
لا مقـــــــــام فيـــــــــه لقـــــــــارئ وشـــــــــيخ ومريـــــــــد
بـــــــل هـــــــو لا مبـــــــالاة وخضـــــــوع وعربـــــــدة

(٥٩٤)

الموضــــــــع الـــــــــذي فيـــــــــه معشـــــــــوقٌ مثلـــــــك،
مـــــــن الكفـــــــر أن يكـــــــون موضـــــــعًا للقـــــــرار
والعقـــــــــــل الـــــــــــذي يـــــــــــراك ولا يحتـــــــــار
خيـــــر لـــــه أن يضـــــرب بالعصـــــا، لأنـــــه حيـــــة قبيحـــــة

(١) هذه الرّباعية تكرار الرّباعية رقم ٤٤٩ ، مع تغيير طفيف جدّا [المترجم].

(٥٩٥)

الـــــــروح الــــــــذي فيـــــــه خيــــــال منـــــــك
أنـــــــى يكــــــون لـــــــه انتقـــــــالٌ وزوال؟!
القمـــــر فـــــي نقصـــــان بـــــرغم كونـــــه هـــــلالا
وإنّ نقصـــــــــانه بدايـــــــــة الكمـــــــــال

(٥٩٦)

كــــــل فــــــيضٍ هــــــو أثــــــرٌ للعلــــــة الأولــــــى
والصّــــــور كلهـــــا مقبولـــــة للهيـــــولي
وكــــل جــــزءٍ ناشــــئٌ عــــن الكــــلّ، ولكــــن لــــيس لزامَــــا
ههنـــــا أن يكـــــون كـــــل «كـــــلّ» قـــــابلا للأجـــــزاء

(٥٩٧)

كــــــــل مكـــــــانٍ لـــــــك فيـــــــه طـــــــربٌ
فــــــر منـــــــه ؛ لأن تحـــــــت ذلـــــــك بــــــلاءً
وحيثمـــــــا يوجـــــــد قلـــــــبٌ منشـــــــدٌ للغـــــــزل
فهـــــــو خـــــــرابٌ للبيـــــــت والقصـــــــر

(٥٩٨)

جــــاء عشـــقٌ، إذ صـــارت أنـــواع العشـــق كلهـــا مجنونـــة،
أحرقتنـــــــــــي وصـــــــــــار رمـــــــــــادي «لا»
وقــد عــاد رمــادي مــن جديــد بســبب عشــق الاحتــراق بــك
وصـــــــــار صـــــــــورًا الاف المـــــــــرات

(٥٩٩)

فـــي الليـــل عنـــدما أمســـت قلـــوب العشّـــاق مملـــوءةً بالفتنـــة
وغـــاب عـــن العـــين مـــا فـــي العـــالم مـــن حســـنٍ وقبـــيح
يقولـــــون لقلبـــــي المـــــدمّي، بطريـــــق الإشـــــارة،
كالســـــــفر الخفـــــــيّ: حـــــــان وقتـــــــه

(٦٠٠)

الـــــدّرويش هـــــو مـــــن يعطـــــي الأســـــرار الخفيـــــة
وكـــــل لحظـــــةٍ يعطـــــي ملكًـــــا مـــــن دون مقابـــــل
ولـــــيس الـــــدّرويش مـــــن يطلـــــب الخبـــــز
بـــــل الـــــدّرويش هـــــو الـــــذي يعطـــــي الـــــروح

(٦٠١)

لا بـــــد مـــــن أن يكـــــون روحـــــك متعبًـــــا جـــــدّا
ولا بـــــدّ مـــــن أن تكـــــون مشـــــارًا إليـــــك بالبنـــــان
فـــــإن كنـــــت مـــــن البشـــــر، فصـــــانع البشـــــر
وإن كنـــت كالملائكـــة، فـــلا بـــدّ مـــن أن تصـــعد إلـــى السّـــماء

(٦٠٢)

أطلقـــــت ســـــهمًا، فـــــانطلق ســـــهمي عاليًـــــا
فأصـــــاب قلبًـــــا مؤمنًـــــا، وصـــــار لاعنًـــــا
فقـــــال: «إن ســـــرّ قلبـــــك صـــــار قاطعًـــــا للـــــرّؤوس
إنّ ســـــهمي حـــــقّ، وصـــــار قاطعًـــــا للـــــرؤوس»

(٦٠٣)

أنـــــت روحٌ، وغـــم الــــرّوح يقتـــل كــــل حــــيّ
وكـــــلّ مـــــا يملكـــــه تقتلـــــه المؤونـــــة
وكـــلّ روحٍ هـــو معـــك مـــن أجـــل ذهبـــك كالســـكّين
إن تمتشـــق الســـيف، يجتثـــه السّـــيف مـــن الأصـــل

(٦٠٤)

مـــن الطريـــف أن يكـــون هنـــاك جماعـــة، تقـــتلهم الأرواح
وإنهـــا لنــــادرةٌ أن يقـــتلهم مـــاء الحيـــاة
وإذا أفشــــوا السّـــرّ قـــتلهم النـــاس
وإذا أخفـــوا العشـــق، قـــتلهم هـــذا الإخفـــاء

(٦٠٥)

عينـــك، أيهـــا الفتّـــان تقتـــل آلاف المعشـــوقين
وأنينـــك الخافـــت يقتـــل كـــلّ أنـــين
إنّ ملـــوك الزّمـــان يقتلـــون الخصـــوم علـــى المشـــانق
وعينـــك النرجسـيّة الصّـاحية تقتـــل مـــن دون مشـــنقة

(٦٠٦)

فكـــــرك الــــيقظ يقتـــــل العاقـــــل
يقتلـــه بقســـوةٍ وبـــأعلى درجـــات القســـوة
إنّ ملـــوك الزّمـــان يقتلـــون الخصـــوم علـــى المشـــانق
وإمّـــا إقبالـــك الـــيقظ فيقتـــل مـــن دون مشـــنقة

(٦٠٧)

أيهـــا الحبيـــب، أيقتـــل أحـــدٌ حبيبًـــا بـــأيّ كـــلام؟!
وأيّ حبيـــبٍ هـــو؟ أيقتـــل حبيبًـــا مكتئبًـــا؟!
لا تعـــدّني صـــديقًا، عـــدّني عـــدوًّا
أيقتـــل أحـــدٌ عـــدوّه بمثـــل هـــذه القســـوة؟!

(٦٠٨)

يقـــول العشـــق: «كـــل مـــن يبـــذل الـــرّوح
يعـــوّض عنهـــا بمئـــة روحٍ وألـــف روح»
انظـــر مـــا يقـــول العشـــق فـــي أذنـــك
لكـــي يســـحبك إليـــه مطيعًـــا

(٦٠٩)

ثـــرت ثـــورةً لا يتحمّلهـــا الثـــور والفلـــك
جنونًـــا لا يتحمّلـــه مئـــة كـــالمجنون
أتحمّلـــه أنـــا وحـــدي، لأنّ روحـــك روحـــي
قـــل: كيـــف لا يتحمّـــل أحـــدٌ روحـــه؟

(٦١٠)

ســـأتجاوز العقـــل بمئـــات المراحـــل
وســـأتخلص مـــن الوجـــود حســـنه وقبيحـــه
ومـــن كثـــرة حســـني الـــذي وراء الحجـــاب
أيّهـــا الغـــافلون، ســـأكون عاشـــقًا لنفســـي

(٦١١)

تلــــك الـــــذرّة التـــــي مــــا كانــــت إلا نجيَــــا للشــــمس
قـــدّمت كـــل نقـــدها، ولـــم تصـــبح ســـخرية للأمـــل
فبـــــــــــأسّ رأسٍ وقـــــــــــــع عشـــــــــــقك
ولـــم يـــرقص مـــن ريحـــك ســـريعًا كـــرأس الصّفصـــاف

(٦١٢)

مـــــــن لطفـــــــك لا ييـــــــأس عبـــــــدٌ أبـــــــدَا
والمقبـــول عنـــدك لا يكـــون إلّا مقبـــولًا خالـــدَا
ومتـــــــى اتصـــــــل لطفـــــــك بـــــــذرةٍ لحظـــــــة
ولـــم تصـــبح هـــذه الـــذرّة خيـــرًا مـــن ألـــف شـــمس؟!

(٦١٣)

مـــن دون عونـــك لا يمضـــي قلـــبٌ إلـــى الغـــار
ومـــا دام لـــم يـــر لطـــف غمّـــك فإنّـــه لـــن يغـــدو مغتمّـــا
وكـــــــــل شـــــــــيء إذا كثـــــــــر هـــــــــان
أمّـــــا غمومـــــك فكثـــــرت ولـــــم تهـــــن

(٦١٤)

جـــرى القلـــب كثيـــرًا وراء المعشـــوق ولـــم يحـــظ بشـــيء
قـامر بكـلّ مـا عنـده مـن يـابسٍ ورطـبٍ، ولـم يحـظ بشـيء
جلـــس المســـكين فـــي زاويـــة الصّـــدر مـــاكرًا
واسـتخدم كـلّ مـا عنـده مـن الحيـل والفنـون، ولـم يظفـر بشـيء

(٦١٥)

أنـــا عبـــدٌ لـــذلك العقـــل الـــذي صـــار مجنونَـــا منـــه [الحبيـــب]
والقلـــب الـــذي امـــتلأ دمَـــا منـــه يعـــدل مئـــة روحٍ
والله، إنّ مـــــــــاء الحيـــــــــاة ليحســـــــــد
الـــدّمع الـــذي يخـــرج مـــن أعـــين العاشـــقين

(٦١٦)

منــــذ أن اشــــتعل عشــــقك فــــي قلبــــي
احتــــرق كــــلّ مــــا عنــــدي إلا عشــــقك
رمــــى العقــــل والعلــــم والكتــــاب جانبَــــا
وتعلــــم الشّــــعر والغــــزل والــــدّوبيت

(٦١٧)

كــــلّ شــــيء امتــــزج بــــه عشــــقك لحظــــة
كــــأنّ الــــبلاء صــــبّ علــــى رأســــه
وقــــد أعطــــى منصــــورٌ علامــــة لســــرّ العشــــق
فعلقــــت رقبتــــه بطنــــاب الغيــــرة

(٦١٨)

لــــم يطلــــع أحــــدٌ علــــى تلــــك الحضــــرة الملكيّــــة
إلا ومضــــى إلــــى بيتــــه مــــن دون قلــــبٍ وعقــــل
والمجنــــون هــــو مــــن رأى وجهــــك
ثــــم بقــــي بعيــــدًا عنــــك، ولــــم يجــــنّ

(٦١٩)

أيفكـــــر أحـــــدٌ بالبســـــتان بوجـــــود وجهـــــك؟!

أيفكّـــر أحـــدٌ بالشـــمع والســـرّاج بوجـــود عشـــقك؟!

يقولـــــون: «إنّ قـــــوّة الـــــدّماغ مـــــن النّـــــوم»،

أيوجـــــد عاشـــــقٌ يفكـــــر بالـــــدّماغ؟!

(٦٢٠)

ذلـــك الحبيـــب الـــذي صـــارت العقـــول صـــيدًا لـــه

وذلـــك الحبيـــب الـــذي صـــارت الجبـــال قـــرارًا لـــه

قلـــــت لـــــه: «قصـــــرت طرتـــــك» فقـــــال:

«إنّ كثيـــرًا مـــن الـــرّؤوس مشـــغولة بطرّتـــي»

(٦٢١)

البـــارة مضـــى عبـــدٌ نحـــو ذلـــك القمـــر المحبـــوب

فقـــــال نكتـــــة وبـــــدأ بحثـــــا

كـــــان يـــــروم أن يثبـــــت دعـــــواه

فلـــــم تثبـــــت، وهلـــــك المـــــدّعي

(٦٢٢)

لـــن تكـــون خاســـرًا فـــي عشـــق الحـــقّ

أيـــن تـــذهب بـــلا روح، وأنـــت ستصـــير روحًـــا

فـــي البـــدء جئـــت إلـــى الأرض مـــن السّـــماء

وفـــي النهايـــة ســـتذهب مـــن الأرض إلـــى السّـــماء

(٦٢٣)

كــــل قلـــبٍ تطهّـــر مـــن الطمـــع والشـــهوات
صـــار طالبَـــا للأحـــوال والكرامـــات
ونـــال فـــي ســـرّ صـــفات الحـــقّ المقامـــات
وصـــار ذاتَـــا عنـــدما تطهّـــر مـــن الصـــفات

(٦٢٤)

أيتهـــا الســـعادة، تـــذكرك ذلـــك السّـــرير
تـــذكّرك ذلـــك الملـــك الـــذي لـــيس لـــه نظيـــر
أيتهـــا الخيمـــة التـــي رقصـــت أجـــزاؤك
تـــذكّرتك تلـــك الـــرّيح وذلـــك الكـــرّ والفـــر

(٦٢٥)

أمســـكت بعصـــا، فصـــارت عـــودًا فـــي كفّـــي
عملـــت ســـوءًا، فصـــارت إســـاءتي إحســـانًا
يقولـــون: «إن الســـفر فـــي صـــفر لـــيس حســـنًا»
ســـافرت، فحصـــل لـــي نفـــعٌ

(٦٢٦)

كنّـــا مقيّـــدين، فجـــاء قيـــدٌ آخـــر
صـــرنا عشـــاقًا، وجـــاء غـــمٌ آخـــر
كنّـــا أســـارى حلقـــة طرّتـــك
فصـــار فـــي رقابنـــا قيـــد اخـــر

(٦٢٧)

مـــــرةً أخــــرى عــــاد ذلــــك العاشــــق المقــــرح الكبــــد

مضـــــــى المســـــكين مختـــــارًا وعـــــاد مشـــــتاقا

ومـــــن الشـــــوق إليـــــك عــــاد نحـــــو الملائكـــــة

مـــــن جهـــــة البشـــــر، كـــــالأرواح الغريبـــــة

(٦٢٨)

مـــــرّة أخــــرى عــــاد ذلــــك العاشــــق المقــــرّح الكبــــد

مضـــــــى المســـــكين مختـــــارًا، وعـــــاد مشـــــتاقا

كانـــت هنـــاك زحمـــة بســـبب السّـــكر، وكـــان يطـــرد الـــذباب

نفـــــد صــــبر الـــــذباب، فعـــــاد إلــــى السّــــكّر

(٦٢٩)

فــــــي هــــــذا اليــــــوم طــــــاب ســــــماعك وحــــــلا

صــــــار مليئًــــــا باللــــــذة والفــــــرح والطــــــرب

فــــــــألقى قلبــــــــي النطــــــــاق القــــــــديم

لأنّـــــــه خجـــــــل مـــــــن كفّــــــك ودفّــــــك

(٦٣٠)

صــــــار جوهرنــــــا حجــــــرًا بغيــــــاب بحــــــر الصّــــــفاء

وضاق علينا الرّوح والعالم بغياب من هو أساس الرّوح والعالم

ولأنّ محنــــــة الحبيــــــب صــــــيقل الــــــرّوح والقلــــــب

فاجعلهــــا فــــي روحــــك ؛ لأنهــــا جاليــــة للصّــــدأ

(٦٣١)

ألا أيّهـــا القلـــب المتعـــب، حـــان وقـــت الـــدواء

تـــنفّس بأقصـــى مـــا تســـتطيع فقـــد جـــاءت تلـــك الأنفـــاس

الحبيـــب الـــذي يتيســـر منـــه العمـــل للأحبـــة

جـــاء إلـــى الـــدنيا فـــي صـــورة إنســـان

(٦٣٢)

طلبـــت الـــرّوح فوجدتـــه فـــي بحـــر المرجـــان

وقـــد تـــوارى تحـــت زبـــد البحـــر

مضـــيت وســـط الظلمـــة فـــي طريـــق ضـــيّق

مضـــيت فبـــدت لـــي صـــحراء متراميـــة الأطـــراف

(٦٣٣)

جـــاء الصّـــوم الـــذي هـــو محـــكّ للقـــويّ والضـــعيف

حـــذار، لا تقـــل «كيـــف» ؛ فقـــد جـــاء مـــن عـــالم الـــلا كيـــف

إنـــه رزقٌ جـــاء مـــن رواء الفلـــك

مـــن ذلـــك اليـــوم البهـــيّ، فصـــار مضـــاعفًا للـــرّزق

(٦٣٤)

مهمـــا ذهـــب قلبـــي، فإنّـــه يعـــود إلـــى الأرض

وكيـــف جـــاء حـــار فـــي الطريـــق أيضَـــا

فلـــو ذهـــب مجنـــونٌ هائمَـــا علـــى وجهـــه إلـــى الجبـــل

لجـــاء إلـــى مئـــة جبـــلٍ مجنونـــة مـــن الغـــم

(٦٣٥)

طـــار عقلـــي مـــن رأســـي مئـــة مـــرّةٍ ثـــم عـــاد
فـــإلى متـــى يشـــرب مـــن خمـــرة العشّـــاق؟!
تخليـــت عـــن العمـــل وعـــن البطالـــة
لكـــي أرى عاقبـــة الأمـــر

(٦٣٦)

لا تحـــزن، فقـــد جـــاء شـــارح الصـــدر
جـاء مواسـي القلـب الحـزين، وهـو القـادر علـى ذلـك
وقـــد انكســـر الآن جنـــاح الغـــمّ مثـــل الـــذباب
فقـــد جـــاء روح السّـــعادة مـــن جانـــب جبـــل قـــاف

(٦٣٧)

جـــاء الصّـــبح، جـــاء وقـــت الضّـــياء
وحـــان وقـــت فـــراق الســـاهرين
عنـــدما أغمـــض الحـــارس تلـــك العـــين مـــن أثـــر النـــوم
حـــان وقـــت هـــوس اختطـــاف الســـكر

(٦٣٨)

لا يكتمـــل عملـــي بـــالورد والرّيحـــان
قلـــت: «اصـــمت! إن الملـــك عـــاجزٌ عـــن ترســـي»
انطلقـــت مـــن ذلـــك القـــوس كســـهمٍ ذي ثـــلاث ريشـــات
فعجـــز ســـهمي ذو الرّيشـــات الـــثلاث أمـــام شـــدّة غمّـــه

(٦٣٩)

عجـــــز ســـــرور الزّمـــــان عـــــن غمّـــــي
وعجـــــزت كـــــل الأدويـــــة إلا غـــــمّ الحبيـــــب
قلـــــت: «عنـــــدما أراه، أيّ أنفـــــاسٍ أعطيـــــه»
وعنـــــدما رأيتـــــه حقيقـــــة، عجـــــز نفســـــي

(٦٤٠)

ما جاء ذلك الذي هو المنجم للنبات [قصب السكر] والمخزن للسّكر
مـــا جـــاء ذلـــك الـــذي هـــو مـــاء الحيـــاة وبحـــر الجـــوهر
قلـــت: «أذهـــب فأعطيـــه الأنفـــاس علـــى ســـبيل المخادعـــة»
وعنـــــدما رأيتـــــه حقيقـــــة عجـــــز نفســـــي

(٦٤١)

مـــــا أكثـــــر الغـــــائبين، وهـــــم معنـــــا فـــــي السّـــــماع
مـــــن الصّـــــوفيّة والعـــــارفين والعلمـــــاء
أنـــــت بعيـــــدٌ قريـــــبٌ، كالقلـــــب التّائـــــه
فمـــن ذا الـــذي هـــو أســـرع مـــن قلـــبٍ غيـــر مقيّـــد؟!

(٦٤٢)

هنـــــاك ملـــــكٌ يعـــــرف كـــــلّ مـــــا أخفيتـــــه
وحتـــى لـــو صـــرحت بـــلا فـــمٍ ولا لســـانٍ فإنّـــه يعـــرف ذلـــك
كـــــل إنســـــانٍ يعـــــرف هـــــوس الثرثـــــرة
وأنـــــا عبـــــدٌ لمـــــن يعـــــرف الصّـــــمت

(٦٤٣)

هـــــو يـــــــاقوتٌ يعـــــــرف بيــــــع الســـــــكر
ويعــــرف شــــرب الخمـــــر مــــن عــــالم الغيـــب
أذكــــــر اســـــــمه، لكــــــن لا إذن لــــــي بــــــذلك
فأنــــــا عبـــــــدٌ لمـــــــن يعـــــــرف الصّـــــــمت

(٦٤٤)

اذهـــــب وأحســـــن، فـــــإنّ الـــــدّهر يعـــــرف الإحســـــان
وهــــو لا يأخـــــذ الإحســـــان مــــن المحســــنين
بقـــي المـــال مـــن الجميـــع [الـــرّاحلين]، وســـيبقى مالـــك أيضَـــا
وخيــــرٌ لــــك أن يبقـــى إحســـانك مكـــان المـــال

(٦٤٥)

أي عـــــــيشٍ يعـــــــرف عقلـــــــي وقلبـــــــي
لـــــو أجلســـــني الحبيـــــب لحظـــــة عنـــــده
أعـــــرف مئـــــة موضـــــعٍ فـــــي أســـــفل الطـــــاحون
ولكـــــي يتوقـــــف العمـــــل مـــــن دون المـــــاء

(٦٤٦)

لا علــــم عنـــــدي، الله الحــــق هــــو مــــن يعلــــم
ذلـــــك الـــــذي يضـــــحكني فـــــي قلبـــــي
والقـــول باختصـــار، إنّ قلبـــي مثـــل فـــرع الـــورد
الـــــذي تحركـــــه ريـــــح الصـــــبا بلطـــــف

(٦٤٧)

أنــــــــا ترابــــــــك، والله الحــــــــقّ يعلــــــــم
ولــــــيس واجبَــــــا أن يأخــــــذك منــــــي
ولــــــو أخــــــذك لاحترفــــــت الــــــدّعاء
لكــــــي يــــــرحم، ويجلســــــك عنــــــدي

(٦٤٨)

يعلــــــم مالــــــك الفلــــــك أســــــرارك
يعلمهــــا شَــــعرةً شــــعرةً وعرقــــا عرقــــا
أفتــــرض أنــــك بالنّفــــاق تخــــدع النــــاس
فمــــاذا تفعــــل بمــــن يعــــرف عملــــك جــــزءًا جــــزءًا؟

(٦٤٩)

أيّهــا المعشــوق، أيبقــى قلــبٌ فــي المكــان الــذي تكــون فيــه؟!
أيبقــــى طريــــقٌ مشــــكلا مــــن نــــور وجهــــك؟!
قلــت: «لا بــد عنــدي مــن أيــن يكــون العبــد عــاقلا»
ولكــــن، أيبقــــى عــــاقلا ذلــــك الــــذي يــــراك؟!

(٦٥٠)

بتــأثير مــاء حيــاة الحبيــب مــا بقــى مــريضٌ أبــدًا
وبتــأثير طاقــة ورد وصــال الحبيــب مــا بقيــت شــوكة أبــدًا
يقولــون: «إن هنــاك نافــذةً مــن القلــب إلــى القلــب»
أيّــــة نافــــذةٍ؟! لا يبقــــى جــــدار

(٦٥١)

مـــــا بقـــــي فـــــي الأذن إلا دمدمـــــــة عشـــــقك
ومــــا بقـــي للــــرّوح عقــــلٌ مــــن حـــــلاوة الأزل
والعشــــــق العـــــديم اللــــــون مـــــزج الألـــــوان
وبســـبب حالــــة غيــــاب اللــــون هـــذه مـــا بقـــي نســـيانٌ

(٦٥٢)

مـــــا بقــــي مــــن جــــيش صـــــبري إلا علـــــمٌ
ومــــن كـــــل مـــــا عنـــــدي مـــــا بقـــــي إلا الغــــمُّ
والأطـــــرف مــــن ذلـــــك أنّـــــه يخــــدعني بدلالـــــه
ومـــــــــا بقـــــــــي منّــــــــي إلا نفـــــــسٌ

(٦٥٣)

مــــن جمالــــك، مـــــا بقــــي طبـــعٌ ســــيئ الظــــنّ
ولـــم يبـــق أثـــرٌ للغصّـــة والغـــمّ والقليـــل والكثيـــر
أخـــــــذت جلالتــــــك العـــــــالم بعظمتهـــــــا
حتــــى صـــار الجميـــع ملوكـــا، ولـــم يبـــق درويـــش

(٦٥٤)

جـــــاءت رائحتـــــك، ولـــــم يبـــــق للفـــــرار وجـــــهٌ
لـــــم يبـــــق فــــرار إلا إلـــــى تلـــــك الناحيــــة
ومـــــن أجـــــل رائحتـــــك يســـــرقون لوننـــــا ورائحتنـــــا
إلـــــى حـــــدّ أنّـــــه لـــــم تبـــــق لنـــــا رائحـــــة

(٦٥٥)

للقمـــــــــــر جانـــــــــبٌ يشـــــــــبه بوجهـــــــــه
وجانـــــبٌ آخـــــر يشـــــبه بـــــذلك الملكـــــيّ الطبـــــع
مـــــا القمـــــر؟! ... لا لا، أيـــــن القمـــــر منـــــه؟!
الـــــرّوح عبـــــده، وهـــــو يشـــــبَّه بنفســـــه فقـــــط

(٦٥٦)

مـــــن ضـــــيائك لا يبقـــــى صـــــديقٌ ولا عـــــدوٌ
وفـــــي مأدبتـــــك لا يبقـــــى رطـــــلٌ ولا إبريـــــق
أيهـــــا المحبـــــوب، أفتـــــرض أنّـــــك شـــــربت دمـــــي
فـــــي النهايـــــة، تبقـــــى رائحـــــة علـــــى شـــــفتك العســـــلية

(٦٥٧)

هنـــــاك ســـــرّ يقـــــرؤه الحبيـــــب تحـــــت شـــــفته
وهـــــو يعـــــرف أيضَـــــا مصـــــدر أمرنـــــا
نعـــــرف مئـــــة موضـــــعٍ تحـــــت الطـــــاحون
ولكـــــي يتوقـــــف العمـــــل عنـــــدما لا يوجـــــد المـــــاء

(٦٥٨)

أولئـــــك الـــــذين احترقـــــوا بنـــــار الخريـــــف
وأغمضـــــوا أعيـــــنهم عـــــن لطـــــف الربيـــــع
وقـــــد خـــــاطوا الآن خلعـــــة جديـــــدة لكـــــلّ مـــــنهم
وتعلمـــــــــــوا الـــــــــــدّلال والغـــــــــــنج

(٦٥٩)

أولئــــــك الــــــذين ارتفعــــــوا بـــــالعلم والعقــــــل
ظنّـــــــــوا ذلـــــــــك رزقــــــــا لهــــــــم
وأولئــــك الـــذي أفرغـــوا رؤوســـهم مـــن العقـــل
ملؤوهـــــا بالمـــــال بـــــدلا مـــــن العقـــــل

(٦٦٠)

فـــــي اليــــوم الـــــذي أنشـــئت فيـــه الأفـــلاك
صـــبغ الخـــاتم الـــذهبيّ للعشّـــاق بلـــون آخـــر
لا تقــف بطريــق العقــل علــى الكيفيــة التــي صــبغ فيهــا
ذلــك لأنّ هــذا الــذهب ســبك خــارج مملكــة العقــل

(٦٦١)

تلــك الحســان اللائــي هــن فتنــة ببيــت الأصــنام
قطعــن علينــا الطريــق نحــو خرابــات الحســان
كــن كــافرات القلــوب، شــارباتٍ للــدماء، قاطعــاتٍ للطريــق
وبســـبب المكـــر، صـــرن زاهـــداتٍ عابـــدات

(٦٦٢)

أنـــا فـــي قيـــدٍ مـــن تلكمـــا الطـــرتين المجعّـــدتين
وأنـــا فـــي أنـــينٍ مـــن تلكمـــا الشّـــفتين السّـــكّريتين
فيـــا مـــن وعـــد لقائـــك لا يتحقّـــق أبـــدًا
فـــي النهايـــة، مـــا أكثـــر غـــم هجرانـــك

(٦٦٣)

أيـــــن يوســـــف؟ فهـــــذا العـــــالم كلـــــه يعقـــــوب

وأيـــــن الصـــــبر؟ فهـــــؤلاء العشـــــق هـــــم أيّـــــوب

أيـــــن مفرحـــــوا القلـــــوب لكـــــي يرقصـــــوا

فـــــي مجلـــــس الـــــرّوح، حيـــــث الصـــــور الفتّانـــــة؟

(٦٦٤)

هـــــذه الصّـــــورة الآدميـــــة المركبـــــة

هـــــي نقـــــشٌ ربـــــط بمعلـــــف الغـــــمّ

حينَـــــا شـــــيطانٌ، وحينَـــــا ملـــــكٌ، وحينَـــــا وحـــــشٌ!

فـــــأيّ طلســـــمٍ هـــــذا الـــــذي ركـــــب؟!

(٦٦٥)

فـــــي خدمـــــة عينيـــــك عـــــددٌ مـــــن الســـــحرة

وقـــــد ربطـــــوا نومنـــــا بالســـــحر

قلـــــت: «أقيـــــد أيـــــديهم بالوصـــــال»

وقـــــد انصـــــرفت أنـــــت فتحـــــرروا مـــــن يـــــدي

(٦٦٦)

تحـــــدّثوا عـــــن الفقـــــر أنواعَـــــا مـــــن الحـــــديث

وبعـــــدم العلـــــم ثقبـــــوا جـــــواهر المعنـــــى

ولأنّهـــــم لـــــم يطلعـــــوا علـــــى أســـــرار العـــــالم

لغـــــوا فـــــي البـــــدء، ثـــــم نـــــاموا فـــــي الآخـــــر

(٦٦٧)

مــا أكثــر الخطــا التــي لــم تمـض فــي طريــق الصّــدق والصّــفاء
ومـــا أكثـــر مـــن لـــم يشـــربوا كأسَـــا مـــن خمـــرة الـــروح
أخـــــذوا بضـــــعة حـــــروفٍ مـــــن أقـــــوال الأوليـــــاء
لكـــي يقـــبح اســـم عـــددٍ مـــن ذوي السّـــمعة الحســـنة

(٦٦٨)

فـي مصـطبة العـالم صـرت مشـمئزًا مـن عـددٍ مـن السّـيّئى السّـمعة
ومـــــن لـــــوم عـــــدد مـــــن الأغـــــرار
أخـــــذوا بضـــــعة حـــــروفٍ مـــــن أقـــــوال الأوليـــــاء
لكـــي أتقـــدّم بضـــع خطـــا نحـــو الأجـــل

(٦٦٩)

وقعـــت القلـــوب مـــن السّـــماع فـــي اضـــطراب
مثلمـــا يحـــدث الاضـــطراب مـــن ســـحاب الرّبيـــع
أي زهـــرة الغيـــب، افتحـــي كـــفّ الرحمـــة
فقـــد شـــرع المطـــرب والكـــف والـــدفّ بالعمـــل

(٦٧٠)

أولئـــك الـــذين وقعـــوا فـــي ناحيـــة العـــارفين
يظلـــون حتّـــى نفخـــة الصّـــور نشـــطين ومســـرورين
هنـــاك قـــومٌ قبلـــوا أن يكونـــوا فـــداءً لأنفســـهم
وهنـــاك قـــومٌ أحـــرار مـــن الـــنفس والـــرّوح والعـــالم

(٦٧١)

بـــرغم أنّهـــم جعلـــوني دقيـــق النظـــر فـــي أمـــور العشـــق
واختـــــــــــــــــــــاروني للتقـــــــــــــــــــــدّم
فقـــــد جــــاء البـــــرد، ولـــــم يصـــــر لـــــدّي فـــــروٌ
بـــــرغم أنهـــــم جعلـــــوا كـــــل مدينـــــةٍ فـــــروًا لـــــي

(٦٧٢)

جـــــــئ بنـــــا مـــــــن خرابــــــات «ألســــــت»
جـــــئ بنـــــا مفتـــــونين ومشوّشـــــين وثملـــــين
وسنســـــــــاق أيضـــــــا إلـــــــى الخرابـــــــات
لأنـــــه جـــــئ بنـــــا مـــــن العـــــدم إلـــــى الوجـــــود

(٦٧٣)

أولئـــك الـــذين جـــاؤوا بالقلـــب ثمـــلا مـــن «ألســـت»
جـــاؤوا بـــالرّوح مـــن العـــدم محبّـــا للعشـــق
وبغايـــة الاشـــتياق وضـــعوا القـــدم فـــوق الـــرّوح
لكـــي يظفـــروا بلحظـــة واحـــدة مليئـــة بـــالألم

(٦٧٤)

جـــــــئ بنـــــا مـــــــن خرابــــــات الأزل
والثملـــــــــون جـــــــــاؤوا بالجـــــــــدال
أمّـــا نحـــن فلـــيس لنـــا جـــدالٌ، ولـــذلك جـــئ بنـــا
ممتـــــــزجين كالحليـــــــب والعســـــــل

(٦٧٥)

أولئـــــــك الـــــــذين قيـــــــدّوا بخراباتـــــــك
قليـــلٌ مـــن المعربـــدين، ولا يعـــرف أحـــدٌ عـــددهم
لا يـــــــروقهم الصّـــــحو لحظـــــــة واحـــــــدةً
ويسـخرون ممـا هـو حسـنٌ وممّـا هـو قبـيحٌ فـي العـالمين كليهمـا

(٦٧٦)

وضـــعت الـــورود الجميلـــة فـــوق رؤوس الأشـــجار
ورأى أولئـــــــك اليعقوبيّـــــــون يوســـــــفهم
وفـــــي أيّـــــام الشـــــتاء اكتســـــت بالســـــواد
ثـــم ضـــحكت فـــي الآخـــر بعـــد البكـــاء

(٦٧٧)

وضـــعت الـــورود الطريـــة فـــوق رؤوس الأشـــجار
وهـــي تـــرى فـــي قلوبهـــا مـــنجم الجـــوهر
ولأنهـــا ثابتـــة وقـــت التعـــرّي مـــن الأوراق
لا تيـــــأس، ولا تـــــدع انتصـــــابها

(٦٧٨)

أولئـــك الـــذين أبعـــدوا عـــن أحبّـــتهم الجميلـــين
وأولئـــك الـــذين ســـمعوا تعاويـــذ قطـــاع الطريـــق وأنفاســـهم
فنكصـــوا علـــى أعقـــابهم مثـــل الجـــدي الأعـــرج،
مـــزّقتهم كلهـــم الـــذئاب إربَـــا إربـــا

(٦٧٩)

الثملـــــــون بغمّـــــــك ثــــــاروا مـــــــرةً أخــــــرى
ومــــن جنّــــت قلـــوبهم بــــك رأوا هـــلال أول الشـــهر
حــــــــان أوّل الشـــــــهر فهـــــــزّوا السلاســـــــل (١)
ومزّقـــــــوا قمـــــــيص العقـــــــل والصـــــــبر

(٦٨٠)

بعـــض النـــاس لهـــم صـــفات حيـــدر الكـــرّار [الإمـــام علـــي]
وآخــــرون مــــن قبيـــل مالـــك الحـــزين [جبنـــاء]
يقـــول لـــك العشـــق: «أريـــد رفيقـــا صـــادقا فـــي الطريـــق»
فتقـــــول أنـــــت: «لا، مـــــا أكثـــــر المهـــــزومين»

(٦٨١)

فـــــي كـــــلّ مكـــــانٍ مـــــن الـــــدّنيا ينثـــــر بـــــذر الوفـــــاء
ويـــــــؤتى بـــــــذلك البـــــــذر مـــــــن بيـــــــدرنا
وحيثمـــــــا يمســـــــك بالنّـــــــاي والـــــــدّفّ طربـــــــا
فـــــــذلك السّـــــــرور لنـــــــا، ويظنّونـــــــه لهـــــــم

(٦٨٢)

إنّ أشـــــــياخ خرابـــــــات غمّـــــــك كثيـــــــرون
وهـــــــم نـــــــائمون وصـــــــاحون مثـــــــل عينـــــــك

(١) ههنا إشارة إلى اعتقاد قديم يقول إنّ المجانين يزدادون جنونًا عندما يرون هلال أوّل الشهر ، فيهزون السلاسل والقيود [المترجم].

فأرسـل الشـراب الصّـافي، لأنّ هـؤلاء العشـاق
ليسـوا ثملـين حقيقـة ولا صـاحين

(٦٨٣)
لا تـذهب وحـدك ؛ لأنّ قطـاع الطريـق كثيـرون
وعنـدك روحٌ واحـدٌ، وأعـداء الـرّوح كثيـرون
إنّـك تسـمّي عـدوَّ الـرّوح معشـوقًا ومحبوبَـا
والحمقـى مثلـك كثيـرون فـي هـذه الـدنيا

(٦٨٤)
أولئـك الـذين يقتفـون أثـرك لـيلا ونهـارًا
صـيادون متـوارون، ولكـنّهم قليلـون
يبعـدونك عـن كـلّ مـن تحـبّ
ولـو أنّـك لـم تـذهب، لجـرّوك جـرّا

(٦٨٥)
فـي ناحيـة الخرابـات لا يشـترى التكبّـر
بـل تشـترى الرّجولـة فـي ذلـك المكـان
فـإن وصـلت إلـى هنـاك فـلا بـدّ مـن المقـامرة
فإمـا أن تخسـر، وإمّـا أن تـربح، وإمّـا أن تهـزم

(٦٨٦)
لسـت طاووسَـا، لكـي ينظـروا إلـى جمالـك
ولسـت عنقـاء، لكـي يـذكروا اسـمك مـن دون وجـودك

ولســــت بــــازًا ملكيًـــا لكـــي يــــأكلوا مــــن صــــيدك

فـــي النهايـــة، أي طـــائرٍ أنـــت؟ ومـــع أيّ شـــيء يأكلونـــك

(٦٨٧)

لـــــو اســـــتولت التمّاســـــيح علـــــى البحـــــر كلـــــه

واســـــتولت النّمـــــور علـــــى الصـــــحراء كلهـــــا

واســـــتولى الأشـــــحّاء علـــــى النعمـــــة والمـــــال

لاســـــتولى العشّـــــاق علـــــى جمـــــال الفـــــاتنين

(٦٨٨)

يقـــامر العاشـــقون بالعـــالمين فـــي لحظـــة واحـــدة

ويقـــدّمون مئـــة ســـنةٍ مـــن العمـــر مقابـــل لحظـــةٍ واحـــدة

ومـــن أجـــل رائحـــة الأنفـــاس يقطعـــون ألـــف منزلـــة

ومـــــن أجـــــل القلـــــب يقـــــدّمون ألـــــف روحٍ

(٦٨٩)

أيهـــا الحبيـــب، يصـــنع الســـكر مـــن القصـــب بالمـــداراة والتـــأنيّ

ويصـــــنع الـــــدّيباج مـــــن ورق شـــــجر التّـــــوت

فتـــــــــأنّ، ولا تتعجّـــــــــل، واصـــــــــبر
ف
فمـــن الحصـــرم تصـــنع الحلـــوى بمـــرور الوقـــت

(٦٩٠)

إنّ يــــــدك لــــــتطعن فــــــي السّــــــحاب جــــــودًا

وفـــي المعركـــة تمتشـــق [يـــدك] السّـــيف المرصّـــع

ولا بـــدّ مـــن أن تخجـــل الشـــمس مـــن صـــنيعك
فقـــد رأت ســـيفك، وهـــي تمتشـــقه فـــي الصّـــباح

(٦٩١)

عنـــدما تلقـــي طرتـــك علـــى شـــفتك الياقوتيـــة السّـــكرية
تستشـــــار فـــــي قـــــبض أرواح العبـــــاد
أيمكـــــن أحـــــدًا أن يســـــلم يـــــده العزيـــــزة؟
أيمكـــن أحـــدًا أن يركـــل مـــن تواضـــع لـــه؟

(٦٩٢)

عنـــــدما تصـــــب خمرتـــــك فـــــي كأســـــنا
يظهـــــر المتـــــوارون فـــــي هـــــذه الـــــدنيا
وتجتنبنـــــا حتـــــى جماعـــــة المتّقـــــين
ويفـــــرّ منّـــــا أهـــــل الخرابـــــات جميعًـــــا

(٦٩٣)

لا تـــرض بغيـــر صـــحبة العشّـــاق والثملـــين
ولا تضـــع فـــي قلبـــك حـــب إنـــاسٍ وضـــيعين
إذ كـــل طائفـــةٍ تشـــدّك إلـــى جانبهـــا
الـــزّاغ يشـــدّك نحـــو الخـــراب، والببغـــاء نحـــو الســـكر

(٦٩٤)

لـــو خـــدمك الفلـــك علـــى الـــدوام
فـــلا تقبـــل ذلـــك منـــه ؛ لأنـــه سيضـــعك فـــي النهايـــة

وعلـــــــى حـــــــين غـــــــرّةٍ يســـــــكرك بشـــــــربةٍ

ويتعلـــــــــــق بمعشـــــــــــوقٍ آخـــــــــــــر

(٦٩٥)

إذا أســــــــــرك النّـــــــــوم أيهـــــــــا الســـــــــيد

فـــــــإنّني لا أســــــمح لأحــــــــدٍ بــــــأن يوقظـــــــك

العشـــــــق يهـــــــزّك مثـــــــل شـــــــجر التفـــــــاح

لكـــــــي يجعـــــــل نومـــــــك طيـــــــارًا مثـــــــل الـــــــورق

(٦٩٦)

ذلـــــــك الإنســـــــان الـــــــذي يقـــــــرّ بصـــــــدقي

يجعلنـــــــي فـــــــي الســـــــوق مثـــــــل اللعـــــــب

وأنـــــا مشـــــمئز مـــــن ذلـــــك الصـــــنيع، إذ لســـــت ســـــوقيًا

أنـــــا عبـــــدٌ لـــــذلك الـــــذي ينكـــــر صـــــدقي

(٦٩٧)

إنّ وجهـــــــــك يجعـــــــــل ليلنـــــــــا نهـــــــــارًا

وتجعـــــــل أنفاســـــــك الغـــــــيلان أدلاء الطريـــــــق

ومئـــــــة أعمـــــــى اســـــــتفادوا مـــــــن ناحيـــــــة غمـــــــك

فلعـــــلّ كـــــلا أيضًـــــا يســـــتفيد منـــــك فـــــي الليـــــل

(٦٩٨)

عنـــــــدما تصـــــــبّ الجـــــــواهر مـــــــن الأفـــــــلاك

تتجـــــــــه كـــــــــل ذرةٍ إلـــــــــى أصـــــــــلها

وبسـبب الغـرور وريـح الهـوس
تفـرّ كـل ذرةٍ مـن الشـمس

(٦٩٩)

عنـدما يعـزم عشـقك الجميـل علـى سـفك الـدم
يفـرّ الـرّوح مـن قفـص صـدري
كـافرٌ مـن يمكـن أن يقتـرف ذنبَـا مـع
شـفتك السّـكرية، ثـم يعـفّ عـن ذلـك

(٧٠٠)

فـي كـلّ يـوم يرتشـف قلبـي سـكرًا جديـدًا
لأنـه ينسـى الأذواق الماضـية
وفـي البـدء تجـيش الخمـرة مـن العشـق
وعندئـذ يعطـي الخمـرة ويـدهش

(٧٠١)

ابحـث عـن الجديـد، ابحـث عـن الجديـد، فالجديـد يطـرب أكثـر
وإنّ الجِـلال القديمـة تجـرح ظهـور الحميـر
اتـرك الشـعير، أيهـا الجسـم، فإنّـك قـديم أيضًـا
إنّ المشـهد الجديـد يفـتن القلـب

(٧٠٢)

أيهـا النهـار، اطلـع لكـي تـرقص الـذرّات
وتـرقص الأرواح سـرورًا فـي غايـة الاشـتياق

الإنســـــان الـــــذي يـــــرقص منـــــه الفلـــــك والهـــــواء
أهمـــــــس فـــــــي أذنـــــــك أيـــــــن يـــــــرقص

(٧٠٣)

عنـــــــــدما يـــــــــرقص خيـــــــــال الحبيـــــــــب
مـــا شـــأن روحٍ واحـــد؟! هنـــاك مئـــة عـــالمٍ يـــرقص
وبكـــــلّ نغـــــم يعـــــزف فـــــي منـــــزل القلـــــب
يـــــــرقص الجســـــــم المســـــــكين أيضَـــــــا

(٧٠٤)

أنـــت مئـــة قنفـــذ، ولـــيس لـــدى البقـــر جلـــدٌ كجلـــدك
أنـــــــت حجـــــــرٌ، ويـــــــد موســـــــى لا تنعّمـــــــك
يـــــا مـــــن ثمانيـــــة عشـــــر شـــــتاءً اجتمعـــــت لـــــك
ولا تـــــــدفئك إلا جهـــــــنّم مملـــــــوءةً بالنكـــــــال

(٧٠٥)

لا يكفـــــي فـــــي العشـــــق ألـــــف روحٍ وقلـــــب
ومـــاذا يكـــون الـــروح؟! لا أحـــد يتحـــدّث عـــن الـــرّوح
إنمـــا يســـير فـــي هـــذا الطريـــق مـــن يعطـــي مئـــة روحٍ
فـــــي كـــــلّ خطـــــوة، ولا يلتفـــــت إلـــــى الـــــوراء

(٧٠٦)

الشـــــمس التـــــي لا تبقـــــى فـــــي منزلهـــــا
تـــدور مـــن مكـــانٍ إلـــى مكـــان، ولا تبقـــي فـــي مكـــان

وذلـــــــــك النـــــــــور لا يقصـــــــــد إلاّ الهـــــــواء

يقـــــــــول: «إنّ أصـــــــــلنا لا يخطـــــــــئ»

(٧٠٧)

لا يجـــادل قلبـــي مـــن يجـــزئهم النظـــر إلـــى الصّـــور

ولا يبيـــــع ويشـــــتري مـــــع أهـــــل الإدبـــــار

أريـــــــد أن أعـــــــرّي أســـــــرار الســـــــيّئين

لعمـــــــرك إنّهـــــــم لا يســـــــتحقون الـــــــذكر

(٧٠٨)

أيمكـــــن أن يجـــــادل القمـــــر وجهـــــك، لا، لا يجـــــادل

أيمكـــــن أن يقـــــيم قلبـــــي الضـــــائع؟ لا، لا يقـــــيم

يـــــا قبلـــــة الـــــروح، أيســـــتحق قلبـــــك الإيـــــذاء

مـــــن أجـــــل روحٍ واحـــــد؟ لا، لا يســـــتحق

(٧٠٩)

يخـــــدم القلـــــب شـــــفتك الياقوتيـــــة النديـــــة

ويســـــكر مـــــن عينيـــــك المملـــــوءتين بالخمـــــار

ولـــــو نبتـــــت شـــــوكة فـــــوق قبـــــري

لطلبتـــــــك تلـــــــك الشـــــــوكة الآن

(٧١٠)

حاشـــــــى أن يتـــــــرك قلبـــــــي عِـــــــذارَك

أو يتـــــرك عطـــــاءك الـــــذي لا حـــــدّ لـــــه

ولـــــــو نبتـــــــت شـــــــوكة فـــــــوق قبـــــــري
لطلبتـــــــــك تلـــــــــك الشـــــــــوكة الآن

(٧١١)

ومـــا الـــروح الـــذي لا يعمـــل مـــن أجلـــك علـــى الـــدوام؟
ومـــــا العـــــين والقلـــــب اللـــــذان يصـــــطادان لـــــك؟
ولـــــــو نبتـــــــت شـــــــوكة فـــــــوق قبـــــــري
لطلبتـــــــك تلـــــــك الشـــــــوكة بشـــــــوقٍ

(٧١٢)

لا يتحـــــــدّث القلـــــــب إلا عـــــــن ربيعـــــــك
ولا يتحــدّث الــروح إلا عــن شــقائق النعمــان فــي رياضــك
ولـــــــو نبتـــــــت شـــــــوكة فـــــــوق قبـــــــري
لطلبتـــــــــك تلـــــــــك الشـــــــــوكة الآن

(٧١٣)

العاشـــــق الـــــذي لا يتواضـــــع، مـــــاذا يفعـــــل؟
والليـــالي التـــي لا تـــأتي إلـــى ناحيتـــك، مـــاذا تفعـــل
وإذا مــــا قبّـــــل [العاشــــق] طرتــــك فــــلا تتشــــاءم
فمـــاذا يفعـــل المجنـــون الـــذي لا يعـــضّ السلســـة [القيـــد]؟

(٧١٤)

البحـــــــر لا يروينــــــي، فمــــــا يفعــــــل النهــــــر؟
وعنـــدما لا يكـــون البســـتان لـــي، فمـــا تفعـــل الرّائحـــة؟

فـــــإنّ نـــــأى الحبيـــــب فإنّـــــه معـــــذورٌ
بقيـــت أنـــا والصّـــبر، فمـــا يفعـــل أيضَـــا؟

(٧١٥)

العـــين التـــي تنظـــر إلـــى ذلـــك الـــورد وتلـــك الشـــقائق
تمـــلأ قبـــة الفلـــك هـــذه بـــالأنين
إنّ خمـــرة آلاف الســـنين لا تفعـــل البتـــة
الجنـــون الـــذي يفعلـــه عشـــق ســـنةٍ واحـــدة

(٧١٦)

عنـــدما يســـبّب عشـــقك الجنـــون لـــي
أجـــنّ جنونَـــا لا يجنّـــه الجـــانّ
وحكـــم قلمـــك يفعـــل بقلبـــي
مـــا لا يفعلـــه قلـــم صـــاحب الـــدّيوان

(٧١٧)

أنـــا عبـــدٌ لأولئـــك الـــذين يعرفـــون أنفســـهم
وفـــي كـــلّ لحظـــةٍ يحـــرّرون قلـــوبهم مـــن الخطـــأ
يجعلـــون مـــن ذواتهـــم وصـــفاتهم كتابَـــا
ويســـمّون فهرســـت الكتـــاب: «أنـــا الحـــق»

(٧١٨)

اجلـــس حيـــث يكـــون الرّجـــال جلســـاءك
لكـــي يـــذهبوا دخـــان كـــدورتك

ولا تفكَّــــــــــر فـــــــــي عيـــــــــوبهم ؛ فــــــــإنهم
يعلمـــــــــــون قبـــــــــــل أن تفكـــــــــــــر

(٧١٩)

أيهــــا العشــــق، إن الجـــــنّ والإنــــس ليعرفونــــك
يعـــــدّونك أشـــــهر مــــــن خـــــاتم ســــــليمان
يعـــــدّونك روحًـــــا فــــــي قــــــال الـــــدنيا
وأنـــا أعـــيش معـــك علـــى نحـــوٍ تعرفـــه الطيـــور

(٧٢٠)

الســـــادة حيـــــارى مــــن تـــــراب راحـــــة قــــدمك
والعميــــان جميعًـــا ثملـــون، والصــــمّ حيـــــارى
وأولئــــك الأصـــفياء الـــذين امّحـــوا فـــي الصـــفاء
هـــــــم أيضًـــــــا حيـــــــارى بـــــــذلك

(٧٢١)

طـــائرٌ عجيـــبٌ، ذلـــك الـــذي صـــيده الأســـود
والمضـــحّون بـــأرواحهم حيـــارى الهيـــام بـــك
عـــش ســـعيدًا ومطمئنًـــا ؛ فـــإن هـــذه المدينـــة
بســـــببك جعـــــل عاليهـــــا ســـــافلها

(٧٢٢)

يخيفـــــون السّـــــكارى مـــــن المحتســـــب
وقـد صــار محتسـبك ثمـلًا والنــاس جميعًـا يعرفـون ذلـك

وإن كـــــــان أهـــــــل هـــــــذه المدينـــــــة رجـــــــالًا
فلمـــــاذا لا يقبلـــــون رهـــــن هـــــؤلاء الســـــكارى؟!

(٧٢٣)

فـــــي حضــــرة الحـــق يوجـــد الـــدّراويش الممـــــدوحون
وهـــــم فـــــي المنزلـــــة العليـــــا لهــــذه الصّـــــفة
وإن شــــئت أن يغـــــدو نحـــــاس وجـــــودك ذهبًـــــا
فكـــــــن معهـــــــم ؛ فـــــــإنهم كيميـــــــاء

(٧٢٤)

أولئـــــــك المحققـــــــون العـــــــارفون للطريـــــــق
يعرفـــــون أســـــرارك واحـــــدًا واحـــــدًا
لكـــــنهم لا يمزّقـــــون ســـــتر أحـــــدٍ تكرّمًـــــا
ويســـــــيرون كمـــــــا يســـــــير الزمـــــــان

(٧٢٥)

كـــــل ليلـــــةٍ تعلـــــن فيهـــــا نوبـــــة عشـــــقِك
حيثمـــا يوجـــد جســـمٌ يغـــدو روحًـــا فـــي تلـــك الليلـــة
أي حســـــانٍ لـــــدى العشـــــق فـــــي خيمـــــة الليـــــل!
ولـــــو جـــــاء الـــــم لنـــــتفن شـــــاربه ولحيـــــته

(٧٢٦)

عنـــــدما تســـــفك الـــــدّماء فـــــي عســـــكر العشـــــق
يشـــــحذ السّـــــيف مـــــن أشـــــلاء وجودنـــــا

أنـــــا غريـــــق هـــــذا الصـــــدر الشـــــبيه بـــــالبحر
فقـــــــــــل لأحبّتـــــــــــي أن يبتعـــــــــــدوا

(٧٢٧)

توضـــــع الـــــورود الطريـــــة علـــــى رؤوس الأشـــــجار
وتـــــرى فـــــي قلوبهـــــا منـــــاجم الجـــــوهر
ولأنهـــــا ثابتـــــة وقـــــت التعـــــرّي مـــــن الأوراق
لا تيـــــأس ولا تتـــــرك اســـــتقامتها وانتصـــــابها

(٧٢٨)

أيهـــا العشـــق، أي شـــيء أنـــت؟! إنّ الأشـــياء كلهـــا لـــك
أنـــــت جمـــــعٌ والجمـــــوع متفرقـــــة بســـــببك
أنـــت جلـــيس البيـــت والآخـــرون جميعَـــا حـــرّاسٌ لـــك
أنـــــت أم وهـــــذه الطائفـــــة مـــــن النـــــاس أطفالـــــك

(٧٢٩)

أيهـــــا العشـــــق الـــــذي الأرواح مـــــن أثـــــر روحـــــك
أيهـــــا العشـــــق، إن أنـــــواع الملـــــح مـــــن مملحتـــــك
أيهـــا العشـــق الـــذي أنـــواع الـــذهب كلهـــا مـــن منجمـــك
أنـــــت مســـــتورٌ، والآخـــــرون جميعَـــــا عـــــراةٌ بســـــببك

(٧٣٠)

صـــــار الليـــــل، لكـــــي يـــــدخل النـــــاس جميعَـــــا فـــــي النّـــــوم
مثـــــل الأســـــماك تـــــدخل جميعَـــــا فـــــي المـــــاء

وعنـــــدما يــــأتي النهـــــار يتّجهـــــون نحـــــو الأســــباب
ومـــــن يتّجهـــــون إلـــــى الوهــــاب خلـــــق آخــــر

(٧٣١)

فــــي ناحيتــــك يتضــــاعف العشــــاق ثـــم يمضــــون
يســـــكبون دم الكبـــــد مـــــن أعيــــنهم ثـــم يمضـــــون
جعلنــــي الله مقيمَـــــا علــــى بابــــك مثـــل التـــراب
وإلا جعلنـــي الله كــــالآخرين يــــأتون ويـــــذهبون كــــالريح

(٧٣٢)

أولئــــك الـــذين يمضـــون كالمــــاء صــــافين وأنقيــــاء
يـــــدخلون عــــروق النـــــاس وعقــــولهم كــــالخمرة
كنـــــــــــت أســــــــــترخي وأتمـــــــــــدّد
لأن النــــاس يمضـــــون فـــــي السّـــفينة مســــترخين

(٧٣٣)

هـــذا الليـــل لـــيس أوان أن يخـــرج النــــاس مـــن المنـــازل
يمضـــــون مـــــن الحبيــــب إلــــى الغريــــب
هـــــذا الليـــــل أوان أن تـــــدخل الأرواح العزيــــزة
ثملـــــــة فــــــي نــــــار الاشــــــتياق

(٧٣٤)

مضــــيت إلــــى منـــــزل مـــــن وصــــاله رائــــعٌ
فخـــــــــرج لاســــــــــتقبالي ضـــــــــاحكًا

وضـــــــمّني إلــــــى صـــــــدره بقـــــوّة كالســـــــكَر

[قـــــائلا:] أيهـــــا العـــــارف، والعاشــــق والعـــــالم

(٧٣٥)

أولئــــــك المحقّقــــــون فــــــي هـــــــذا الجنـــــاب

هــــــم عنــــــد قلـــــوبٍ أهـــــلِ القلـــــب كـــــالقشّ

إن أهـــــــل القلــــــوب هــــــم خاصــــــة الملــــــوك

والبــاقون جميعَــا أينمــا وجــدوا ليســوا ســوى خــرج الطريــق

(٧٣٦)

نحــــــــن نريــــــــد والآخــــــــرون يريــــــــدون

فلننتظــر لمــن يكــون الحــظ، ومــن يفســح لـــه الطريــق

وباختصـــــار، فــــإن غمّـــــه باللعـــــب والضـــــحك

نـــــزع منّـــــا العقـــــل والأدب وكـــــل شـــــيء

(٧٣٧)

أيهـــا القلـــب، لـــن يعطـــوك الطريـــق بالقيـــل والقـــال

ولـــــن يعطـــوك الوصـــــال إلا عنـــــد بـــــاب الفنـــــاء

وعندئـــــذ فــــي ذلـــــك الفضـــــاء الـــــذي هـــــو لطيــــوره

مـــا دمـــت ذا ريـــشٍ وجنـــاحٍ فلـــن تعطـــى ريشَـــا وجناحَـــا

(٧٣٨)

قـــــدم الـــــرّوح ؛ فــــإن وصـــــاله لا يعطـــــى بالخــــداع

ولا يعطــــى حليــــبٌ مــــن قـــــدح الشــــرع للثملـــــين

وحيـــــــث يشـــــرب المجـــــردون معَـــــا الخمـــــرةَ
لا تعطــــــــى جرعــــــــة لعبــــــاد أنفســــــهم

(٧٣٩)

مــــا دمــــت مــــع نفســــك فلــــن يعطــــوك الطريــــق إلــــيهم
وعنــــدما تغــــدو عــــدمًا لا يخرجونــــك مــــن أعيــــنهم
وإن صــــرت طــــاهرًا مــــن العــــالمين كليهمــــا فــــاعلم يقينًــــا
أنّهــــم عندئــــذٍ يخصّــــونك بســــمة الفقــــر

(٧٤٠)

يســـــود الـــــذهب ويوضـــــع فـــــي الـــــدّخان
لكـــــي يحمـــــوه مـــــن أيـــــدي الســـــراق
العاشـــــق ذهـــــبٌ أحمـــــر، لا يســـــوَدّ وجهـــــه
ولا يُـــــداس بالأقـــــدام، بـــــل يوضـــــع بالأيـــــدي

(٧٤١)

كـــــل حيـــــوانٍ فـــــي الربيـــــع يأكـــــل الحشـــــيش
ويختطـــــف الملـــــوك أســـــرار الرّبيـــــع
وقصـــــار النّظـــــر أطفـــــالٌ فـــــي هـــــذا الربيـــــع
ويـــــزّينُ البســـــتان مـــــن أجـــــل الأحبّـــــة

(٧٤٢)

إن ســـــلكت الطريـــــق فتحـــــوا لـــــك الطريـــــق
وإن صـــــرت عـــــدمًا مـــــالوا إلـــــى وجـــــودك

وإن تواضعت ولم تكن في العالم
أظهروا لك نفسك من دون وجودك

(٧٤٣)

من يراك بعين الظاهر
هو مثل كافرٍ يرى مؤمنًا طاهرًا
فلا تنظر بعينك النّائمة إلى الصحاة ؛
لأنّ هذه العين ليست هي التي ترى السرّ

(٧٤٤)

ينطلق الغزال حين يرى كلبًا يتعقبه
وحين يرى حملة أميرٍ على جواد سريع
ينطلق سريعًا بكلّ ما أوتي من قوة ؛
لأنّه يرى صلاح نفسه في ذلك الانطلاق

(٧٤٥)

حذار لا تقل: «لا يوجد سالكون
ولا عيسويّو الصّفات ومن لا علامة لهم»
لأنّك لست أهلًا للأسرار
حسبت أن الآخرين أيضًا ليسوا أهلا للأسرار

(٧٤٦)

العالم كله مسخرّ لصفاته
وفي وجودهم، هم كلهم حيارى وجوده

وأولئـــــك الـــــذين هــــم مــــن نــــوع حياتــــه
ليســوا مقصــورين علـــى الصّــفات، بــل هــم ذاتــه

(٧٤٧)

قلــــــوب الأعــــــزاء تنشــــــد الصـــــف الأول
والقلــــوب الأخـــــرى تنشـــــد أعمــــالاً مبــــدّدة
وقلــــوب الخلائــــق كلهــــا تنشــــد الســـــرور
ويبحـــث الســـرور عـــن قلـــوبهم بغايـــة الاشـــتياق

(٧٤٨)

أنـــــاسٌ يتحــــدّثون عـــــن تلــــك الناحيــــة
وأنــــاسٌ يطلبـــون العنايـــة مـــن تلـــك الناحيـــة
والأرواح تســــــعى متواريــــــة وراء الجســــــد
مـــن ناحيـــةٍ إلـــى أخـــرى، طالبـــة تلـــك الناحيـــة

(٧٤٩)

كـــان القلـــب الليلـــة الماضـــية نـــديمنا فـــي هـــذا العشـــق
ســـهر الليـــل كلـــه حتـــى الســـحر ولـــم يســـترح
وعنــــدما تـــــنفس الصـــــبح أتـــــاك ســـــريعًا
بوجـــــهٍ أصـــــفر وعـــــينٍ ممتلئـــــةٍ بـــــالنّوم

(٧٥٠)

كـــــل عمـــــرٍ يمضـــــي دون رؤيـــــة الأصـــــحاب
امّـــــا أن يكـــــون موتـــــا بـــــالطبع وإمـــــا نومـــــا

والمـــــــــاء الـــــــــذي يكـــــــدرك ســـــــــم
والســـــــــم الـــــــــذي يصـــــــــفيك مـــــــــاءٌ

(٧٥١)

ذلـــــك الـــــذي عنـــــدما يكـــــون صـــــاحيًا يكـــــون ثمـــــلاً
عنـــدما يغـــدو ثمـــلاً انظـــر كيـــف يكـــون مســـرورًا
وعنـــــــــدما تســـــــــأله يخفـــــــــي ســـــــــكره ؛
لأن هــذا المضــراب يكــون عاليَــا حينَــا وخفيفَــا حينَــا آخــر

(٧٥٢)

أريـــــــــــد مطربَـــــــــــا عاشـــــــــــقًا وثمـــــــــــلا
ويكـــــــون مقيـــــــدًا فـــــــي ناحيـــــــة خراباتـــــــك
وســـــــــواءٌ أكـــــــــان الملـــــــــك فانيَـــــــــا أم باقيَـــــــــا
يــــا رب، أعــــط ذلــــك الــــذي هــــو مــــن هــــذه المجموعــــة

(٧٥٣)

العاشـــــق الـــــذي يكـــــون فـــــذا فـــــي الـــــدّلال والرقـــــة
يكـــــون فـــــي مـــــذهب العشـــــق فتـــــى مقـــــدامًا
وأي دلالٍ يناســــــــــــــــــــــــب العشّــــــــــــــــــــــــاق؟!
إنّ يعقـــوب عنـــدما يعمـــل عمـــل يوســـف يكـــون بـــاردا

(٧٥٤)

العشـــــــق مـــــــن الأزل، وسيســـــــتمر إلـــــــى الأبـــــــد
وطـــــــالبو العشـــــــق لا حصـــــــر لهـــــــم

وغــــــــدًا عنـــــــــدما تقـــــــوم الســـــــاعة

أي رد ســـــــيرد مــــــن لـــــــيس عاشـــــقًا؟!

(٧٥٥)

يقـــــال: «إنــــــه ســـــيكون هنــــاك فـــــردوس أعلـــــى

وســـــيكون هنــــاك خمـــــرةٌ ســـــافية وحــــورٌ عـــــين

وهكــــــذا فـــــإنّ لـــــديـنا الخمــــرة والمعشــــوق ؛

لأن عاقبــــــة الأمــــــر ســـــتكون كــــــذلك

(٧٥٦)

فـــــي البــــدء عنـــدما يتخطفنـــي عشــــق المحبــــوب

لا يهـــــــداً جـــــــاري مـــــــن أنينـــــــي

والآن قـــــــلّ أنينـــــــي وزاد عشـــــــقي

فعنــــدما أخـــذت النــــار الهـــواء تضــــاءل الـــدّخان

(٧٥٧)

الآن عنــــدما يختطـــــف وجهــــك الـــــروح والـــــدّنيا

أيــــــة فائـــــدةٍ فـــــي جلوســــك فـــــي البيـــــت؟!

وعنـــدما صـــــرت قمـــرًا أمـــا علمـــت أنـــك ســـتكون

المشـــــار إليـــــك بالبنـــــان فـــــي العـــــالم؟

(٧٥٨)

حاشـــــى أن تكــــون مهجـــوراً مــــن العاشـــق ؛

فـــإنّ هـــذا الوجـــه لـــيس هـــو الوجـــه الـــذي يكـــون بعيـــدًا

أقـــــدم شــــرحًا هــــو عنـــــده مثـــــل الأعمـــــى
وفـــــي شـــــرح هـــــذه الحكايـــــة مأدبـــــة

(٧٥٩)

عنـــــدما تكـــــون شـــــفتاه فـــــي حـــــال الخصـــــام
ينثـــــال منهمـــــا السّـــــكر فـــــي العـــــالمين
وإن رأيـــــت فـــــي قلبـــــك الكئيـــــب قمـــــرًا
فاســـــمع منّـــــي: إنّـــــه شـــــمس تبريـــــز

(٧٦٠)

إن فـــارس شـــبديز [فـــرس كســـرى] لائـــقٌ بالملـــك
والمغرفـــــة لائقـــــة بالقـــــدر والقصـــــعة
وحيـــــث تكـــــون حفصـــــك الوقحـــــة دلالـــــة
أي إعـــــدادٍ ونثـــــرٍ للســـــكر يكـــــون هنـــــاك؟!

(٧٦١)

أنشـــــــد حبيبَـــــــا فتّانَـــــــا
مشـــعلا للقلـــب، وشـــاربًا للـــدّم، وســـاكبًا للـــدّم
وأن يكـــــون نـــــدّا للفلـــــك والنجـــــوم
ويمضـــي فـــي البحـــر، ويكـــون كالنـــار المتّقـــدة

(٧٦٢)

أنـــــت لا تـــــذكر حـــــقّ الصّـــــحبة القديمـــــة
ولا تفكّـــــر بســـــوء حظـــــي ونكـــــدي

تجلـــــس فـــــي العـــــين، وتـــــدخل فـــــي القلـــــب
ولا تخشـــــــــى النّـــــــــار والمـــــــــاء البتّـــــــــة

(٧٦٣)

واأســـــــفاه، لـــــــيس لـــــــك طبـــــــعٌ جـــــــذاب
لـــيس لـــك إلا كســـر القلـــبٍ وحـــرق الصـــدور
كنـــــت أهبـــــك القلـــــب والعـــــين والـــــروح
وكنـــت تأخـــذها، لكـــنّ ذلـــك لـــم يكـــن مـــن نصـــيبك

(٧٦٤)

اصـــــفح عـــــن ذلـــــك العبـــــد الـــــذي لا نـــــوم لـــــه
اصـــفح عـــن ذلـــك الظمـــآن الـــذي لا مـــاء عنـــده
اصـــــــــفح ؛ إنّ كـــــــــلّ مـــــــــن لا يصـــــــــفح
لا يكـــــــون لـــــــه ثـــــــوابٌ عنـــــــد الله

(٧٦٥)

أنـــــا عبـــــدٌ لحبيـــــبٍ لـــــيس لـــــه مـــــلال
فـــإنّ مـــن كـــان ذا مـــلالٍ لـــيس لـــه وصـــال
تقـــــول إنّـــــه خيـــــالٌ، ولـــــيس لـــــك وصـــــال
ومـــا دام المـــاء غيـــر صـــافٍ لا نظهـــر فيـــه

(٧٦٦)

العـــــــارف كـــــــالورد لا يكـــــــون إلا ضـــــــاحكًا
لا يكـــون مـــرًّا ؛ لأنّ عـــادة السّـــكر أن لا يكـــون مـــرًّا

روح العـــــــــــارف مصـــــــــــباح زجاجـــــــــــة
والزّجاجـــــــــة زجاجـــــــــة، ليســـــــــت سِـــــــــندانا

(٧٦٧)
إذا لــــم يكـــن هنــــاك رســــلٌ مــــن جانــــب العشـــق
لا يكـــــــــون رزقٌ للعقـــــــــــلاء والحمقـــــــــــى
عشـــــــــقك كـــــــــالحرير، متضـــــــــامٌ منـــــــــدمجٌ
ومعرفـــة ذلـــك علـــى الحقيقـــة ليســـت مـــن شـــأن الملـــولين

(٧٦٨)
اعلــــــــم يقــــــــينً أنّ العاشـــــــق لـــــــيس مســــــــلمَا
ففــــي مــــذهب العشـــق لـــيس ثمـــة كفـــرٌ ولا إيمـــان
ولـــــيس فـــــي العشـــــق جســـــمٌ وعقـــــلٌ وقلـــــبٌ وروح
كـــــل مـــــن لا يغـــــدو كـــــذلك لـــــيس عاشــــقا

(٧٦٩)
كــــــل قلــــــبٍ لـــــيس فيــــــه حبـــــك متواريَــــــا
هـــــــــو كـــــــــافرٌ ولـــــــــيس مســـــــــلمَا
والمدينـــــــة التـــــــي لا هيبـــــــة فيهـــــا للســـــلطان
عـــــدها خربــــة، ولــــو أنهــــا ليســـــت خربــــة

(٧٧٠)
فـــي البـــدء عنـــدما كـــان وجهـــي أصـــفر وقلبـــي مملـــوءًا بالـــدّم
كــــان المجنــــون مجانســــي ورفيــــق قلبــــي

وتلـــك الصّـــورة وتلـــك القاعـــدة موجودتـــان حتّـــى الآن
وجـــاء الأمـــر أنّ هـــذه كلهـــا كانـــت دونَـــا

(٧٧١)

الليلـــة الماضـــية كـــان معشـــوقي كقمـــر الســـماء
لا لا، هـــو فـــي الحســـن خيـــرٌ مـــن الشـــمس
كـــان خارجًـــا عـــن دائـــرة خيالنـــا
أعـــرف أنـــه كـــان جمـــيلا، ولا أعـــرف كيـــف كـــان

(٧٧٢)

مـــا أنضـــر الجســـم الـــذي أصـــابه بـــلاؤك
ذلـــك المضَّـــرج بـــدم كربلائـــك
يـــا رب، أي عمـــلٍ لديـــه وحســـن صـــنيعٍ
ذلـــك الـــذي تعطـــل عـــن كـــل عمـــلٍ مـــن أجلِـــك!

(٧٧٣)

العاشـــق الـــذي يكـــون فـــذا فـــي الـــدّلال والرقـــة
يكـــون فـــي مـــذهب العشـــق فتـــى مقـــدامًا
وأي دلالٍ يناســـب العشّـــاق؟!
إنّ يعقـــوب عنـــدما يعمـــل عمـــل يوســـف يكـــون بـــاردا [1]

(٧٧٤)

فـــي البســـتان ألـــف حســـناء قمريـــة الوجـــه
وفيـــه وردٌ وبنفســـج مِســـكيّة الشّـــذا

(١) هذه الرباعية تكرار للرباعية رقم ٧٥٣ [المترجم].

وذلــــك المـــــاء الـــــذي رســـــم الـــــدّوائر فـــــي النهـــــر
وكلهـــــا ذريعـــــة، فلـــــيس ثـــــمّ إلا هـــــو

(٧٧٥)

بوجـــود شـــعاع الحـــق، أيّـــة قيمـــةٍ لليقـــين والشـــك
وبوجـود حـلاوة الحـق مـا قيمـة مِثـلِ هـذه المالحـات؟!
الشـــــمس تتـــــوارى خجـــــلا منـــــه
فمـــا قيمـــة هـــذه الأضـــواء الباهتـــة؟!

(٧٧٦)

ســـمّيته قمـــرَا، لا تغلـــط، مـــا قيمـــة القمـــر؟!
ســمّيته ملِكَــا، هــذا خطــأ، مــا قيمــة الملِــك أيضَــا؟!
فـــإلى متـــى تقـــول لـــي: «تـــنهض متـــأخرَا»؟!
عنـــدما تكـــون الشـــمس معـــي، أي معنـــى للتـــأخّر؟!

(٧٧٧)

ومـــاذا يكـــون إن لـــم تفـــرّ منّـــا إلـــى اللعـــب؟!
ومـــاذا يكـــون إن لـــم تلعـــب نـــرد وداعنـــا؟!
شـــفتنا الجافـــة وعيننـــا المخضـــلة بالـــدّمع تطلبانـــك
فمـاذا يكـون لـو صـانعت اخضـلال عيننـا وجفـاف شـفتنا؟!

(٧٧٨)

والله، إن نـــور قلبنـــا وأعيننـــا مـــن رؤيـــة
الوجـــه الـــذي كـــان يـــراك

خاصـــــة الوجـــــه الـــــذي مـــــن الأزل إلـــــى الأبـــــد
لـــــــــم ينقطـــــــــع عـــــــــن رؤيتـــــــــك

(٧٧٩)

أنـــــا مشـــــمئزّ مـــــن اليـــــاقوت الـــــذي هـــــو فيـــــروز
مشـــمئزّ مـــن ذلـــك العشـــق الـــذي مدتـــه ثلاثـــة أيـــام
مشـــــمئز مـــــن ذلـــــك المِلـــــك الـــــذي هـــــو مســـــتجدٍ
مشـــمئز مـــن ذلـــك العِيـــد الـــذي فـــي شـــهر الصـــيام

(٧٨٠)

مضـــى الليـــل، فـــإلى أيـــن مضـــى؟ إلـــى المكـــان الـــذي كـــان فيـــه
فـــــإن كـــــلّ موجـــــودٍ يعـــــدو إلـــــى بيتـــــه يقينَـــــا
أيهـــا الليـــل، عنـــدما تمضـــي إلـــى ذلـــك المقـــام الموعـــود
بلـــــــــغ عنّـــــــــي كيـــــــــف كنـــــــــت

(٧٨١)

كـــــان فـــــوق الفلـــــك ضـــــياءٌ مـــــن نـــــارك
وكـــــان فـــــي نهـــــر العـــــالم مـــــاءٌ مـــــن بحـــــرك
كـــــان ذلـــــك المـــــاء ســـــرابًا، وتلـــــك النـــــار برقًـــــا
وهـــــذه اللحظـــــة لا أثـــــر لهمـــــا، لعلهمـــــا منـــــامٌ

(٧٨٢)

كـــــان لـــــي ضـــــياءٌ مـــــن نـــــار الافتتـــــان بـــــك
وكـــــان فـــــي نهـــــر قلبـــــي مـــــاءٌ مـــــن حـــــديثك

كـــان ذلـــك المـــاء ســـرابًا وتلـــك النـــار برقـــا
وقـــد مضـــت هـــذه القصـــة الآن، لعلهـــا منـــام

(٧٨٣)

لســت موجــودًا، ونَفــيُ وجــودك خيــرٌ مــن الوجــود
أنـــت غريـــق الخســـران، وخســـرانك كلـــه ربـــح
تقـــول: «لـــيس عنـــدي إلا تـــرابٌ فـــي يـــدي»
يـــا مـــن تحســـد الأفـــلاك كلهـــا ترابـــك

(٧٨٤)

نحـــن الـــذين وجـــدنا دواءنـــا فـــي العشـــق
ونحـــن الـــذين نقـــدم أرواحنـــا فـــي كـــل لحظـــةٍ للعشـــق
مـــن أجـــل أنّـــه كلمـــا ذهبـــت أنفاسُـــنا نحـــو العشـــق
وجـــد العشـــق فـــي كـــل منهـــا نفسَـــه

(٧٨٥)

يـــا نغمـــة القلـــب، لا تغيـــر نغمتـــك ؛ لكـــي لا يـــذهب القلـــب
ولا تنظـــر إلا إلـــى ناحيـــة القلـــب ؛ لكـــي لا يـــذهب،
هذا المجلس الذي نغيب فيه عن أنفسنا، والذي هو مثل الفردوس،
لا تـــدع ســـكرك لكـــي لا يـــذهب

(٧٨٦)

أعِـــظ القلـــب أن لا يـــذهب عمـــدًا
أنـــا عنـــد معشـــوق فتـــان، لا يـــذهب مـــن هنـــا

فقـــــال ذلــــــك المعشـــــوق ســــــاخرًا: أيـــــن وقعــــــت؟
مـــــن هــــو؟ مــــن يكـــــون؟ لكــــي يــــذهب أو لا يــــذهب

(٧٨٧)

كـــــــــل قلـــــــــبٍ لا يمضـــــــــي نحـــــــــو معشـــــــــوقٍ
والله لـــــــــن يمضـــــــــي إلا نحـــــــــو الفَنـــــــــاء
مــــــا أســــــعد الحمـــــــام الــــــذي هــــــو صــــــيدٌ للعشـــــق
مهمــــــــا طردتَـــــــــه يبــــــــقَ فــــــــي مكانـــــــــه

(٧٨٨)

فــــــي عشـــــقي إيـــــاك، أيّ جـــــدوى للنّصـــــيحة والــــــوعظ؟
تجرّعـــــــت السّـــــــمّ، فمـــــــاذا ينفعنـــــــي الســـــــكّر؟
يقولـــــــون فـــــــي شـــــــأني: «قيـــــــدوا رجلـــــــه»
قلبـــــي مجنـــــون، فمـــــاذا يفيـــــد القيـــــد فـــــي قـــــدمي؟

(٧٨٩)

إذا ذهبـــــــت العـــــــين، فمـــــــا نفـــــــع توتيائـــــــك؟!
وإذا خــــلا قلبــــي مــــن حبّــــك، فمــــا نفــــع وفائــــك؟!
وإذا مــــا احتــــرقّ الــــروحُ والكبــــدُ تمامًــــا مــــن غمّــــك
فمـــــا نفـــــع كلماتـــــك التـــــي تزيـــــد الـــــرّوح؟!

(٧٩٠)

كـــــــل مـــــــن غـــــــدا مقيـــــــدًا بسلســـــــلتك [طرتـــــــك]
يغـــــدو موجـــــودًا ســـــواء أكـــــان فانيًـــــا أم معـــــدومًا

كـــــــان يقـــــــول: اشـــــــرب ولا تســـــــكر
ولا بـــــدّ لكـــــل مـــــن شـــــرب أن يســـــكر

(٧٩١)
كـــــل مـــــن يمـــــرّ بقبـــــري يغـــــدو ثمـــــلاَ
وإن يقـــف علـــى قبـــري يظـــلّ ثمـــلاَ إلا الأبـــد
وإن يـــدخل فـــي البحـــر يغـــد البحـــر والمحـــيط ثملـــين
وإن يـــدخل فـــي التـــراب يغـــد القبـــر واللحـــد ثملـــين

(٧٩٢)
مـــا أكثـــر الأدويـــة التـــي تغـــدو مـــددًا للألـــم
ومـــا أكثـــر السّـــعادات التـــي يغـــدو الوجـــه منهـــا أصـــفر
الخـــوف الحقيقـــيّ هـــو الـــذي تغـــدو بســـببه نشـــيطا وحـــارًا
ولـيس خوفًـا ذلـك الـذي يغـدو منـه النشـيط الحـار بـاردًا فـاترا

(٧٩٣)
كـــــل شـــــيء يكثـــــر يضـــــؤل قـــــدره
وإن يضـــؤل قـــدره يمـــضِ إلـــى منـــزل الحبيـــب
ولـــــو اشـــــمأزّ ونفـــــر مـــــن الجميـــــع
لغـــــدا الحبيـــــب مشـــــتريًا لـــــه بـــــالرّوح

(٧٩٤)
لا يمـــــلّ المـــــاء الجـــــاري الأســـــماك
ولا تمـــــلّ الأســـــماك ذلـــــك المـــــاء الجـــــاري

ولا يضـــــــــيق المعشــــــــــوق بالعاشـــــــــقين
ولا يَمَـــــــــــلّ العشـــــــــــق المعشــــــــــوق

(٧٩٥)
مــــــن نــــــارِ العشـــــق يغـــــدو البــــــارد حـــــارًّا
ومــــــن ضـــــياء العشـــق يغـــدو الحجـــــر ناعمَــــا
أيهـــا الحبيـــب، لا تشـــدّد علـــى ذنـــوب العاشـــقين ؛
لأنّ الإنســـان يغـــدو بِـــلا حيـــاءٍ مـــن خمـــرة العشـــق

(٧٩٦)
لـــــو أدينـــــت نفســــــك لحظـــــة واحــــــدة
لصـــار عِلـــم الأنبيـــاء جميعَـــا معلومَـــا لــــديك
تلـــك الصّـــورة الغيبيـــة التـــي تطلـــبُ الـــدنيا
تغــــــدو مفهومـــــة فــــــي مــــــرآة فهمـــــك

(٧٩٧)
كــــــافرٌ مـــــن لا يغــــــدو عاشــــــقًا لــــــك
ميــــتٌ مــــن لا تتغيــــــر حالــــــه منــــــك
لا أســـمي العقـــل عقـــلًا ولـــو كـــان عقـــلَ الكـــلّ
إذا لـــم يغـــد مجنونَـــا ومفضـــوحًا بســـببك

(٧٩٨)
ضـــجرت مـــن ذلـــك المـــاء الـــذي لا يغـــدو نـــارًا
ومـــن الطـــرة المشوشـــة إن لـــم تغـــد مشوشـــة

معشـــــوقتنا جميلــــــة، ولا تغــــــدو غيـــــر جميلـــــة
وقصـــــــــــدها أن لا تعصــــــــــــي أبــــــــــدًا

(٧٩٩)

لا تغــــدو القـــــدم رأسَــــا ولا يغــــدو الــــرأس حضــــنَا
وذلـــــك المعشـــــوق المختـــــار لا يغـــــدو عنيــــدَا
إنــــــه عــــين المـــــاء، وأي مـــــاءٍ؟ مـــــاء الحيـــــاة
ولا يغـــــدو المـــــاء حيوانَـــــا ولا يغـــــدو نـــــارا

(٨٠٠)

إذا لـــــم يفـــــن العبـــــد عـــــن نفســـــه فنـــــاءً مطلقـــــا
فــــــــلا يتحقَـــــــــق التوحيـــــــــد عنـــــــــدَه
التوحيـــــد لـــــيس حلـــــولا، بـــــل هـــــو فنـــــاؤك
وإلا فـــــإن الباطـــــل لا يغـــــدو حقَـــــا هكـــــذا جزافـــــا

(٨٠١)

لا تتــــــــرك يـــــــــدي أذيــــــــال جلالـــــــــك
ولا تخـــــرج خمرتـــــك مـــــن دمـــــاغي الثمـــــل
تقـــــول لـــــي أنـــــت: «أرنـــــي ذاتـــــك كمـــــا أنـــــت»
ولا يمكـــــن إظهـــــار نفســـــي كمـــــا أنـــــا

(٨٠٢)

مـــــــــــــن يـــــــــــراك ولا يضـــــــــــحك
ولا يفـــــتح فـــــاه مـــــن حيرتـــــك ودهشـــــتك

مهمـــا يكـــن، ومـــن دون أن يتضـــاعف ألـــف مـــرة،
فلـــن يغـــدو ســـوى طـــينٍ وحجـــرٍ للســـجن

(٨٠٣)

الرســـول الـــذي أرســـلته إلـــى لكـــي لا أضـــحك
لا تخفـــــه عنـــــي، لأنـــــه لا يخفـــــى
فإنـــك لـــو كتبـــت علـــى بـــاب بســـتانٍ: هـــذا سِـــجنٌ
لمـــا غـــدا البســـتان ســـجنًا بســـبب تلـــك الكتابـــة

(٨٠٤)

إذا لـــــم تخـــــرب المدرســـــة والمئذنـــــة
فلـــــن تكتمـــــل أحـــــوال القلنـــــدري
وإذا لـــم يغـــد الإيمـــان كفـــرًا والكفـــر إيمانًـــا
فلـــن يغـــدو عبـــد الحـــق مســـلمًا حقًـــا

(٨٠٥)

مـــن دون العشـــق لـــن يـــزداد النشـــاط والطـــرب
ومـــن دون العشـــق لا يغـــدو الوجـــود جمـــيلا وموزونـــا
ولـــو ســـقطت مئـــة قطـــرةٍ مـــن الســـحاب إلـــى البحـــر
لمـــا غـــدت دُرًّا مكنونـَــا مـــن دون حركـــة العشـــق

(٨٠٦)

عنـــدما تغـــدو طرتـــك الســـوداء حجابًـــا للقمـــر
فمـــا أكثـــر مـــا يغـــدو الزّهّـــادُ ضـــالينَ

ولـــــــــــو رآى يوســــــــــف جـــــــــبَّ ذقنٍـــــــــك
لنــــزل، والله، إلــــى هــــذه البئــــر بتلــــك الطــــرة

(٨٠٧)

يقــول: «كيــف حالــك؟ مســروزٌ؟» ويــدخل فــي الضــحك
كيــــــــف حـــــــال ميـــــــتٍ يغـــــــــدو حيَـــــــا؟
اليـــــــوم لـــــــــن أقـــــــول كلامَـــــــا مشـــــــتّتَا
مهمـــــــــا غـــــــــدا طريقـــــــــه مشـــــــــتتا

(٨٠٨)

امــــض، أغمــــض عينــــك، لكــــي يغــــدو قلبــــك عينَــــا
وبتلــــك العــــين يغــــدو العــــالم الآخــــر مرئيَــــا عنــــدك
لـــــــــو تركـــــــــت مـــــــــا ترضـــــــــاه
لغـــــــدا عملـــــــــك كلـــــــــه مرضـــــــــيَا

(٨٠٩)

مـــــن لطفـــــك يغـــــدو الحجـــــر الصـــــوّان عاشـــــقًا
حالمـــــــا تغـــــــدو نظراتـــــــك ثملـــــــة
وعنـــــــدما تظهـــــــر سلســـــــلة طرتيـــــــك
يغـــــدو لقمـــــان الحكـــــيم أيضَـــــا مجنونـــــا

(٨١٠)

البـــرق الـــذي يطلـــع مـــن ســـحاب ذلـــك العـــالم
لمـــن يحمـــل فائـــدةً، عنـــدما لا يكـــون هنـــاك محتـــرق؟

وفـــي العـــالمين كليهمـــا لا بـــدّ مـــن وجـــو محتـــرقٍ
لكـــن يشـــعله ســـريعًا ذلـــك البـــرق الـــذي يطلـــع

(٨١١)

كامـــــل الصـــــفات يجتـــــاز طريـــــق الفنـــــاء
مثـــل الـــريح، مـــرت ســـريعًا ببحـــر الوجـــود
وإن بقيـــــت شـــــعرةٌ واحـــــدة مـــــن وجـــــوده
بـــدت تلـــك الشـــعرة فـــي عـــين الفقـــر زنـــارًا

(٨١٢)

مـــا يطلبـــه منـــك هـــذا الســـائل، يـــا الله،
أي ملـــــــكٍ فـــــــي الزمـــــــان يطلبـــــــه؟!
كـــل ذرةٍ مـــن شمســـك جميلـــة مـــن بعيـــد
وهـــــو ينشـــــد شمســـــك كلهـــــا

(٨١٣)

اليـــــوم يطلـــــب الحبيـــــب منـــــا الجنـــــون
ونحـــن مجـــانين، وهـــو يطلـــب المزيـــد
وإلا فلـــــــــــــــــــم يفضـــــــــــــــــــحنا؟!
يريـــدنا مفتضـــحين وكاشـــفي الحجـــاب

(٨١٤)

فـــي كـــل لحظـــة يعطـــي الـــرّوح الثمـــل خمـــرةً
لكـــي يمـــنح روحـــي وقلبـــي وصـــالاً دائمًـــا

وهـــــذه طرفـــــة: إذ جــــاءت قطـــــرة مـــــاءٍ
لكـــــي تظفـــــر ببحـــــرٍ ملـــــيءٍ بـــــالجواهر

(٨١٥)

نســـــــأل الله الــــــذي ينشــــــئ القمـــــــر
أن يعطيــــــك الملـــــــك العـــــــلام كــــــل
مـــــا أعطـــــى للأوليـــــاء مـــــن تلـــــك الســـــلطنة
ويجعـــــل ملـــــك القلـــــب والـــــدّين فـــــي تصـــــرفك

(٨١٦)

عنـــــدما يصـــــرخ روحـــــك مـــــن الألـــــم
تأتيـــــك ذكـــــرى مـــــن رب العـــــالمين
والله، إنّـــــك عنـــــدما تعـــــدل يـــــأتي العـــــدل
وعنـــدما تخـــادع، يكـــون ريحَـــا، لا تـــأتي منـــه إلا الـــريح

(٨١٧)

دعـــــه يمـــــض، ويضـــــرب رأســـــه بالجـــــدار
فينكســـر رأســـه، ويتلـــوّث منـــه الثيـــاب والجســـد
وقد جاء إلـيّ عاضـَا علـى إصـبعه تـارةً وعلـى القـدح تـارة أخـرى
لأنـــــه يتـــــذكر كلمـــــاتي التـــــي قلتهـــــا لـــــه

(٨١٨)

عنـــــدما تعـــــود صـــــورة القلـــــب إلـــــى قلبنـــــا
يعـــــود القلـــــب المســـــكين الضـــــال إلـــــى مكانـــــه

إذا انقضـــــى ولـــــم تبــــق إلا لحظـــــة واحــــدة
عنـــــدما يصـــــل هــــو، تعــــود الأيـــــام الماضــــية

(٨١٩)

قلـــــت: «إن الـــــنفس مــــن الغـــــدر تكـــــون ســـــاحرةً»
وهـــا ســــهمٌ مــــن القـــولنج يــــأتي فـــي صـــورة نمّـــام
وعنــــدما يكـــون صـــوت رأس الحمـــار «أنكـــر الأصـــوات»
انظـــــر أيّ صــــوتٍ يصـــــدر عــــن مؤخرتـــــه!

(٨٢٠)

إذا صــــــبرت تضـــــايق القلـــــب مـــــن غمـــــك
وإذا أعلنـــــــــت حـــــــــاربني الحســـــــــود
أخـــــاف مـــــن أن يضـــــرب الزجـــــاج بـــــالحجر
يقـــــول: «مـــــن عشـــــقنا ينشـــــأ لـــــك العـــــار»

(٨٢١)

فـــــي جهـــــنم لـــــو أمســـــكت بطرتـــــك
للحقتـــــي العـــــار مـــــن حـــــال أهـــــل الجنـــــة
ولـــــو دعيـــــت مـــــن دونـــــك إلـــــى فضـــــاء الجنـــــة
لبـــــدا فضـــــاء الجنّـــــة فـــــي قلبـــــي ضيّـــــقا

(٨٢٢)

كـــــل جـــــور وجفـــــاء يـــــأتي منـــــك أيهـــــا الـــــروح
خيـــــرٌ مـــــن الوفـــــاء الـــــذي يـــــأتي مـــــن الحســـــان

وكـــــــل كفـــــــرٍ يحـــــــدث فـــــــي عشـــــــقك
يكـــــون فـــــي النتيجـــــة خيـــــرًا مـــــن الإيمـــــان

(٨٢٣)

«وهـــــو معكـــــم»[1] خبـــــر يـــــأتي منـــــه
وفـــي الصـــدر شـــررٌ يتطـــاير مـــن هـــذا الخبـــر
إنـــك غيـــر مســـرور ؛ لأنـــك لـــم تعـــرف نفســـك
فـــإن عرفـــت نفســـك، فمـــا شـــأن الآخـــرين؟!

(٨٢٤)

عنـــــدما يـــــأتي معشـــــوقك المجـــــازي
يتجّـــــول خيالـــــه فـــــي العَـــــين
وإنـــــه لأمـــــرٌ نـــــادرٌ وغريـــــبٌ أنـــــه
فـــي صـــميم القلـــب، والقلـــب يظـــلَ يشـــك

(٨٢٥)

صـــــوتٌ ثمـــــلٌ يـــــأتي مـــــن السّـــــماء
وثمـــلٌ يـــأتي مـــن الفلـــك صـــارخًا
ومـــــن صـــــراخه يثـــــور الـــــروح والعـــــالم
لأنّ الـــرّوح والعـــالم يأتيـــان مـــن ذلـــك العـــالم

(٨٢٦)

مـــن غيـــر إرادة منّـــي يصـــدر كـــلامٌ مـــن فمـــي
ولا أعلـــــم مـــــن يقـــــول ذلـــــك

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**) [**الحديد: ٥٧ / ٤**]

يـــــــــأتي أملـــــــــــي ســـــــــمَا وســـــــــكرًا
فكيـــــف يعـــــرف المولـــــود مـــــن يليـــــق بـــــه؟

(٨٢٧)

ذلـــك الحبيـــب الـــذي يختطـــف القلـــب مـــن الطبيـــب
كيـــــــــف يعطيـــــــــه الحبيـــــــــب الـــــــــدّواء؟!
لـــــــــو أظهـــــــــر ذرةً مـــــــــن حســـــــــنه
لا احتـــــاج الطبيـــــب، والله، إلـــــى طبيـــــب

(٨٢٨)

فـــي عشـــقك لا بـــدّ مـــن أن يكـــون الوفـــاء قرينًـــا لـــي
ووصـــلك ظـــنّ، ولا بـــدّ مـــن أن يكـــون يقينـــا
إنّ صـــــنيعي فـــــي خـــــدمتك يـــــا مُنـــــى القلـــــب
لـــيس صـــنيعًا ســـيئًا، ولكـــن لا بـــدّ ممـــا هـــو خيـــرٌ منـــه

(٨٢٩)

لا بـــــدّ مِـــــن عمـــــلٍ مـــــن أعمـــــاقِ روحـــــك ؛
لأنّ اســـــتماع الحكايـــــة لا يحـــــلّ المشـــــكلَ
إن عـــــين مـــــاءٍ فـــــي داخـــــل البيـــــت
خيـــــرٌ مـــــن نهـــــرٍ يـــــأتي مـــــن الخـــــارج

(٨٣٠)

فـــــي طريـــــق الطلـــــب لا بـــــدّ مِـــــن واصـــــلٍ
لا بـــــدّ مِـــــن مُعـــــرضٍ عـــــن الـــــدنيا

داو بصـــــــــــــــــــــــــــــــــــرك وإلا
فـــإن العـــالم كلـــه هـــو، ولا بـــدّ مـــن عـــين بصـــيرة

(٨٣١)

أيـــــن القـــــدم التـــــي تســـــتحق البســـــتان والمـــــرج
وأيـــن العـــين التـــي تســـتحق السَّـــرو والياســـمين
القلـــــب والعـــــينُ همـــــا إنســـــانٌ محتـــــرقٌ
فـــــاظهر لـــــي إنســـــانًا يســـــتحق الاحتـــــراق

(٨٣٢)

لا ينبغـــي أن تشـــدّد فـــي أمـــر هـــذه الواقعـــة
فإنـــه لا يـــأتي شـــيء مـــن ســـعي العـــاجزين
لا بـــــدّ مِـــــن مفتـــــاحٍ مـــــن رحمـــــة الله
لكـــي يُفـــتح قفـــل مِثـــلِ هـــذه الواقعـــة

(٨٣٣)

ســـعيدٌ ذلـــك الـــذي يتجلـــى لـــه حبيبـــي مـــن بعيـــد
مثـــل الطفـــل الصّـــغير يَعلِـــك كمّـــه
عنـــــدما رآنـــــي فـــــتح ذراعيـــــه
وقفـــز كالبـــاز ليختطـــف طـــائر قلبـــي

(٨٣٤)

إن تطلـــب الـــدرّ، فـــإنّ الـــدّرّ لا يـــأتي مِـــن عَـــينِ المـــاء
لا بـــدّ لطالـــبِ الـــدّرّ مـــن النـــزول إلـــى قـــاع البحـــر

وهـــــذا الجـــــوهر القـــــيّم يســـــتحقه الإنســـــان
الـــــذي يخـــــرج عطشـــــان مـــــن مـــــاء الحيـــــاة

(٨٣٥)

المعشـــوقة التـــي هـــي قعيـــدة المنـــزل لا فائـــدة منهـــا
تتـــــوارى بالحجـــــاب، ولا تظهـــــر لنـــــا وجههـــــا
لا بـــدّ أن تكـــون المعشـــوقة مـــن أهـــل الحانـــات والطـــرب
لكـــي تـــأتي فـــي منتصـــف الليـــل عازفـــة منشـــدة

(٨٣٦)

المعشـــوقة التـــي هـــي قعيـــدة المنـــزل لا فائـــدة منهـــا
لأنهـــــــا تظهـــــــر الـــــــدّلال ولا تفـــــــي
لا بـــــدّ أن تكـــــون المعشـــــوقة ذلـــــك الإنســـــان
الـــذي عنـــد حافّـــة القبـــر يفـــتح ألـــفَ بـــاب فـــي حديقـــة الفلـــك

(٨٣٧)

يـــا مـــن أنـــتم أرفَـــعُ مـــن القمـــر وضـــياء القمـــر
لمـــاذا تَعرِضـــون عـــن وجـــود المـــاء والطـــين
يـــا أهـــلَ الخرابـــاتِ يـــا مـــن أنـــتم فـــي اللـــجّ
انهضـــوا، لـــم أنـــتم نـــائمون فـــي النهـــار والليـــل؟!

(٨٣٨)

يـــا أهـــلَ المناجـــاة، يـــا مَـــن أنـــتم فـــي المحاريـــب،
المنـــــــزل بعيـــــــدٌ فســـــــارعوا قلـــــــيلاً

ويـــا أهـــل الخرابـــات، يـــا مـــن أنـــتم فـــي اللـــجّ
مـــــرّت مئـــــة قافلـــــةٍ، وأنـــــتم نـــــائمون

(٨٣٩)

قلـــــت بيتَـــــا، فتـــــألم منّـــــي المعشـــــوق
قـــــال: «وزَننـــــي بـــــوَزنِ البيـــــت»
قلـــــت: لـــــم تخـــــرب بيتـــــي هـــــذا؟!
قـــــال: أيُّ بيـــــتٍ يتســـــع لـــــي؟

(٨٤٠)

ســـــأل قمـــــري: أرأت عينُـــــك القمـــــر؟
قلـــــت: «رأت، وســـــأل القمـــــر عـــــن القمـــــر»
فقـــــال: «أنـــــا أســـــأل عـــــن قمـــــر العيـــــد»
قلـــت: «بلـــى فـــي العيـــد مـــن يســـأل عـــن العيـــد»

(٨٤١)

لأن يـــــوم وصـــــالِ حبيبنـــــا غيـــــرُ واضـــــح
لا بـــدّ مـــن الانقطـــاع عـــن العشـــق شـــيئًا فشـــيئًا
قـــــال قلبـــــي: «هـــــذا مُحـــــالٌ محـــــالٌ»
طأطـــأ رأســـه ســـاخرًا، وضـــحك فـــي خفـــاء

(٨٤٢)

يا من عشقك عندي (**إنّ عَذابِي لشَدِيدٌ**) [1]
ويـــا مـــن عاشـــقك شـــهيدٌ بضـــربة ســـيفك

---

(١) [إبراهيم : ١٤ ، ٧].

جـــــاء الليـــــل وشـــــمل النـــــوم النـــــاس جميعَـــــا

فـــــأين نـــــومي أيهـــــا الـــــروح، لعـــــل الـــــذئب أكلـــــه؟

(٨٤٣)

مـــن رأى شـــيئًا موجـــودًا فـــي المعنـــى معـــدومًا فـــي العِيـــان؟!

مـــن رأى شـــيئًا ظـــاهرًا فـــي القلـــب معـــدومًا فـــي اللســـان؟!

من رأى من هو أساس وجودِ العالم وليس هو موجودًا في العالم؟!

مـــن رأى فـــي الوجـــود والعـــدم مثـــل ذلـــك المعـــدوم؟!

(٨٤٤)

أيهـــا القلـــب، مـــن رأى اثـــار الصّـــبح فـــي المســـاء؟!

مـــــن رأى عاشـــــقًا صـــــادقًا حَسَـــــنَ السّـــــمعة؟!

تظـــــلّ تصـــــيح [قـــــائلا:] قـــــد احترقـــــت

لا تصِـــــح، فمـــــن رأى خامَـــــا يحتـــــرق؟!

(٨٤٥)

يـــــا جـــــيش العشـــــق، بـــــرغم أنـــــك جبـــــارٌ جـــــدًا

أعِـــــد إلـــــيّ ذلـــــك الحبيـــــب الـــــذي ذهـــــب غاضـــــبًا

إن قسَـــــــوت، فـــــــلا تقتـــــــل روحَـــــــا

وإن أصـــــــررت فـــــــلا تقطـــــــع رأسَـــــــا

(٨٤٦)

أي رقيقـــــي القلـــــوب، يـــــا مـــــن تزرعـــــون الوفـــــاء

وتنثـــــرون الـــــدّرّ الصـــــافي علـــــى التـــــراب المظلـــــم

فـــــي كــــلّ مكـــــانٍ لـــــديكم خبــــرٌ عــــن حـــــالي
فــــلا تتركـــوني فـــي يـــد مثـــل هـــذا الهجـــر

(٨٤٧)

قطـــع أحــــدهم مـــن قصـــباء صُـــنعِك قصَــــبة
واختارهــــــا لشــــــفته الســــــكرية
وتلــك القصــبة مــن كثــرة مــا شــربت مــن خمــرة شــفتك
صــــارت ثملـــة علـــى شـــفتك وصــــاحت

(٨٤٨)

مــــن فطـــــره الله علــــى العشــــق
يعـــرف الاســـتماع إلـــى آهـــات العشّـــاق
وحيثمــــا رأى حبــــة، فــــر مــــن المكـــان
طـــار إلـــى مكـــانٍ لا يطيـــر نحـــوه طـــائر

(٨٤٩)

تعــالوا إلــى البســتان، وانظــروا إلــى ذوي الأرديــة الخضــراء
انظـــروا فـــي كـــل ركـــنٍ إلـــى دكـــانٍ لبـــائعي الـــورد
يضـــــحك الـــــورد ويقـــــول للبلابـــــل:
«اصـــــمتوا، وانظـــــروا إلـــــى الصـــــامتين»

(٨٥٠)

احصــــوا صــــباح الوجــــوه واحــــدًا واحـــدًا
لعلكـــم تـــذكرون اســـم قمـــري خطـــأ

أيتهـــــا الجماعـــــــة التـــــــي تـــــــوارت بالحجـــــــاب،
مـــــــرّوا علـــــــى عينـــــــي المليئـــــــة بالنّـــــــار

(٨٥١)

قلـــــت: «وصـــــل إلـــــى المزيـــــد مـــــن ألمـــــك»
فقـــال: «مـــا أسـعد الـرّوح الـذي وصـل إلـى هـذا الألـم»
قلـــت: «إن قلبـــي صـــار دمًـــا وجـــرى مـــن العـــين»
قـــال: «مـــا جـــرى إليـــك، لـــم يجـــر إلـــى أحـــد»

(٨٥٢)

كلمـــــن رشـــــف مـــــن شـــــراب عشـــــقك
يـــــا مـــــاء الحيـــــاة، يطلـــــب المزيـــــد
جـــاء المـــوت، فشـــمّني، فوجـــد رائحتـــك عنـــدي
ومنـــذ ذلـــك اليـــوم قطـــع الأجـــل الأمـــل منّـــي

(٨٥٣)

أيهـــا المعشـــوق وصـــلت نـــار عشـــقك إلـــى النهايـــة
ووصـــل حـــالي مـــن عشـــقك إلـــى الشـــكوى
إن كنـــــت لا تريـــــد أن أتـــــأوّه ســـــحرًا
فـــأدركني، لأنّ ألمـــي وصـــل إلـــى الغايـــة

(٨٥٤)

عنـــــدما وصـــــل ســـــروي المتبختـــــر
أطرقـــت خجـــلاً عنـــدما وصـــل إلـــى روحـــي

وصـــــل إلــــيّ علــــى الحــــال التــــي كــــان عليهــــا
وأنــــا لســــت كمــــا كنــــت، ولــــذلك وصَــــلَ إلــــيّ

(٨٥٥)

أيهـــا الطـــالبون جميعَـــا، اســـعَدوا ؛ لأنّ المطلـــوب وصـــل
أيهـــا العاشـــقون جميعَـــا، اعـــدلوا ؛ لأنّ المحبـــوب وصـــل
وصــــــلّ مــــــن هــــــو شــــــفاء لآلام أيّــــــوب
وصــــل مــــن هــــو يوســــف عنــــد ألــــفِ يعقــــوب

(٨٥٦)

ذلـــك العشـــق الـــذي وصـــل برقـــه إلـــى فرقـــي [رأســـي]
أكـــل مـــا لـــي كلـــه، ووصـــل الأمـــر إلـــى الـــدّلق
المــــــاء الــــــذي شّــــــمرت ذيلــــــي عنــــــه
تفجّــــر الآن، ووصــــل المــــاء إلــــى الحلــــق

(٨٥٧)

لــــم تصــــل أســــرار لســــاني إلــــى الطيــــور
وأخشــــى القــــولَ أنهــــا لــــم تصــــل إلــــى ســــليمان
لــــم يبقــــي سِــــرّ فــــي نغمــــة العشــــاق ؛
لأن ذلـــك السّـــرّ لا يصـــل إلـــى هـــذا الـــرّوح بمئـــة طريقـــة

(٨٥٨)

يــــا مــــن أدخلنــــي قمــــرك فــــي الــــرّقص والــــدّوران
وصــــلني مــــن مائــــك الجــــاري الــــرّقص والــــدّوران

ومـــــا دام النهـــــر جاريَـــــا وأنــــــا دائـــــر معـــــه

مـا أكثـر الشـقائق التـي ضـحكت، ومـا أكثـر الـورود التـي تفتحـت

(٨٥٩)

عنـــــــدما ارتـــــــدى الـــــــروح خرقـــــــة القالـــــــب

أخـــــذ بحـــــر العانيـــــة بالجيشـــــان مـــــن الكـــــرم

وســر نــاي القلــب مــن كثــرة مــا شــرب مــن خمــرة الشّــفاه

صــــــار ثمـــــــلا علـــــــى شـــــــفتك، وصـــــــاح

(٨٦٠)

مــــا كــــان لــــك عشــــقٌ فــــي الأزل، فســــعى ادم

فخلــــع عليــــه بــــالحواسّ صــــورة الســــرناي

وســرنايك مــن كثــرة مــا شــرب مــن خمــرة الشّــفاه

صـــــــارة ثمـــــــلا علـــــــى شـــــــفتك، وصـــــــاح

(٨٦١)

الليلــــة الماضــــية شــــربت الســــماء مــــن قمــــرك

وشـــــرب العـــــالم مـــــن مـــــاء حياتـــــك

ومــــن مــــاء الحيــــاة الــــذي هــــو مزيــــدٌ للحيــــاة

شـــــرب كـــــل مـــــا فيـــــه حيـــــاةٌ

(٨٦٢)

فــــي كــــلّ لحظــــة أقــــرؤه مــــن بعيــــد ؛

لأنـــــه ســـــورة يوســـــف والقـــــرآن المجيـــــد

قلــــت: «إنّ قلبـــــي صـــــار دمَـــــا، وجـــــرى مـــــن عينـــــي»
قـــال: «مـــا جـــرى إليـــك، لـــم يجـــر إلـــى أحـــد»

(٨٦٣)

يـــا أهـــل الصـــفاء الـــذين تجـــوّلتم فـــي الـــدنيا،
لـــم أنـــتم حيـــارى فـــي شـــأن معشـــوق؟!
مـــن تبحثـــون عنـــه فـــي هـــذه الـــدنيا
عنـــدما تبحثـــون فـــي أنفســـكم تجـــدون أنكـــم أنـــتم هـــو

(٨٦٤)

مـــن نـــار عشـــق الحبيـــب خـــذوا قبسَـــا
وأضـــرموا تلـــك النّـــار فـــي تلـــك الأعـــلاف
وإذ أمســـك مخلـــب غمّـــه بنايننـــا
اضـــربونا علـــى الـــدّفوف كلهـــا، كالمثـــل

(٨٦٥)

إذا مـــات الجســـد فأســـكنوه عنـــدكم
وإن كـــان حيًـــا فتوجهـــوا إلـــى رأســـه وقدمـــه
قلـــت: «اجعلـــوا نـــديمًا للأوبـــاش»
قـــال: «لا لا، اجعلـــوه ثمـــلا بنـــا»

(٨٦٦)

أيهـــا الأحبـــة، أيهـــا الأحبـــة لا تتفرقـــوا
ولا تجعلـــوا هـــوس الفـــرار فـــي رؤوســـكم

عنـــــدما تكونـــــوا موحـــــدين لـــــيكن هـــــواكم واحـــــدًا
قـــــال الوفـــــاء: «لا تكونـــــوا مـــــن دون وفـــــاء»

(٨٦٧)

أنـــــا صـــــاعقة فـــــي هـــــذا العـــــالم، فـــــإن كنـــــتم منـــــي
فـــــلا تقيســـــوا أنفســـــكم علـــــي
لـــــديّ ســـــم، والنصـــــر خـــــاتمي
أيـــــن الخـــــاتم؟ ولكـــــن اجتنبـــــوا الســـــم

(٨٦٨)

بـــــرغم أن قلبـــــي ينشـــــد رضـــــاه
يتحـــــدث هـــــو عـــــن حـــــدّ الســـــيف
يتصـــــبب المـــــاء مـــــن رأس إصـــــبعه
[فأســـــألوه:] لـــــم يغســـــل هـــــذه اليـــــد بـــــدمي؟!

(٨٦٩)

كلمـــــا تحـــــدّث القلـــــب إعلانًـــــا وأســـــرارًا
تحـــــدّث عـــــن تلـــــك الطـــــرة المســـــكية النـــــاثرة للعنبـــــر
هـــــذا القلـــــب مشـــــوشٌ، وتلـــــك الطـــــرة شـــــعثاء، واعـــــرف
أن المشـــــوش يقـــــول كلامًـــــا متنـــــاثرا

(٨٧٠)

اســـــتمعوا مـــــن المطـــــرب إلـــــى ســـــرّ قلـــــوب العاشـــــقين
واذهبـــــوا مـــــع نواحـــــه إلـــــى ناحيـــــة القلـــــوب

وإن كنـــتم تميلـــون إليـــه، فاســـمعوا مـــاذا قـــال فـــي النّغمـــة؟
قـــــال: «لا تخرجـــــوا البتّـــــة عـــــن هـــــذه النغمـــــة»

(٨٧١)

طـــــــــار ســـــــــــهمٌ مـــــــــــن قـــــــــوس ربـــــــــاب
مـــــر مـــــن حلقـــــة الجســـــد ووصـــــل إلـــــى القلـــــب
أيهـــــا الجلـــــد، انظـــــر وإليـــــه فقـــــد جـــــرح اللبـــــاب
أيهـــــا الحجـــــاب، انظـــــر فقـــــد مـــــزّق الحجـــــب

(٨٧٢)

يـــــــا مـــــــــن مـــــــــلأ الأرض بشـــــــــهدٍ وبقنـــــــــد
كـــــــم فاتحنـــــــا فـــــــات بـــــــوردٍ وبرنـــــــد[1]
ينـــــــــادينى الحبيـــــــــب بصـــــــــوتٍ عـــــــــالٍ:
أيهـــــا العاشـــــق، أيهـــــا الصـــــادق، أيهـــــا العـــــالم

(٨٧٣)

العـــــــين فـــــــي نوبتهـــــــا نـــــــاثرةٌ للـــــــدر
فـــإذا انتهـــت تلـــك النوبـــة، ينمـــو القلـــب كـــالربيع
هـــذه اللحظـــة مثـــل الربيـــع بســـبب جمـــال المعشـــوق
ولأنّ العمـــــل فـــــي نوبتـــــه، اغتـــــنم الفرصـــــة

(٨٧٤)

إن زرعـــت الـــورد فإنـــه مـــن دونـــك لا ينمـــو إلا شـــوك
وإن وضـــعت بيضـــة الطـــاووس فقســـت منهـــا حيـــة

(١) هذا البيت من الرباعية بالعربية في الأصل [المترجم].

وإن أمســـــــكت بالربـــــــاب، تقطـــــــع الـــــــوتر
وإن ضـــــــربت ثمانيـــــة بثمانيـــــة نـــــتج أربعـــــة

(٨٧٥)
انظـــــــر إلـــــــى الأعلـــــــى، ارفـــــع العينـــــين
كـــــن صـــــاحب نظـــــرٍ، وانظـــــر إلينـــــا
واعطـــــــف علينـــــــا برجولـــــــةٍ وشـــــــجاعة
هـــا قـــد حضـــرت وجئـــت، وأنـــت تعـــرف ذلـــك، فاثبـــت

(٨٧٦)
يـــــــا عاقـــــــد الحجـــــــاب، ارفـــــع الحجـــــب
لكـــي لا يـــذهب أحـــدٌ مـــرةً أخـــرى إلـــى صـــيد الجيـــف
ارحـــــم فقـــــد صـــــار (يلغـــــون بـــــازار) مـــــاءً
ســـــــاخنًا للســـــــالكين مـــــــن الجـــــــوع

(٨٧٧)
مضـــــــيت إلـــــــى قبـــــر المعشـــــوق الكـــــريم
فـــــتلألأ جســـــده كـــــالورد مـــــن التـــــراب
ناديـــــــت التـــــــراب: أيهـــــــا التـــــــراب انتبـــــه
أحســـــــن إلـــــــى حبيبـــــــي الـــــــوفيّ

(٨٧٨)
لا تحـــــــرم أذننـــــــا مـــــــن كـــــــلام الأســـــــرار
ولا تحـــــرم أعيننـــــا مـــــن وجـــــوهٍ كالجلنـــــار

ولا تحـــــــرم أيـــــــدينا مـــــــن خمـــــــرة الخمّـــــــار

ولا تجعلنـــــا لحظـــــة مـــــن دونـــــك، أيهـــــا الحبيـــــب

(٨٧٩)

أيهـــــا العاشـــــق الســـــيئ الســـــمعة، تعـــــال، لا تخجـــــل

وإلا فاذهـــــــب ولا تضـــــــيق هـــــــذه الصـــــــفة

فيـــــــــا ســـــــــافك الـــــــــدماء، لا تتركنـــــــــا

ولا تجعـــــــل نصـــــــيبنا إلا دردي [عكـــــــر] الـــــــدن

(٨٨٠)

أي رجـــــــل الســـــــماع، أخـــــــل معـــــــدتك ؛

لأنّ النّـــــــاي عنـــــــدما يكـــــــون فارغَـــــــا ينـــــــوح

وإذا مـــــــــلأت المعـــــــــدة بالأكـــــــــل الكثيـــــــــر

أفلســـــــت مـــــــن المعشـــــــوق والتقبيـــــــل والعنـــــــاق

(٨٨١)

إلـــــى متـــــى أنـــــت مســـــخرٌ للـــــنفس التـــــي لا عمـــــل لهـــــا؟!

إلـــــى متـــــى تأكـــــل عناقيـــــد الشـــــوك كالجِمـــــال؟!

إلـــــــى متـــــــى تـــــــركض وراء اللقمـــــــة والـــــــدينار؟!

أيهـــــا الكـــــافر، ابـــــن الكـــــافر، امـــــن، فـــــي الآخـــــر

(٨٨٢)

عنـــــدما رأى وجهـــــي الأصـــــفر ذلـــــك الحبيـــــب المعـــــروف

قـــــــــال: لا تؤمـــــــــل بوصـــــــــالي أبـــــــــدًا ؛

لأنـــك صـــرت مخالفَـــا لنـــا فـــي الوجـــه

إذ لـــديك لـــون الخريـــف ولـــدينا لـــون الربيـــع

(٨٨٣)

اليـــوم، بســـبب جفـــاف الفـــم والخمـــار

لا قلـــب لـــديّ، ولا عقـــل، ولا صـــبر ولا قـــرار

آتـــي وأذهـــب مثـــل عاصـــر العنـــب

فـــي الآخـــر، هـــات قـــدح العصـــير للعصّـــار

(٨٨٤)

تصـــفر الشـــمس دائمَـــا علـــى الجـــدار

ونحـــن نصـــفرّ دائمَـــا مـــن غـــم الحبيـــب أيضَـــا

حينَـــا مـــن غـــم الحبيـــب، وحينَـــا مـــن عـــدم رؤيـــة الحبيـــب

فـــإن بقـــي الأمـــر كـــذلك، يـــا ربّ أحفـــظ

(٨٨٥)

عنـــدما ابتعـــدت عـــن وجـــه الحبيـــب فـــي الربيـــع

فمـــا شـــأني والعيـــد؟ ومـــا شـــأني والعـــيش؟

دع الشـــوك ينبـــت فـــي البســـتان مكـــان الخضـــرة

ودع الحجـــر يهطـــل مـــن الســـحاب مكـــان القطـــر

(٨٨٦)

ســـواءٌ أكـــان عنـــدي لـــون الخريـــف أم لـــون الربيـــع

لـــن ينبـــت الـــورد والشـــوك مـــا لـــم يغـــد الاثنـــان واحـــدَا

الشـــــوك والـــــورد مختلفـــــان فــــــي الظـــــاهر
ويســـخر الــــروض مـــن عـــين تراهمـــا مختلفـــين

(٨٨٧)

عنـــــدي لـــــون الخريـــــف وعنـــــدك لـــــون الربيـــــع
ولـــن ينبـــت الـــورد والشـــوك مـــا لـــم يغـــد الاثنـــان واحـــدًا
وبــــرغم أنّ الشـــوك والـــورد مختلفـــان فــــي الظـــاهر
اســـخر مـــن العـــين التـــي تراهمـــا مختلفـــين، أيهـــا الـــروض

(٨٨٨)

قلــــت: «تعـــال فقـــد ضـــحك البســـتان والربيـــع
فهنـــاك شـــمعٌ وشـــرابٌ وحســـانٌ كالمعشـــوق»
وحيثمـــا لا تكـــون أنـــت موجـــودًا مـــاذا أســـتفيد مـــن هـــذه؟!
وحيثمـــا تكـــون أنـــت موجـــودًا مـــا شـــأن هـــذه؟!

(٨٨٩)

ألا، حـــان وقـــت الصَّـــبوح، فهـــات الخمـــرة الصّـــافية ؛
لأن الحيـــــاة اليقظـــــة هـــــي المـــــوت
أو أقبـــــل أنـــــين هـــــذا الربـــــاب المتـــــيم
أو بجـــل القلـــب المحتـــرق الملـــيء بالنـــدوب

(٨٩٠)

أيهـــا الســـاقي، قلـــت لـــك: «هـــات الخمـــرة الصـــافية،
هـــــات ذلـــــك المحيـــــي للأحـــــرار»

قلـــــــت: «إن فـــــــي دوران الفلــــــك هــــــذا ريحَــــــا»
فـــإلى أن تصـــل الـــريح، أيهـــا المعشـــوق، هـــات الخمـــرة

(٨٩١)

هــــــــات الجــــــــامع لــــــــلأرواح المتفرقــــــــة
هـــات مـــا هـــو ســـكرٌ لكـــل ســـيّد وعبـــد
مــــد الصــــوت، هــــات الرّضــــى الثابــــت
أغـــدو حيًّـــا مـــن نفـــخ إســـرافيل، فهاتـــه

(٨٩٢)

اصـــح، أيهـــا القلـــب ؛ لأن الحبيـــب يقـــظ
وهـــو يســـترق السّـــمع مـــن وراء الســـتار
نحـــن كالنّـــاي، وكـــل صـــوت نصـــيحه
لـــيس منـــا، الحبيـــب هـــو الـــذي يصـــيح

(٨٩٣)

كـــل لحظـــةٍ يـــؤلم الحبيـــب قلـــوب الجميـــع
يـــدور الحبيـــب مثـــل أهـــل الفلـــك
فـــي لحظـــةٍ يطـــرد الجميـــع مـــن عنـــده، وفـــي لحظـــةٍ أخـــرى
يقـــرؤهم الحبيـــب مثـــل الفاتحـــة فـــي حـــالٍ مـــن العشـــق

(٨٩٤)

كـــل لحظـــةٍ يـــؤلم الحبيـــب القلـــب المتعـــب
فإمـــا أن يكـــون قاســـي القلـــب، وإمّـــا أنّـــه لا يعلـــم

وقـــــد كتبـــــت قصـــــتي بـــــدمٍ مـــــن العـــــين
والحبيـــــب يـــــرى، ولا يقـــــرأ قصـــــتي

(٨٩٥)

أيهـــا القلـــب، لا تـــدع عشـــق المعشـــوق، ولا تتـــرك الحبيـــب
وإن كنـــت بصـــيرًا فاعقـــد الزنّـــار علـــى الثلاثـــة
ضـــع نفســـك فـــي بوتقـــة العـــدَم ولا تخـــف ؛
لأنّ هـــذا الفقـــر منـــزه عـــن الحبيـــب والأغيـــار

(٨٩٦)

نحـــن مثـــل رأي العشـــاق، عالينـــا ســـافلنا
وبســـبب معشـــوقنا، العالمـــان عاليهمـــا ســـافلهما
وقـــد بـــدا مليكنـــا منزهَـــا عـــن الأســـفل والأعلـــى
ومـــن وحـــد منـــه علامـــة صـــار عاليـــه ســـافله

(٨٩٧)

مـــــن رآك، أيهـــــا الحبيـــــب،
كيـــف ينظـــر إلـــى وجـــه معشـــوق اخـــر؟!
وفـــي عـــين كـــلّ مـــن نظـــر إليـــك
تبـــدو الشـــمس والقمـــر مظلمـــين، والله

(٨٩٨)

قـــال الحـــق فـــي الـــوحي: أيهـــا الرســـول،
لا تجلـــس إلا فـــي صـــف العشـــاق ودع غيـــره

وبـــــرغم أن الــــدنيا صـــارت حـــارّة مـــن نـــارك
فـــإن النـــار تمـــوت مـــن صـــحبة الرمـــاد

(٨٩٩)

فـــي تـــراب بـــاب وفـــاء ذلـــك الفضّـــيّ الصـــدر
ازرع القلـــب والعـــين ولا تفكـــر فـــي الثمـــر
اســـتمع إلـــيّ ؛ لكـــي لا يغـــدو عاليـــك ســـافلك
والله، إنـــه لا علـــم لـــك عـــن العـــالي والســـافل

(٩٠٠)

إن يـــدنا وقلبنـــا كلمـــا فرغـــا كـــان ذلـــك خيـــرًا لهمـــا
وحريـــة القلـــب أحســـن مـــن كـــل الحســـان
والعـــيش الطيـــب للمفلســـين لحظـــة واحـــدة
خيـــرٌ مـــن عظمـــة مئـــة ألـــف قيصـــر

(٩٠١)

يـــا مـــن تـــراب بابـــك خيـــرٌ مـــن مـــاء الكـــوثر
وفـــي طريقـــك، قـــدمي خيـــرٌ مـــن رأســـي
وعنـــدما ســـمع القمـــر صـــوت دفّ عشـــقك
انحنـــى القمـــر وقـــال: «الحلقـــة خيـــرٌ»

(٩٠٢)

أيهـا العشـق، أنـت جميلٌ، ومـا الجمـال؟! أنـت أحسـن مـن الجمـال
أحرقنـــي ؛ إنّ النـــار أحســـن لـــي

الجهـــات الســـت كلهـــا صــــارت عــــامرةً مــــن العشـــق
وبـــرغم ذلــك فــإن الخـــروج مــن الجهــات الســت أحســن

(٩٠٣)

يــــا مــــن ظلـــــك خيــــرٌ مــــن ظـــــل طـــــوبى
ويــــا مــــن ألمــــك خيــــرٌ مــــن راحــــة العقبــــى
كنـــــت عبـــــدًا للمعنـــــى قبـــــل أن أرى وجهـــــك
يــــا مــــن صــــورتك خيــــرٌ مــــن ألــــف معنــــى

(٩٠٤)

لأن الصّـــنم هـــو وجهـــك، فـــإن عبـــادة الصـــنم أحســـن
ولأن الخمـــرة مـــن كأســـك، فـــإن الســـكر أحســـن
فـــــي وجـــــود عشـــــقك صـــــرت عـــــدمًا
لأن هـــذا العـــدم خيـــرٌ مـــن ألـــف وجـــود

(٩٠٥)

أولـــى لوجهـــك الشـــبيه بـــالقمر أن يكـــون أمـــام الســـراج
وأولـــى للوجـــه الحبشـــي أن يكـــون موســـومًا بـــالكي
وهــــذه الحلقــــة كالبســــتان وأنــــت البلبــــل لنــــا
وأولـــى لـــرقص البلبـــل أن يكـــون وســـط البســـتان

(٩٠٦)

لســـــت وســـــيلة ســـــخرية لـــــك أيهـــــا الفـــــاجر
لكـــــي آتـــــي بأفعـــــالٍ عجيبـــــة نـــــادرة تضـــــحكك

ســــــــــــأخربك علـــــــــــــــى نحـــــــــــوٍ

يعجـــــز فيـــــه عـــــن عمارتـــــك كـــــل معمـــــر

(٩٠٧)

يـــــــــأتي ذئـــــــبٌ إلينـــــــا وقـــــــــت الســــــــحر

فيختطـــــــــــــف الســـــــــــمين والضـــــــــــعيف

إلــــــــى متـــــــى تشـــــــخر فـــــــي الفـــــــراش؟!

رش المـــاء علـــى وجهـــك يـــا مـــن التـــراب علـــى رأســـك

(٩٠٨)

ذلــــك الســــاقي للــــرّوح يعطــــي كأسَــــا فــــي النهايــــة

وهــذا الطــائر الغريــب يــتخلص مــن الفــخ فــي النهايــة

ويغــــدو الفلــــك الســــريع مطيعًــــا لــــي فــــي النهايــــة

وتغــــدو الأيــــام نادمــــة علــــى أفعالهــــا فــــي النهايــــة

(٩٠٩)

كـــــــــــل عمـــــــــــلٍ يجعلـــــــــــه لـــــــــــك

تتركـــــــه ناقصًـــــــا وأنـــــــت تمضـــــــي بـــــــدلالك

فـــإن رأيـــت فـــي مكـــانٍ دمًـــا مســـكوبًا علـــى الـــدّوام

فـــــــاعلم أنـــــــه ينســـــــكب مـــــــن أعيننـــــــا

(٩١٠)

أيهـــــا السّـــــماع، كنـــــت طريقًـــــا وبابًـــــا للســــــماء

أيهـــا الســـماع، كنـــت رأســـا وجناحًـــا لطـــائر الـــرّوح

أمـــــا بحضـــــورك فالســـــماع شــــيء آخـــــر
مثـــــل الصـــــلاة خلـــــف الرّســـــول

(٩١١)

يــــــا ابـــــن الســـــاقي، ألا تجــــاوز الغـــــم
يــــا نجـــــيَّ روح القـــــدس، تجــــاوز الوقـــــت
قلـــت: «فـــررت مــــن الغـــم وصــــرت مســــرورًا»
مــن أجــل ســرور روحــك، تجــاوز هــذه المرحلــة أيضَــا

(٩١٢)

إن كـــان لـــديك فـــي الـــرأس والعـــين عقـــلٌ وبصـــر
فبـــع اللســـان، واشــــتر الـــرأس مــــن الســـيف
قطـــــع السّـــــمك طمعـــــه باللســـــان النــــاطق
ولـــذلك لا يُقطـــع الـــرأس عــــن جســـم الســـمك

(٩١٣)

أيهـــا المعشـــوق العيّـــار القلـــب الـــوافر الجـــلال،
أنـــــت أجمـــــل مـــــن الجميلـــــين جميعَـــــا
يـــا مَـــن مِـــن ســـكرك ملئـــت أفـــواه الـــورد بالـــذهب
ومـــــن هجـــــرك ارتـــــدى النيلـــــوفر ثيـــــاب الحِـــداد

(٩١٤)

عنـــدما وجـــد طبعـــي الحيـــاة مـــن جلـــوة الفكـــر
أتـــــى بعـــــروس الـــــنظم إلـــــى حجـــــرة الـــــذكر

وظهـــــــر فـــــــي كـــــــل بيـــــــتٍ ألـــــــف فتـــــــاةٍ
كـــــل منهـــــا مثـــــل مـــــريم حـــــاملا وبكـــــرا

(٩١٥)

لمـــــاذا أذابـــــت فكـــــرة الـــــدهر كبـــــداك؟
ألـــــم يعـــــرف طبعـــــك مـــــزاج الـــــدّهر؟
تخيـــــل إن الأب لـــــم يلـــــق نطفـــــة
تخيـــــل أن القـــــدر لـــــم يخلـــــق مزبلـــــة

(٩١٦)

تأمـــــل مجمـــــوع جســـــدك وقالبـــــك
ثلـــــة مـــــن الثمِلـــــين، نـــــائمٌ كـــــل مـــــنهم علـــــى الآخـــــر
إن أردت مؤنسَـــــا فـــــأيقظ الآخـــــرين بالصّـــــوت
لا تضـــــع قـــــدمك علـــــى النـــــائم ولا تتـــــرك أحـــــدًا نائمًـــــا

(٩١٧)

إن أردت بســـــتانًا فـــــانظر إلـــــى حلقـــــة الســـــكارى
وإن أردت رأس حمار [الشخص الثقيل] فانظر إلى المعجب بنفسه
والآن فـــــإن رأس الحمـــــار أيضًـــــا جـــــاء إلـــــى البســـــتان
وإن لـــــم تكـــــن مـــــؤخّرة حمـــــارٍ، فـــــانظر إلـــــى البســـــتان

(٩١٨)

در فـــــي الصـــــفف، وانظـــــر إلـــــى الخرابـــــات
وانظـــــر إلـــــى التفـــــاف الثملـــــين مـــــن أجـــــل اللقـــــاء

وفـــــي كعبـــــة العشــــق انظـــــر إلــــى الميقـــــات
استمع إلــى «هيهــات» مــن الــروح، وانظــر إلــى «هيهــات»

(٩١٩)

يــــا مــــن احتجـــت إلــــى القلـــب، لا تنظـــر إليـــه
صـــــر زاهـــــدًا، وأغمـــــض عينـــــك، وامـــــض
ولكـــــن مـــــاذا تفعـــــل العـــــين؟ ومســـــكين النظـــــر
مضـــــطرٌ إلـــــى عشـــــقه خارجًـــــا وداخـــــلا

(٩٢٠)

هـــــذه صـــــورة بســـــتانٍ لا ثمـــــر فيهـــــا
لا تتـــــألم ولا تقســـــم بـــــلا طائـــــل
قـــد يكـــون الأمـــر مشوشًـــا وخادعًـــا وغاشًـــا
فــلا أحــد يبحــث عنــك فــي هــذا الجــنس مــن الخبــر

(٩٢١)

قـــد قرأنـــا كثيـــرًا مـــن القصـــص والســـمر
عـــن العاشـــق والمعشـــوق وغـــم دم الكبـــد
عشـــقك كلـــه ثابـــتٌ عنـــد علـــم العشـــق
فيـــا أيهـــا المليـــك، أنـــت شـــيء، وعشـــقك شـــيء اخـــر

(٩٢٢)

أحـــــاط الســـــيل بخـــــراب العـــــرم
وبـــــدأ كـــــأس العمـــــر بـــــالامتلاء

كـــن ســـعيدًا ؛ لأنـــه فـــي طرفـــة عـــينٍ ذهـــب
حمـــال الـــدّهر بالبضـــاعة مـــن منـــزل العمـــر

(٩٢٣)

مـــا جئـــت إلـــى بســـتانك جامعًـــا للفواكـــه
وسأمضـــي درويشًـــا فـــارغ اليـــد فـــافتح لـــي الطريـــق
وإن أردت أن أخـــرج فـــافتح لـــي البـــاب
وإذا لـــم تفـــتح، فـــلا تســـئ الظـــنّ

(٩٢٤)

يـــا مـــن جئـــت مـــن السّـــماء إلـــى هـــذا العـــالم متـــأخّرًا
وأتيـــت بأخبـــار السّـــماوات إلـــى الأرض،
متـــى يشـــبع الإنســـان مـــن صـــوتك
يـــا ربٌّ، أعـــط زئيـــرًا لمواجهـــة مخلـــب الأســـد

(٩٢٥)

كـــن بهمّـــة البـــاز وهيبـــة الأســـد
وادخـــل مخـــزن الـــروح بعـــينٍ شـــبعة
وامـــض ســـريعًا إلـــى حيـــث لا مســـرعٌ ولا مبطـــئ
وامض إلى الأعلى ؛ فإنّه ليس في الأعلى وليس في الأسفل

(٩٢٦)

أنـــا مجنـــون ومشـــتّت الـــذهن بســـببك، فـــأعنّي
أنـــا هـــائمٌ وحـــائر بســـببك، فـــأعنّي

وكـــــــــــل عـــــــــــاجز لديـــــــــه العـــــــــون

وأنـــــــــا المشـــــــــوش بســـــــــببك فـــــــــأعنّي

(٩٢٧)

لـــــــن أتحـــــــدّث عـــــن هـــــذه الـــــدنيا الخانقـــــة

وأنـــــا فـــــي طـــــربٍ والعـــــالم كلـــــه فـــــي مـــــأتم

أنـــــت تأخـــــذ البيـــــدق منّـــــا، ولكنّـــــك لا تأخـــــذ الملـــــك

نحـــن ووجـــه الملـــك، فلـــيكن ثمـــة ألـــف بيـــدق نـــاقص

(٩٢٨)

قلـــــت: «عينـــــي» قـــــال: «هـــــب أنـــــه فقـــــد ســـــحابٌ»

قلـــــت: «دمعـــــي» قـــــال: «حـــــب أنـــــه فقـــــد ســـــراب»

قلـــــت: «قلبـــــي» قـــــال: «هـــــب أنـــــه فقـــــد كبـــــاب»

قلـــــت: «جســـــمي» قـــــال: «هـــــب أنـــــه فقـــــد خـــــراب»

(٩٢٩)

مضـــى الوقـــت، مضـــى الوقـــت، وهـــب أن الوقـــت مضـــى،

هـــب أن الشـــمس دخلـــت يومَـــا فـــي تلـــك البئـــر،

وفـــي هـــذه القافلـــة قطـــع قـــاطع الطريـــق الطريـــقَ مئـــة مـــرة

وفـي هـذه الليلـة هنـاك عسسٌ، فـإن قطـع الطريـق، فهـب أنـه قطـع الطريـق

(٩٣٠)

قلـــــت: «قـــــل، مـــــاذا أفعـــــل» - قـــــال: «مُـــــت»

قلـــــت: «فقـــــدت كـــــلّ شـــــيء» - قـــــال: «مُـــــت»

قلـــــــت: «أأصــــــير شـــــمعًا وأنــــــا فراشــــــة،
يــا مـــن وجهـــك شـــمعي المضـــئ؟» - قـــال: «مُـــت»

(٩٣١)

مـــــن حاجبـــــك المقـــوّس، أيهـــا البـــدر المنيـــر،
صـــار القلـــب زجاجـــة مليئـــة بالـــدم مـــن ضـــربة ســـهمك
أقـــول: «أي شـــيء هـــو نظيـــر للقلـــب والزّجاجـــة والـــدّم؟»
فيأخـــذ كـــأس الخمـــرة ويقـــول: «خـــذ»

(٩٣٢)

أنــا ذو همـــة شـــماء، فـــأين يوجـــد بـــازٌ مثلـــي؟!
لا أعـــرض طمـــع وحـــاجتي علـــى أحـــد
وفـــي حجـــاب السّـــرّ، يكـــون صـــيدٌ حينًـــا،
وقيـــدٌ حينًـــا، ودلالٌ حينًـــا، وطمـــعٌ حينًـــا، وكلهـــا ســـعادةٌ لـــي

(٩٣٣)

حتـــى لـــو قتلـــت فلـــن أتحـــول عـــن عشـــقك ؛
لأنّ الصّـــوت خـــرج مـــن ربابنـــا
يقولـــون لـــي: «ســـنقطع رأســـك بالمقصـــلة»
وســـواءٌ لـــديّ قصـــر قمـــيص العمـــر وطولـــه

(٩٣٤)

حـــذار، لا تغتّـــر بجـــرأة البـــاز،
لأنّ عنـــده جناحًـــا مـــن دولـــة البـــاز

أنـــت طـــائرٌ، لكنـــك طـــائرٌ مســـكينٌ وغيـــر حقيقـــيّ
فـــلا تلعـــب الشـــطرنج مـــع بـــاز الملـــك

(٩٣٥)

تعـــال برجولـــةٍ ؛ فـــإن أمـــرك لـــيس وهميَـــا
وابـــداً بأنشـــودة لا بدايـــة لهـــا،
افتـــل شـــاربك، إنـــك رئـــيس المدينـــة
ومهمـــا يكـــن فـــإن هـــذه اللحيـــة الطويلـــة ليســـت عبثـــا

(٩٣٦)

أيهـــا القلـــب، ارم البضـــاعة كلهـــا فـــي هـــذه الناحيـــة
وألـــق علـــى وجهـــك قمـــيص يوســـف
أنـــت ابـــن الســـمك، لا حيـــاة لـــك مـــن دون المـــاء
لا تتـــردد، ألـــق بنفســـك فـــي هـــذا النهـــر

(٩٣٧)

فـــي هـــذه الليلـــة التـــي كشـــف لنـــا المعشـــوق فيهـــا السّـــرّ
أيهـــا الليـــل، أي ليـــلٍ أنـــت؟ أطـــال الله بقـــاءك
والزّيغـــان الســـود طربـــة هـــذه الليلـــة
ويطيـــر الـــروح مـــع البـــاز الأبـــيض

(٩٣٨)

جـــاء القلـــب وقـــال: «عشـــقه طويـــلٌ»
وجـــاء الليـــل وقـــال: «طرتـــه الجميلـــة طويلـــة»

وجـــــاء الســــرو وقـــــال: «قـــــده وقامتـــــه طـــــويلان»
إنـــــه عمرنـــــا العزيــــز ، فقـــــل: أطالـــــه الله

(٩٣٩)

نحـــــن، ووقـــــتٌ قصـــــير، وعشـــــقٌ طويـــــل
وقـــــد اســـــترحنا فـــــي ظـــــلّ القلـــــب طـــــويلاً
نـــــــاظرين صـــــــحراء طويلـــــــة
طولهـــا كطـــول مئـــة يـــومٍ مـــن أيـــام القيامـــة، فمـــا أطولهـــا؟

(٩٤٠)

جـــاء شـــهر دي [الشـــتاء] مجنونًـــا، وجـــاءت الليـــالي الطويلـــة
ونحـــــن، والليـــــل المظلـــــم، والعشـــــق الطويـــــل
لا نريـــــد أن ننـــــام، وقـــــد تـــــاه القلـــــب
فاجعـــــل مـــــن لديـــــه قلـــــبٌ، يســـــترخ ويهـــــدأ

(٩٤١)

أرنـــــي وجهـــــك يـــــا شـــــمع طـــــراز[1]
لكـــــي أتـــــدلل، لا صـــــوم عنـــــدي ولا صـــــلاة
ومـــا دمـــت معـــك، فـــإن أعلمـــي المجازيـــة كلهـــا صـــلاة
وعنـــدما لا أكـــون معـــك، فـــإنّ صـــلاتي كلهـــا مجـــاز

(٩٤٢)

كنـــت الليلـــة الماضـــية مـــع ذلـــك المعشـــوق الرافـــع للـــروح،
كـل مـا كـان منـي كـان طلبًـا، وكـل مـا كـان منـه كـان دلالا

(١) اسم مدينة في تركستان مشهور بجمال نسائها ومسكها [المترجم].

انتهـــى الليـــل، ولـــم يصـــل حـــديثنا إلـــى النهايـــة
فمـــا ذنـــب الليـــل؟! كـــان حـــديثنا طـــويلا

(٩٤٣)

إن أردت العـــون مـــن الحبيـــب فصـــانعه
وإن كـــان عمـــك الـــربح، فصـــانع المشـــتري
ومـــن أجـــل وصـــال القمـــر لا تفـــر مـــن الليـــل
ومـــن أجـــل الـــورد ومـــاء الـــورد، صـــانع الشـــوك

(٩٤٤)

لا تـــذهب اليـــوم مـــن عنـــدي، أيهـــا الحبيـــب، وصـــانعني
يـــا طاقـــة الـــورد ذات المئـــة ورقـــة، صـــانع هـــذا الشـــوك
أي بـــائع الـــدّلال، صـــانع المشـــتري
ويـــا قمـــر التّمـــام، صـــانع الليـــل المظلـــم

(٩٤٥)

أيهـــا الـــرّوح اللطيـــف، لا تعشـــق مـــن دون غـــم العشـــق
فـــإن لـــه فـــي كـــل لحظـــةٍ ألـــف صـــومٍ وصـــلاة
إن أول العشـــق الحقيقـــي والمجـــازيٍ وآخـــره ظـــاهران
ومهمـا يكـن، فـإنّ هـذه اللحيـة الطويلـة ليسـت مـن دون طائـل

(٩٤٦)

يـــا مـــن صـــنع مـــن ســـورة الإنســـان ربابَـــا
الأرواح كلهـــا قوالـــون لـــك، مـــن بـــاب الضـــرورة

يـــا مــــن يـــاقوت شــــفتك غنـــيٌ طـــول العمـــر

فـــألق إلـــى القـــوّال هديـــة مـــن ذلـــك اليـــاقوت

(٩٤٧)

أي روح الســـــماع والصّـــــوم والحـــــجّ والصـــــلاة

ويـــا مـــن صـــار اللعـــب والمجـــاز حقيقـــة منـــك،

أنـــــا اليـــــوم مطربـــــك، يـــــا شـــــمع طـــــراز

والنثـــار والمـــال الملقـــى علـــى القـــوّال مـــن الفلـــك

(٩٤٨)

كنـــت الليلـــة الماضـــية مـــع ذلـــك المعشـــوق الـــرحيم بعبـــده

كـل مـا كـان منـي كـان طلبًـا، وكـل مـا كـان منـه كـان دلالا

انتهـــى الليـــل، ولـــم يصـــل حـــديثنا إلـــى النهايـــة

فمـــا ذنـــب الليـــل؟! قـــد كـــان حـــديثنا طـــويلا

(٩٤٩)

أيقبـــل مرضـــك علاجًـــا مـــن أحـــد أبـــدًا؟!

أو يفـــر منـــك المـــراد أبـــدًا؟!

قلـــت: «أزرعـــت غـــرس الصـــبر فـــي القلـــب»

أفتـــرض أننـــي زرعـــت، أينمـــوا أبـــدًا؟!

(٩٥٠)

إن معشـــوقتنا لا تبتعـــد عنّـــا أبـــدًا

وشـــمعنا وســـراجنا لا ينطفئـــان أبـــدًا

إنـــــــــــه، والله، الصـــــــــــورة والمـــــــــــرآة
وتلـــــــــك المـــــــــرآة لا تصـــــــــداً أبـــــــــدًا

(٩٥١)

جـــــاءَ، جـــــاء، ذلـــــك الـــــذي لـــــم يـــــذهب أبـــــدًا
ولا يخلـــــو ذلـــــك المـــــاء مـــــن هـــــذا النهـــــر
هـــــو مـــــنجم المســـــك، ونحـــــن جميعَـــــا رائحتـــــه
أرأيـــــت الرائحـــــة بعيـــــدةً عـــــن المســـــك أبـــــدًا؟!

(٩٥٢)

أيهـــــا العشـــــق، أنـــــت لا تنـــــام ومـــــا نمـــــت أبـــــدًا
ولا تقـــــع فـــــي أعـــــين النـــــائمين أبـــــدًا
بقيـــــت كلمـــــة وأنـــــا لا أقولهـــــا
وأنـــــت أيضَـــــا لا تقولهـــــا، ومـــــا قلتهـــــا أبـــــدًا

(٩٥٣)

يـــــا عـــــدل الســـــكر، خـــــط عينيـــــك عـــــن الحامضـــــين[1]
أوقـــــد النـــــار، وأحـــــرق كـــــل مـــــا لـــــيس بعشـــــق
دكـــــان بـــــائع الســـــكر وحموضـــــة؟!
ثلـــــجٌ وريحـــــان فـــــي فصـــــل الحـــــر؟!

(٩٥٤)

إن لـــــم تـــــنم ليلـــــة مثـــــل الـــــنجم حتـــــى الصـــــباح
إذ يضـــــيءُ مثـــــل هـــــذا القمـــــر المســـــرّي عـــــن الـــــروح

(١) يريد المتجهمين المنفرين للآخرين بقسمات وجوههم [المترجم].

إنّ مـــــاء الحيــــاة فــــي الظلمـــــة، فـــــلا تـــــنم

لعلـــك فـــي إحـــدى الليـــالي تلقـــي فمـــك فـــي المـــاء

(٩٥٥)

ذلــــك الحبيــــب جــــذب يــــدي خفيــــة اليــــوم

صـــــرت حــــائرًا، وكســــرت القيــــد اليــــوم

لســــت ثمــــلا واحــــدًا، بــــل ألــــف ثمــــلٍ اليــــوم

مجنــــونٌ، وعابــــدٌ للمجنــــون، اليــــوم

(٩٥٦)

حـــان الليـــل، ولا خبـــر عنـــدي مـــن الليـــل والنهـــار

وليلـــي نهـــارٌ مـــن وجـــه ذلـــك الـــذي يضـــيء النهـــار

أيهـــا الليـــل، إنـــك ليـــلٌ لأنـــه لا خبـــر لـــك عنـــه

أيهـــا النهـــار، امـــض، وتعلـــم النهـــار مـــن نهـــاره

(٩٥٧)

ألا حـــان وقـــت الصـــبوح، بـــين الليـــل والنهـــار

فأشـــعل مصـــباحًا غيـــر القمـــر والشـــمس

هـــات شـــعلة مـــن تلـــك النـــار ذات اللـــون المـــائي

وألقهـــا فـــي بيـــت التفكيـــر، وأحرقـــه تمامًـــا

(٩٥٨)

نحـــن وهـــوى الحبيـــب القمـــري الوجـــه، لـــيلا ونهـــارًا،

مثـــل السّـــمك العطشـــان فـــي هـــذا النهـــر، لـــيلا ونهـــارًا

كيـف يشـتمّ الليـل والنهـار الرائحـة مـن هـذه الأيـام والليـالي
وأيـــن الليـــل والنهـــار فـــي ليـــالي العاشـــقين وأيـــامهم؟!

(٩٥٩)

اجتهـــــد، إن كنـــــت تقبـــــل النصـــــح، لعـــــدة أيـــــام
لكـــــي تمـــــوت قبـــــل المـــــوت بعـــــدة أيـــــام
الـــــدنيا امـــــرأةٌ عجـــــوزٌ، ومـــــا يهـــــم لـــــو أنـــــك
لـــــم تـــــأنس بعجـــــوزٍ لعـــــدة أيـــــام؟!

(٩٦٠)

هـــــوس عشـــــقك فـــــي رأســـــي كـــــل يـــــوم
وأنـــــا فـــــي عشـــــقك ثمـــــلٌ وقلـــــقٌ كـــــل يـــــوم
وعنـــــد الثملـــــين خمـــــار يـــــوم واحـــــد،
وأنـــا ذلـــك الثمـــل الـــذي فـــي خمـــاره كـــل يـــوم

(٩٦١)

يقـــــول لـــــي المعشـــــوق المشـــــفق:
«يجـــــب الـــــذهاب ؛ لأن اليـــــوم انتهـــــى»
أيهـــــا الليـــــل، لا تخـــــرج مـــــن كـــــتم العـــــدم
أيتهـــــا الشـــــمس، خيطـــــي نفســـــك بهـــــذا الفلـــــك

(٩٦٢)

ذلـــك الضـــياء الـــذي أعرفـــه أنـــا وأنـــت، أيهـــا المشـــفق
أيهـــا الحبيـــب، أشـــعله [الضـــياء] فـــي القلـــب لـــيلاً ونهـــارًا

لا لا، إنني غلطت أيها المعلم للعشق

عشقك وفتنتك، ثم الليل والنهار؟!

(٩٦٣)

أيتها الشقائق، تعالي وتعلمي اللون من وجهي

ويا أيتها الزهرة، تعالي، وتعلمي العزف من قلبي

وعندما تعزفين نغم الوصل

يا طالع الأبد، تعالي، وتعلمي النغم

(٩٦٤)

لم أشبع منك، أيها الحبيب، حتى الآن،

ولك علي دينٌ من السكر الكثير حتى الآن

وإن طلع شوكٌ فوق ترابي

فإن ذلك الشوك يفتح فمه بعشقك الآن

(٩٦٥)

أيها القساة القلوب، ما لان القلب الآن

أيها الثلجيو الصفات، ما سخن الثلج الآن

لم يدبغ هذا الجلد الآن

لم يخجل أحدٌ من الله الآن

(٩٦٦)

جاء إليّ الليلة الماضية معشوق سريع

حلو الكلام، سكري الشفاه، مثير للفتنة

أيقظنـــــــــي بوجـــــــه مثـــــــل الشـــــــمس
كأنـــــه يقـــول: إذا رأيـــت الشـــمس فـــانهض

(٩٦٧)

جـــــاء المعشــــوق وأخـــــذ القنينـــــة بعنــــف
وشـــرب بـــنهمٍ، علـــى نحـــو متـــوالٍ وســـريع
قـــال لــــه السّـــاقي: «هنيئـــا لـــك، لكـــن
إذا لـــم تصـــل إلـــى مقامـــك، فجامـــل [جامـــل الكـــأس]

(٩٦٨)

عـــــدت لكـــــي أشـــــعل نـــــارًا قويـــــة
فـــي التوبـــة والـــذنب والجـــرم والتقـــوى
جئـــــت بالنـــــار التـــــي تقـــــول:
يـــا كـــل شـــيء ســـوى الله، غـــب عـــن الوجـــود

(٩٦٩)

نحـــــن وأنـــــت والمنـــــزل خـــــالٍ، فـــــانهض
لـــيس هـــذا وقـــت العنـــاد، أيهـــا الـــروح فـــلا تعانـــد
امتـــــزج بالنّـــــدامى كالمـــــاء والشـــــراب
وإلـــى أن أصـــل إلـــى قـــراري، جـــاملني

(٩٧٠)

أيتهـــا الـــذرة، أن اســـتطعت الفـــرار مـــن الشـــمس ففـــري
وإن لـــم تســـتطيعي الفـــرار، فـــلا تعانـــدي

أنـــــت مثـــــل الإبريـــــق، والقضـــــاء كـــــالحجر
فـــــلا تصـــــدمني بـــــالحجر، لا تريقـــــي مـــــاءك

(٩٧١)

قـــال الحبيـــب مئـــة مـــرة: «لا تهـــرب إلـــى أيّ مكـــانٍ،
وإذا هربـــــت، فـــــلا تهـــــرب إلا إلينـــــا»
وكلمـــــا خفـــــت مـــــن خيـــــال الـــــذئب
فـــاهرب إلـــى المدينـــة، لا تهـــرب نحـــو الصـــحراء

(٩٧٢)

قلـــت لـــك مئـــة مـــرة: «لا تفـــر مـــن الســـكارى،
وضـــع روحـــك فـــي أيـــديهم، وخـــذها، ولا تفـــر»،
واســـــمع منـــــي، إنّ الفـــــارّ يمـــــوت
وأن أردتَ الـــرّوح، فـــلا تفـــر مـــن حلقـــة العشـــق

(٩٧٣)

أيهـــا القلـــب، لا تفـــر مـــن جفـــاء المعشـــوقين
وإن أردت الســـرقة، فـــلا تفـــر مـــن الحـــراس
وإن كنـــت تبحـــث عـــن العلامـــة فـــلا تفـــر ممـــن لا علامـــة لهـــم
أعـــط ألـــف روحٍ، ولا تفـــر مـــن ألـــم المعشـــوق

(٩٧٤)

يـــا مـــن صـــلحك معـــي مخـــتلط كلـــه بـــالحرب
إلـــــى متـــــى الحـــــب المخـــــتلط بالعـــــار؟

إن كنـــــــــت تنشـــــــــد اختلاطـــــــــي بـــــــــك

فأدركــــــه فــــــي مــــــاء العــــــين المخــــــتلط بــــــاللون

(٩٧٥)

أنــــــا اليــــــوم مســــــرورٌ بروحــــــك، وغــــــدًا أيضًــــــا

وأنــــــا المــــــاء والجــــــوهر والبحــــــر أيضًــــــا

أنــــــا عمــــــل حبيــــــبٍ مضــــــاعفٍ للعمــــــل أيضًــــــا

وكلمــــــا ادّعــــــى أقــــــول: «نحــــــن أيضًــــــا»

(٩٧٦)

جــــــاء عابسًــــــا عابسًــــــا، يعنــــــي: كفــــــى

أتحســــــب أننــــــي أخشــــــى العبــــــوس؟!

طــــــائر القلــــــب الــــــذي لــــــيس فــــــي قيــــــد القفــــــص

لا تخفــــــه ؛ لأنــــــه لا يخشــــــى أحــــــدًا

(٩٧٧)

أي يوســــــف الــــــروح، اســــــأل عــــــن حــــــال يعقــــــوب

ويــــــا روح الكــــــرم، اســــــأل عــــــن ألــــــم أيّــــــوب

ويــــــا مــــــن جملــــــة الحســــــان لعــــــبٌ عنــــــدك

اســــــأل عــــــن حالنــــــا فــــــي الهجــــــر القبــــــيح

(٩٧٨)

أيهــــــا الــــــروح، اســــــأل حاجبــــــك عــــــن صــــــفة قــــــدّي

واســــــأل طرتــــــك الســــــوداء، عــــــن اضــــــطرابي

اِســــــأل فمـــــــك الضّـــــيّق عـــــــن حـــــــال قلبــــــي
واســــــأل عينـــــــك السّــــــاحرة عـــــــن مرضــــــــي

(٩٧٩)

اســــأل الـــــريح كــــل ســـــحرٍ عـــــن أحــــوال قلبــــي
ولكـــــي تســــر، اســــأل الآخـــــرين عـــــن حزنــــــي
صـــــــرت توســــــوس فــــــــي قتـــــــل البـــــــريء
فاســـأل عـــن ذلـــك عينـــك التـــي هـــي ســـاحرٌ مـــاهرٌ

(٩٨٠)

انظــر إلــى وجهــي الشــبيه بالــذهب مــن أثــر الزّمــان، ولا تســأل
وانظــر إلــى تلــك الدّمعــة الشّــبيهة بحبــة الرمــان، ولا تســأل
ولا تســــــألني عـــــــن أحــــــوال داخـــــــل البيـــــــت
وانظـــــر إلـــــى دمٍ يجـــــري عنـــــد العتبـــــة، ولا تســـــأل

(٩٨١)

بـــــــدا المعشــــــــوق مشوشَـــــــا، فـــــــلا تســـــــأل
وبـــــدا هجرانـــــــه مليئَـــــا بالنـــــار، فـــــلا تســـــأل
قلـــت: «لا تفعـــل». قـــال: «لا تفعـــل لكـــي لا أفعـــل»
وقـــد بـــدت هـــذه الكلمـــة حســـنة عنـــدي، فـــلا تســـأل

(٩٨٢)

أنــــــا مشـــــــتتٌ مـــــــن غمـــــــه، فـــــــلا تســـــــأل
وأنــــــا رهـــــــينٌ مضـــــــطرب، فـــــــلا تســـــــأل

فيـــــــا طــــــــائر الخيـــــــال، مـــــــر بـــــــه
وعندئـــــذٍ اســـــأله عنّـــــي بقـــــدر مـــــا تســـــتطيع

(٩٨٣)

عنـــــد قـــــدحٌ مـــــن الخمـــــرة المحرّمـــــة، فـــــلا تســـــأل
عنـــــده عـــــدوّ للـــــروح، وكـــــأسٌ عجيبـــــة، فـــــلا تســـــأل
وهـــــو يقـــــدّم لـــــي شـــــرابًا خامَـــــا، فـــــلا تســـــأل
وينـــــاديني باســـــمٍ، فـــــلا تســـــأل

(٩٨٤)

اخـــــش يـــــوم القيامـــــة الحـــــارق للعـــــالم
واخـــــش ســـــهم الانتقـــــام المفتـــــت للقلـــــب
فيـــا مـــن غططـــت فـــي ليـــل الحـــرص فـــي نـــومٍ عميـــق
طلـــــع صـــــبح أجلـــــك، فـــــاخش النهـــــار

(٩٨٥)

اخـــش هـــذا العشـــق الملـــيء بالأفعـــال الحـــارق للـــدنيا
اخـــش هـــذا الظريـــف المـــانح القبـــاء العاقـــد النطـــاق
وعندئـــــذ يـــــأتي لكـــــي يتـــــوب كالزّاهـــــدين
وذلـــــك اليـــــوم الـــــذي تـــــاب فيـــــه، اخشـــــه

(٩٨٦)

إنّ لعِطـــــاش العشـــــق شـــــرابًا، فـــــلا تخـــــف
وإن صـــــرت بـــــلا مـــــاءٍ، فعنـــــدك مـــــاءٌ، فـــــلا تخـــــف

أنــــت كنـــزٌ، وإن كـــان البيـــت خربَـــا فـــلا تخـــف
اصـــح مـــن الـــدّنيا، لأنّهـــا نـــومٌ، ولا تخـــف

(٩٨٧)

إن صـــرت ثعلبَـــا لـــي، فـــلا تخـــش الأســـد
وعنـــدما أكـــون إقبالـــك، فـــلا تخـــش الإدبـــار
وعنـــدما يكـــون ذلـــك القمـــر رفيقـــك فـــي الســـماء
إن جـــاء النهـــار فـــي وقتـــه وإن تـــأخّر، فـــلا تخـــف

(٩٨٨)

امـــض، ادفـــع مركـــب العشـــق بقـــوةٍ، ولا تخـــف
وفـــي المصـــحف الأعـــوجِ، اقـــرأ آيـــة الحـــقّ، ولا تخـــف
وإذا ســـلمت مـــن نفســـك ومـــن غيـــرك
فاســـتيقن أن معشـــوقك هـــو أنـــت، ولا تخـــف

(٩٨٩)

إذا لـــم تصـــر عاشـــقًا، فـــامض، واغـــزل الصـــوف
فإنـــك صـــاحب مئـــة عمـــلٍ ومئـــة لـــونٍ ومئـــة حرفـــةٍ، وملـــون
وعنـــدما لا توجـــد فـــي رأســـك خمـــرة العشـــق
فـــامض إلـــى مطـــبخ اللؤمـــاء، والعـــق الطبـــق

(٩٩٠)

أيهـــا العاشـــق، امـــض، كـــن مشـــغولا بعشـــقك
كـــن مفتونَـــا بصـــورة فتنـــة قلبـــك

أنـــت فـــي حـــربٍ مـــع ظلـــك ؛ لأنـــك ســـيئ الطبـــع
إن خصـــــمك هـــــو ظلـــــك، فكـــــن وحيـــــدًا

(٩٩١)

بـــــرغم أنـــــك ملـــــولٌ، كـــــن معنـــــا لحظـــــة
لا تفـــر مـــن الأحبـــة، وكـــن فـــي هـــذا الضـــجيج
أو كـــــــن كقلبـــــــي، والهَـــــــا وعاشـــــــقًا
أو كـــن حاضـــرًا عنـــد العشـــق مـــن أجـــل النظـــر

(٩٩٢)

أن أننـــــــت قـــــــال: «لا تكـــــــن يعقـــــــوب»
وإن صـــــــبرت قـــــــال: «لا تكـــــــن أيـــــــوب»
لا يريـــــــدني ضـــــــعيفًا، وعنـــــــدما أعـــــــرض
يضـــربني علـــى رأســـي [قـــائلا:] لا تَعـــرض ولا تكـــن جيـــدا

(٩٩٣)

قلـــــت لقلبـــــي: لا تكـــــن أكثـــــر مـــــن الآخـــــرين،
امـــض وكـــن مـــرهم اللطـــف، ولا تكـــن كالســـم
إن تـــــرد أن لا يصـــــيبك ســـــوءٌ مـــــن أحـــــدٍ
فـــلا تكـــن ســـيئ القـــول وســـيئ العمـــل، وســـيئ الفكـــر

(٩٩٤)

أنـــت روح الـــروح، فتعـــال، وكـــن وســـط الـــروح
كـــن تاجَـــا لـــرؤوس الرجـــال كالعقـــل والنهـــى

أنـــــت ســــــعادةٌ وحـــــظ للجميـــــع، فـــــي العـــــالمين

فـــــدر فـــــي العـــــالم، كالســــعادة والحـــــظ

(٩٩٥)

أيهـــا القلـــب، امـــض، وكـــن مـــن المفكـــرين بالعاقبـــة

وكـــــن فـــــي عـــــالم الغربـــــة مـــــن الأقويـــــاء

وإن شـــــئت أن تكـــــون ريـــــح الصـــــبا مركبـــــك

فكـــــن غبـــــارًا لقـــــدم مركـــــب الـــــدراويش

(٩٩٦)

ألا أيهـــا القلـــب الظـــامئ، كـــن باحثـــا عـــن النهـــر

لا تـــــأت عـــــاجزًا، تعـــــال مســـــرعًا دائمًـــــا

ألســـــت مصـــــدر كـــــل قـــــولٍ فـــــي الصـــــدر

مـــــن دون فـــــمٍ ولا لســـــانٍ؟! كـــــن قـــــائلا

(٩٩٧)

إن لـــم تكـــن معنـــا، فـــلا تكـــن رفيقًـــا للأوبـــاش ؛

لأنهـــم يعطونـــك فـــي البـــدء قـــدحًا، وفـــي الآخـــر غضـــبًا

كـــــن وردًا وفـــــي كـــــل كلمـــــةٍ تريـــــدها اضـــــحك

كـــن رجـــلا خالصًـــا، وكـــن فـــي أي مكـــانٍ تريـــد

(٩٩٨)

فـــي هـــذا اليـــوم أعلـــن نـــديم العشـــق جهـــارًا:

إن كنـــت مـــن الأوبـــاش، فـــلا تكـــن إلا عنـــدهم

البارحـــــة صـــــار عـــــدمًا فـــــلا تفكـــــر فـــــي عدميتـــــه
والغـــــد الـــــذي لـــــم يـــــأت لا تنشـــــغل بـــــه

(٩٩٩)

جـــــاء ذلـــــك العربيـــــد والقلنـــــدري ســـــرًا وعلانيـــــة
فابحـــــث فـــــي عينـــــي عـــــن علامـــــةٍ لبـــــاطن قدمـــــه
فإمّـــا أن يكـــون هـــو الحـــق، وإمـــا أن يكـــون الحـــق أرســـله
فيـــا مطـــرب الـــروح، كـــن معنـــا لحظـــة واحـــدة

(١٠٠٠)

علـــــى حـــــين غـــــرّةٍ مـــــددت يـــــدي إلـــــى جيبـــــه
فصـــــــرت ثمـــــــلاً مـــــــن لـــــــذةً مماســـــــته
لـــــم تصـــــل يـــــدي إلـــــى جيبـــــه، ولكـــــن
المنـــــــة لله أننـــــــي نلـــــــت ســـــــيبه

(١٠٠١)

إذا لـــــم تضـــــرم النـــــار فـــــي كـــــل مـــــا تملكـــــه
فلـــــن تصـــــبح حقيقـــــة وقتـــــك جميلـــــة أبـــــدًا
كـــــان للعّيـــــارين مفـــــرشٌ مـــــن نـــــار
لســـــت عيـــــارًا، فانصـــــرف عـــــن العاشـــــقين

(١٠٠٢)

أقســـم بـــذلك الـــروح أنّـــه [الـــروح] صـــار ذلـــيلا لـــه
أقســـم بـــذلك الـــرأس أنـــه [الـــرأس] صـــار ثمـــلا بـــه

أقســــم بتلـــــك اللحظـــــة التـــــي رأونـــــي فيهــــا:
إننـــي أمســـك إبريقًـــا بيـــدٍ، ويـــده باليـــد الأخــــرى

(١٠٠٣)

مـــــــــن ينظـــــــــر بعينــــــــه الثملـــــــــة
ألعنــــــــه دائمًـــــــا بســــــــبب الحســــــــد
ومـــــــن يشـــــــار إلـــــــى وجهــــــه بالبنـــــان
إن اســـــــــتطعت فســـــــــأقطع يـــــــــده

(١٠٠٤)

أيهـــا العشـــق، تعـــالى وأعـــط سـيِّئ الطبـــاع طبعًـــا حســـنًا
أي عمـــاد العـــالم، أعـــط لطـــلاب الحســـن وجوهًـــا جميلـــة
مـــــاذا ســــــينقص مـــــن بســـــتان جمالـــــك؟!
أعـــــط مـــــن تفـــــاح الـــــذقون نصــــيبًا

(١٠٠٥)

كـــــــل عــــــينٍ عاشـــــــقةٍ لروضـــــــه
كيـــــف يشـــــغلها رأس كـــــلّ شــــوكة؟!
إن نظـــرت نظـــرًا صـــحيحًا كـــان الحبيـــب فـــي عونهـــا
وإن نظـــرت نظـــرًا معوجًـــا فلـــن يســـتقيم أمرهـــا

(١٠٠٦)

عنـــــدما ســـــرق الـــــورد اللـــــون مـــــن خـــــدّه
علقتـــه الصـــبا، مثـــل قطـــاع الطـــرق، علـــى مشـــنقها

وقـــد كـــرر البلبـــل القـــول، ولكـــن مـــن دون فائـــدة:

ليـــــت الصـــــبا تعطـــــي روح الـــــورد الأمـــــان

(١٠٠٧)

بكـــــت علـــــى نرجســـــته [عينـــــه] المخمـــــورة

حتـــــى صـــــرت حـــــائرًا مـــــن بكائـــــه الكثيـــــر

وإن كانـــــــت عينـــــــه ملطخـــــــة بالكحـــــــل

فقـــــد صـــــار وجهـــــه ملطخًـــــا بالكحـــــل

(١٠٠٨)

ذهـــب مـــن لـــم يكـــن أحـــدٌ نظيـــره فـــي الحســـن

مـــــن دون أن يشـــــبع قلبـــــي مـــــن لقائـــــه

ذهـــــب هـــــو وبقـــــي غمـــــه فـــــي قلبـــــي

نعـــــم، يـــــذهب الـــــورد ويبقـــــى شـــــوكه

(١٠٠٩)

عـــضٌ تلـــك الشـــفة التـــي ذقـــت ســـكرها

وفـــــرك اليـــــد التـــــي احتضـــــنتها

لا يتركهمـــــا مـــــن يصـــــل مـــــاء الحيـــــاة

مـــــن أثـــــره إلـــــى روحـــــه وكبـــــه

(١٠١٠)

يـــا مـــن أضـــأت الجهـــات الســـت بخمـــس شـــمعات

يـــا مـــن أنـــت أصـــل الحســـن، وكـــل مـــا عنـــدك حســـنٌ،

إلـــــــى متـــــــى تقرؤنـــــــي مثـــــــل الفاتحـــــــة؟!
أمســــــك بـــــــأذني مثـــــل البقـــــرة واجـــــذبني

(١٠١١)

أضـــــربُ الزجـــــاج بقلبـــــه الحجـــــري الجميـــــل
لكــــــي يحـــــارب وأســــمع صــــنجه الجميـــــل
لكــــــي يحـــــرق مــــن الغضــــب لونــــه الجميـــــل
لكـــــــي يحكّنــــــي بمخلبـــــــه الجميـــــــل

(١٠١٢)

رأيتــــه الليلـــــة الماضـــــية جالسًـــــا فـــــي جماعـــــة
لـــــــــم أســــــــتطع أن أحتضــــــــــنه
وضـــــعت وجهــــي علــــى وجهــــه متــــذرّعًا
يعنـــــي أنّنـــــي أتكلـــــم فـــــي أذنـــــه

(١٠١٣)

أي نســـيم الســـحر، امـــض نحـــو ذلـــك المعشـــوق
وإن كـــان حســـنَ الحـــال، فـــأخبره عـــن أحـــوال قلبـــي،
وإن لـــــم يكــــن علــــى طبيعتــــه جــــذابًا
فحــــذار، كأنــــك لـــــم ترنـــــي، الـــزم الصـــمت

(١٠١٤)

إن يقتلنـــي غمـــك كـــل لحظـــةٍ، فـــلا تقتلنـــي أنـــت
دع العــــالم كلــــه يقتلنــــي، ولا تقتلنــــي أنــــت

ومـــــــن وضـــــــعته لا تـــــــدس عليـــــه بالقـــــــدم
ومـــــــــــــن أحببتـــــــــــه، لا تقتلـــــــــــــه

(١٠١٥)

أيتهـــــا العـــــين، تعـــــالي، اغرقـــــي نفســـــك بالــــدم
أيهـــــا الــــــروح، امـــــض، وانصــــب رايتـــــك
وكـــل مـــن وضـــع إصـــبعه علـــى يـــاقوت شـــفتك
لا تخـــــف، أخـــــرك لســــانك مـــــن قفـــــاه

(١٠١٦)

يـــا مـــن وجهـــك شـــبيهٌ بالشـــمس جالـــبٌ للســـرور
ويـــا مـــن شـــعرك معطـــي المـــال لكـــل الحـــبش
أنـــت وحـــدك جميـــلٌ فـــي هـــذين العـــالمين
والبـــاقي تبـــعٌ لـــك، وقـــد صـــاروا جميعًـــا جميلـــين

(١٠١٧)

مـــــــا الليــــــل عنــــــدنا؟ أنـــــين لحظـــــةٍ
وعنـــــــد غيــــــر العاشــــــق وســــــادة
وذلـــك العاشـــق النـــاقص الـــذي هـــو حـــديث عهـــدٍ
لا تســــــــتمع أذنـــــــــه إلا بـــــــــركٍ

(١٠١٨)

كســـــــرت كـــــأس الســـــلطان فـــــي مجلســـــه
لكــــــي يحـــــاربني وأســـــمع شـــــتمه

والله، لقـــــــــد وقعــــــــت فــــــــي فخــــــه
لأننـــــي لا أعــــرف ناضـــــجه مـــــن نيئــــه

(١٠١٩)

لقبتــــــه حينًــــــا خمـــــــرةً وحينًـــــا كأســـــا
حينًـــــا ذهبًـــــا صِـــــرفًا وحينًـــــا فضـــــة مغشوشـــــة
حينًـــــا حَبــــة، وحينًـــــا صـــــيدًا، وحينًـــــا فخًّـــــا
وهــــذه كلهـــــا لمــــاذا؟! لكـــــي لا أذكـــــر اســـمه

(١٠٢٠)

مـــــن خلتـــــه رســـــول الحبيـــــب،
ســـــألته عـــــن اســـــم الحبيـــــب وأمارتـــــه
فـــــتح فـــــاه ليقـــــول شـــــيئًا
ومـــــن شـــــدة غيرتـــــك، لـــــم أســـــمح لـــــه

(١٠٢١)

ذلـــــك القلـــــب الـــــذي خلتـــــه لـــــي
والله، مـــــا تركتـــــه عنـــــد أي حبيـــــب
أيهـــــا المعشـــــوق، تركنـــــي وجـــــاء إليـــــك
فأحســـــن إليـــــه ؛ لأننـــــي أحســـــن إليـــــه

(١٠٢٢)

قلـــــت: «عينـــــي» قـــــال: «أجعلهـــــا جيحـــــون»
قلـــــت: «قلبـــــي» قـــــال: «أجعلـــــه مليئًـــــا بالـــــدّم»

قلـــــــت: «جســـــــمي» قـــــــال: «بعــــــد أيــــــامٍ
أفضـــــــحه، وأخرجـــــــه مـــــــن المدينـــــــة»

(١٠٢٣)

يعـــــــدني المعشـــــــوق، ولا أقبـــــــل منـــــــه
ولـــــو حلـــــف بالمصـــــحف لمـــــا قبلـــــت منـــــه
يقـــول: «والله، إن لـــم تقبـــل منـــي، فلـــن أقبـــل منـــك»
يريـــــد أن يـــــتخلص بـــــذلك، ولا أقبـــــل منـــــه

(١٠٢٤)

مـــــــا اســـــــتطعت، لا ترتـــــــد رداء العشـــــــق
وعنـــــدما ترتـــــدي، لا تصـــــرخ مـــــن كـــــل بـــــلاء
احتـــــرق فـــــي كـــــلّ رداء، وكـــــن صـــــامتًا
لأنـــــه بعـــــد الصّـــــبر يـــــأتي يـــــوم الفـــــرج

(١٠٢٥)

أيهـــا الحبيـــب، أنـــت موافـــقٌ لـــي، فطيّـــب الله وقتـــك
أنـــت لائـــق بحـــال قلبـــي، فطيّـــب الله وقتـــك
أطلـــب بالـــدعاء أن يكـــون العاشـــقون طيبـــي الحـــال
وإن تكـــن أنـــت أيضَـــا عاشـــقًا، فطيـــب الله وقتـــك

(١٠٢٦)

قلـــت: «كيـــف حالـــك؟ تعـــال ؛ لأننـــي طيـــب مثـــل اليـــوم
ومثـــــل اليـــــوم أشـــــقّ وأخـــــيط جيـــــدًا

ومـــا دمـــت أرى وجهـــك الشـــبيه بالنـــار، فـــأنّني كـــالعود
أحتـــــــرق وأحتـــــــرق، وأحتـــــــرق بالطيـــــــب»

(١٠٢٧)

يـــــا زمـــــان النّشـــــاط والضـــــياء، طـــــاب زمانـــــك
ويـــــا عـــــالم العـــــيش والأمـــــان، طـــــاب زمانـــــك
أنـــــــام لحظـــــــة فـــــــي ظـــــــل طرتـــــــك
أتوافـــــق أنـــــت للحظـــــة، طـــــاب زمانـــــك

(١٠٢٨)

أعطـــين نصـــف دفـــي للفـــأر، وهـــذا كلـــه حســـنٌ
ووضـــعت البـــاقي فـــي بـــدني، وهـــذا كلـــه حســـن،
وقـــــد جئنـــــا إلـــــى الســـــماع بـــــدف ممـــــزّق
يـــا مـــن معـــك المـــراد وعدمـــه، كلـــه حســـن

(١٠٢٩)

تلـــك الطـــرة المليئـــة بالمســـك التتـــاري كلهـــا حســـنة
وأنـــت فـــي طلـــب صـــيد مثلـــي، وهـــذا كلـــه حســـنٌ
وأنـــت فـــي فصـــل الربيـــع وجـــدة الربيـــع كـــذلك حســـن
وأنـــــت عنـــــدي كالسّـــــكر وقصـــــب الســـــكر

(١٠٣٠)

تلــك اللحظــة التــي أعطيتنــي فيهــا حقــي، كلهــا جميلــة
وتلـك اللحظـة التـي حككـت فيهـا رأسـي محبـة، كلهـا جميلـة

وتلك اللحظة التي تطردني فيها من البيت بشدّة، كلها جميلة
وعندما أعزم على الرّجوع، وتسمح لي، فإنّ هذا كله جميل

(١٠٣١)

تجتذبني إلى صدرك، وهذا كله حسن
وتفرض الموت على قطاع الطرق، وهذا كله حسن
وعندما تعطي الموت، تعطي بعد ذلك الرزق
وتخرج من الموت أنواع الحياة، وهذا كله حسن

(١٠٣٢)

أنت قائدٌ للروح والقلب والعين، وهذا كله حسن
وكل ما تزرعه في القلب والرّوح حسنٌ
أنت جميل العين فتّان العذار، وكلك حسنٌ
أنت غياثٌ للرّوح المتعب، وكلك حسن

(١٠٣٣)

يا من أنت المعشوق والمحبوب والضياء، وهذا كله حسنٌ،
أنت راحة القلب، والصديق، وهذا كله حسن
إن مررت بنا فأنت سلطانٌ
وإن زدت على ذلك قبلة، فهذا كله حسن

(١٠٣٤)

طرق عشقك باب الجنون الليلة الماضية
وقذف بحر العينين بأمواج الدم، الليلة الماضية

حتـــى وصـــل جـــيش خيالـــك فـــي منتصـــف الليـــل

ولـولا ذلـك لضـرب روحـي خيمـة خـارج الجسد الليلـة الماضـية

(١٠٣٥)

قلـــت الليلـــة الماضـــية لشـــيخٍ حكـــيم فـــي خفـــاء:

«لا تخـــف عنّـــي كـــلام ســـر العـــالم أبـــدًا»

فهمـــــس فـــــي أذنـــــي فـــــي خفـــــاء:

«هـــذه مشـــاهدةٌ»، وليســـت قـــولاً، اصـــمت

(١٠٣٦)

أعلـــم أنـــك مـــن أجلنـــا لـــم تـــنم الليلـــة الماضـــية

علـــى صـــفةٍ بـــاردة، فـــي رداء خفيـــف

وذلـــــك أيضَـــــا لا ينســـــى عنـــــدنا

يـــا مـــن أنـــت أعـــز مـــن العـــين والأذن

(١٠٣٧)

ذهبـــت الطيـــر إلـــى ســـليمان شـــاكية:

«لمـــاذا لـــم تفـــرك أذن هـــذا البلبـــل؟!»

فقـــال البلبـــل: «لا تســـع لســـفك دمنـــا

لأننـــي أتحـــدث لثلاثـــة أشـــهر وأصـــمت لتســـعةٍ»

(١٠٣٨)

فـــتح العشـــق أذنـــه لكـــل خجـــل

فاســـع، ســـواءٌ أكنـــت فـــي خيـــرٍ أم فـــي شـــر

اســــع لأنّ مرجَــــا مــــن عشــــقك فــــي حضــــني
اســـــــــــــــمه الريحـــــــــــــــان

(١٠٣٩)

عنــــدما يتــــذكرك القلـــب يـــذهب العقـــل مـــن العقـــل
متـــى تغـــدو الخمـــرة لذيـــذةً مـــن دون شـــفتك الحلـــوة؟!
العـــــــين دائمَـــــــا تنتظـــــــر رؤيتـــــــك
والأذن دائمَـــــا تنتظـــــر ســـــماع صـــــوتك

(١٠٤٠)

فعلـــــت فعـــــلا ولـــــم أفكـــــر فـــــي عواقبـــــه
وكـــل مـــن يفعـــل مثـــل ذلـــك يواجـــه مـــا أواجـــه
وعنـــــدما يمكـــــر القضـــــاء أيهـــــا الـــــدرويش
يفـــــر العقـــــل المـــــدبر إلـــــى البيـــــت

(١٠٤١)

أيهـــا الكنـــز، تعـــال ســـريعًا إلـــى خرابـــك
أيتهـــا الطـــرة، لا تتشـــعثي مـــن مشـــطك
أيهـــا الطـــائر، لا تعـــرض عـــن حبتـــك
يـــا صـــاحب البيـــت، ادخـــل بيتـــك

(١٠٤٢)

الجـــوهر فقـــرٌ، وســـوى الفقـــر عـــرض
الفقـــر شـــفاءٌ، وســـوى الفقـــر مـــرض

العــــــــالم كلـــــــــه خـــــــــــداعٌ وغـــــــــــرور
والفقـــــــر مــــــن العـــــــالم كنـــــزٌ وغـــــــرض[1]

(١٠٤٣)

يقـــذف بحـــر القلـــب بمئـــات الأمـــواج مـــن ريـــح الســـماع
ولـــــيس كـــــل قلـــــبٍ قـــــابلًا لحضـــــور الســـــماع
وكـــــــل قلـــــــبٍ اتصـــــــل ببحـــــــر القلـــــــوب
يجـــيش مـــن هـــذه الـــرّيح، وينصـــف الســـماع

(١٠٤٤)

كـــــــل يـــــــومٍ يـــــــأتي أميـــــــر الســـــــماع
مثـــــل ريـــــح الصـــــبا، إلـــــى روض الســـــماع
ويشـــترك فـــي ذلـــك الببّغـــاء والعنـــدليب أيضـــا
وتمتلـــــئ كـــــل شـــــجرٍ بثمـــــر الســـــماع

(١٠٤٥)

نحـــــــن ضـــــــيوفك وضـــــــيوف الســـــــماع
يـــــا روح المعاشـــــرين، وســـــلطان الســـــماع
أنـــــت بحـــــرٌ للحـــــلاوة ومـــــنجم للســـــماع
زيـــــــن الله بـــــــك ميـــــــدان الســـــــماع

(١٠٤٦)

اليـــــوم يـــــوم الســـــماع والســـــماع والسَّـــــماع
اليـــوم يـــوم النـــور والشـــعاع والشـــعاعِ والشـــعاع،

(١) هذه الرباعية بالعربية في الأصل [المترجم].

وهـــــذا العشــــق مشـــــاعٌ ومشـــــاعٌ ومشـــــاع
هـــــــــــو وادعٌ للعقـــــــــــل ووداعٌ ووداع

(١٠٤٧)

العشـــــق مــــانعٌ مــــن كــــل مــــا لا يليــــق
ولــــو لــــم يكــــن العشــــق، لمــــا ظهــــر الصــــانع
أتعـــــــرف أي معنـــــــىً لحـــــــروف العشـــــــق؟
العـــين عابـــدٌ، والشـــين شـــاكرٌ، والقـــاف قـــانع

(١٠٤٨)

يـــــدور العاشـــــق حـــــول الأطـــــلال والرّبـــــوع
ويـــــدور الزاهـــــد حـــــول التســـــبيح والركـــــوع
هذا [الزاهد] يعمل من أجل الخبز، وذلك [العاشق] يعمل من أجل الماء
إذ لهـــــذا العطـــــش، ولـــــذاك غـــــم الجـــــوع

(١٠٤٩)

قلـــت: «لا تبـــك كالســـحاب فـــي فـــراق البســـتان،
أنـــــا لـــــك، فـــــنم امنَـــــا فـــــارغ البـــــال»
أخشـــــى أن تضـــــع الســـــراج تحـــــت الطشـــــت
وعندئـــذٍ أبحـــث عنـــه بمئـــة عـــينٍ وســـراج

(١٠٥٠)

جـــاء البلبـــل إلـــى البســـتان وتخلصـــنا مـــن الـــزاغ
نـــأتي إلـــى البســـتان معـــك، أيهـــا العـــين والســـراج

ومثـــل السوســـن والـــورد نخـــرج مـــن أنفســـنا
ومثـــل المـــاء الجـــاري، نمضـــي مـــن بســـتانٍ إلـــى آخـــر

(١٠٥١)

يـــــا عبـــــد بـــــرد الشـــــتاء، مثـــــل الـــــزاغ
ويـــا أيهـــا المحـــروم مـــن البلبـــل والـــروض والبســـتان
اغتـــنم الفرصـــة، فإنـــه إن فاتتـــك هـــذه اللحظـــة
فســـتظل تطلبهـــا بمئـــة عـــينٍ وســـراج

(١٠٥٢)

إن كنـــت أجلـــس والغـــو مـــع شـــخصٍ اخـــر
والله، إننـــي لا أضـــع علامـــة حـــب أحـــدٍ فـــي قلبـــي
ولكـــن عنـــدما تغيـــب الشـــمس عـــن أحـــدٍ
يضـــع ســـراجًا بـــدلًا مـــن الشـــمس

(١٠٥٣)

لـــو بكـــت الكـــأس فـــي مجلـــسٍ كـــذبًا
فـــلا تنظـــر إلـــى كـــذبها، وانظـــر إلـــى ضـــوئها
وأي دمـــاءٍ تجـــيش مـــن دمهـــا الكـــاذب!
أصـــابها جيشـــان العشـــق، ومـــا أشـــده مـــن جيشـــان

(١٠٥٤)

يقـــال: «العشـــق صـــوتٌ واســـمٌ» وهـــذا كـــذبٌ
يقـــال: «أمـــل العشـــق خـــامٌ» وهـــذا كـــذبٌ

إن فلـــــــك الســــــــعادة عنـــــــدنا، فـــــــي الـــــــروح
وهـــم يقولـــون: «إنـــه فـــوق الأفـــلاك الســـبعة» وهـــذا كـــذب

(١٠٥٥)

يقـــــــال: «لا وفـــــــاء للحبيـــــــب» وهـــــــذا كـــــــذبٌ
ويقـــال: «لـــيس بعـــد الهجـــر لقـــاء» وهـــذا كـــذب
ويقـــال: «الشـــراب لا يزيـــد العمـــر» وهـــذا كـــذب
ويقـــال: «لا عهـــدة علينـــا فـــي هـــذا» وهـــذا كـــذب

(١٠٥٦)

ليســــــت ضــــــيافتك لعــــــدة أيــــــام فقــــــط
وقـــد بســـط ســـماطك مـــن جبـــل قـــاف إلـــى جبـــل قـــاف
ولـــــو فـــــتن شـــــخصٌ بـــــك لكـــــان معـــــافى مُعـــــافى
إن الفراشـــــــة تطـــــــوف دائمَـــــــا بالشـــــــمع

(١٠٥٧)

يقولــــــون لـــــــي: «لمـــــــاذا تضـــــــحك جزافَـــــــا؟!
عملـــــك كلـــــه عِشـــــرةً، وقولـــــك كلـــــه لغـــــوٌ»
أيهـــا الخصـــم الشـــبيه بـــالعنكبوت، انســـج الصـــفراء [الغضـــب]
إن العنقـــــاء الطربـــــة تعـــــرف جبـــــل قـــــاف

(١٠٥٨)

كـــــن فقيـــــرًا فـــــي الفقـــــر، صـــــافيًا فـــــي الصـــــفاء
فاتجـــــه نحـــــو القتـــــال بـــــالفقر والصّـــــفاء

ولـــــو امتشـــــق خصـــــمك مئـــــة ســــيفٍ مـــــن اللغـــــو
عنـــــدما لا يـــــرى أبـــــدًا، كيـــــف يضـــــرب بالســـــيف؟!

(١٠٥٩)

عنـــــــــدما حاربـــــــــت زنجـــــــــيّ هـــــــــذه الليلـــــــــة
شـــــــــق صـــــــــدر الليـــــــــل بصـــــــــدرك
طـــــــــف حـــــــــول كعبـــــــــة العشـــــــــاق
وأدرك أن الكعبـــــــــة تطـــــــــوف معـــــــــك

(١٠٦٠)

مـــــن القلـــــب نحـــــو المعشـــــوق طريـــــق، طريـــــق
ومـــــن لا يعـــــرف ذلـــــك معـــــافى مُعـــــافى
كـــــل يـــــومٍ فـــــي هـــــذه الحلقـــــة حَـــــربٌ، حـــــربٌ
وتحســـــب أنّ هـــــذا جـــــزافٌ، جـــــزاف

(١٠٦١)

اليـــــوم يـــــوم الطـــــواف، والطـــــواف، والطـــــواف
والمجنـــــون معـــــافى، مُعـــــافى، معـــــافى
لا حـــــرب، ولا قتـــــال، ولا قتـــــال، ولا قتـــــال
بـــــل وصـــــلٌ، وزفـــــافٌ، وزفـــــافٌ، وزفـــــاف

(١٠٦٢)

ذلـــــك الفـــــرد الـــــذي لـــــيس زوجـــــه فـــــي الآفـــــاق
لعـــــب معـــــي لعبـــــة الـــــزوج والفـــــرد، بوفـــــاق

وبعدئـــــذ قــــال لـــــي: «أتريــــد فـــردًا أو زوجَـــا»
قلــت: «أمــا معــك فزوجًــا، وأمــا مــن العــالم كلــه ففــردا»

(١٠٦٣)

مــــــــن رآك يــــــا ســـــــنّي الأخـــــــلاق
فـــــي الحــــال، طلـــق الكـــون والمكـــان ثلاثـــا
أيــــــة طـــــراوةٍ للقمـــــر؟! وأي محــــــل لزحــــــل؟!
مــــــع طلـــــوع شمســــــك فـــــي الآفـــــاق

(١٠٦٤)

يــــــــا دواء الســـــــــمن، وروح العاشـــــــــق
يكــــــون روح العاشـــــق ســــــمينًا مــــــن خيالـــــك
ويغــــــدو فــــــم العاشـــــق حلــــوًا مــــــن فمــــك
أنــــــت روحــــــي، أي معشــــوق العاشـــــق ومحبوبـــــه

(١٠٦٥)

كـــل يـــومٍ يطلـــع مـــن جديـــد هـــذا المعشـــوق للعشـــق
فيضــــــع فـــــي أعناقنــــا دفتـــــر العشـــــق
وقـــد وضـــع الحـــق هـــذه الشـــوكة علـــى بـــاب العشـــق
لكـــــي يبتعــــد كــــل مــــن لا عشــــق لديــــه

(١٠٦٦)

مــــن لديــــه تمكينـــــي وثبـــــاتي فــــي العشـــق؟!
مــــن لديــــه ســــكري وخمــــاري فــــي العشـــق؟!

أنـــا فـــي طلـــب المـــاء ومعشـــوقي مثـــل الـــريح
فمـــن لديـــه فـــي مـــذهب العشـــق قـــدمي وحبيبـــي؟!

(١٠٦٧)

عنـــــدما غـــــدت طينـــــة جســـــم آدم مســـــتعدةً
امتـــــزج الجـــــوهر الخـــــاص بـــــالتراب
وعنـــدما كســـرت الأفـــلاك ذلـــك الجســـم الطينـــي
ذهـــب التـــراب إلـــى التـــراب، والخـــالص إلـــى الخـــالص

(١٠٦٨)

حـــــاش أن يصـــــبح صـــــدر العاشـــــق مغتمـــــا
أو يصـــــبح ذيلـــــه ممزقـــــا إلا مـــــن العشـــــق
حـــــاش أن ينـــــام العاشـــــق فـــــي التـــــراب
هـــو خـــالصٌ فـــأين يـــذهب؟ إلـــى ذلـــك العـــالم الخـــالص

(١٠٦٩)

ضـــــــحك الفـــــــرح، لكـــــــي تفـــــــرح
ودار القـــــــدح، لكـــــــي تفـــــــرح
أظهـــــر لـــــك حـــــاجبي مـــــن تحـــــت النقـــــاب
مثـــــل قـــــوس قـــــزح، لكـــــي تفـــــرح

(١٠٧٠)

ذبـــــت فـــــي يـــــمّ الصـــــفاء كـــــالملح
لـــم يبـــق كفـــرٌ ولا إيمـــان ولا يقـــين ولا شـــك

وقـــــــد طلعـــــــت فـــــي قلبــــــي نجمــــــة
وقـــد تاهـــت فـــي هـــذه النجمـــة الأفـــلاك الســـبعة كلهـــا

(١٠٧١)

ضـــــمني إلــــى صـــــدرك بقـــوة مثـــل صـــنجك
واعــــزف لـــــي مــــن لحــــن العشــــاق
وإن شــــئت أن يرمـــى الزجــــاج بــــالحجر
أجــــئ لخــــدمتك، فهــــذا أنــــذا والحجــــر

(١٠٧٢)

حيـــث توجـــد العنايـــة، أي مكـــانٍ للصـــلح والحـــرب
وحيـــث يوجـــد العكـــس، أي مكـــانٍ للتســـبيح والتمســـك
وعنـد مـن هـو مقبـولٌ، أيـة قيمـةٍ لأن يكـون روميًـا أو زنجيًـا
فـــلا بـــدّ إذا مـــن التســـليم والرّضـــى، وإلا فـــالرأس والحجـــر

(١٠٧٣)

أيهــــا العاشــــق، تمســــك بأذيــــال العشــــاق
فــــإن الفاكهـــة تعلـــق نفســـها علـــى الشـــجر
يميـــل الرومـــي إلـــى الـــروم، والزنجـــي إلـــى الـــزنج
والعنـــب يأخـــذ دائمَـــا اللـــون مـــن العنـــب

(١٠٧٤)

يتغيــــر وجــــه العــــالم مــــن لــــونٍ إلــــى لــــون
وينظـــر إلـــى المعشـــوقة الظريفـــة مـــن وراء الحجـــب

وارتجـــــاف القلـــــوب كلـــــه مــــن العشــــق
لأنـــه مـــن عشـــقه، الأفـــلاك التســـعة حـــائرة، مثلنـــا

(١٠٧٥)

بقينـــــــا وقتَـــــــا وســــــط النـــــــاس
فلـــم نجـــد لـــديهم رائحـــة للوفـــاء ولا لونـــا
وإن نتـــوار عـــن أعـــين النـــاس فهـــذا خيـــرٌ لنـــا
مثـــل المـــاء فـــي الحديـــد، والنـــار فـــي الحجـــر

(١٠٧٦)

ارم إبريـــــق صـــــحبة الجـــــاهلين بـــــالحجر
وتمســــــك بأذيـــــال أذكيـــــاء العـــــالم
ولا تبـــق لحظـــة واحـــدةً مـــع مـــن ليســـوا أهـــلا
فإنـــك عنـــدما تضـــع المـــرآة فـــي المـــاء يصـــيبها الصـــدأ

(١٠٧٧)

كـــــن بهمـــــة البـــــاز وكبـــــر النمـــــر
جمـــيلا عنـــد الصـــيد، منتصـــرًا عنـــد الحـــرب
ولا تمكـــــث عنـــــد العنـــــدليب والطـــــاووس
فهنـــــاك كـــــل افـــــةٍ، وهنـــــا كـــــل لـــــون

(١٠٧٨)

تلـــك الخمـــرة التـــي تطلـــق لطـــائر الـــروح الجنـــاح
حـــــررت الـــــروح مـــــن الشـــــبع والمـــــلال

العشـــق هـــو الســـاقي، والعاشـــقون هـــم المرتـــوون
وهـــذا مقبـــولٌ مـــن العشـــق وحـــلالٌ لنـــا

(١٠٧٩)

أيهـــا الرجـــل، لا تجـــل إلا قـــرب الرجـــال
فمـــا أحســـن المـــرآة عنـــد الصـــقال
يـــا رب، أي ســـرورٍ للـــروح قـــرب الـــروح!
فمـــا وقـــع قـــرب الفخـــار هـــو الحجـــر

(١٠٨٠)

عنـــدي عشـــقٌ أصـــفى مـــن المـــاء الـــزلال
وهـــذه المزاولـــة للعشـــق لـــديّ مـــن الحـــلال
إن عشـــق الأغيـــار ينقلـــب مـــن حـــال إلـــى حـــال
أمـــا عشـــقي ومعشـــوقي فلـــيس لهمـــا زوال

(١٠٨١)

هـــذا العـــالم مملـــوءٌ بأمثـــال عيســـى
فكيـــف يتســـع العـــالم لقمـــاش الـــدّجال؟
والمـــاء المـــرّ العكـــر القلـــب، أيـــن يجـــد مكانًـــا يتســـع لـــه؟!
عنـــدما يكـــون جلـــد العـــالم مملـــوءًا بالمـــاء الـــزلال

(١٠٨٢)

عشـــقٌ فـــي غايـــة الكمـــال، وجاذبيـــة فـــي غايـــة الجمـــال
وقلـــبٌ مفعـــمٌ بالمقـــال، ولســـان أخـــرس عـــن المقـــال

فأيـــــة حـــــالٍ أعجـــــب مـــــن هـــــذه الحـــــال
أنـــا ظمـــأن ويجـــري أمـــامي المـــاء الـــزلال

(١٠٨٣)

هــــذا العشـــــق كمـــــالٌ، وكمـــــالٌ، وكمـــــال
وهـــــذه الـــــنفس خيـــــالٌ، وخيـــــالٌ، وخيـــــال
وهـــــذا النـــــور جـــــلالٌ، وجـــــلالٌ، وجـــــلال
واليـــــوم وصـــــالٌ، وصـــــالٌ، وصـــــال

(١٠٨٤)

اشـــــتدّ الصـــــوت يـــــئنّ صـــــائحَا ؛
لأن الحبيـــــب ســـــامعٌ، وعلـــــيمٌ بالحـــــال
الصـــــوت الصـــــدّاح والحلـــــق المتعـــــب
شـــــاكيان مـــــن زوالهمـــــا عنـــــد الكمـــــال

(١٠٨٥)

أســـــرار الحقيقـــــة لا تكشـــــف بالســـــؤال
ولا تكشـــــف أيضَـــــا ببـــــذل الجـــــاه والمـــــال
وإذا لـــــم تـــــدم العـــــين والقلـــــب لخمســـــين عامَـــــا
فلـــــن تكـــــون لـــــك ســـــبيلٌ مـــــن القـــــال إلـــــى الحـــــال

(١٠٨٦)

تصـــــنع الحريـــــرة فـــــي يـــــوم الـــــثلج والوحـــــل
أتعـــــرف لـــــم هـــــذا الرســـــم وهـــــذا العمـــــل؟

معنـــاه أنـــه إذا كانـــت النـــداوة هـــي الحاكمـــة فـــي الظـــاهر
فــإنّ السـكر والحريـرة والعسـل هـي الحاكمـة، علـى الحقيقـة

(١٠٨٧)

ظــــلّ القلـــب دائـــرًا بســـبب العشـــق العمـــر كلـــه
حتـــى صـــار القلـــب حرمًـــا للـــروح المشـــفق
وفـــي النهايـــة مضـــى، وضـــحّى بنفســـه تمامًـــا
فأنصـــف ؛ لأن القلـــب صـــار عاشـــقًا بطهـــر

(١٠٨٨)

أنـــت فتـــانٌ فـــي العـــين وفتـــانٌ فـــي القلـــب
يـــا مـــن العـــين والقلـــب مـــن نـــور وجهـــك خجـــلان
يقولـــون: «مـــاذا جنيـــه مـــن هـــذين الاثنـــين؟»
جـــاء مـــن ينشـــد الفائـــدة عنـــد العشـــاق

(١٠٨٩)

مســـــتحيلٌ أن أبـــــت أســـــباب مودتـــــك
ومـــن الخيـــر لـــي أن أودع قلبـــي عنـــد عشـــقك
وإن لـــم أودع القلـــب عنـــد غـــم عشـــقك
فمـــاذا أفعـــل بالقلـــب؟! ولـــم يكـــون عنـــدي قلـــبٌ؟!

(١٠٩٠)

حـــاش أن يتخـــذ قلبـــي منـــزلا آخـــر
وهيهـــات أن يغـــدو قلبـــي خجـــلا مـــن العشـــق

وعنـــدما تفتحـــت عينـــي لـــم تشـــرب ســـوى مائـــك
وأنـــــت كحـــــل العـــــين وقـــــوة القلـــــب

(١٠٩١)

ســـــألتني الـــــذهب والقلـــــب، يـــــا قـــــاطع الحـــــب
والحـــقّ أننـــي لا أملـــك هـــذا، ولـــيس ذلـــك بحاصـــل
أيــن الــذهب؟ متــى الــذهب؟ مــن أيــن الــذهب؟ مفلــسٌ وذهــبٌ؟
أيــن القلــب؟ متــى القلــب؟ مــن أيــن القلــب؟ عاشــقٌ وقلــبٌ؟

(١٠٩٢)

فـــي العشـــق، يتـــرنم الجـــزء أولا، ثـــم الكـــل
وفـــي البســـتان، يكـــون الحِصـــرم أولا، ثـــم الشـــراب
أيهـــا القلـــب، هـــذه قاعـــدةٌ فـــي فصـــل الربيـــع:
تصـــيح القطـــة أولا، ثـــم يتـــرنم البلبـــل

(١٠٩٣)

اســـمع منـــي نكتـــة، أيهـــا الفتـــان
بـــرغم أنـــه ثمـــة طريـــقٌ مـــن القلـــب إلـــى القلـــب
لســـت فـــي عينيـــك، بـــل أنـــت فـــي عينـــي
أنـــت إنســـان العـــين، وأنـــا إنســـان الطـــين

(١٠٩٤)

مـــن رآك ولـــم يضـــحك مثـــل الـــورد
خلـــوٌ مـــن الـــروح والعقـــل مثـــل الطبـــل

كــــــافرٌ أبـــــــدًا مـــــــن لا يدركـــــــه الســــــرور
بـــــــدعوة ذي الجـــــلال ومشـــــاهدة الرســـــل

(١٠٩٥)
عنــــــدي روحٌ لجـــــوجٌ وثمـــــلٌ وفضـــــولي
عنــــدي حبيـــبٌ، ظريــــفٌ وجـــزوعٌ وملــــولٌ
ومنــــي إلــــى حبــــي رســــولٌ، هــــو الحـــق
ومـــــن حبــــي إلــــي، الله هــــو الرســــول

(١٠٩٦)
لـــــم تغـــــدو فــــي الصـــمت متكاســـلا وملـــولا؟
تعـــوّد علـــى الصـــمت ؛ فـــإن هـــذا هـــو الأصـــل
والصـــمت نفســـه أيـــن هـــو؟! فمـــا تســـميه صـــمتًا
هـــو مئـــة صـــوتٍ وصـــياحٍ ورســـالةٍ ورســـول

(١٠٩٧)
لـــــيس ثمـــــة قـــــولٌ عـــــن آيـــــة موســـــى
لأن نغمــــة قيــــل موســــى مــــن عشــــقه
ارفـــع صـــوتك، أوصـــله إلـــى عشـــرة أميـــال
يـــا مـــن صـــوتك مثيـــل النيـــل لأســـماك الـــروح

(١٠٩٨)
يـــأتي مـــن العقـــل الـــدليل، ومـــن العشـــق الخليـــل
فـاعلم أن هـذا [العشـق] مـاء الحيـاة، وذاك [العقـل] مـاء السـبيل،

وإنـــك لـــن تظفـــر لـــدى الفلـــك بعلامـــة العاشـــق
فادخـــل فـــي الـــدوران بعلامـــات الرحيـــل

(١٠٩٩)

الخمـــر مـــن الـــزق تناديـــك: تعـــال
واقطـــع لوصـــالنا جميـــع الأشـــغال
فزنـــا وصـــونا وســـبقنا الأحـــوال
كـــي نعتـــق بالنجـــدة روح العامـــل

(١١٠٠)

يـــا مـــن هـــو ســـيدي وأعلـــى وأجـــلّ
يـــا مـــن أنـــا عبـــده وأدنـــى وأقـــل
حاشـــاك تملنـــي ويوشـــيك تَمـــلّ
إن لـــم يكـــن الوابـــل بالوصـــل، فطـــل

(١١٠١)

عنـــدي جمـــلٌ مـــن اشـــتياق وفصـــول
لا يمكـــن شـــرحها بكتـــبٍ ورســـول
بـــل أنتظـــر الزمـــان والحـــال يحـــول
أن يجمـــع بيننـــا فتصـــغي وأقـــول[1]

(١١٠٢)

أنـــا كمـــن ركـــب مهـــرًا
فـــي صـــحراء، وقـــد قطـــع المهـــر اللجـــام

(١) هذه الرباعية واللتان سبقتاها بالعربية في الأصل [المترجم].

ينطلـــــــق كطـــــــائرٍ تخلـــــــص مـــــــن الفـــــــخ
فـــــدعنا ننتظـــــر أيـــــن منـــــزل هـــــذا المهـــــر، أيـــــن؟

(١١٠٣)
مـــن أجـــل مشـــاهدة واحـــدٍ، جاشـــت جماعـــة مـــن الرعـــاع
جيشـــــــــــان القنينـــــــــــــة والكـــــــــــــأس
فـــــإذا لـــــم تـــــأت وفـــــررت مـــــن الزحـــــام
فـــأظهر رأســـك مـــن نافـــذة الســـقف، أيهـــا القمـــر

(١١٠٤)
هـــــذه الليلـــــة، إذ غـــــم العشـــــق مـــــدامٌ، مـــــدام
والكـــــأس والخمـــــرة الياقوتيـــــة ذات القـــــوام
دم الغـــــــم والفكـــــــر حـــــــلالٌ، حـــــــلال
والنـــــوم وهـــــوس النـــــوم حـــــرامٌ، حـــــرام

(١١٠٥)
هـــــذه الليلـــــة، إذ شـــــراب الـــــروح مـــــدامٌ مـــــدام
والســـــاقي هـــــو الملِـــــك، والخمـــــرة ذات القـــــوام
اكتملـــــــت أســـــــباب الطـــــــرب تمامَـــــــا تمـــــــام
فيـــــا أيهـــــا العشـــــاق، النـــــوم حـــــرامٌ، حـــــرام

(١١٠٦)
كـــــل شـــــيءٍ طيـــــبٍ منهـــــي عنـــــه علـــــى الـــــدّوام
لكـــــي لا تغـــــدو الخمـــــرة دلـــــيلًا لهـــــؤلاء العـــــوامّ

وإلا صـــارت الخمـــرة والصـــنج والصـــورة الجميلـــة والســـماع
حــــــــلالا للخاصّـــــــــة، حرامَــــــا علــــــى العــــــوام

(١١٠٧)

تلــــك الخمـــــرة التــــي هــــي حـــــرامٌ علـــــى الخلـــق حـــــرام
هــــــي مـــــدامٌ لـــــروح القلنــــدري_[١] علــــــى الـــــدوام
ألا أيهـــا الســـاقي، لا تقـــل: «كفـــى، الأمـــر تمـــام، تمـــام»
فــــــأين منّـــــــا البـــــــدء، وأيــــــن منّـــــــا التمـــــــام

(١١٠٨)

مـــن تلـــك الخمـــرة التـــي هـــي حـــرامٌ علـــى الخلـــق حـــرام
وهـــــــي لأرواح المجــــــــردين مـــــــدامٌ علـــــــى الـــــــدوام
اســـــــكب، ولا تقـــــــل: «هـــــــذا تمـــــــام، تمـــــــام»
فــــــأين منــــــا البــــــدء، وأيــــــن منــــــا التمــــــام

(١١٠٩)

تلــــك الخمــــرة التــــي هــــي حــــرامٌ علــــى الجســــد حــــرام
وهـــــــي مـــــــدامٌ لأرواح المجــــــــردين علــــــــى الــــــــدوام
صـــــــبَّها، ولا تصـــــــل: «هـــــــذا تمـــــــامٌ تمـــــــام»
فــــــأين البــــــدء منــــــا، وأيــــــن التمــــــام؟

(١١١٠)

هـــــذه الليلــــــة، إذ يصـــــل مـــــن المعشـــــوق ســـــلام
والنــــوم فيهــــا علــــى العــــين والقلــــب حــــرام، حــــرام

(١) درويشٌ متجردٌ وجوالٌ ، ولا ينتسب إلى طريقة [المترجم].

مثـــل طرتـــك، فإنـــه بســـبب رائحتـــك الطيبـــة،

يـــؤتى بالعطـــار خائفًـــا مـــن البـــاب والســـقف

(١١١١)

هـــذه الليلـــة إذ قمـــر العشـــق تمـــام تمـــام

وأنـــزل المعشـــوق رأســـه مـــن زاويـــة الســـقف

هـــي ليلـــة الخمـــرة والســـجود والقيـــام

لأنّ الخمـــرة عنـــد النّـــوم حـــرام، حـــرام

(١١١٢)

إن جرعـــة واحـــدً مـــن كأســـك تمـــامٌ، تمـــام

وأي شـــيء فـــي قلبـــي ســـوى عشـــقك، أيّ شـــيء؟

وفـــي عشـــقك، دم القلـــب حـــلالٌ، حـــلال

والراحـــة فـــي العشـــق حـــرامٌ، حـــرام

(١١١٣)

منـــذ أن عرفـــت نـــار العشـــق ومـــاءه

ذبـــت فـــي نـــار القلـــب، مثـــل المـــاء

وأفرغـــت قلبـــي، مثـــل الربـــاب

وصـــانعت مضـــراب ألـــم العشـــق

(١١١٤)

منـــذ أن عرفتـــك بالعشـــق

مـــا أكثـــر مـــا لعبـــت معـــك النـــرد بالخفـــاء

فتعال إلى سرداق قلبي ثملاً
فقد أخليت سرداق قلبي من أجلك

(١١١٥)

من عينيك تعلمت السحر المطلق
ومن حسنك أشعلت شمع الروح
أعمى الله أعين الحاسدين عن حالي
لأنّ عيني قد تعلقت بوجهك

(١١١٦)

لا تحسب أنّني فررت منك
أو تعلقت بأحدٍ سواك
ولست مدعيًا، بل مندفعًا من الأعماق
وقد اندفعت إلى يمّ الحبيب كالسيل

(١١١٧)

منذ أن أردت، أردتك من نفسك
وزينت بعشقك سماط العشق
وفي الليلة الماضية رأيت حلمًا، ثم نسيته
وما أعرفه أنني نهضت ثملا

(١١١٨)

من غيرة العشق، صرت ذا وجهٍ وقح
صرت سافكًا للدم، وملولًا، وفظًا، وسيئ الطبع

لا لا، إننـــــي مـــــن العشـــــق، وعاشـــــقٌ للعشـــــق
فـــــوا عجبَـــــا، صـــــرت غـــــزالا لأســـــدي

(١١١٩)

كنـــــت أســـــرع فـــــي طلـــــب الحبيـــــب
وقـد وصـل عمـري إلـى نهايتـه، وأنـا فـي نـومٍ عميـق
مفترضَـــــا أنّنـــــي ســـــأظفر بوصـــــال الحبيـــــب
فـــــأين أظفـــــر بهـــــذا العمـــــر الماضـــــي؟

(١١٢٠)

أنـــــا غريـــــقٌ فـــــي لـــــج بحـــــر الخيـــــال
لا، بـــــل إنّ الســـــيل يجـــــذبني إلـــــى البحـــــر
فيـــــا أيتهـــــا العـــــين نصـــــف النائمـــــة، أنـــــا عبـــــدٌ
لـــــذلك الـــــذي هـــــو نـــــائمٌ ؛ لأننـــــي نـــــائم

(١١٢١)

أيهـا النـرجس [العـين] النـاعس، اختطفـت النـوم مـن عينـي
أيتهـا الشـقائق المخضـلة [الخـدّ] أذهبـت قـدري واعتبـاري
أيهـــا الســـنبل المجعـــد [الطـــرة] أنـــا مغـــتمّ منـــك
أيهـــا الجـــوهر النـــادر [الحبيـــب] متـــى أظفـــر بـــك؟

(١١٢٢)

ذلـــــك الـــــذي حرمنـــــا النـــــوم ظلمَـــــا وعـــــدوانًا
يـــــا ربّ، احرمـــــه النـــــوم، تكرمَـــــا

لكـــــــــي يفهـــــــــم مـــــــــرارة الســــــــهاد
ويفكـــر مليَـــا [بمعنـــى الحـــديث:] «ارحـــم تـــرحم»

(١١٢٣)

إن تصــــــــفق يـــــــداي فــــــوق رأســـــــي
فـــلا تعـــب علـــيّ ذلـــك، أيهـــا المعشـــوق، لأننـــي ثمـــلٌ
وقـــــد خرجـــــت مـــــن طــــــوق الزمـــــان
وتحـــررت مـــن الحســـن والقبـــيح والنفـــع والضـــر

(١١٢٤)

تخـــــال أننـــــي تحـــــررت مـــــن غمومـــــك
أو أنننـي فـي غيابـك صـرت صـبورًا وجلسـت مطمـئن البـال
يـــا رب، لا توصـــل يـــدي إلـــى ســـرورٍ أبـــدًا
إن خلـــوت مـــن همـــك لحظـــة واحـــدة

(١١٢٥)

لا تحســـب أننـــي تحـــررت مـــن غمومـــك
أو أنني فـي غيابـك صـرت صـبورًا وجلسـت مطمـئن البـال
وقـــــد شـــــربت شـــــراب عشـــــقك
لكـــي أظـــل ثمـــلا مـــن الأزل إلـــى الأبـــد

(١١٢٦)

قلبـــــــي الثمـــــــل مـــــــلازمٌ للحانـــــــة
وقـــد جعلـــت روحـــي مشـــربًا لكـــأس الخمـــرة

وعنـــــدما علقـــــت روحـــــي وقلبـــــي بـــــالخمرة
أعطيتـــــه هـــذين الاثنـــين، وتحـــررت مـــن الغـــم

(١١٢٧)

عرفـــــت ذاتـــــك بريئـــــة مـــــن العيـــــوب
عرفتهـــــا موصـــــوفة بعظمـــــة الكبريـــــاء
ومـــاذا أفعـــل بالقلـــب؟! فعنـــدما عرفـــت نفســـي
حقـــــــــا ويقينـــــــــا عرفتـــــــــك

(١١٢٨)

المنـــــــة لله، أنننـــــي اتصـــــلت بـــــك
وتحـــــررت مـــــن سلســـــلة قيـــــد فراقـــــك
وقـــــد شـــــربت شـــــراب الفنـــــاء
لكـــــي أظـــــل ثمـــــلا مـــــن الأزل إلـــــى الأبـــــد

(١١٢٩)

يـــــا راحتـــــي ومثـــــواي الـــــدّائمين
منـــذ أن رأيـــت وجهـــك تحـــررت مـــن الحـــوادث
ولـــــو كســـــرت فـــــي مجلســـــك قـــــدحي
لاشـــــتريت مئـــــة كـــــأسٍ ذهبيـــــة، وأرســـــلتها

(١١٣٠)

عنـــدما أقـــع فـــي جهـــة مـــن أجـــل رؤيتـــك
أتشـــتت فـــي مئـــة ناحيـــة مـــن الوسوســـة والتفكيـــر

وأنـــــا دائـــــرٌ مــــــن أجـــــل رؤيــــــة وجهــــــك

حتى إنني من أجل حركة شعرةٍ واحدة من شعرك أقع على وجهي

(١١٣١)

ســــــررت عنــــدما صــــار ذلــــك الجــــوهر قرينَــــا لــــي

وأنــــــــا هــــــــائجٌ كــــــــالموج المــــــــتلاطم

أدعـــــــت ســـــــر البحـــــــر هائجَـــــا كالرعـــــــد

ونمـــــت عنــــد شــــاطئ البحــــر كالجهــــام

(١١٣٢)

البســــــتان الــــــذي تفتحــــــت مــــــن ربيعــــــه

أزهــــر وأظهــــر كــــل مــــا كنــــت أقولــــه

وعنــــدما جعلنــــي قــــرين كــــأس الإقبــــال

ســـــكرت، فوضــــعت رأســــي، ثــــم نمــــت

(١١٣٣)

أغلقــت شــفتي، وقلــت لــك مئــة كلمــةٍ وأنــا صــامت

قلتهــــا فــــي أذن قلبــــك البــــائع للــــدّلال

أحفــظ ذلــك الــذي قلتــه فــي أذنــك فــي رأســي

وغــدا أظهــر مــا قلتــه لــك الليلــة الماضــية

(١١٣٤)

الليلـــــة الماضـــــية، كنـــــت أشـــــتم الفـــــراق

كنـــت أحـــارب الـــدهر المحتـــرف للفـــراق

رأيــــــــت نفســـــــــي قرينًـــــــا لخيالـــــــــك

فمضــــــيت فــــــي صــــــحبة خيالــــــك، ونمـــــت

(١١٣٥)

ألتـــــــف كالحيّـــــــة مـــــــن تعويـــــــذة إنســــــانٍ

فأنــــــا مجعــــــدٌ كطــــــرة الحبيــــــب المجعــــــدة

والله، إنّنــــــي أجعــــــل طبيعــــــة هــــــذا التجعــــــد

وأعــــرف أنّنـــي عنـــدما لا أتجعـــد لا أكـــون شـــيئا

(١١٣٦)

الليلـــة الماضـــية، خمـــش وجهـــي بتـــأثير الســـكر

عنـــدما كـــان وجهـــي يقتطـــف الشـــقائق مـــن وجهـــه

قلـــــت: لا تخمشـــــه ؛ لأنـــــه مـــــن أن ولـــــد

لـــــم ينحـــــرف عـــــن قبلـــــة وجهـــــك

(١١٣٧)

الــــروح الــــذي أعطيتــــه حجــــرةً فــــي هــــذا المنــــزل

وكــــــان القلـــــب عنـــــدك، خادعتـــــه

وعنـــــدما جلســـــت ســـــيدة الـــــروح أمـــــدًا بعيـــــدًا

ووصـــــل عشـــــقك، طلقتـــــه [الـــــروح] ثلاثـــــا

(١١٣٨)

أنـــا ســـعيدٌ، لأننـــي متحـــررٌ مـــن ســـعادة العـــالم

وأنـــا ثمـــلٌ، لأننـــي إذا لـــم أشـــرب الخمـــرة أكـــون مســـرورًا

ولـــــيس بـــــي حاجــــة إلـــــى حــــال أحـــــدٍ
فبــــارك الله لــــــي بهـــــذه الدّبدبــــة الخفيفـــــة

(١١٣٩)

أنــــا الــــذي عنــــدما اغــــتم أغــــدوا مســــرورًا
وعنــــدما أغــــدو خــــربِـًا أكــــون عــــامرًا
وعنــــدما أكــــون ســــاكنًا وصــــامتًا كــــالأرض
يصــــل صــــياحي إلــــى الســــماء كالرعــــد

(١١٤٠)

انقضــــى الوقــــت، وأنــــا مســــرورٌ بانقضــــائه
ففــــي هــــذه الليلــــة يكــــون ضــــيفي حبيبــــي المبــــارك
إن لــــي نهــــارًا ولــــيلا اخــــرين فــــي العشــــق
وقــــد خرجــــت مــــن هــــذا الليــــل وهــــذا النهــــار

(١١٤١)

أنــــا ميــــتٌ مــــن غــــم العشــــق، فــــانفخ علــــيّ لحظــــة
لكــــي أغــــدو حيًــــا خالــــدًا مــــن تلــــك النفخــــة
قلــــت: «أنــــا نجيــــك فــــي الوصــــال»
أيــــن؟ مــــع مــــن؟ ألا تخجــــل أيهــــا النجــــي؟

(١١٤٢)

أنــــا مثلــــك أيضًــــا، كنــــت عــــاقلا وصــــاحيًا
وكنــــت أنكــــر العاشــــقين جميعًــــا

فصـــــــــرت مجنونَـــــــــا وثمـــــــــلاً وصـــــــــائحًا
كـــــأنني كنـــــت فـــــي هـــــذا العمـــــل طـــــوال العمـــــر

(١١٤٣)

كنـــــــــت صـــــــــامتًا، فجعلتـــــــــك راويًـــــــــا
كنـــــــــت زاهـــــــــدًا، فجعلتـــــــــك منشـــــــــدًا
لا اســـــــم لـــــــك فـــــــي العـــــــالم ولا علامـــــــة
فأجلســـــــتك، وجعلتـــــــك ذا علامـــــــة

(١١٤٤)

أيهـــا المعشـــوق، والمحبـــوب، أضـــعت الـــروح والـــدنيا
أيهـــا القمـــر، أضـــعت الأرض والســـماء
لا تضـــع الخمـــرة فـــي يـــدي، بـــل ضـــعها فـــي فمـــي
لأننـــي مـــن ســـكرك أضـــعت طريـــق فمـــي

(١١٤٥)

لـــــو مـــــددت يـــــدي إلـــــى طرتـــــك
لفعلـــــت ذلـــــك، والله، حقيقـــــة لا مجـــــازًا
وقـــــد وجـــــدت قلبـــــي فـــــي طرتـــــك
فأنـــــا أمـــــارس العشـــــق مـــــع قلبـــــي

(١١٤٦)

كنـــــت مـــــارًا يومًـــــا بالخرابـــــات [الحانـــــات]
فألقيـــت هـــذا الـــدلق الـــذي خاطـــه البشـــر عنـــد البـــاب

كـــان كــل إنســانٍ ينظــر إلـــى ناحيـــة واحـــدة
أمـــا أنـــا فقـــد كنـــت أنظـــر إلـــى نظـــري

(١١٤٧)

تلـــك الأعمـــال كنـــت أعملهـــا فـــي حضـــرة الحبيـــب
كنـــــــت أصـــــفق كـــــالثملين الســــــيئين
وإن تبســــــم هــــــو علــــــى جهــــــة اللطــــــف
فلمــــاذا أفعــــل أنــــا مثــــل هــــذه الأفعــــال؟

(١١٤٨)

حتــــام أبقـــى دائـــرًا بـــلا طائـــل كالغبـــار؟!
أدور حينًـــا فـــوق الجبـــل وحينًـــا نحـــو الغـــار؟!
حتـــــام أدور كالطفـــــل حـــــول الدّميـــــة؟!
علــــــيّ أن أدور مــــــدةً حــــــول الحبيــــــب

(١١٤٩)

مـــــن شـــــرفك صـــــرت مديـــــد القامـــــة
ومـــن عشـــقك صـــرت واحـــدًا يعـــدل مئـــة
كنـــــت أدور حولـــــك مـــــا دمـــــت موجـــــودًا
وعنـــدما صـــرت أنـــا إيـــاك، هـــا أنـــذا أدور حـــول نفســـي

(١١٥٠)

مـــــن عشـــــقك، صـــــرت مديـــــد القامـــــة
ومـــن الشـــوق إليـــك صـــرت واحـــدًا بمئـــةٍ

يقولـــــــــون لــــــــــي: «تــــــــــدور حولــــــــــه؟»

أيهـــــا المغفلـــــون، إننــــــي أدور حـــــول نفســـــي

(١١٥١)

أنـــــــــا عنـــــــــبٌ، وأدور تحــــــــت الأقــــــــدام

أدور إلـــــــى حيـــــــث يجــــــذبني العاشــــــق

قلـــــــــت: «لمــــــــاذا تــــــــدور حـــــــولي؟»

لا أدور حولـــــــــك، أدور حـــــــــول نفســـــــي

(١١٥٢)

شــــــربت مـــــاءً مـــــن نهـــــر الحبيـــــب العـــــذب

فعملت عملا حسنًا، وشربت شربًا حسنًا، وأتيت بما هو حسن

جعلــــــــت نفســــــــي طاحونَـــــــا علــــــــى نهـــــــر

فمـــــا دام مـــــاء الحيـــــاة يـــــدور، أظـــــل أدور

(١١٥٣)

شــــربت يومَــــا الخمـــــرة فــــي خراباتـــــك [حاناتـــــك]

فخلعــــــــت خرقـــــــــة المـــــــــاء والطـــــــين

رأيــــــت العــــــالم معمـــــــورًا مـــــــن حاناتـــــــك

ولـــــــــذلك أغــــــــدوا معمـــــــورًا وخربَـــــــــا

(١١٥٤)

طـــــــاوعني القلبـــــــي، فضــــــربت المعشــــــوق

ضـــــــــربت مـــــــــن عطـــــــــفَ علـــــــــيّ

هـــو الـــروح الـــذي بـــه أكـــون حيًـــا وضـــاحكًا
صـــرت مجنونًـــا، وهكـــذا ضـــربت الـــروح

(١١٥٥)

مـن الفتنــة والجنـون ضـربت مـن هـو محسـود أهـل الجنـان
ومـــن اضـــطراب القلـــب، ضـــربت راحـــة الـــروح
طـــــاوعني القلـــــب فضـــــربت المعشـــــوق
ضـــــربت مـــــن عطـــــف علـــــيّ

(١١٥٦)

مـــن مطـــبخ غمومـــه يصـــل إلـــى الـــبلاء
يصـــل كـــل لحظـــةٍ بمئـــة لـــونٍ جديـــد
فمـــن أيـــن تصـــل إلـــى رائحـــة الكبـــد المحترقـــة
كـــل لحظـــةٍ علـــى مائـــدة الغـــم؟

(١١٥٧)

يصـــل إلـــيّ صـــوت إســـرافيل الطـــرب
فيصـــعد بـــي مـــن تـــراب الفنـــاء إلـــى الســـماء
ولا يعـــرف أحـــدٌ مـــا يصـــل إلـــيّ
الـذي يصـل إلـيّ مـن ذلـك العـالم علـى حـين غـرة

(١١٥٨)

منـــذ أن رأيـــت وجهـــك اشـــمأزت مـــن العـــالم
كنـــت ثعلبًـــا، فصـــرت مـــن عظمتـــك أســـدًا

فيــــا مــــن وضـــعت قـــدمك فـــوق الخلـــق كبـــرًا
تصـــور أيضَـــا أننـــي صـــرت تحـــت قـــدمك

(١١٥٩)

أمســـــــك عشـــــــقك بكمـــــــي يجـــــــذبني
يجـــــــذبني إلـــــــى حبيـــــــبٍ حقيقـــــــي
وعندئـــــذٍ تقـــول: «إلـــى متـــى أنـــت متـــراخٍ؟!»
فقـــل ذلـــك للعشـــق ؛ لأنـــه هكـــذا يجـــذبني

(١١٦٠)

صـــرت شـــيخًا، لـــم أصـــر شـــيخًا مـــن الأيـــام
بـــل مـــن دلال المعشـــوقة المعجبـــة بنفســـها
صـــرت ناضـــجًا ونيئًـــا فـــي كـــل لحظـــةٍ
صـــرت حبًـــا وفخًـــا فـــي كـــل لحظـــة

(١١٦١)

منـــذ أن اشـــتعل شـــمعك صـــرت مجنونًـــا
وبالصـــبر عـــن رؤيتـــك صـــرت غريبًـــا
صـــار إنســـان عينـــي مـــن دون قـــرار بســـبب رؤيـــة وجهـــك
أي إنّنـــي رأيـــت جنيًـــا، فجننـــت

(١١٦٢)

أنـــا راضٍ بالفنـــاء، إلـــى حـــد بعيـــد
فلمـــاذا يكثـــرون نصـــحي مـــن أجـــل الدنيـــة؟!

وعنـــــــــدما يقتلـــــــــوني بســــــــيف الفنـــــــــاء
مــــــن يبكـــــي علــــــيّ؟! إنّنــــــي أضــــــحك عليــــــه

(١١٦٣)

آمـــــــــــل التحـــــــــــرر مـــــــــــن نفســـــــــــي
آمـــــــــــل أن أجلـــــــــــس حـــــــــــرًا
كنـــــــــت فـــــــي قيـــــــد المقامـــــــات حينـًــــــا
وآمـــــــل تحطـــــــيم ذلـــــــك القيـــــــد

(١١٦٤)

لســــت مجنونـًــــا، لكـــــنهم يســــمونني بهـــذا الاســـم
لســــــــت غريبـًـــــــا، لكــــــــنهم يطردونــــــــي
وهـــم كالعســـس ثملـــون بشـــدة فـــي منتصـــف الليـــل
لكـــــــــنهم يعرفـــــــــونني كالنهـــــــــار

(١١٦٥)

أيهــــا الســـــاقي، كنــــت اليــــوم فــــي خمــــارك
وقـــد كنـــت فـــي انتظـــارك، والله، حتـــى الليـــل
أعطنــــي المـــــدام، وحررنــــي مــــن فـــخّ الـــدنيا
وفــي هــذه الليلــة كنــت صــيدك، مثلمــا أنــا فــي النهــار

(١١٦٦)

مــــــن وجهــــــك كنــــــت دائمـًـــــا كـــــــالرّوض
ومـــــن رؤيتــــك كانــــت عينــــاي مبصـــــرتين

كنـــت أقـــول: «أبعـــد الله عـــين الحســـد عـــن وجهـــك»
أيهـــا الحبيـــب، لعلـــي كنـــت عـــين الحســـد التـــي تحســـدك؟

(١١٦٧)

تظـــــــن أننـــــــي ممســـــــكٌ بزمـــــــام أمـــــــوري
أو أننـــي مالـــكٌ لنفســـي لحظـــة أو نصـــف لحظـــة
أنـــــا كـــــالقلم فـــــي يـــــد مـــــن يحـــــرّك القلـــــم
أنـــا كـــالكرة، أســـير أميـــر لاعبـــي الصّـــولجان

(١١٦٨)

عنـــــدما ســـــمعت أول مـــــرةٍ حـــــديث العشـــــق
أتلفـــت الـــروح والقلـــب والعـــين فـــي طريقـــه
قلـــــت: «لعـــــلّ العاشـــــق والمعشـــــوق اثنـــــان»
لا، فالاثنـــان كانـــا واحـــدًا، كنـــت أنـــا أحـــول

(١١٦٩)

ذهبـــــت صـــــباحًا إلـــــى البســـــتان وقطعـــــت الـــــورد
وكنـــــــت أخشـــــــى رؤيـــــــة البســـــــتاني
ســـــمعت كلامًـــــا حلـــــوًا مـــــن البســـــتاني
أيـــة قيمـــةٍ للـــورد؟! وهبـــتُ البســـتان

(١١٧٠)

ســـــرقت هـــــذا التّطـــــواف مـــــن روحـــــي
وقـــد طفـــتُ هـــذا الطـــواف بروحـــي قبـــل القالـــب

يقولـــون لـــي: «الصـــبر والســـكون أولـــى لـــك»

أعطيـــتكم هـــذا الصـــبر وهـــذا الســـكون

(١١٧١)

رأيـــت معشـــوقا فـــي ناحيـــة الخرابـــات [الحانـــات]

فاشـــتريت عشـــقه بـــألف روحٍ وقلـــب

اشـــتممت رائحـــة طرتيـــه

فقطعـــت يـــد الطمـــع بالعـــالمين

(١١٧٢)

إن خاصـــمت عنـــاد العشـــق

والله، إنّ لـــي رؤوسَـــا كثيـــرة

وعنـــدما تعلقنـــي علـــى المشـــنقة مثـــل منصـــور [الحـــلاج]

تـــأتيني المشـــنقة كـــل لحظـــةٍ بخبـــرٍ عـــن ذلـــك الـــرأس

(١١٧٣)

أنـــا عبـــدٌ للقـــرآن مـــا دمـــت حيَـــا

أنـــا غبـــار طريـــق محمـــد المختـــار

وأن روى أحـــدٌ عنـــي كلامًـــا غيـــر هـــذا

فأنـــا بـــرئٌ منـــه، وبـــرئٌ مـــن هـــذا الكـــلام

(١١٧٤)

أجعـــل عشـــقك فـــي موضـــع الإيمـــان

وإنّ روحـــي لا يصـــبر عـــن العشـــق مـــا دمـــت حيـــا

قلـــــت: «أخفــــف عنـــك إزعـــاجي عـــدّة أيـــام»
مـــا اســـتطعت، فلـــم أخفـــي عنـــك ذلـــك؟

(١١٧٥)

يـــا صـــوت الربـــاب، إن لـــي منـــك صـــبرًا وتحمـــلا
أنـــا أيضَـــا لـــديّ ربـــابٌ داخـــل القلـــب
لا تتجـــاوز، ادخـــل ســـاعة ثـــم اجلـــس
صـــر ضـــيفًا، إنّ لـــديّ زاويـــة خـــراب

(١١٧٦)

الصـــبوح عشـــقٌ، وأنـــا صـــاحٍ بســـببه
الربيـــع عشـــقٌ وأنـــا روضٌ بســـببه
يقســـم بالعشـــق الـــذي هـــو عـــدوٌ للعمـــل:
إن اليوم الذي لا أكون فيه عاطلا عن العمل، أكون فيه عاطلا عن العمـــل

(١١٧٧)

إن لـــي مـــرادًا، هـــو خـــارج الكـــونين
ومـــن دون ســـرورٍ، لـــي روحٌ مســـرور
افـــتح شـــفتيك بالضّـــحك
لأنـــه بفتحهمـــا، لـــي فـــتحٌ وســـرور

(١١٧٨)

أيهـــا الحبيـــب، أنـــا صـــيدٌ، وعنـــدي صـــيد
أنـــا عاطـــلٌ، وعنـــدي عمـــلٌ عجيـــب جـــدًا

قلـــــــت: «أنـــــــت تقصــــــد قطـــــــع رأســـــــي»

نعـــم، لـــدي قصـــدٌ، أيهـــا المعشـــوق! نعـــم لـــديّ قصـــد

(١١٧٩)

أنـــــــا جـــــــائعٌ، ولـــــــدي علامـــــــة الشـــــــبع

أنـــــــا ثعلـــــــبٌ، ولـــــــديّ ســـــــمعة الأســـــــد

عنـــــــدي نفـــــــسٌ تفـــــــر مـــــــن الخيـــــــال

فـــــلا تنظـــــر إليهـــــا، إن عنـــــدي روحَـــــا مقـــــدامًا

(١١٨٠)

لســـــــت ملائمَـــــــا ؛ لأن لـــــــديّ مصـــــــانعة

أنـــــــا ســـــــيئُ الطبـــــــع، لأن لـــــــديّ دلالا

لـــــــدي بـــــــازٌ ملكـــــــي فـــــــي صـــــــورة بـــــــوم

ولـــــــدي عمـــــــرٌ طويـــــــلٌ فـــــــي عـــــــين الفنـــــــاء

(١١٨١)

قلـــــــت: «أقضـــــــي مـــــــدةً فـــــــي الفـــــــراق

لعـــــــل ذلـــــــك المعشـــــــوق ينـــــــدم»

فتجرعـــــــت كثيـــــــرًا مـــــــن الصـــــــبر، وســـــــعيت كثيـــــــرًا

مـــــــا اســـــــتطعت، فلـــــــم أخفـــــــي عنـــــــك ذلـــــــك؟

(١١٨٢)

صـــــــار القـــــــول عاشـــــــقًا لأســـــــراري

فكيـــــــف أحفـــــــظ الطـــــــائر الـــــــذي طـــــــار؟!

أيهـــا البلبـــل الثمـــل بخمـــار المـــرج
تحـــدّثت كثيـــرًا حتـــى صـــار قـــولي ثمـــلا

(١١٨٣)

صـــرت مـــن دون عمـــلٍ، يـــا مـــن غـــم عشـــقك عملـــي
أزرع فـــي التعطـــل بـــذر الوفـــاء
أصـــنع صـــورة الوصـــل لـــيلا ونهـــارًا
بخـــاطرٍ شـــبيهٍ بالمطرقـــة، لعلـــي أكـــون نجـــارًّا؟!

(١١٨٤)

أنـــا يرغـــوش بـــك، وقيـــر بـــك، وقائـــد الجـــيش
عنـــدي النصـــرة والهمـــة والاقتـــدار
ولـــو نهـــض جبـــل أحـــد لمخاصـــمتي
لاقتلعـــت الجبـــل مـــن أساســـه بـــرأس ســـناني

(١١٨٥)

تقـول: «إنني بعيـدٌ عـن الحبيـب جسـمًا وقريـبٌ منـه قلبًـا»
حـــذار، لا تظـــن، إننـــي معشـــوق
لـــو رأيـــت صـــورة خيالـــك يومًـــا
لصـــرخت: إننـــي بـــرئٌ مـــن القلـــب

(١١٨٦)

جـــاء حبيبـــي الليلـــة الماضـــية لطفًـــا منـــه
فقلـــت لليـــل: «لا تفـــش أســـراري»

فقـــــــال الليـــــــل: «انظـــــــر وراءك وأمامـــــــك
إن عنـــدك الشـــمس، فمـــن أيـــن آتـــي بالصـــبح؟»

(١١٨٧)

لـــو بـــذلت فـــي عشـــقك قلبـــي لاحتفظـــت بروحـــي
وكـــل مـــا أبذلـــه آخـــذ مقابلـــه ألـــف مـــرة
ولـــــو ظفـــــرت بصـــــولجان طرّتـــــك
لظفـــرت مـــن جملـــة الـــدنيا بـــالكرة فـــي الميـــدان

(١١٨٨)

تقـــــول إننـــــي خبيـــــرٌ بكـــــلّ الفنـــــون
وحســـبك جهـــلاً أن تكـــون جـــاهلا لنفســـك
ومـــا دمـــت لـــم تـــتخلص مـــن نفســـك
فلـــن تغـــدو نـــديمًا ونجيًّـــا لهـــؤلاء الملائكـــة

(١١٨٩)

لـــــو مـــــررت ببـــــاب بيتـــــك قلـــــيلاً
لكـــان حـــذري خوفـــا مـــن الغيـــورين عليـــك
أنـــت فـــي قلبـــي كـــالفكرة لـــيلاً ونهـــارًا
وكلمـــا طلبـــك نظـــرت إلـــى القلـــب

(١١٩٠)

قلـــت: «أنـــا منـــزعجٌ مـــن أعـــين النـــاس»
ولكـــي أخفّـــف انزعـــاجي مـــن أعـــين النـــاس

دخـــــل كالخيــــــال جســــــمي الضــــــعيف كالخيــــــال

أي: إننـــــــي أبعــــــــد الآن عــــــــن الأعــــــــين

(١١٩١)

اليــــوم كــــان الحبيـــب قبالـــة نــــاظري اليــــوم كلــــه

وبســــبب ذلــــك أنــــا خـــــربٌ ومضــــطرب الأحــــوال

وأنـــــــا مهجــــــورٌ بســــــبب حضـــــوره الكبيــــــر

ومـــــن قــــوة ذلــــــك العلـــــم أنــــــا جاهــــلٌ

(١١٩٢)

قلــــــت أولا: أعطـــــه عشــــــرة دنــــــانير، تكرمَــــــا

وبعدئــــــذٍ اســــــترجعت ثلاثــــــة منهــــــا بالكتابــــــة

وإذا لـــــم تعـــــط الآن أيضَـــــا اثنـــــين مـــــن تلـــــك الســـــبعة

فلـــــم أنقصـــــت ثلاثـــــة دنـــــانير مـــــن الخمســـــة؟!

(١١٩٣)

أضــع أنــا رأســي، فــلا تضــع أنــت رأسـك، يــا معــدن الكــرم

لأننـــي اليـــوم أكثـــر ســـكرَا منـــك، أيهـــا المعشـــوق

أقســـــــــــــم، إذا لــــــــــــم تصــــــــــــدق

لمــــــاذا أقســـــم؟ لـــــم لا أشـــــرب الخمـــــرة؟

(١١٩٤)

لـــو صـــرت قمـــرًا لنظـــرت إلـــى الســـماء قلـــيلا

ولـــو صـــرت ســـعادةً لمـــا رحلـــت إلـــى ناحيتـــك

ولـــــو اشـــــتريتك بــــأكثر مـــــن فلــــسٍ واحــــدٍ
فــــــأمر بـــــأن يـــــداس رأســـــي كالحيـــــة

(١١٩٥)

مـــــــن محبتـــــــك، أشــــــــرب دم الكبـــــــد
وأتحمـــــل هـــــذه المظلمـــــة إلـــــى يـــــوم القيامـــــة
وغـــــــدًا عنـــــــدما تغـــــــدو القيامـــــــة عيانًـــــــا
تطلـــب أنـــت الـــدّمَ، وأنظـــر أنـــا إلـــى وجهـــك

(١١٩٦)

إلـــــى متـــــى أتحمّـــــل، كالـــــدّفّ، يـــــد ظلمـــــك؟!
أو أتحمّـــــل، كالربـــــاب، ضــــــرب غمـــــك؟
قلـــت: «أعــزف عليــك كالصــنج، فـــي صــدري»
أنـــا لســـت نايـــك، لكـــي أستنشـــق أنفاســـك

(١١٩٧)

مـــن كثـــرة قربـــك منـــي، أنـــا بعيـــد
ومـــن غايـــة امتزاجـــك بيـــه، أنـــا مهجـــور
ومـــن كثـــرة الظهـــور، أنـــا مخفـــيّ
ومـــن كثـــرة الصّـــحة أنـــا مـــريض

(١١٩٨)

لأنـــك تعـــرف أننـــي بعيـــدٌ عـــن الخيـــال
إن أفـــرَّ مـــن الحســـان، فأنـــا معـــذور

هـــــو مثـــــل رفيــــق الأعمــــى، وأنـــــا الأعمــــى

لا أخطـــو خطـــوةً واحـــدةً بـــإرادتي، أنـــا مـــأمور

(١١٩٩)

لــــو مـــــلأت الفلــــك بـــــالأنين لكنــــت معــــذورًا

ولو ملأت الصحراء المترامية الأطراف بالندى [الدموع] لكنت معذورًا

أنــــــت روحــــــي، وأنـــــــا أجـــــــري وراءك

وعنـــــدما ألحـــق الـــروح، أكـــون معــــذورا

(١٢٠٠)

أنـــا لا أشـــبع، لكننـــي أكثـــر شـــبعًا مـــن الشـــبعين

وعلـــى تـــراب بابـــك ارتويـــت مـــن مـــاء الحيـــاة

امنـــــت بـــــك، وأعرضـــــت عـــــن الـــــروح

ومثـــل الملاحـــدة، أنـــا شـــبعٌ ومشـــمئز مـــن الـــروح

(١٢٠١)

عنــــدما أمســــك بالنــــاي أعــــزف مـــــن أجلــــك

وعنــــدما أواصــــل الســــير أمــــر بناحيتــــك

مـــا أكثـــر الكـــرم واللطـــف الـــذي عـــاملتني بـــه

فمتــــى أنـــزع قلبــــي منــــك فـــي العــــالمين

(١٢٠٢)

لــــو أعطـــاني ألمَـــا لجعلتــــه مكـــان الســـعادة

ولــــو وضــــع قيــــدًا لجعلتــــه مكـــان الســـرير

وهـــو يـــدلل كثيـــرًا ؛ لأنـــه عنـــدما يرجـــع
أتمسّـــك بـــه بقـــوّة، أتمسّـــك بـــه بقـــوة

(١٢٠٣)

إن خاصـــم، جعلـــت الصّـــنج مكـــان الخصـــومة
وإن أهـــان، جعلـــت الســـمعة والشـــهرة مكـــان الإذلال
أتعـــــرف لمـــــاذا يضـــــيق علـــــيّ؟
لكـــي أضـــمه بقـــوّة عنـــدما يرجـــع إلـــيّ

(١٢٠٤)

لـــو بـــذلت الـــروح فـــي ســـبيلك لمـــتّ ســـعيدًا
ولـــو كنـــت عبـــدًا لعبـــدك لكنـــت أحســـن الأمـــراء
أنـــا مجنـــون بتلكمـــا الطـــرتين الشـــبيهتين بالسلســـلة
منـــدهشٌ مـــن تلكمـــا العينـــين الســـاحرتين الكشـــميريتين

(١٢٠٥)

قلـــــت: «أقضـــــي مـــــدةً فـــــي الفـــــراق
لعـــــل ذلـــــك المعشـــــوق ينـــــدم»
فتجرعـــت كثيـــرًا مـــن الصـــبر، وســـعيت كثيـــرًا
مـــا اســـتطعت، فلـــم أخفـــي عنـــك ذلـــك؟ (١)

(١٢٠٦)

أتعلـــــم العشـــــق مـــــن كمالـــــك
وأتعلـــم الشـــعر والغـــزل مـــن جمالـــك

---

(١) هذه الرباعية تكرار بالنص للرباعية (١٨١١) [المترجم].

وتحــــــت حجـــــاب القلـــــب يـــــرقص خالـــــك
فـــــأتعلم أنــــا الـــــرّقص أيضَــــا مـــــن خيالـــــك

(١٢٠٧)

إذا أعطيـــــت القلـــــب وتخليـــــت عـــــن الـــــروح
فـإنني أضـحي بنفسـي، وأنفـض يـدي مـن العـالمين كليهمـا
أنــــا عبـــــدٌ لا أســـــتطيع أن أعـــــيش بمزاجـــــك
فمــــا مقصـــــودك؟! حتــــى أتخلــــىّ عــــن ذلـــــك

(١٢٠٨)

أريــــد مــــن أجـــل عشــــقك أن أتخلــــىّ عــــن الــــروح
ومــــن أجلــــك أن أتخلــــىّ عــــن العــــالمين كليهمــــا
أريـــــد لشمســـــك أن تصـــــل إلـــــى المطـــــر
وأن أقفــــــز أمامــــــك مثــــــل الســــــحاب

(١٢٠٩)

هـــــا قـــــد قبلـــــت أنـــــت، وأخشـــــى الـــــرد
وأخشـــــى فـــــي خـــــدمتك عـــــين الســـــوء
ومـــــــن خشـــــــية زوال شـــــــمس حســـــــنك
حقــــــــا إننــــــــي أخشــــــــى ظلــــــــي

(١٢١٠)

علـــــى ذكـــــري شـــــفتك أقبـــــل فـــــصَّ اليـــــاقوت
وعنـــــــدما لا أجـــــــد ذلـــــــك أقبـــــــل هـــــــذا

وعنـــــدما لا تصـــــل يـــــدي إلـــــى ســـــمائك
أســـــــجد وأقبـــــــل الأرض

(١٢١١)

علـــى أمـــل الوفـــاء، أنـــا متمســـكٌ بـــك
وفـــي وقـــت الجفـــاء، أكـــون عاضَـــا علـــى الاصـــابع نـــدما
وبـــرغم ذلـــك كلـــه، أنـــا مفكـــر فيـــك
منتظـــرًا مـــا يكـــون حكمـــك ؛ لأكـــون فوقـــا لـــه

(١٢١٢)

حينًـــا أكـــون علـــى الحجـــر مـــن غـــم المعشـــوقين
وحينًـــا أكـــون مشوشَـــا مـــن أجـــل المحبـــوين
وأخيـــرًا بأيـــة ســـعادةٍ أقطـــع طريـــق النشـــاط؟!
أخيـــرًا بـــأي ســـرورٍ أكـــون مســـرورًا؟!

(١٢١٣)

أصـــعد مـــن الصـــنع إلـــى الصـــانع
حاشـــى أن أكـــون خاضـــعًا لأي مـــانع
ولأن مطـــبخ الحـــقّ ملـــيءٌ بأطايـــب الطعـــام
كيـــف أكـــون قانعَـــا بالمـــاء الحـــار؟!

(١٢١٤)

جـــاء العشـــق وأمرنـــي أن أكـــون عنـــده
فأخـــدش وجـــه العقـــل والـــروح

كـــــان يـــــأتي، وكنــــت آتـــــي معــــــه حتّــــى الآن

وهــــذه المــــرة لـــــم يــــأت لكـــي أكـــون معـــــه

(١٢١٥)

حينًـــــــا أكـــــــون مصــــــــفقًا مــــــن الهـــــوس

وحينًـــــا أكـــــون عاضًـــــا اليــــد نــــــدمًا

أضــــع اليـــــد فـــــي المــــاء لكـــي أمســـك بــــالقمر

فيقـــــول القمـــــر: «أنـــــا فـــــي الســـــماء»

(١٢١٦)

رأى كـــل منهـــا وجـــه الآخـــر بعـــين الظـــاهر أمـــدًا طـــويلا

واليـــوم إذا رأى كــــل منـــا الآخـــر بعـــين القلـــب

شـــــرحنا أحــــوال قلوبنــــا خشــــية الرقيـــــب

بالحاجـــــــب، وســــــــمعنا بــــــــالعين

(١٢١٧)

فــــي عــــين مـــاء القلـــب، رأينـــا قمـــرًا بــــالعين

فأجرينــــا مـــن تلـــك العـــين مـــاءً كثيـــرًا بــــالعين

ومنـــذ ذلـــك اليـــوم، كنـــا نجـــري حـــول عـــين مـــاء القلـــب

تلـــــــــك، كالقلـــــــــب، بـــــــــالعين

(١٢١٨)

مـــن أجلـــك أتحمّـــل مئـــة مـــرّة أنـــواع الملامـــة

ولـــو نقضـــت هـــذا العهـــد، لتحملـــت الغرامـــة

ولـــــــو وفـــــــى العمــــــر لكانـــــــت نيّتـــــــي أن
أتحمّـــــــــل جفـــــــاءك حتـــــــى القيامـــــــة

(١٢١٩)

أنــا فــي قبضــتك، أيهــا المعشــوق، وأنــا مســرورٌ بتلــك القبضــة
وإن خاصــمتني فخاصــم ؛ فــإنّني مســرورٌ بتلــك الخصــومة
الملامــــــة فـــــي طريـــــق العشـــــق عـــــارٌ عليـــــك
هـــا قـــد رهنـــت الشـــهرة، وأنـــا ســـعيدٌ بالعـــار

(١٢٢٠)

أحلـــــب حليـــــب الوفـــــاء مـــــن ثـــــور الفلـــــك
بـــــرغم أننـــــي أصـــــرخ مـــــن قبضـــــته
وبـــرغم أن الحلقـــة كانـــت فـــي أذنـــي الليلـــة الماضـــية
فـــإنّ هـــذه الليلـــة، والله، خيـــرٌ عنـــدي مـــن الليلـــة الماضـــية

(١٢٢١)

أنـــــــا نايـــــــك، أشـــــــرب مـــــــن شـــــــفتك
وإذا أنـــت لـــم تشـــك، فـــإنني لـــن أشـــكو أبـــدًا
وعنــــــدما أكــــــون صــــــامتًا فــــــإنّني صــــــامتٌ
لكـــــي لا أبيـــــع قصـــــب ســـــكرك لكـــــل خســـــيس

(١٢٢٢)

مـــــــا دام طبـــــــق لبنـــــــي أمـــــــامي
والله، إننـــــي لا أفكـــــر فـــــي عســـــل أحـــــد

وإن جـــــذب الفقـــــر أذنـــــي إلـــــى المـــــوت
فلـــــن أبيـــــع الحريـــــة بالعبوديـــــة

(١٢٢٣)

جـــاء معشـــوقي الحســـن العربـــدة بخمـــرة الـــدين
فجلـــس أمـــامي مثـــل عِـــدل الســـكر
ووضـــع علـــى صـــدره البـــربط والأوتـــار
فعـزف هـذه النغمـة، فصـرت مسـرورًا وغائبًـا عـن نفسـي

(١٢٢٤)

ذلـــك الـــذي أجلســـه هـــذا الغـــم فـــي الخلـــوة
يخـــرج رأســـه مـــن صـــبغة آدم
عجيـــبٌ أمـــر الـــروح، لا طالـــبٌ ولا مطلـــوب
مـــن نجيـــه الـــذي قطـــع نفســـه؟!

(١٢٢٥)

العشـــق قـــدحٌ، وأنـــا مســـرورٌ مـــن قدحـــه
ولـــه عـــرسٌ، وأنـــا طبّالـــه
يقســم بــذلك العشــق أنّــه [العشــق] يجعــل النــاس بطــالين
وإننـــي عنـــدما لا أكـــون طبّـــالا لا أكـــون بطـــالا

(١٢٢٦)

مـــن عشـــقك صـــرت مزمـــار العـــالم
ومـــن عزفـــك صـــارت أحـــوالي منكشـــفة

صـــــــــارت أشـــــــــكالي كلهـــــــا كالصـــــــــنج
وكـــــل نغمـــــةٍ تعزفهـــــا علـــــيّ أتـــــأوّه منهـــــا

(١٢٢٧)

يـــــا مـــــن بســـــببك مكـــــان قلبـــــي خـــــارج البيـــــوت
ويـــــا مـــــن مـــــرارة آلامـــــك حلـــــوى لقلبـــــي
لـــــيس لنـــــا شـــــكوى مـــــن غمـــــك ولكـــــن
يســـــــرّك أن تســـــــمع آهـــــــات قلبـــــــي

(١٢٢٨)

صـــــــار روض وجهـــــــك متنزهَـــــــا لقلبـــــــي
وصـــــارت مـــــرارة جـــــورك حلـــــوى لقلبـــــي
لـــــيس لنـــــا شـــــكوى مـــــن غمّـــــك ولكـــــن
رائـــــــعٌ أن تســـــــمع آهـــــــات قلبـــــــي

(١٢٢٩)

أرى وجهـــــــــــك، فأعـــــــــــدّه بـــــــــــدرًا
والمكـــــان الـــــذي تكـــــون فيـــــه أعـــــدّه صـــــدرًا
والليلـــــة التـــــي أراك فيهـــــا، يـــــا رونـــــق العيـــــد
أعـــــدّها بـــــين ليـــــالي العمـــــر، ليلـــــة القـــــدر

(١٢٣٠)

فـــــي حارتـــــك أديـــــر الكَـــــمّ [أوشـــــر مناديَـــــا]
فـــــــتظنّ أنـــــــت أنّنـــــــي أناديـــــــك

لا لا، امـــــــــضِ، امـــــــــض، أنـــــــا أعرفـــــــــك
إن عـــــــادتي والرســـــم عنـــــدي أن أحـــــرك الكَـــــم

(١٢٣١)

أعـــــــرف عـــــادات ذلـــــك المعشـــــوق وطباعـــــــه
أعـــــــرف أنــــــه كالنّـــــــار، وأننـــــــي كالزيـــــــت
ومــــــــن نـــــــوره اللطيــــــف يــــــرى الــــــروح
أعـــرف أن ذلـــك الـــدخان الـــذي حولـــه هـــو أنـــا

(١٢٣٢)

الـــــروح الـــــذي أعـــــرف أن فيـــــه مئتـــــي عـــــالم
تقـــــول: «إنـــــه فـــــلانٌ وفـــــلان» وأنـــــا أعـــــرف،
إنـــــه حســـــناء الحضـــــرة، والحـــــق شـــــديد الغيـــــرة
وكـــــل عـــــينٍ أغمضـــــت أعرفهـــــا منـــــه [الحـــــق]

(١٢٣٣)

يقـــــول الليـــــل: أنـــــا مـــــؤنس شـــــراب الخمـــــرة
أنـــــا روحٌ لصـــــاحب الكبـــــد المحترقـــــة
والـــــذين لا نصـــــيب لهـــــم مـــــن العشـــــق
أكـــــون كـــــل ليلـــــةٍ ملـــــك المـــــوت عنـــــد أبـــــوابهم

(١٢٣٤)

قلـــــت: «لعـــــل غمّـــــك يكـــــون علاجـــــي»
متـــــى عرفـــــت أنّنـــــي عـــــاجزٌ فـــــي مواجهـــــة غمـــــك؟

قـــــال مـــــن اللطــــــف: «مــــــا علاجــــــك؟»

قلـــت: «وصـــــلك» قـــال: «أنـــا عـــلاجٌ لهـــذا»

(١٢٣٥)

قلــــت: «أنـــزع قلبـــي منـــك» فمـــا اســـتطعت

أو: أعـــيش لحظـــة مـــن دون غمـــك فمـــا اســـتطعت

قلـــــت: «أخـــــرج مـــــن قلبـــــي حبـــــك»

أيهـــا الســـيد، لـــو كنـــت رجـــلا اســـتطعت

(١٢٣٦)

لا أســــــتطيع التخلـــــي عـــــن الأســـــرار

ولا أســـتطيع الحـــديث عنـــه كمـــا ينبغـــي

فـــي داخلـــي شـــيء يجعلنـــي مســـرورًا

ولا أســــــتطيع الإشــــــارة إليــــــه

(١٢٣٧)

أنـــا روحٌ واحـــدٌ فـــي آلاف الأجســـاد

ولأننـــي الكـــل، لا أتحـــدث عـــن غيـــري

رفعـــت رأســـي مـــن جســـدي كـــالموج

انظـــر جيـــدًا: أيكـــون رأســـي عـــين جســـدي؟!

(١٢٣٨)

أنـــا روحٌ واحـــدٌ فـــي آلاف الأجســـاد

مـــا شـــأن الـــروح ومـــا شـــأن البـــدن؟ فأنـــا كلاهمـــا

جعلـــــــت نفســـــــي شخصَـــــــا آخــــــر تكلفَـــــا
لكــــــي يســــــرّ ذلـــــك الآخــــــر أنــــــه هــــــو

(١٢٣٩)

أنـــــــا روحٌ واحــــــــدٌ فــــــــي آلاف الأجســــــــاد
لكـــــن مـــــاذا أفعـــــل والقيـــــد علــــى فمــــي؟
رأيـــــت ألفـــــين مــــن النــــاس الـــذين كنـــت إيّـــاهم
ولــــــم أرَ مـــــــنهم أحـــــــدًا هــــــو أنــــــا

(١٢٤٠)

فنيــــت، وطــــارت أجــــزاء جســــمي إلــــى الفلــــك
لأنّ وطنــــــي فــــــي البــــــدء كــــــان الفلــــــك
وكلهــا [أجــزاء جســمي] ثملــة ومســرورةً وهائمــة بــالخمرة
وفــي غيــبٍ عــن هــذه الوحشــة، وهــذا الســجن الــذي أنــا فيــه

(١٢٤١)

أضــــرب علــــى يــــد نــــاقض العهــــد بــــنقض عهــــده
وبســــبب الخــــداع أقطــــع طريــــق طالــــب الــــدلال
واليـــــــــوم إذ جـــــــــاءت الأرواح راقصـــــــــة
أدع الاحتشـــــــــــــــــام وأصـــــــــــــــــفق

(١٢٤٢)

هــذه الليلــة علــى امتــدادها، أنــا جــالسٌ مســتغرقا فــي أحزانــي
وغـــــدًا أمضـــــي، وأضـــــرب المئذنـــــة بالســـــكّين

والمعشــــوق غاضـــــبٌ، بـــــرغم أنــــه معنـــا

وقـــد وقعـــت فـــي البئـــر، ولكـــن مـــن دون حبـــلٍ

(١٢٤٣)

لـــــــو درت لــــــدرت حــــــول شمســــــك

ولـــو قرعـــت الطبـــل، لقرعـــت نوبـــة خالـــدة

وعنـــدما أغـــدو الحـــارس الضـــارب بالعصـــا فـــوق ســـقفك

سأضـــــرب بالعصـــــا مفـــــرق الزهـــــرة

(١٢٤٤)

عنـــدما ينـــاول السّـــاقي الخمـــرة الحمـــراء، مـــاذا أفعـــل؟!

وعنـــدما يطلـــب الفـــائق علـــى القمـــر قبلـــة، مـــاذا أفعـــل؟!

واليــــــوم إذ إقبــــــال الوصــــــال حاضـــــرٌ

مـــاذا أفعـــل بحـــديث غـــدٍ [القيامـــة] إن لـــم أكـــن أحمـــق؟!

(١٢٤٥)

لا مختــــار عنــــدي إلا أنــــت، فمــــاذا أفعــــل؟!

ولا عـــلاج عنـــدي للقلـــب الحـــزين، فمـــاذا أفعـــل؟!

تقــــــول: «إلــــــى متــــــى نــــــدور؟!»

ولا عمــــل لـــــي غيــــر هـــــذا، فمــــاذا أفعــــل؟!

(١٢٤٦)

أنــــا عاشـــقٌ لوجهـــك، أي معشـــوقي، فمـــاذا أفعـــل؟

أنــــا خجـــلٌ مـــن عينـــك الجميلـــة، فمـــاذا أفعـــل؟

فـــــي كـــــل لحظـــــةٍ تـــــأتيني فتنـــــة، فمـــــاذا أفعـــــل؟
والله، بـــــالله، لا علـــــم لـــــي، فمـــــاذا أفعـــــل؟

(١٢٤٧)

ليلـــــي لا يغـــــدو نهـــــارًا، فمـــــاذا أفعـــــل؟!
وحظـــــي لا يجـــــري إلـــــي، فمـــــاذا أفعـــــل؟!
قلـــــت: «أحصـــــل علـــــى الـــــدنيا بســـــعادةٍ»
وعنـــــدما لا يســـــعف الحـــــظ، فمـــــاذا أفعـــــل؟!

(١٢٤٨)

وقـــــع لـــــي صـــــيدٌ عجيـــــبٌ، فمـــــاذا أفعـــــل
وألقـــــي الخمـــــار فـــــي رأســـــي، فمـــــاذا أفعـــــل؟
أنـــــا منـــــافقٌ وزاهـــــدٌ، ولكـــــن فـــــي الطريـــــق
لـــــو أعطـــــاني المعشـــــوق قبلـــــة، فمـــــاذا أفعـــــل؟

(١٢٤٩)

قلـــــت: «لعلـــــيّ أجعـــــل كلـــــب الـــــنفس عجـــــوزا
وأضـــــع فـــــي عنقـــــه قيـــــدًا مـــــن التوبـــــة»
وعنـــــدما يـــــرى الجيفـــــة يغـــــدو ممزقـــــا القيـــــد
فمـــــاذا أدبّـــــر فـــــي شـــــأن كلـــــب الـــــنفس هـــــذا؟

(١٢٥٠)

عنـــــدما أجـــــيش فـــــي نـــــاري لحظـــــة
أرد أن أنســـــاك لحظـــــة

أمسـك كأسَـا تـذهب بالعقـل
وأنـت تـدخُلُ فـي الكـأس، فأشـربك

(١٢٥١)

أكسـر قاعـدة الألـم والـدواء
أكسـر قاعـدة الجـور والجفـاء
رأيـت أنّنـي كنـت أتـوب صـادقا
فـانظر كيـف أكسـر التوبـة

(١٢٥٢)

لـم لا أتكبّـر بـامتلاك غمـك؟!
ولـم لا أمـلأ العـالم بضـجيجك؟!
إذا كـان البحـر يـدًا أمـام كـرم كفّـك
فلـم لا أمـلأ قعـره بالـدّرّ مـن كفـك؟!

(١٢٥٣)

أطلـق سـراح القلـب مـن وثـاق الصـدر
وأضـرب إبريقـي بـالحجر وأكسـره
وإن كسـرت ألـف جـوهرٍ مـن غمـك
فسـأجبرها يومًـا مـن ياقوتـك

(١٢٥٤)

اليـوم أدور دورةً ثملـة
وأجعـل مـن قصـعة الـرأس كأسًـا وكوبًـا

اليـــــــوم أدور فـــــــي هـــــــذه المدينـــــــة ثمــــــلاً
أبحــــــث عـــــن عاقــــلٍ، لكــــي أجعلــــه مجنونــــا

(١٢٥٥)

دار ألمـــــــــــــــــــــك ؛ فـــــــــــــــــإنني دواؤك
لا تنظـــــــر إلــــــى أحـــــــدٍ، فــــــإنني قريبــــــك
وإذا قتلـــــــــــت فـــــــــلا تقـــــــــل: «قَتِلـــــــــت»
ادفـــــــع الفديـــــــة، لأننـــــــي ثمــــــــن دمــــــــك

(١٢٥٦)

إلـــــى متـــــى أرى فـــــي الزمـــــان اثـــــار الحبيـــــب؟!
فقـــــد حـــــان الوقـــــت أن أرى ذلـــــك اللطيـــــف الطبـــــع
عنـــــــــدما أنظـــــــــر إليـــــــــه أرى خيـــــــــالي
وعنـــــــدما أنظـــــر إلــــــى نفســــــي أرى خيالـــــــه

(١٢٥٧)

إن طلبـــــــت القلـــــــب رأيتـــــــه فـــــــي حيّـــــــك
وإن طلبـــــت الــــــروح رأيتــــــه فـــــي شـــــعرك
ولـــــو أنّنـــــي شـــــربت المـــــاء وأنـــــا فـــــي غايـــــة الظمـــــأ
لرأيــــــت فــــــي المــــــاء خيــــــال وجهــــــك كلــــــه

(١٢٥٨)

لا تحســـــــــــــــب أنّنـــــــــــــي أراك قلـــــــــــــيلاً
فــــــإنني مـــــن دون إتعـــــاب العـــــين أراك كـــــلّ لحظـــــة

ولا يـــــــــدرك الــــــــوهم ولا تحـــــــيط الصّــــــــفة
بـــــأنواع الســــرّور التـــــي أراهـــــا فـــــي غمــــك

(١٢٥٩)

أرى عينــــــــــــــك مغمضـــــــــــــــة بحقـــــــــــــدٍ
ومــــــــــاذا أفعــــــــل الآن إذ أرى مثـــــــل هـــــــذا
لا تقــــــل عــــــن الشـــــمس أنهـــــا فـــــي الفلــــك
وانظـــــر إلــــى الشـــمس التـــــي أراهـــــا فـــــي الأرض

(١٢٦٠)

أرى ذهـــــــــــابي وإيــــــــــابي إلـــــــــى حيّـــــــــك
أرى ميــــــــــل قلبــــــــــي وعينـــــــــي إليــــــــك
أفتـــــرض أننــــي اقترفــــت اثــــام الـــــدّنيا جميعَــــا
ألســـــت أرى أخيــــــرًا الـــــدنيا فـــــي وجهــــــك؟!

(١٢٦١)

كلمـــــــا أنعمـــــــت النظــــــر فـــــــي أمـــــــري
أرى فقـــــــد بصـــــــري شـــــــيئًا جمـــــــيلا
ولمـــــــــاذا أؤثـــــــر إتعــــــــاب عينـــــــــي
عنــــــــــدما أرى العـــــــــــالم بعينـــــــــــه؟!

(١٢٦٢)

أرى قمـــــــرًا مســــــتغنيًا عـــــن حـــــال التّمــــام
ومــــــن دون عـــــينٍ أرى الطريــــــق إلــــــى القمــــر

قلـــــت: «صـــــار العـــــالم كلـــــه مـــــاءً بســـــببه»

فـــــوا عجبًـــــا! أي قمـــــرٍ أرى فـــــي هـــــذا المـــــاء

(١٢٦٣)

أرى فـــــــــــي كـــــــــــل فلـــــــــكٍ إنســـــــــــانًا

وأرى كـــــــــل أناســـــــــه ملائكـــــــــــة

فيـــا أيهـــا الأحـــول، إذا كنـــت تـــرى الواحـــد اثنـــين

أنـــــا علـــــى خلافـــــك، أرى الاثنـــــين واحـــــدًا

(١٢٦٤)

لا تظـــــــن أننـــــــي أرى الواحـــــــد اثنـــــــين

فـــــي كـــــلّ لحظـــــةٍ أرى فتحًـــــا جديـــــدًا

أعـــرف أن روحـــي وقلبـــي كليهمـــا همـــا أنـــت

وأرى أن عينـــي ورأســـي كليهمـــا همـــا أنـــت

(١٢٦٥)

عنـــــدما رآنـــــي المعشـــــوق متعبًـــــا وحزينـــــا

جـــــاء ضـــــاحكًا فجلـــــس علـــــى وســـــادتي

حـــــــك رأســـــــي وقـــــــال: «أي مســـــــكيني،

لا يرضـــــى قلبـــــي أن أراك علـــــى هـــــذه الحـــــال»

(١٢٦٦)

لـــــو جملـــــت وجهـــــي لكنـــــت جمـــــيلا لـــــك

ولـــو جعلتنـــي كالخشـــب ربابًـــا لكنـــت أيضًـــا خشـــبك

ولـــــو مزقتنـــــي مـــــن الألـــــم لكنـــــت أيوبـــــك

يـــــا يوســـــف الزمـــــان، أنـــــا يعقوبـــــك

(١٢٦٧)

لـــــو أصـــــابني الكبـــــر لأنني ثمـــــلٌ بـــــك

فـــلا تســـرع إلـــى قتلـــي، لأنني فـــي يـــدك

قلـــــت: «إن أرض الله واســـــعة، واســـــعة»

أيهـــا الـــروح، إلـــى أيـــن أذهـــب؟ وأنـــا أســـيرٌ عنـــدك

(١٢٦٨)

لا تفـــــر منّـــــي ؛ لأنّنـــــي شـــــارٍ لـــــك

وانظـــــر إلـــــيّ ؛ لأنّنـــــي نـــــور رؤيتـــــك

وادخـــــل إلـــــى عـــــالمي ؛ لأنّنـــــي زينـــــة أمـــــرك

ولا تشـــــمئز منّـــــي ؛ لأنّنـــــي ســـــوقك

(١٢٦٩)

اشـــــتمني فـــــإنني ثمـــــلٌ بســـــبابك

ثمـــــلٌ بســـــبابك الجميـــــل العـــــذب

وهـــــات الســـــمّ لكـــــي أشـــــربه كالســـــكر

فأنـــــا أنيســـــك، أنيسُـــــك، أنيســـــك

(١٢٧٠)

أنـــــا ثمـــــلٌ، وأنـــــا خمـــــرة للثملـــــين بـــــك

وأنـــــا أيضَـــــا آفـــــة لأرواح مريـــــديك

وعنـــدما فنيـــت صـــرت الآن مـــن الموجـــودين بـــك

قلـــت: «ألســـت»[1] ، فصـــرت مـــن معاهـــديك

(١٢٧١)

مـــا دمـــت حيَـــا، أنـــا عبـــدٌ لشـــفتك الياقوتيـــة

وقلبـــي مجتمـــع الشـــمل مـــن طرتـــك الشـــعثاء

أيهـــا النـــاس، إنّ فأنـــا ثمـــلٌ بأنينـــك

أيهـــا الصـــنخ، لا تصـــمت، فأنـــا ضـــيفٌ لـــك

(١٢٧٢)

يـــا شـــبيه القمـــر، أنـــا ذائـــبٌ بـــك

ألا تـــأتي إلـــيّ لـــيلا وأنـــا ضـــيفك؟

تقـــول: «اعلـــم يقينَـــا أنّنـــي لـــك،

والآن أحبيـــك لأنّنـــي روحـــك»

(١٢٧٣)

إن تكـــن بحـــرَا، فأنـــا ســـمك بحـــرك

وإن تكـــن صـــحراء، فأنـــا غـــزال صـــحرائك

انفـــخ فـــيّ، فأنـــا عبـــد أنفاســـك

أنـــا مزمـــارك، مزمـــارُك، مزمـــارك

(١) إشارةٌ إلى الميثاق الأزلي بين الحق ، سبحانه ، والخلق ، حين خاطب ذرية بني آدم قائلًا : (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) فقالوا : « بلى ». يقول سبحانه : (**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**) [الأعراف : ٧ / ١٧٢].

(١٢٧٤)

قـــــــومٌ لهـــــــم قـــــــدومٌ كقـــــــدوم الشـــــــمس

وهـــم فـــي الصـــدق كالحديـــد، وفـــي اللطـــف كالشـــمع

وعنـــدما يفتحـــون مخـــالبهم الشـــبيهة بمخالـــب الأســـد

لا يبقـــــون حجابَـــــا ولا نقشَـــــا ولا رســـــما

(١٢٧٥)

لســـــــت زنبـــــــورًا أصـــــــرف بالـــــــدّخان

أو كـــــالجن أصـــــرف برائحـــــة العـــــود

أو ســـــيلا جاريَـــــا أنـــــدفع إلـــــى النهـــــر

أو حرصَـــــا أنقـــــاد بـــــإغراء النفـــــع

(١٢٧٦)

نهـــــاجم ملـــــك الحـــــبش وقيصـــــر الـــــروم

ونخـــــط علـــــى جبهـــــة الأســـــد رقومَـــــا

نحـــــــن حديـــــــد جـــــــيش ســـــــليماننا

لا نصـــــير شـــــمعًا إلا فـــــي كـــــفّ داوود

(١٢٧٧)

أســـــمع صـــــوتك، فأغـــــدو طيـــــب الســـــمعة

أغـــــدو كلطـــــف الله، بـــــلا حـــــدّ ولا مقـــــدار

وقـــــد اشـــــتريتني مئـــــة مـــــرة وأنـــــا ملكـــــك

فاشـــــترني مـــــرةً أخـــــرى، لكـــــي أغـــــدو جديـــــدا

(١٢٧٨)

أســـــــمع رائحـــــــة فمـــــــك مـــــــن المـــــــرج
أســـــمع لونـــــك مـــــن الشـــــقائق والياســـــمين
وعنـــــدما لا يكـــــون لـــــي ذلـــــك أفـــــتح شـــــفتي
لكـــــي تـــــذكر اســـــمك، وأنـــــا أســـــمع

(١٢٧٩)

أســـــمع رســـــالته كلهـــــا مـــــن الـــــرّيح
وأســـــمع اســـــمه مـــــن البلبـــــل الثمـــــل
وهـــذا الـــنقش العجيـــب الـــذي رأيتـــه عنـــد بـــاب القلـــب
أســـــمع صـــــوته مـــــن ســـــقفه

(١٢٨٠)

أســـــمع مـــــن البلبـــــل الثمـــــل نغمـــــة
وأســـــمع مـــــن الـــــريح ســـــماعًا جـــــذابًا
وأرى فـــــي المـــــاء خيـــــال الحبيـــــب كلـــــه
وأســـــمع مـــــن الـــــورد رائحـــــة القـــــرب كلهـــــا

(١٢٨١)

صـــــحت، فقـــــال: «أريـــــدك صـــــامتًا»
صـــــمت، فقـــــال: «أريـــــدك صـــــائحًا»
جاشـــــت نفســـــي فقـــــال: «لا، اســـــكن»
ســـــكنت فقـــــال: «أريـــــدك جائشًـــــا»

(١٢٨٢)

أنـــــــــا دوارٌ، أنشـــــــــــد مطربَــــــــــا دوارًا

أنشـــــــــد زهــــــــــرةً دوارةً مثـــــــــل زحـــــــــل

أنـــــا روحٌ، أنـــــا روحٌ، أنشــــــد صـــــــورةً للــــــروح

لســـــت بومَــــــا لكــــــي أنشــــــد مدينــــــة خربـــــة

(١٢٨٣)

تلــــــك الأقـــــوال الجميلــــــة التــــــي قلناهــــــا معَــــــا

يخفيهــــــا هـــــــذا الفلـــــــك المقـــــوّس فـــــي قلبـــــه

وسيفشـــــــــــيها يومَــــــــــا مثـــــــــــل المطـــــــــــر

فينمــــــو ســــــــرنا فـــــــي صـــــــحن العـــــــالم

(١٢٨٤)

عمــــــامتي وجبّتــــــي ورأســــــي، الثلاثــــــة مجتمعـــــــة

لا تســـــــــــاوي درهمَــــــــــــا واحـــــــــــــدًا

أمـــــــا ســـــــمعت اســـــــمي فـــــــي العـــــــالم؟

أنـــــا لســــت شـــيئًا، لســــت شـــيئًا، لســـتُ شـــيئًا

(١٢٨٥)

لا أبـــــــــدل ترابـــــــــك بالفلـــــــــك الأعظـــــــــم

ولا أبـــــــدل غمومـــــــك بالعـــــــالمين كليهمـــــــا

وضـــــــعت صـــــــورتي فـــــــي طريـــــــق النـــــــاس

ومـــــن أجـــــل صـــــورتك لا أعطـــــي المـــــاء لأبنـــــاء ادم

(١٢٨٦)

لا أبـــــــــــــــــدل داءك بـــــــــــــــــــأيّ دواء
ولا أبــــــدل شـــــعرةً منــــــك بالعـــــالمين كليهمــــــا
قلـــــــت: «لا أعطـــــي الـــــروح لحبيـــــب حمـــــيم»
أعطـــــي أكثـــــر ممـــــا قلـــــت، لا أعطـــــي أقـــــل

(١٢٨٧)

إذا لــــــم تتــــــرك قلبــــــك، فلــــــن أعطــــــي
وإذا لــــم تقبــــل مــــا قلتــــه لــــك فلــــن أعطــــي
دع الحيلــــــــــــــة، لا تمــــــــــــــت نفســــــــــــــك
أقســم بروحــك ورأســك: إذا لــم تمــت فلــن أعطــي

(١٢٨٨)

أضـــــــع حبـــــــك فــــــوق مفــــــرق الأفـــــــلاك
أضــــع يــــدك ظلمــــك علــــى قلبــــي الحــــزين
وحيثمــــــا تضــــــع قــــــدمًا علــــــى وجــــــه الأرض
أمضــي فــي خفــاءٍ، وأضــع عينــي علــى ذلــك التــراب

(١٢٨٩)

أضــــــع رأســــــي علــــــى تــــــراب عتبتــــــك
وأضــــع قلبــــي فــــي ثنيــــة طرتــــك الفتّانــــة
جــــاء روحــــي إلــــى شــــفتي، فَــــأتِ بشــــفتِك إلــــيّ
لكــــي أضــــع الــــرّوح فــــي فمــــك بهــــذه الطريقــــة

(١٢٩٠)

إن رأيتـــك مســـرورًا وضـــعتك علـــى هـــذه العـــين
ومـــن العـــين أضـــعك علـــى هـــذا الوجـــه الجميـــل
لـــــي طـــــوافٌ حـــــول ســـــروك الجميـــــل
لـــو أننـــي وضـــعت وجهـــي علـــى طرتـــك المجعـــدة الشـــعثاء

(١٢٩١)

أنـــــا كـــــالقلم، أســـــود وأعمـــــالي بـــــيض
ولـــــو بريـــــت رأســـــي كـــــالقلم لتقبلـــــت ذلـــــك
وعنـــــدما أريـــــد الســـــر ســـــأترك رأســـــي
لأنّنـــــي برأســـــي أشـــــرح ســـــره

(١٢٩٢)

منـــــــذ أن عرفنـــــــا نغمـــــــة العشـــــــق
أمطنـــــا اللثـــــام عـــــن وجـــــه الطـــــرب
وقـــــــد تمســـــــكنا بمطـــــــرب العشـــــــق،
كالـــــــدّف والنـــــــاي، توافقنـــــــا

(١٢٩٣)

أحرقنـــــا العمـــــل والـــــدكان والحِرفـــــة
وتعلمنـــــا الشـــــعر والغـــــزل والـــــدوبيت
وفـــي العشـــق، الـــذي هـــو روحنـــا وقلبنـــا وعيننـــا،
أحرقنـــا الـــروح والقلـــب والعـــين جميعـــا

(١٢٩٤)

أيهـــا القلـــب، لـــم تخشـــى أهـــل الـــدنيا؟
إن الحـــق محســـنٌ ومـــنعمٌ وكـــريمٌ ورحـــيم
وســهم كرمــه المنطلــق مــن قــوس الإحســان القــديم
يشــطر الشــعرة نصــفين فــي حاجــة العبــد

(١٢٩٥)

فـــي عشـــقك رأينـــا المعرفـــة خطـــأ
فمـــا العشـــق؟! ومـــا المعرفـــة؟! مـــن عرفنـــا؟!
حصـــوله مـــرةً واحـــد مبعـــث شـــكوى الكـــونين
هـــذا هـــو، ولـــيس مـــن قبيـــل المعرفـــة التـــي عرفناهـــا

(١٢٩٦)

نحـــن الـــذين ســـلمنا الفـــرو إلـــى القصّـــار
ونحـــن مســـرورون بتســـليم الفـــرو للقصـــار
جئنـــا لنشـــاهد اللـــبن الـــذي لا ســـاحل لـــه ولا قعـــر
فوقعنـــا فـــي الحضـــيض

(١٢٩٧)

يكفينـــا، يكفينـــا، اكتفينـــا
أعرضـــنا عـــن الحبيـــب المهـــين
وفـــي قبلتـــك صـــلينا لغيـــر القبلـــة
وجعلنـــا الجيـــف كلهـــا فـــداءً للنســـر

(١٢٩٨)

جئنـــــا بــــــالخمرة مــــــن الحبيـــــب الفتــــــان

جئنــــــا بنــــــار العشــــــق المحرقــــــة للعشــــــق

وإلــــى الأبــــد، لــــن يــــرى العــــالم فــــي منامــــه

تلــــك الليــــالي التــــي جئنــــا بهــــا فــــي النهــــار

(١٢٩٩)

بــــدّلنا مئــــة شــــهرةٍ عــــارًا بــــذكر الحبيــــب

وأعطينــا مئــة عــدلٍ مــن الســكر لهــذا القلــب الكئيــب

فيــــا زهــــرة الســــاقي، لــــم يبــــق لــــك لغــــوٌ

لأننــــا ضــــربنا ضــــرابتك بــــالحجر فــــي الوليمــــة

(١٣٠٠)

الليلــة الماضــية، بــرغم أننــا بــدّلنا ألــف شــهرةٍ عــارًا

تمســــكنا بأذيــــال ذلــــك المخــــل بالعهــــد

وضــــعت قلبــــي علــــى قلبــــه وقلــــت:

فــــي النهايــــة، ضــــربنا الزجــــاج بــــالحجر

(١٣٠١)

الليلــة الماضــية، مــن الطــرب ذهبنــا إلــى الأصــحاب

ذهبنــا مــن بــائعي الحصــرم إلــى حصــير العنــب

ومــــن ليليــــي الصــــفات إلــــى ضــــياء القمــــر

ونمنــــا عــــن أنفســــنا مــــع الصــــحاة

(١٣٠٢)

عـــــــــلا ضـــــــــياء القمـــــــــر، وانحـــــــــدرنا

وقـــــــــد صـــــــــحت المعشـــــــــوقة وســـــــــكرنا

أيهـا المعشـوق والمحبـوب، كـل مـا تعتقـد أننـا عليـه بعـد الآن

لا تعـــــــول عليـــــــه ؛ لأننــــــا غيــــــر ذلــــــك

(١٣٠٣)

ذهبنــــا مــــدةً فــــي عهــــد الطفولــــة إلــــى أســــتاذ

وســــــــررنا مــــــــدةً بوجــــــــوه الأحبــــــــة

فاســـــمع مــــا آلــــت إليــــه نهايــــة حــــديثنا:

جئنــــــا كالســــــحاب، وذهبنــــــا كـــــالريح

(١٣٠٤)

ربطنــــا القلــــب بكــــرم الكــــريم ومضــــينا

قطعنــــا حبــــال المــــودة مــــع العــــالمين ومضــــينا

الــــروح فــــي قفــــصٍ، وكــــان القفــــص متعبًــــا

وقــــــد كســــــرنا القفــــــص أيضًــــــا

(١٣٠٥)

منــذ أن صــرنا عبيــدًا لطرتــك مــن أعمــاق الــروح والقلــب

صــــــرنا مثــــــل طرتــــــك مجتمعــــــين ومتفــــــرقين

تقـــــــول الأرواح لـــــــك وهـــــــي ســـــــاجدة:

«عنـــدما متنـــا أمامـــك، صـــرنا جميعًـــا أحيـــاء»

(١٣٠٦)

خلعنـــــــــا علــــــــى العـــــــــدم رداء الوجـــــــــود
ك
فســـــخرنا مـــــن الوجـــــود والعـــــدم المـــــزور

وقطعنــــــــــــا الحبـــــــــــال باللعـــــــــــب

حتـــــى قوضـــــنا خيمـــــة الصـــــبر عـــــن الفلـــــك

(١٣٠٧)

الـــــروح الـــــذي الحـــــق نديمـــــه فـــــي الليـــــل والنهـــــار
نديمه
مقـــــــيمٌ خـــــــارج الليـــــــــل والنهـــــــــار

هــــو ســــاقي «ســــقاهم»[1] ومعشــــوقٌ كـــــريم

والســـــاقي والكـــــأس والخمـــــرة كلهـــــم مـــــن القـــــديم

(١٣٠٨)

نحـــن الـــذين اقتلعنـــا القلـــب مـــن الجســـم والجـــوهر

اقتلعنـــا الحـــب مـــن الفلـــك والكـــرة الغبـــراء

العـــــــالم يفتـــــــل شـــــــاربه تيهَـــــــا

ومـــن دولـــة القلـــب، نتفنـــا شـــارب [العـــالم]

(١٣٠٩)

عنـــدما ألقينـــا تـــاج الغـــرور عـــن رؤوســـنا

هـــا نحـــن نعقـــد نطـــاق خـــدمتك

بكينـــــا كثيـــــرًا، وضـــــحك الهجـــــران

وهـــذا أوان أن يبكـــي هـــو ونضـــحك نحـــن

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**).

(١٣١٠)

مضـــــــى الليــــــل، ونحـــــن الآن عنــــــد خمارنــــــا
ونحــــن فــــي ســـعادتك منشــــغلون دائمًــــا بأمرنــــا
عاشـــقون لأنفســــنا، وهــــائمون بهـــا، ومعشـــوقون لهـــا
ونحــــن المجلــــس والبلبــــل والـــــروض لأنفســــنا

(١٣١١)

نســــــــــلم عاشـــــــــقنا إلـــــــــى العـــــــــدو
ونحـــن ملحـــدون، وســـافكون للـــدماء، وعيــــارون
فأســــــــلمنا للشـــــــحنة ؛ لأننـــــــا ســــــــراق
فــــــلا تقبـــــل حيلتنــــــا ؛ لأننـــــا مكـــــارون

(١٣١٢)

لـــــدينا خرقــــة مـــن ديبــــاج «ألســـت» الحبيـــب
وقلوبنــــــا فـــــي يـــــده مثـــــل الخـــــرز
ونـــــدين بمــــــذهب عينـــــه الغنجــــــة الثملــــــة
وبـــدين طرتـــه الهائمــــة فـــي محـــراب الجمــــال

(١٣١٣)

نـــــدين بمــــــذهب عينـــــه الغنجــــــة الثملــــــة
وبـــدين طرتـــه الهائمــــة فـــي محـــراب الجمــــال
يقــــال: «الــــدين الصـــــحيح غيـــــر هـــــذين»
إن لـــــدينا مـــــن الـــــدين الصـــــحيح ناقصــــــه

(١٣١٤)

نـــــــــدين بمـــــــــذهب عينـــــــــه الغنجـــــــــة
مـــذهب طرتـــه الهائمـــة فـــي محـــراب الجمـــال
وبـــــرغم أن غضـــــب الحبيـــــب يكســـــر القلـــــوب
لـــدينا أيضَـــا قلـــوبٌ وأرواحٌ مـــن أجـــل غضـــبه

(١٣١٥)

هــــذه الليلـــــة، إذ نحـــــن نـــــدامي المعشـــــوق،
الله يعلـــم مـــا يمـــر فـــي قلوبنـــا ورؤوســـنا
لحظـــــــة ننثـــــــر الـــــــورد مـــــــن المـــــــرج
ولحظـــة نـــزرع الســـكر فـــي مقصـــبة الســـكر

(١٣١٦)

نحـــــــن الـــــــذين نعـــــــد حبيبنـــــــا عـــــــدوا
نحـــن أعـــداءٌ لكـــل عاشـــقٍ ولكـــل صـــاحٍ
نحـــــــن أحبـــــــاء لأعـــــــدائنا عـــــــن قصـــــــد
أذيالنـــــا مدنســـــة دائمَـــــا بالـــــدماء

(١٣١٧)

لســـــــنا ملائمـــــــين ؛ لأن لـــــــدينا مصـــــــانعة
وســـــيئو الطبـــــاع لأن لـــــدينا دلالا
لـــــــدينا بـــــــازٌ ملكـــــــي فـــــــي صـــــــورة بـــــــوم
ولـــدينا عمـــرٌ طويـــل فـــي عـــين الفنـــاء

(١٣١٨)

لـــــــو صـــــــبرت لمزقنـــــا حجـــــاب صـــــبرك
ولـــــو نمـــــت لأزلنـــــا النـــــوم مـــــن عينـــــك
ولـــــو كنـــــت جـــــبلا لأذبنـــــاك فـــــي النـــــار
ولـــــو كنـــــت بحـــــرًا لشـــــربنا مـــــاءك كلـــــه

(١٣١٩)

يقـــول القلـــب: «نحـــن الآن فـــي هـــذا البســـتان
رعينـــا فـــي النهـــار، ونرعـــى فـــي الليـــل أيضًـــا»
يعـــضّ العقـــل شـــفته [مشـــيرًا إليـــه] لا تتـــواقح
بـــرغم أنـــه بـــاب الرحمـــة، فلنخفـــف عليـــه

(١٣٢٠)

بقينـــا اليـــوم خـــارج البـــاب، مثـــل الحلقـــة
صـــرنا ملازمـــين للحلقـــة، كالنطـــاق
وإن لازمنـــا النظـــر كحلقـــة العـــين
فعلينـــا أن نمـــرّ مـــن حلقـــة البـــاب هـــذه

(١٣٢١)

رحلـــت، ومـــن رحيلـــك أبكـــى دمًـــا
ومـــن غصـــتك المفرطـــة، أفـــرط فـــي البكـــاء
لا، بـــل عنـــدما رحلـــتَ رحلـــت عينـــي وراءك
وعنـــدما رحلـــت عينـــي، كيـــف أبكـــي بعـــد غيابهـــا

(١٣٢٢)

لا تـــــأت إلينـــــا مـــــن دون دف ؛ لأننـــــا فـــــي حفـــــل

فـــــانهض واقـــــرع الطبـــــل، لأننـــــا منصـــــورون (١)

نحـــــن ســـــكارى لا مـــــن خمـــــرة العنـــــب

وبعيـــــدون عـــــن كـــــلّ مـــــا تخيلـــــت

(١٣٢٣)

حـــــان وقـــــت أن ننشـــــغل بـــــك

ونجعـــــل روحـــــك بيتَـــــا للنـــــار

أنـــــت مـــــنجمٌ للـــــذهب متـــــوارٍ وســـــط الـــــروح

وابتغـــــاء أن تصـــــفو نلقيـــــك فـــــي النـــــار

(١٣٢٤)

حاشـــــى أن نخشـــــى ضـــــرب الســـــهم والخنجـــــر

ونخشـــــى الأســـــر وقطـــــع الـــــرأس

نحـــــن المســـــرعون المكابـــــدون لـــــلآلام

لا نخشـــــى أقاويـــــل الخلـــــق

(١٣٢٥)

أيـــــن عقـــــل العاشـــــق؟ - مـــــع النســـــيم

أيـن عقـل العاقـل؟ - مـع الـذهب والفضـة [سـيم – بالفارسـية]

أيـــــن مكـــــان الـــــورد؟ - البســـــتان والنعـــــيم

أيـــــن مكـــــان الحطـــــب؟ - قعـــــر الجحيـــــك

(١) أي أمثال الحسين بن منصور الحلاج صاحب القصة الشهيرة في تاريخ التصوف الإسلامي [المترجم].

(١٣٢٦)

نحـــــن مصـــــنوعون الحـــــق، وصـــــيد الصـــــانع

فكيـــف نكـــون مـــا نعـــين للـــرّوح عـــن مـــراده؟!

قـــرب [ذبـــح] مئـــة خـــروف مـــن أجـــل العبيـــد

فـــــإلى متـــــى نقتـــــع بالمـــــاء الحـــــار؟!

(١٣٢٧)

كيـــف نمنـــع أنفســـنا مـــن مثـــل هـــذا اللطـــف؟!

ولأنّنـــا صـــنع الحـــق، فعلينـــا أن نكـــون عنـــد الصـــانع

إن فـــي مطـــبخ الفلـــك صـــحافًا مـــن ذهـــبٍ

فحاشـــــى أن نقتـــــع بالمـــــاء الحـــــار

(١٣٢٨)

عنـــــدما ننـــــأى عـــــن تـــــراب بابـــــك

نكـــــون قرنـــــاء للبكـــــاء والأنـــــين

مثـــــل الشـــــمع، لنـــــا شـــــرفٌ بالبكـــــاء،

ومثـــــل الصـــــنج، نكـــــون أغنيـــــاء بـــــالأنين

(١٣٢٩)

لســـــنا ســـــادة القريـــــة، بـــــل نحـــــن مغمـــــورون

لســـــنا ســـــادة المجلـــــس، بـــــل نحـــــن أوبـــــاش

لا لا، بـــــل نحـــــن كـــــالقلم فـــــي يـــــد ذلـــــك النقّـــــاش

ولا نعـــــــرف أيضَـــــــا أيـــــــن نحـــــــن

(١٣٣٠)

أنـــا مســــرورٌ فــــي نفســـي، ولـــيس ســــروري مـــن النّـــاي
أنـــا حـــارٌّ [نشـــيط] مـــن نفســـي، لســـت مائيًـــا ولا ناريـــا
أنـــــا خفيــــــفٌ بســــــبب العشــــــق حتـــــى إنـــــك
لـــو وزنتنـــي بـــالميزان لوجـــدتني أقـــل مـــن «لا» بمنـــين

(١٣٣١)

نحـــن المســـــرورون مـــن الخمـــرة التـــي لا كـــأس لهـــا
منـــورون كـــل صـــباح، مســـــرورون كـــل مســـاء
مســــرورون فــــي منــــزل العشــــق فــــي داخلــــه وخارجــــه
فـــلا تســـأل عـــن اســـمنا، لأننـــا ســـعداء بســـوء الســـمعة

(١٣٣٢)

نحـــــن مســـــــرورون مـــــن غيـــــر خمـــــرةٍ وكـــــأس
منـــورون كـــل صـــباح، مســـــرورون كـــل مســـاء
يقولـــــــــــــون: «لا عاقبـــــــــــــة لكـــــــــــــم»
ونحـــــن مســــــرورون مـــــن غيـــــر عاقبـــــة البتـــــة

(١٣٣٣)

نحـــــن مســـــــرورون مـــــن دون ثيـــــابٍ وفضـــــة
مرفهـــــــون بـــــــالألم، وســـــــعداء بـــــــالخوف
وحتـــــــى الأبـــــــد، ســـــــعداء بخمـــــرة التســـــليم
فـــــلا تحســــب أننــــا نصــــف ســــعداء، مثلــــك

(١٣٣٤)

العشـــق لا أســـاس لـــه أساسَـــا، وبحـــرٌ عظـــيم
بحـــرٌ معلـــق، وأســـرارٌ قديمـــة
والأرواح كلهـــا غارقـــة فـــي البحـــر مقيمـــة فيـــه
قطـــرةٌ منـــه أمـــلٌ، والبـــاقي كلـــه خـــوف

(١٣٣٥)

أنـــت بحـــر اللطافـــة، ونحـــن كالزبـــد
وحيثمـــا ذهـــب المـــوج، نـــذهب إلـــى تلـــك الناحيـــة
وتلـــك اليـــد الملطخـــة بـــدم العشـــق
اضـــربنا بهـــا ؛ لأنّنـــا فـــي كفـــك كالـــدف

(١٣٣٦)

مـــرةً أخـــرى، تقبـــل عبـــوديتي
ارحـــم عجـــزي وتشـــتّت أحـــوالي
وإن رأيـــت مـــرةً أخـــرى خلافـــا منـــي
فـــلا تـــرحم عجـــزي البتـــة

(١٣٣٧)

نحـــن عيـــارون وغيـــر مبـــالين
نحـــن مفتونـــون منـــذ أزل الآزال
قـــد قـــدّمنا أرواحنـــا للعشـــق، ولـــدينا رطـــلٌ ملـــيء
نحتســـي الصـــرف، ونـــدلك رؤوســـنا بالـــدّرديّ [العكـــر]

(١٣٣٨)

نحـــــــن عيـــــــارون وغيـــــــر مبـــــــالين
نحــــن عبيـــــد عبيـــــد ذلـــــك الإجـــــلال
قـــد قـــدمنا أرواحنـــا للعشـــق، ولـــدينا خمـــرة وافـــرة
نحتســـي الصــــرف، ونـــدلك رؤوســـنا بالـــدّرديّ

(١٣٣٩)

إن جعلتـــــه صـــــديقًا، جعلنـــاه عـــــدوًا لـــــك
نؤلمـــــك كـــــل لحظـــــةٍ بنـــــوع جديـــــد
وإن صـــــرت شـــــوكًا، أخفينـــا الـــــورد عنـــك
وإن صـــــرت وردًا، جعلنـــــاك فـــــي النـــــار

(١٣٤٠)

نعـــــــرف الطبــــــع الملـــــول للحبيـــــب
ونؤلمـــــــه بســـــبب عشـــــقه المفـــــرط
الخجِـــــلُ والخـــــائف لا يســـــلكان طريقًـــــا
ومـــــا دام الطريـــــق حجابًـــا لنـــا، فإننـــا نتقـــدم

(١٣٤١)

ننطلـــــق عنـــــدما يغــــادر ذلـــــك المعشـــــوق
وعنـــــدما تمتلـــــئ الكـــــأس نشـــــربها
وعنـــدما يمضـــي هـــذا الـــرأس الـــذي هـــو فـــي المـــاء والطـــين
نـــــدخل صـــــبح وصـــــال الســـعادة الضـــاحكة

(١٣٤٢)

أنـــــــا لا أشـــــــبع، لا أشـــــــبعُ، لا أشـــــــبع

لأنـــــه مـــــن إقبالـــــك، لـــــيس لـــــي إدبـــــارٌ

لا أريــــــد الأرنـــــب، ولا أصـــــطاد الغـــــزال

لســـت ســـوى عاشـــقٍ، وطالـــبٍ لـــذلك الأســـد

(١٣٤٣)

هيـــا انهضـــوا، لنســـتمتع بالليلـــة المقمـــرة

ببســـتان الـــورد والنـــرجس الـــذي لا ينـــام [الأعـــين]

أجرينـــا الســـفينة لثلاثـــة أشـــهر فـــوق الـــثلج

وقـــد حـــان، أيهـــا الأخـــوة، أوان أن نمشـــي فـــوق المـــاء

(١٣٤٤)

أمرنـــا أن نـــؤدّي عملنـــا بنشـــاطٍ وهمـــة

وأن نتمســـك بـــه لكـــي لا يـــذهب

وعنـــدما أمســـكنا بـــك، كيـــف لا نصـــفق

مـــن هـــذا السّـــرور؟! ألا فلنصـــفق

(١٣٤٥)

لا قـــدرة لنـــا علـــى أن نفســـك الـــدماء فـــي القتـــال

ولا طاقـــة لنـــا علـــى أن نثبـــت علـــى الصـــبر

لا رحمـــة عنـــدك، فتلطـــف بـــي

ولا عقـــل عنـــدي، فأبتعـــد عنـــك

(١٣٤٦)

إمّـــا أن تظهــــر لنـــا صــــورتك، لكــــي نرســــمها

وإمّـــــــا أن نعــــــزم، ونســــــتعدّ للســــــير

إمــــا أن تعطـــــي كـــــل واحـــــدٍ منـــــا قبلـــــة

وإمــا تعطينـــا قبلـــة واحـــدة، لكـــي نوزعهـــا علـــى الجميـــع

(١٣٤٧)

إن أخفينـــــا الخمــــرة، فمــــاذا نفعـــل بالرائحـــــة؟!

مـــاذا نفعــل بهــذا الخمـــار الظـــاهر ولـــون الوجـــه؟!

وإن أتينــــا بالعشــــق جافـــا مــــع شــــفتنا الجافـــة

فمــــاذا نفعــــل بعـــين العـــين المتدفقـــة كـــالنهر؟!

(١٣٤٨)

نجــــور فــــي هــــوى القمـــــر مثــــل الفلـــــك

الله يعلــــم مــــا نحـــن عليــــه فــــي هـــذا الطريـــق

نحــــن حيــــارى: لــــم يكــــون العـــاقلون عقــــلاء؟!

وهـــــم حيـــــارى: لــــم نحــــن مجــــانين؟!

(١٣٤٩)

أنــــا بحـــــرٌ كامـــــلٌ، ولســــت قطـــــرةً

لســـت أحــــول، ولســـت مغــــرورًا كـــالحولان

تقـــــول كـــــل ذرةٍ بلســـــان الحــــال

وتصـــــــــــرخ: لســـــــــــت ذرةً

(١٣٥٠)

نحـــــن مشـــــتتو الــــــذهن بســــــببك، مثـــــل طرتـــــك
ذلـــــك لـــــك، ذلـــــك لـــــك، ونحـــــن لـــــك
وحيثمـــــا نكـــــون، فـــــنحن حـــــول مائـــــدتك
ضـــــيوفك، ضـــــيوفك، ضـــــيوفك

(١٣٥١)

نحـــــن مائـــــدتك، ونحـــــن ضـــــيوفك
مجتمعـــــون بســـــببك، متفرقـــــون بســـــببك
اجعـــــل ســـــريرك فـــــي زجاجـــــة القلـــــب، واحكـــــم
يـــا محســـود الملائكـــة ؛ لأن أرواحنـــا تستحضـــر عنـــدك

(١٣٥٢)

ذلـــك الـــذي أبحـــث عنـــه بمـــاء العـــين [الـــدموع]
وأنـــا جـــارٍ فـــي البحـــث عنـــه مثـــل المـــاء،
جـــاء اليـــوم فـــي الوقـــت المناســـب وقـــال: «اســـتعد للســـماع»
ولـــم يســـمح لـــي بـــأن أتوضّـــأ

(١٣٥٣)

الســـر الـــذي قلتـــه، أي معشـــوقي الســـيّئ الطبـــع،
قلـــه مـــرةً أخـــرى ؛ لأنني مـــن لطفـــك أطلـــب هـــذا
قـــال، فبـــدأت بالبكـــاء، فقـــال ثانيـــة
أقـــول مـــرّة أخـــرى، اصـــمت، أقـــول مـــرةً أخـــرى

(١٣٥٤)

أنت معوج النظر، لكننا نمضي باستقامة

ولا نعوج من أعين معوجي النظر من المنكرين

إن من يأخذ الغلة ومرتب الشهر إلى البيت

مسرورٌ بوجهنا ؛ لأننا قمرٌ جديد

(١٣٥٥)

يقول الدف: «هيا، اضرب على وجهي

وكلما ضربت، قلت حديثا آخر

أنا عاشقٌ، وحسن الطبع، مثل العاشقين

وإن ضربتني، وضربتني، أقل هذا»

(١٣٥٦)

أنا غرس وفاء ذلك القمري الوجه

وإن شئت النمو، وإن لم أشأه، نموت

هو ماء حياة الأبد، وأنا نهرٌ

وعندما يطلبني الماء أكون نهرًا

(١٣٥٧)

لم نذهب إلى السوق من أجل الكسب

ولم نحصد سنابل القمح مثل الحارث

ولم نغد عبيدًا للوقف من أجل الوقف

نحن وقفَك، نحن وقفك، نحن وقفَك

(١٣٥٨)

تركنـــا العلـــم مـــن أجـــل صـــفتين
وصـــرنا أســـارى فـــي يـــد طبعـــين ســـيئين
الأول، أننـــا صـــرنا ثملـــين جـــدًا بـــه
الطبـــع الآخـــر أننـــا صـــحونا متـــأخرين

(١٣٥٩)

لـــم نصـــر مســـخرينّ للفلـــك الأزرق
ولـــم نصـــر مفتـــونين بالحســـناء القصـــيرة العمـــر
ولأنـــك رازقنـــا فـــي الصّـــيام مـــن دون وســـيط
صـــرنا عبيـــدًا طـــائعين للصـــيام

(١٣٦٠)

لا تحســـبوني غريبًـــا ؛ إننـــي مـــن هـــذه الناحيـــة
أبحـــث عـــن بيتـــي فـــي نـــاحيتكم
لســـت عـــدوًا، بـــرغم أن وجهـــي وجـــه عـــدو
أصـــلي تركـــي، بـــرغم أننـــي أتحـــدث بالهنـــدي

(١٣٦١)

أحـــدثك عـــن قصـــتي وألمـــي وحزنـــي
ولـــو أغلقـــت أذنيـــك، لتحـــدثت معـــك فـــي الخفـــاء
عرفـــت أنـــك ســـررت مـــن غمـــي
ولـــذلك ســـأحدثك كثيـــرًا عـــن غـــم قلبـــي

(١٣٦٢)

فـــي هـــذه الليلـــة إذ نحـــن نـــدامى المشـــترى والقمـــر
رفقـــــاء قمريّـــــي الوجـــــوه الشـــــبيهين بالســـــكر
ســــــكارى شــــــراب مائــــــدة ملــــــك الملــــــوك
فـــــي هـــــذه الليلـــــة موجـــــودٌ كـــــل مـــــا نريـــــده

(١٣٦٣)

لا نســــــــتبدل مــــــــاء زمــــــــزم بترابــــــــك
لا نأخـــــذ السّـــــرور، ولا نعطـــــي هـــــذا الغـــــم
وصـــــــورتنا هـــــــذه مـــــــن نصـــــــيب بنـــــــي آدم
ومـــــن صـــــورتك، لا نعطـــــي نصـــــيبًا لبنـــــي آدم

(١٣٦٤)

هـــا قـــد عـــاد، هـــا قـــد عـــاد، فلنفـــتح الطريـــق
إنهـــا باحـــثَ عـــن القلـــب، فلنـــره القلـــب
ونحـــــن صـــــائحون ؛ لأننـــــا صـــــيدك
وهـــــو ضـــــاحك ؛ لأننـــــا لـــــك منتظـــــرون

(١٣٦٥)

نحــــن كنــــزٌ مخفــــيّ فــــي عــــالم الطــــين
نحــــــن أصــــــحاب ملــــــكٍ خالــــــد
وعنـــدما تجاوزنـــا ظلمـــات المـــاء والطـــين
نحـــن الخضـــر، ونحـــن مـــاء الحيـــاة

(١٣٦٦)

نحـــــــن مخـــــــــزن الأســـــــرار الإلهيـــــــة
نحــــــن بحـــــر الـــــــدرر غيــــــر المتنـــــاهي
امتلكنـــــا كــــل مـــــا بــــين القمـــــر والبحـــــر
وجلســــــــنا علــــــــى عـــــــرش الســــــلطنة

(١٣٦٧)

لا الفخــــــــر بقينـــــــةٍ ولا شـــــــرب مـــــــدام
الفخـــــر لمـــــن يطعـــــن فـــــي يـــــوم زحـــــام
مـــــــن يبـــــــذل روحــــــــه بســــــيفٍ وســـــــهام
يســـــــتأهل أن يقعـــــــد والنـــــــاس قيـــــــام

(١٣٦٨)

قـــــــد صــــــبحنا الله بعـــــــيشٍ ومــــــــدام
قـــــد عيـــــدنا العيـــــد ومـــــا ثـــــمّ صـــــيام
املـــــــلأ قـــــــدحًا وهـــــــات يـــــــا خيـــــر غــــــلام
كـــــي يســـــكرنا، ثـــــم علـــــى الـــــدهر ســــــلام[1]

(١٣٦٩)

ألا فلتــــــــــــنم العينـــــــــــين بحيلــــــــــــةٍ
ابعــــث التشـــــويش إلـــــى الوجـــــود بهـــــذا الافتنـــــان
وألــــــــــق الــــــــــرأس بفـــــــــنّ النـــــــــوم
كــــل لحظـــةٍ مثـــل مـــن يـــدقون قـــش القمـــح وعيدانـــه

(١) هذه الرباعية والتي قبلها بالعربية في الأصل [المترجم].

(١٣٧٠)

يـــا مـــن الحجـــر مـــن عشـــق شـــفتيك محضـــلّ بالمـــاء

أنـــت تخـــرج مـــن الحجـــر ضـــروب المكـــر والاحتيـــال

وتلـــك الكـــأس الشـــبيهة بـــالروح التـــي تمســـكها بيـــدك

بـــالله عليـــك، لا تأخـــذها مـــن أيـــدي الثملـــين

(١٣٧١)

كنـــت البارحـــة بتـــأثيرك كـــالورد فـــي البســـتان

واليـــوم أنـــا كـــذلك، وأكثـــر مـــن ذلـــك

فكيـــف لا أصـــفق وأنـــت مقيّـــد عنـــدي؟!

وكيـــف لا أرقـــص وأنـــت مصـــفّق؟!

(١٣٧٢)

أيهـــا الحبيـــب، اقبلنـــي، وخـــذ روحـــي

أســـكرني وخـــذني مـــن العـــالمين كليهمـــا

أحرقنـــي، وخـــذ منـــي

كـــل مـــا أحبـــه قلبـــي، ســـواك

(١٣٧٣)

خـــذ المهـــر الملكـــي مـــن ذلـــك الـــذي هـــو ملـــك الـــرّوح

وبعدئـــذٍ خـــذ مـــا بـــين القمـــر والبحـــر

فيـــا مـــن تتمـــرغ فـــي الحيـــرة

قـــل: «تبريـــز» وخـــذ كـــل مـــا تشـــاء

(١٣٧٤)

يـــــــــا مـــــــــن تمســـــــــكت بالحيلـــــــــة
لا تأخـــذ أذيـــال الوصـــال مـــن أيـــدي الثملـــين
ذلـــك الصـــيد الـــذي فـــرّ مـــن فـــخ العاشـــقين
أنـــا كـــافرٌ لـــو أنـــه كـــان موجـــودًا بـــين الكائنـــات

(١٣٧٥)

إذا أضـــــــيئت الشــــــام والعــــــراق ولورســــــتان
مـــــن ذلـــــك الوجـــــه الشـــــبيه بالشـــــمس
فصـــــــــــــاحب منكـــــــــــــرًا ونكيـــــــــــــرًا
لكـــــي تصـــــفق المقـــــابر وتـــــرقص

(١٣٧٦)

صـــــرت ثمـــــلا مـــــن هـــــوس أولئـــــك الثملـــــين
صـــرت مندهشًـــا مـــن انتصـــار ذلـــك المقـــدام
صـــــرت كارهًـــــا للعقـــــل، صـــــرت مجنونًـــــا
لكـــي يأخـــذني العشـــق إلـــى دار المجـــانين

(١٣٧٧)

أنـــت النـــور لقلبـــي، أنـــت الراحـــة لروحـــي
أنـــت المثيـــر للفتنـــة، أنـــت المطفـــئ لهـــا
لـــو منعـــت عنـــك النـــوم فـــي منتصـــف الليـــل
لا تســـــــــئ الظـــــــــن بـــــــــالآخرين

(١٣٧٨)

أنـــــت النـــــور لقلبـــــي، أنـــــت الراحــــة لروحــــي

أنـــــت المثيـــــر للفتنـــــة أنـــــت المطفـــــئ لهـــــا

تســـــألنا: «أيـــــة علامـــــةٍ للحبيـــــب عنـــــدكم؟»

عـــن علامـــة الحبيـــب لـــدينا أن لـــيس لـــه علامـــة

(١٣٧٩)

كـــل يـــومٍ، تـــأتي مـــن جديـــد، أي معشـــوق الـــروح،

فتلقـــــي فتنـــــة جديـــــدة فـــــي رأس الـــــروح

أنـــــت المـــــالئ كـــــل ســـــحرٍ كـــــأس الـــــروح

يـــــا مـــــن أنـــــت أبـــــو روحـــــي، وأمهـــــا

(١٣٨٠)

كـــــل الحيوانـــــات لهـــــا أرواحٌ إلا الـــــروح

وكـــــل طـــــالبي الخبـــــز لـــــديهم خبـــــزٌ إلا الخبـــــز

وكـــــل مـــــا تفتـــــرض أنـــــه جميـــــلٌ فـــــي العـــــالم

لـــــه بـــــدلٌ وعـــــوضٌ مـــــا خـــــلا المعشـــــوق

(١٣٨١)

يـــا مـــن صـــار عـــالم القلـــب بســـببك قـــابلا للـــروح

وحلـــــت صـــــفات ذاتـــــك مشـــــكل الـــــروح

وحصـــل الـــروح بســـببك علـــى الفهـــم والقلـــب والعقـــل

أنـــت روح الـــروح، وعقـــل الـــروح، وقلـــب الـــروح

(١٣٨٢)

يـــا مـــن وجهـــك كعبـــة القلـــب وقبلـــة الـــروح

احترقـــت مـــن الغـــم كالشـــمع، يـــا شـــعلة الـــروح

ارفـــع الحجـــاب، وأظهـــر وجهـــك للعاشـــق

لكـــي يمـــزق بيـــده خرقـــة الـــروح

(١٣٨٣)

هيّـــئ ســـلاحك، فهـــذا وقـــت الحـــرب، أيهـــا الـــروح

ولا تتـــردد، فالوقـــت ضـــيق، أيهـــا الـــروح

دع الـــدنيا، فإنهـــا مظهـــرٌ خـــادعٌ، أيهـــا الـــروح

وفـــي كـــل ركـــنٍ فـــارٌ ونمـــرٌ، أيهـــا الـــروح

(١٣٨٤)

أنـــا ورق مصـــر وبغـــداد، أيهـــا الـــروح

امـــتلأت صـــراخًا وصـــياحًا، أيهـــا الـــروح

إن ســـاعة واحـــدةً مـــن العشـــق تعـــدل مئـــة عـــالم

جعـــل الله مئـــة روحٍ فـــداءً للعشـــق، أيهـــا الـــروح

(١٣٨٥)

كـــل بيـــتٍ لا مصـــباح فيـــه، أيهـــا الـــروح

هـــو ســـجنٌ بـــلا بســـتانٌ، أيهـــا الـــروح

وكـــل مـــن اتجـــه نحـــو الطبـــل، ولـــم يعـــد

فـــلا تســـمه بـــازًا ؛ لأنـــه زاغ، أيهـــا الـــروح

(١٣٨٦)

لا بـــــدّ مـــــن الصـــــلات الكثيـــــرة، أيهـــــا الـــــروح

فقـــــد صـــــار ذلـــــك المســـــكن والمنـــــزل معمـــــورًا

أيهـــــا البلغـــــاري، اجعـــــل منزلـــــك فـــــي بـــــلاد البلغـــــار

أيهـــــا المـــــتكلم بالعربيـــــة، امـــــض إلـــــى عبـــــادان

(١٣٨٧)

يـــا مـــن طبعـــك فـــي الـــدنيا الخمـــرة واللـــبن، أيهـــا الـــروح

لا تســـجل علـــى العاشـــقين آثـــامهم، أيهـــا الـــروح

وإن كســـرت اليـــد فأمســـك بـــالقوس، أيهـــا الـــروح

نحـــن الآن تحـــت العـــذاب، أيهـــا الـــروح

(١٣٨٨)

تبـــت مـــن التوبـــة، أيهـــا الـــروح

ولا يمكـــن دفـــع القضـــاء، أيهـــا الـــروح

لا أفـــي بالعهـــد، لكـــن القســـم باســـم الحبيـــب

شـــيءٌ طيـــب، أيهـــا الـــروح

(١٣٨٩)

ههنـــا بســـتانٌ، وربيـــعٌ وسَـــروٌ عـــالٍ، أيهـــا الـــروح

ولـــن نـــذهب مـــن هـــذه الأنحـــاء، أيهـــا الـــروح

اكشـــف النقـــاب، وأغلـــق البـــاب، أيهـــا الـــروح

فلـــيس إلا نحـــن وأنـــت، والبيـــت خـــالٍ، أيهـــا الـــروح

(١٣٩٠)

الحيـــــاة مــــــن دونـــــك حـــــرام، أيهــــا الـــــروح

مــــا الحيــــاة مـــن دونــــك؟! أيهـــا الـــــروح

أقســـــــم أن الحيـــــــاة مـــــــن دونـــــــك

مـــــوتٌ، لــــــه اســـم الحيـــــاة، أيهـــا الـــــروح

(١٣٩١)

ألا تقـــول لــــم تمضـــــي مضـــطربًا، أيهــــا الـــــروح

«تســــأل عـــــن علامـــــةٍ لمـــــن ضــــــيعته؟»

أنـــــا مـــــن جــــذب نطاقــــك الليلــــة الماضـــــية

فحــــــذار أن تســـــيء الظـــــــن بــــــالآخرين

(١٣٩٢)

جريــــــت كثيـــــرًا وراء القلـــــب، مــــــن دون روح

حيـــث لـــم أكـــن أنـــا ولـــم يكـــن كـــونٌ ولا مكـــان

حتـــــى أضـــــعت نفســـــي وأضـــــعت الزمـــــان

كأنّــــــه عنـــــدي، لــــــيس هنـــــا ولا هنــــاك

(١٣٩٣)

اعلــــم أن معشـــــوقي متـــــوارٍ عـــــن الجميـــــع

اعلـــم أنـــه خـــارجٌ عــــن خيــــال كـــلّ خيـــال

اعلـــم أنـــه موجــودٌ عيانًــــا فــــي صــــدري كـــالقمر

اعلـــم أنـــه مخـــتلط بجســـمي مثــــل الــــروح

(١٣٩٤)

كيـــــــــف أَضـــــــــحك ولا أراك ضـــــــــاحكًا؟!
إن روحـــي عبـــدٌ لـــذلك الضّـــحك مـــن دون حلـــق وفـــم
وا أســــــفاه، إنهــــــم يــــــرون ضــــــحكك،
وضـــــحكك محجـــــوبٌ عـــــن أعـــــين الخلـــــق

(١٣٩٥)

اعلـــم أن الصـــور كلهـــا مقبولـــة عنـــد الهيـــولي
واعلـــم أن مصـــورها هـــو العلـــة الأولـــى
واللاهـــوت لا ينـــزل إلـــى الناســـوت، لكـــن
اعلـــم أن الناســـوت متميـــز تمامًـــا عـــن اللاهـــوت

(١٣٩٦)

يــــا مفخــــر العاشــــقين جميعًــــا وســــلطانهم،
إنــــك جــــالينوس لهــــؤلاء المرضــــى
نجتمــــع يــــوم المطــــر فــــي روضــــك
والأحبــــاء رائعــــون يــــوم المطــــر

(١٣٩٧)

مـــن لـــم يـــدار ويجـــار عنـــد لقـــاء الأحبـــة
وقـــع فـــي مكـــر الســـارق وتهديـــد المحتســـب
كــــان يقــــول، ويبكــــي، ويعــــضّ إصــــبعه
إن صـــياحي مـــن ســـيّئي الطبـــع والحمـــل الثقيـــل

(١٣٩٨)

مـــــن طمـــــع بالوفـــــاء مـــــن الحســـــان
عـــــاب نفســـــه ولـــــم يعـــــب الحســـــان
ولـــــــو أنـــــــه عـــــــاب الحســـــان
لعـــض يـــده كثيـــرًا فـــي الهجـــر مـــن أجـــل الحســـان

(١٣٩٩)

يـــــا مـــــن ابتعـــــدت عـــــن الأحبـــــة
إن صـــياحك مـــن ســـيّئي الطبـــع والحمـــل الثقيـــل
إن كنـــت أســـدًا هزبـــرًا، فلمـــاذا تفـــر مـــن الأســـود؟
وإن كنـــت شـــاريًا للجثـــث، فـــامض إلـــى بـــائعي الجثـــث

(١٤٠٠)

يـــا مـــن أكلـــت كبـــدي مـــن أجـــل الآخـــرين
أعـــرف أنـــك تفعـــل ذلـــك مـــن أجـــل الآخـــرين
كنـــت ريحَـــا فـــي الطريـــق، فـــأعطيتني الطريـــق
وقـــد تحـــررت مـــن هـــذه الواقعـــة، فويـــلٌ للآخـــرين

(١٤٠١)

يـــا مـــن جـــورك خيـــرٌ مـــن وفـــاء الآخـــرين
ويـــا مـــن كـــدرك خيـــرٌ مـــن صـــفاء الآخـــرين
ويـــا مـــن دلالـــك خيـــرٌ مـــن لقـــاء الآخـــرين
إن ســـبابك خيـــرٌ مـــن ثنـــاء الآخـــرين

(١٤٠٢)

يـــــا مــــــن جرحــــــك خيــــــرٌ مــــــن دواء الآخــــــرين،
إنّ إمســــــاكك خيــــــرٌ مــــــن عطــــــاء الآخــــــرين
يــــا مــــن جــــورك خيــــرٌ مــــن وفــــاء الآخــــرين
إن ســــــبابك خيــــــرٌ مــــــن ثنــــــاء الآخــــــرين

(١٤٠٣)

أيهـــــا الحبيـــــب، إنـــــك تنظـــــر إلينـــــا مُنكـــــرًا
لأنـــــك لـــــم تشـــــرب مـــــن ذلـــــك الرطـــــل الثقيـــــل
مـــــن ســـــروري صـــــارت الـــــدّنيا جنّـــــة
والغـــــم مســـــخرٌ لـــــي، وســـــلطانٌ علـــــى الآخـــــرين

(١٤٠٤)

يـــا مـــن الـــدّنيا كلهـــا نـــاظرةٌ إلـــى وجهـــك الفتـــان
وأرواح الرجـــــال مـــــن عشـــــقك ممزّقـــــة الثيـــــاب
وبـــــرغم هـــــذا كلـــــه، فإنـــــه عنـــــد المبـــــدعين جميعًـــــا
جنونـــــك خيـــــرٌ مـــــن عقـــــل الآخـــــرين

(١٤٠٥)

يـــــا مـــــن تنظـــــر إلـــــى العشّـــــاق بحيـــــرة
أنـــــت محيـــــرٌ، والآخـــــرون متحيـــــرون فيـــــك
يـــا رب، لـــم بعـــض النـــاس متحيّـــر فـــي بعـــض؟
والكـــــل بســـــببك بـــــلا قلـــــوبٍ وأكبـــــاد

(١٤٠٦)

أنـــــت قريـــــبٌ منـــــي، فـــــلا تنظـــــر كالبعـــــداء
انظـــــر إلـــــى الشـــــهد فـــــي صـــــورة النحـــــل
لســـــــت إبلـــــيس، فـــــانظر إلـــــى روح آدم
ولا تنظـــــــر إلـــــــى رأســـــــه كالعميـــــــان

(١٤٠٧)

جـــــــاء الليـــــــل، وهمومـــــــك كالعســـــــس
وتجـــــــد قلبـــــــي عنـــــــد آخـــــــرين
وجـــــاء النهـــــار وأنـــــا أســـــتغيث مـــــن ليلـــــك
وصـــــــراخي مـــــــن أيـــــــدي المغيثـــــــين

(١٤٠٨)

جعـــل الله روحـــي عنـــد أولئـــك القـــوم الـــذين هـــم أرواح
لا يعرفـــــون إلا اللطـــــف، مثـــــل الـــــورد
لكـــــلّ إنســـــانٍ حبيـــــبٌ، ولا أحـــــد خلـــــيّ
وكلنـــــا كالقراضـــــة، وهـــــم المـــــنجم

(١٤٠٩)

صـــــار القلـــــب مشـــــتاقا لعيـــــدك، مثـــــل رمضـــــان
وصـــــار رمضـــــان مـــــن عيـــــدك ســـــعيدًا وبهيجـــــا
رمضـــــــان الآن ذو بـــــــاطنٍ ملـــــــيءٍ بالنـــــــار
وقـــد أغلـــق رمضـــان فـــاه، فمـــه المملـــوء بالـــدم

(١٤١٠)

جـــــاء العيـــــد، وعيــــديتنا جمـــــال الســــلطان

ومــــن رأى عيديـــة مثـــل هـــذه فـــي العــــالمين؟!

العيـــد هـــذا، وألـــف عيـــدٍ، أيهـــا القلـــب والـــروح

لأن كنــــز العــــالم يظهـــر مــــن جانـــب العــــالم

(١٤١١)

أيهـــا الــــدّفّ، اقــــرأ مــــن كتــــاب المشـــتاقين

أيهـــا الكـــف، اضـــرب علـــى عـــروق دمـــائهم

يـــا صـــــراخ القائـــــل الباحـــــث عــــن القلـــــب

يـــا مـــن أنـــت مـــن المِلـــح، احملنـــي إلـــى اللامكـــان

(١٤١٢)

حـــذار ؛ فـــإنّ الغـــيلان تمضـــي فـــي كـــلّ اتجـــاه

[حاملـــــة] الحـــــب والفــــخّ، لصـــــيد الحمقـــــى

مـــــا أســـــعد المعشـــــوق الممســــك بالقلـــــب

ويأخـــــذ العبــــرة مــــن حــــال المعـــــزولين

(١٤١٣)

القلـــوب مثـــل الربـــاب، وعشـــقك مثـــل القـــوس

والقلـــوب حزينـــة مـــن مجـــيء هـــذه الكمانجـــة وذهابهـــا

ولأنّ عمـــــل القـــــوس مـــــرتبط بـــــوتر الشّـــــعر

لـــو صـــارت الفكـــرة شـــعرةً لمـــا اتســـع لهـــا المكـــان

(١٤١٤)

مــــن ذا الـــــذي لـــــم يصـــــبح القـــــوس مـــــن هـــــذا الســـــهم؟!

ولـــــم يصـــــبح أســـــيرًا مـــــن ضـــــرب مثـــــل هـــــذا الســـــهم؟!

وعنــــــــــــــدما علــــــــــــــم لــــــــــــــم يــــــــــــــرقص

ولـــــــــــم يصـــــــــــفق مـــــــــــن هـــــــــــواه؟!

(١٤١٥)

فـــــــــــي عينـــــــــــي حاجـــــــــــبٌ كـــــــــــالقوس

جعلـــــت روحـــــي ترسَـــــا، وهـــــو الرّامـــــي بالســـــهم

وعنـــــدما وصـــــل رميـــــه، كـــــان جرحـــــه ممزقـــــا

كـــــان مفتـــــوح الصـــــدر، وكنـــــت أنـــــا أئـــــنّ

(١٤١٦)

أنـــــــــــا عبـــــــــــدٌ للثمـــــــــــل المصـــــــــــفّق

بعيـــــــدٌ عمـــــــن هـــــــو ثمـــــــلٌ بالنســـــــاء

وعلـــى الجملـــة، أنـــت متعـــب القلـــب هكـــذا، لســـت كـــذلك

لا دنّـــــس الله خبـــــز العشـــــاق ببنـــــان أحـــــد!

(١٤١٧)

البيـــــــت منـــــــه، وكـــــــذا الثيـــــــاب والخبـــــــز

والجســـــم منـــــه، وكـــــذا العـــــين والـــــروح

وذلـــــك الشـــــيء الآخـــــر الـــــذي لا يمكـــــن ذكـــــره

لأنّـــــه لا بـــــدّ مـــــن الزّمـــــان والإخـــــوان والمكـــــان

(١٤١٨)

نحـن رجـال الأسـنة، لسـنا مـن أجـل بضـعة أرغفـة مـن الخبـز
نحـــن مصـــفقون، ولســـنا مـــن نـــوع النســـاء
نحـــن خبـــراء بالصـــيد، لا صـــيد الســـيئين
متحـــرّرون مـــن القيـــد، غيـــر مقيـــدين بقيـــد الـــدنيا

(١٤١٩)

أنـــت عقـــلٌ، ولا يمكـــن إيثـــار غيـــرك
أنـــت ديـــنٌ، ولا يمكـــن النكـــث بعهـــدك
أنـــت علـــمٌ، ولا يمكـــن الوصـــول إلـــى كنهـــك،
أنـــت زهـــدٌ، ولا يمكـــن الفـــرار مـــن فخـــك

(١٤٢٠)

انتهـــت الطفولـــة، ورحـــل الشـــباب عـــن الشـــابّ
ووصـــل ليـــوم الشـــيخوخة، فطـــر مـــن الـــدنيا
لكـــل ضـــيفٍ عهـــدٌ لمـــدّة ثلاثـــة أيـــام
فيـــا أيهـــا الســـيّد، انتهـــت أيّامُـــك الثلاثـــة، فسَـــرّع حمـــارك

(١٤٢١)

كـــل مطـــربٍ لا يقـــرأ فـــي دفتـــر القلـــب
ســـمّه مطـــرب الـــدّف
وإن أخفـــى الشّـــعر والغـــزل الوجـــه عنـــك
فـــاقرأ فـــي وجوهنـــا، إذا كنـــت قارئـــا الخـــط

(١٤٢٢)

يـــا مـــن الشـــبعون مـــن الـــدنيا جـــائعون لوصـــالك
وشـــجعان الـــدنيا مرتعـــدو الفـــرائص مـــن فراقـــك،
أي شـــــيء لـــــدى الغـــــزلان بوجـــــود عينـــــك؟!
يـــــا مـــــن طرتـــــك قيـــــدٌ لأســـــود الـــــدنيا

(١٤٢٣)

لا أحـــــد فـــــي العـــــالمين مثـــــل مليـــــك العـــــالم
لا تحـــــت ولا فـــــوق، ولا ظـــــاهرًا ولا باطنًـــــا
وكـــل ســـهمٍ انطلـــق، انطلـــق مـــن ذلـــك الرّامـــي القـــويّ
وكـــل نكتـــةٍ بديعـــةٍ إنمـــا صـــدرت عـــن ذلـــك القـــويّ البيـــان

(١٤٢٤)

يـــــا مـــــن محيـــــاك بســـــتان العـــــالمين ومرجهمـــــا
ومـــن روحـــك انبعثـــت الحيـــاة فـــي جســـد العـــالمين،
إن هزيمتـــــــــــــك هزيمـــــــــــــة للعـــــــــــــالمين
يـــــا مـــــن ضـــــعفك خـــــرابٌ للعـــــالمين

(١٤٢٥)

منـــذ أن صـــار وجهـــك قبلتـــي، أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب
لا خبـــر عنـــدي عـــن الكعبـــة، ولا علامـــة عنـــدي للقبلـــة
ومـــن دون وجهـــك لا أســـتطيع التوجّـــه إلـــى القبلـــة
لأنّ هـــذه قبلـــة القالـــب، وتلـــك قبلـــة الـــروح

(١٤٢٦)

لا أحـــــــد إلا هـــــو فـــــي هــــــذين العــــــالمين
لا قبــــــيح ولا حســــــن، ولا ظـــــاهر ولا بـــــاطن
وكـــل ســـهمٍ انطلـــق، انطلـــق مـــن ذلـــك الرّامـــي القـــويّ
وكـــل نكتـــةٍ بديعـــةٍ إنمـــا صـــدرت عمّـــن فمـــه كالشـــعلة

(١٤٢٧)

يـــا مـــن قـــدحٌ واحـــدٌ مـــن ألمـــك بحـــر الـــدنيا
أضــــاع العــــالم بســــببك رأســــه وقدمــــه
تريـــد الـــدنيا أن تطيـــر فرحـَــا مـــن عشـــقك
يـــا مـــن قيـــدت غيرتـــك أجنحـــة الـــدنيا

(١٤٢٨)

القلـــب بســـتانٌ خفـــيّ وأشـــجاره متواريـــة
يبـــدي مئـــة صـــورة، وهـــو ضـــربٌ واحـــد
هـــو بحـــرٌ محـــيط لا حـــدّ لـــه ولا نهايـــة
يقـــذف بمئـــات الأمـــواج فـــي كـــلّ روح

(١٤٢٩)

فـــي هـــذه الليلـــة، أنـــا وألـــف صـــوفي متـــوارون
كلهـــم متـــوارون وظـــاهرون، مثـــل الـــروح
ألا أيّهـــا العـــارف المطـــرب، لا تقصّـــر ؛
لكـــي تظفـــر براقصـــين علـــى هـــذه الصّـــفة

(١٤٣٠)

أيهـــا الحبيـــب، رأيتـــك الليلـــة الماضـــية طالبَـــا الفـــراق
قـــــائلا بجفــــــاءٍ وحقـــــــد: «فــــــارق»
وهكـــــــذا فارقــــــت اليـــــــوم الــــــرّوح
غاســـــــلا وجهــــــي بــــــدم الفـــــــراق

(١٤٣١)

وقـــت الأجـــل، عنـــدما يفـــارق الـــروح البـــدن
يلقــــي البــــدَنَ مثـــــل القبـــــاء القـــــديم
يرجـــــع البـــــدنُ التّرابـــــيّ إلـــــى التـــــراب
ويصـــــنع [الـــرّوح] مـــــن نـــــوره القـــديم بـــدنا

(١٤٣٢)

تريـــــــــد أن تجعلنــــــــا نقبـــــــل العـــــــذر
ولا يمكنــــك الــــتخلص مــــن فخنـــا ونطاقنـــا
نظـــرت إلـــى الأعلـــى لأنّ الوقـــت قـــد انتهـــى
فـــلا تتـــرك الـــدفَّ عازمَـــا علـــى الـــذهاب

(١٤٣٣)

يغـــدو القلـــب حـــائرًا مـــن طلـــب الجمـــال
ومـــــن زيـــــادة طلبـــــه ســـــيغدو بحـــــرًا
صـــار القلـــب دمَـــا، وهـــو يشـــكر ؛ لأنّ كثيـــرًا
مـن القلـوب صـارت دمَـا فـي اشـتياقها إلـى أن تغـدو دمـا

(١٤٣٤)

جـــــــاء قلبـــــــي، ليـــــــذكر لـــــــي علامـــــــة
قـــال: «مـــاذا أســـتطيع أن أقـــول مـــن أجلـــه؟!»
قلـــت: «قـــل حرفـــا عـــن تلكمـــا العينـــين»
قـــال: «ومـــاذا أســـتطيع أن أقـــول عـــن العينـــين؟!»

(١٤٣٥)

عنـــد الـــمتكلم يغـــدو عِـــذاره كالنّـــار
عنـــد الـــمتكلم تغـــدو عينـــه كالـــدّم
وبتكلمـــه يأخـــذ دمنـــا وصـــبرنا وراحتنـــا
فيـــا أيهـــا العشـــق المفتـــق للكـــلام، اجعلـــه يـــتكلم

(١٤٣٦)

أي عاشـــق الكـــلام وتفاصـــيل القـــول
أي دبـــوس المتكلمـــين المفـــوهين،
إذا لـــم يكـــن رزقـــك علمًـــا جديـــدًا، فـــامض
إلـــى الخطـــب القديمـــة، يـــا بـــائع الأشـــياء القديمـــة

(١٤٣٧)

قلـــت للقلـــب: «إذا كـــان هنـــاك مجـــالٌ للكـــلام
فتحـــدث لحبيبـــي عـــن غمّـــي القـــديم فـــي أثنـــاء الكـــلام»
فقـــال القلـــب: «عنـــد وصـــال الحبيـــب
لا قـــدرة لـــي علـــى الكـــلام بســـبب المشـــاهدة»

(١٤٣٨)

كـــــل يــــــوم يكـــــون قطــــع المنـــــازل جمـــــيلا
مثـــــل المـــــاء الجــــاري الخلــــو مــــن التجمّـــــد
مضـــــى أمـــــس، وذهـــــب حـــــديث أمـــــس مثلـــــه
لا بـــــدّ اليــــــوم مـــــن حـــــديث جديـــــد

(١٤٣٩)

هـــــــذا العبـــــــد لا يســـــتطيع المراعـــــاة ؛
لأنّـــــه نـــــزل فـــــي الطـــــين حتـــــى عنقـــــه
وســـــكرنا هـــــذا لـــــيس مثـــــل ســـــكر الســـــكارى
إن حـــــد الســـــكر بـــــالأفيون واضـــــح

(١٤٤٠)

يـــــا مـــــن الحيـــــاة حـــــرامٌ مـــــن دونـــــك
فمـــــا الحيـــــاة مـــــن دونـــــك؟
أيهـــا الحبيـــب، الحيـــاة مـــن دون وجهـــك الجميـــل
مـــــوتٌ، لـــــه اســـــم الحيـــــاة

(١٤٤١)

مـــــن دون وجهـــــك لا أســـــتطيع شـــــرب الخمـــــرة
ومـــــن دون يـــــدك لا أســـــتطيع حمـــــل قطعـــــة النـــــرد
تظـــــلّ مـــــن بعيـــــدٍ تـــــأمرني بـــــأن أرقـــــص
ومـــــن دون نغمتـــــك لا أســـــتطيع الـــــرقص

(١٤٤٢)

وا عجبًا، إن عادة العشق هي عين أكل الإيمان

ليست غصة أكل الخبز، وأكل الروح

ولأنّ تلك المائدة خارجة عن النهار والليل

فما الصّوم؟ دعوة إلى الأكل الخفيّ

(١٤٤٣)

يا من طريقة عينك النرجسية إيقاع المرض

يا من مذهبي في غمك الأنين [١]

(١٤٤٤)

في طريق الفقر يجب أن يكون الإنسان فردا

يجب أن يكون دائمًا نديمًا للألم

الفرار إلى الوصال ليست رجولة

بل على الإنسان أن يكون رجلًا يوم الفراق

(١٤٤٥)

يجب أن يكون الإنسان في حرب مع العالمين

عليه أن يكون نافرًا من الياقوت والأحجار الكريمة

عليه أن يكون رجلًا وذا منزلة

وإلا فعليه الرّضى بألف عار

(١) لم نجد ههنا سوى بيتٍ واحد [المترجم].

(١٤٤٦)

إزاء وجـــود الحســـان لا بـــدّ أن يكـــون الإنســـان جمـــيلا
وإزاء مكـــــر الأعـــــداء، لا بـــــدّ أن يكـــــون نِمـــــرَا
عليـــــــــه أن يكـــــــــون رجـــــــــلا وذا منزلـــــــــة
وإلا فعليـــــــــه الرّضـــــــــى بـــــــــألف عـــــــــار

(١٤٤٧)

فـــي عشـــقك لا بـــدّ أن يكـــون الإنســـان ســـعيدًا وظريفـــا
لا بـــــــدّ أن يكـــــــون رجـــــــلا وذا اعتبـــــــار
لا بـــــــدّ أن تكـــــــون محاربَـــــــا لروحـــــــك
وإلا فإنّـــــــه لا بـــــــدّ مـــــــن ألـــــــف عـــــــار

(١٤٤٨)

فـــــــي طلـــــــب التطهّـــــــر صـــــــرت طـــــــاهرًا
وفـــــــي هـــــــوس الفنـــــــاء صـــــــرت فانيـــــــا
فصـــــــبرًا لكـــــــي يشـــــــرح لـــــــذة تطهيـــــــركم
ففـــــــي العـــــــدم كيـــــــف يمكـــــــن الوجـــــــود؟

(١٤٤٩)

أيهـــــا الـــــروح المنـــــزه عـــــن غـــــم التطهيـــــر،
أيهـــــا الجســـــم المقـــــدس عـــــن غـــــم الفنـــــاء،
إن نـــــار العشـــــق هـــــذه التـــــي تحتـــــرق فيهـــــا
ســـــــــتكون جنـــــــــة فردوســـــــــك

(١٤٥٠)

إن شـــرب الحـــرص والحســـد مـــن بحـــر الكـــرم
واختطـــاف السـعادة مـــن الآخـــر فـــي هـــذا البحـــر
أمـــــرٌ عجيـــــب خاصـــــة مـــــن الحبيـــــب
الســــــمك لا يختـــــــزن المـــــــاء أبـــــــدا
لأنـــــه مـــــن دون البحـــــر لا وجـــــود لـــــه
أيهـــا الرجـــل اللبيـــب فـــي المكـــان الغريـــب[1]

(١٤٥١)

صــــــرت منتهيَــــا، والانتهـــــاء مــــن عشــــقك
صــــــرت فانيَــــا، والفنـــــاء مــــن عشــــقك
لا أكـــل لـــي فـــي النهـــار، ولا نـــوم لـــي فـــي الليـــل
يـــــا مـــــن حبـــــك عــــــدوّ نفســــــي

(١٤٥٢)

يـــا مـــن يـــاقوت شـــفتيك مـــنجمٌ لجنـــي السّـــكّر
يـــا مـــن عينيـــك رؤيـــة النّـــور غيـــر المصـــوّر
القفـــــر دائـــــرٌ، وورق القـــــشّ دائـــــر أيضَـــــا
لكــــن هنــــاك فرقــــا بـــــين الــــــدّورانين

(١) ورد توزيع أشطار الرباعية على هذا النحو في الأصل [المترجم].

(١٤٥٣)

رؤيـــــــة جمـــــــال الســـــــلطان شـــــــيء رائـــــــع

وقـــد صـــار الـــروح حيَـــا مـــن رؤيـــة وجـــه المعشـــوق

رأيـــــــــت قيـــــــــد عشـــــــقك فـــــــــي المنـــــــام

يـــــــا رب، مـــــــا شـــــــأن أضـــــــغاث الأحـــــــلام؟!

(١٤٥٤)

يـــــا مـــــن عادتـــــك ارتكـــــاب الغضـــــب والجفـــــاء

ولعلنـــــا نســـــأل عينـــــك عـــــن هـــــذا الكـــــلام

وإن كـــــان حاجبـــــك فـــــي ســـــلم مـــــع عينـــــك

فلمـــــــاذا لا يســـــــتطيع رؤيـــــــة عينـــــــك؟!

(١٤٥٥)

يـــــا مجمـــــع القلـــــب، لا تضـــــرب ضـــــربًا مفرَّقـــــا

لا تضـــرب بهـــذا المضـــارب المشـــعَّث، مثـــل قلبـــي

أيهـــا القلـــب، لا تجعـــل شـــفتك التـــي تـــدعي البقـــاء

إلا علـــــــــى تلـــــــــك الكـــــــــأس الخالـــــــــدة

(١٤٥٦)

أيهـــــا القلـــــب العظـــــيم، اقطـــــع طريـــــق الملامـــــة

اجرحنـــــا كـــــل لحظـــــةٍ جرحَـــــا فـــــوق طاقتنـــــا

أوقـــــد النـــــار كـــــلّ لحظـــــةٍ فـــــي الـــــرّوح

وادّع كـــــلّ لحظـــــةٍ هـــــدوء البـــــال والفـــــراغ

(١٤٥٧)

أيتهـــا الـــــريح، تعــــالي، وهبّـــى علــــى قلبـــي

أيتهــا الزهـــرة، تعــالي، واصـــنعي مـــن وجهـــي ذهبًـــا

أولئـــــك الـــــذين ينشـــــدون التفريـــــق بيننـــــا

أظهـــر لهـــم الجـــدار، وقـــل لهـــم: اضـــربوا رؤوســـكم بـــه

(١٤٥٨)

اضـــرب فـــرع الـــورد الطـــريّ بـــرأس العنبـــر

واقطـــــع رأس الكـــــافر بســــيف المســــلم

ولأننـــــي مثـــــل نايـــــك، انفـــــخ فـــــي أذنـــــي

أنـــــا دفـــــك، اضـــــرب علـــــى وجهـــــي

(١٤٥٩)

أيهـــا القلـــب، عنـــدما صـــرت حـــائرًا صـــفق

صـــفق مـــن هـــوس الهيـــام بالـــدّلال

تقـــول: «أي طريـــقٍ أقطـــع وأنـــا أصـــفق؟»

اقطـــع طريـــق الســـكر مثـــل عينـــه الثملـــة

(١٤٦٠)

إن لـــم تكـــن عبـــدًا، فـــادع الملكيـــة مـــن الملـــك

وأطلـــق ســـهم النظـــر كمـــا تشـــاء

وإذ تخلصـــت مـــن نفســـك ومـــن غيـــرك

فـــاجلس غائبًـــا عـــن نفســـك، واقـــرع الطبـــل

(١٤٦١)

إن عجـــزت اليـــد عـــن العمـــل، فاعمـــل بقـــدمك
وإن ذهبـــــــــت القـــــــــدم، فأنشـــــــــد
وإن لـــم يكـــنْ عنـــدك نشـــيدٌ فاستشـــر العقـــل
فـــي النهايـــة، تحـــدّث عـــن الوفـــاء دائمَـــا

(١٤٦٢)

قلـــت: «لا تفعـــل، يـــا مـــن وجهـــك حســـنٌ، وطبعـــك حســـن
لســـت لصَّـــا، فـــلا تقيِّـــدني بالرســـن»
قـــال: «أيـــن أنـــت الآن، أيهـــا البـــارع فـــي كـــل فـــنّ
حقـــا صـــرت علـــى حـــالٍ يحطـــم فيهـــا كبريـــاؤك»

(١٤٦٣)

نحـــن جميلـــون، فاجعـــل نفســـك جمـــيلا
تعـــوّد علينـــا، لا تتعـــوّد علـــى الآخـــرين
يـــا عِـــدل السُّـــكر، لا يتســـع لـــك مكـــانٌ أبـــدَا
وحيثمـــا لا يوجـــد مكـــانٌ، اجعـــل نفســـك مكانَـــا

(١٤٦٤)

نحـــن جميلـــون، فاجعـــل نفســـك جمـــيلا
تعـــود علينـــا، لا تتعـــوّد علـــى الآخـــرين
وإن شـــئت أن تكـــون منجمَـــا للجـــوهر
فـــافتح القلـــب، واجعـــل الصـــدر بحـــرا

(١٤٦٥)

نحـــــن جميلـــــون، فاجعـــــل نفســـــك جمـــــيلًا
تعـــود علينـــا، ولا تتعـــود علـــى الآخـــرين
لا تكـــن قطـــرةً واحـــدةً، اجعـــل نفســـك بحـــرا
وإن شـــئت بحـــرًا، فاجعـــل القطـــرة لا [عـــدمًا]

(١٤٦٦)

أيهـــا الملـــك، لا تمـــت الميـــت
إنـــه مـــن صـــرعاك، فـــلا تتعامـــل معـــه إلا بالرعايـــة
وإن غـــرق فـــي الـــذنوب فـــلا تعاقبـــه
ومـــن أجـــل الله، لا تقصـــد إلـــى مجازاتـــه

(١٤٦٧)

لا تـــذكر إلا خمـــرة يـــاقوت اللّامكـــان
انظـــر إليهـــا، ولا تتـــذكر هـــذا وذاك
وإن كـــان عنـــدك روحٌ فـــلا تتـــذكر هـــذه الـــدّنيا
وإن شـــئت الســـكر، فـــلا تتـــذكر العقـــلاء

(١٤٦٨)

قلـــت للقلـــب: «لا تبـــدأ عشـــقًا جديـــدًا
لا تفـــتح علـــيّ بـــاب مئـــة محنـــةٍ وغـــم مـــن جديـــد»
تطيـــر القلـــب وقـــال: «أيهـــا الطيـــب القلـــب،
المعشـــوقة فاتنـــة، امـــض، لا تتـــدلل»

(١٤٦٩)

أيهـــا المعشـــوق، رأيـــت وجهـــك، فأســـفر عـــن وجهـــك
لا تشـــــــرب الخمـــــــــرة متواريَـــــــــا عنّـــــــــا
بـــــــــرغم أن العـــــــــاذل أطـــــــــال لســـــــانه
لا تصـــغ إليـــه، يـــا مـــن أنـــت عـــين العاشـــقين ومصـــباحهم

(١٤٧٠)

لا تشـــــــــرب إلا كـــــــــأس جـــــــــلال الأجـــــــــل
ولا تجـــــش إلا مـــــــن نـــــــار عشـــــق الكبريـــــــاء
فـــــي مـــــنجم عقيـــــق الفقـــــر، العِشـــــرة نقـــــدٌ [جـــــاهزة]
فاشـــرب الخمـــرة، ودع الحـــديث عـــن الليـــالي الماضـــية

(١٤٧١)

يـــــا مـــــن أنـــــت فـــــذ فـــــي العـــــالمين، لا تســـــتعجل
لا تســـــتعجل فـــــي الـــــذهاب، مثـــــل الزمـــــان
لا تـــــــــــــذهب بعيـــــــــــــدًا، لا تســـــــــــــتعجل
لا تســـتعجل فـــي الـــذهاب مـــن منزلنـــا إلـــى منـــزل آخـــر

(١٤٧٢)

أخـــــــــف أســـــــــرارنا فـــــــــي الـــــــــرّوح
وأخـــــــف أحوالنـــــــا عـــــــن نفســـــــك أيضَـــــــا
وإن كـــــــان لـــــــديك روحٌ، فـــــــأخفني كـــــــالروح
اجعـــــــل كفـــــــري رائـــــــدًا للإيمـــــــان

(١٤٧٣)

أخــــرج الحــــرص والحســــد والحقــــد مــــن قلبــــك
بــــدلّ الطبــــع الســــيئ والفكــــر الســــيئ
الإنكــــار مضــــرّ بــــك، فــــامض وقللــــه
والإقــــرار ينفعــــك فــــأكثر منــــه

(١٤٧٤)

أنــــت مليــــك قلبــــي، فاصــــنع صــــنيع الملــــوك
هنيئَــــا لــــك، اظلــــم ظلــــم الجيــــوش
فــــي يــــدك شــــرابٌ وكــــأسٌ لا يحــــيط بهمــــا الوصــــف
فأعطهمــــا، وافعــــل مــــا تشــــاء

(١٤٧٥)

مــــا دمــــت مــــع نفســــك فأنــــت بعيــــدٌ، ولــــو كنــــت معــــي
فمــــا أبعــــد الشّــــقة بينــــي وبينــــك
ولــــن تصــــل إلــــيّ، مــــا لــــم تغــــدُ لــــي وحــــدي
ففــــي طريــــق العشــــق، إمــــا أنــــت وإمــــا أنــــا

(١٤٧٦)

صــــار ليلــــي أشــــرف مــــن النهــــار بســــببه
وصــــار قــــالبي ألطــــف مــــن الــــرّوح
مضــــى قلبــــي لكــــي يقبّــــل شــــفته
ومــــن كثــــرة الشــــهد والسّــــكر لا يوجــــد مكــــانٌ لشــــفتي

(١٤٧٧)

لا بـــــــدّ لـــــــي مـــــــن معشـــــــوقٍ أو قلـــــــب
ولـــــــيس عنـــــــدي قلـــــــبٌ ولا معشـــــــوق
أي معشـــــوقي، لا تكـــــن عنـــــدي مـــــن دون قلـــــب
إن قلبَـــا واحـــدًا عنـــدي خيـــرٌ مـــن مئتـــي معشـــوق

(١٤٧٨)

مضـــــــى الليـــــــلُ، ولـــــــم يمـــــــض عشـــــــق
مناجـاة غمـك مـن رأسـي، أي معشـوقي الفضـي البـدن
أنـــــــت منـــــــام ليلـــــــي وضـــــــياء نهـــــــاري
وإن لـــم تكـــن عنـــدي فـــلا نهـــار عنـــدي ولا ليـــل

(١٤٧٩)

وا أســـفاه، إنّ كـــلّ ظلـــمٍ ألـــم بـــي هـــو مـــن نفســـي
فويـــلٌ لـــي، إنّ لـــي ألـــف آهٍ وصـــيحة مـــن نفســـي
عنـــدما قـــال: «ذلـــك مـــا قـــدمت أيـــديكم»[(١)]
أمضـــيت ليلـــة مزعجـــة ؛ لأن أصـــل الغـــم ولـــد منـــي

(١٤٨٠)

مـــن كثـــرة مـــا ولـــد منّـــي مـــن فســـادٍ وبلاهـــة
لـــم يصـــر قلبـــي مســـرورًا لحظـــة مـــن العمـــر

(١) إشارة إلى قوله تعالى: (**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**) [آل عمران : ٣ / ١٨٢].

أنـــــا طالـــــبٌ العـــــدل، والظلـــــم كلـــــه منـــــي
صـــــياحي مـــــن الجميـــــع ومـــــن نفســـــي

(١٤٨١)

إن عينـــــي تنظـــــر نظـــــرًا معوجًـــــا بعيـــــدًا عنّـــــي
فـــوا عجبًـــا، إن شـــفاء مئـــة عـــين مريضـــة هـــو منّـــي
وإن نظـــــرت باعوجـــــاج فـــــبمن يســـــتقيم المعـــــوجّ؟
وإن كـــان الوقـــت لـــيلاً، فكيـــف تطلـــب منّـــي النّـــور؟

(١٤٨٢)

مـــــن كثـــــرة مـــــا أظهـــــر غمـــــك مـــــن اهـــــاتٍ
أخشـــــى أن يصـــــل العـــــدوّ إلـــــى مـــــراده منـــــي
فـــــوا أســـــفاه، إن قلبـــــي صـــــار دمًـــــا مـــــن هجـــــرك
أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب، ولا علـــم لقلبـــك بـــذلك

(١٤٨٣)

يـــا مـــن عشـــقك فـــي روح إنســـانٍ، وذلـــك الإنســـان هـــو أنـــا
ويـــا مـــن داؤك دواءٌ لإنســـان، وذلـــك الإنســـان هـــو أنـــا
تقـــــول: «أحِـــــبُّ أن أرى شـــــفتك مثـــــل شـــــفتي
مجروحـــة بأســـنان إنســـانٍ، وذلـــك الإنســـان هـــو أنـــا»

(١٤٨٤)

تلـــك الصـــورة الغيبيـــة التـــي ســـمع عنهـــا العـــدّو
فصّـــــلها العـــــدو علـــــى قيـــــاس نفســـــه

فظهــرت [الصــورة] مثــل الشــمس، فــاجلس [وانظــر إليهــا]
وأينمـــــا نظـــــر العـــــدو لـــــم يرهـــــا

(١٤٨٥)

أنـــــا عاشـــــق العشـــــق، والعشـــــق عاشـــــقي
وقــد صــار الجســم عاشــقًا للــروح، والــروح عاشــقًا للجســم
حينَـــــــا أمســـــــك عنقـــــــه بيـــــــدي
وحينَـــــــا يجـــــــذبني، كالمعشـــــــوقين

(١٤٨٦)

يـــا مـــن خلقـــت يـــدي ورجلـــي مـــن طـــين
وجعلـــــت مصـــــباحي عقلـــــي مستشـــــاري
أيهـــــا العظـــــيم، اجعـــــل مقـــــامي عنـــــدك
إن روحـــــي الآكـــــل للســـــكر آنّ لـــــديك

(١٤٨٧)

عنـــــــدما رأى وجهـــــــي أصـــــــفر شـــــــاحبًا
ورأى دمَـــــا جاريَـــــا مـــــن عينـــــي كالجـــــدول
ضـــــحك وقـــــال ضـــــاحكًا: «أي مطلـــــوبي!
أي ظـــــالمي ومظلـــــومي الســـــيئ الطبـــــع»

(١٤٨٨)

أيهـــــا العـــــازف علـــــى ربـــــاب قلبـــــي،
اســـــمع فـــــي هـــــذا الأنـــــين جـــــواب قلبـــــي

فــــــي كـــــــل خـــــــرابٍ دفـــــــن كنـــــــزٌ مختلـــــــفٌ
والعشـــــــق مـــــــدفونٌ فـــــــي خـــــــراب قلبـــــــي

(١٤٨٩)

فـــــوا عجبَـــــا إنّ أنـــــين عشـــــقك هـــــو ربـــــاب قلبـــــي
وا عجبَـــــا صـــــارت أجوبـــــة قلبـــــي كلهـــــا أنينَـــــا
تلـــــــك الســــــــعادة العــــــامرة التـــــــي تنشـــــــدها
ســــــتجدها ولكـــــــن فـــــــي خـــــــراب قلبـــــــي

(١٤٩٠)

مـــن العمـــر المثمـــر، كـــل لحظـــة مـــن لحظـــات حيـــاتي
ومـن نفسـي التـي تغـدو يقظـة، كـل لحظـةٍ مـن لحظـات حيـاتي
وهـــــــــذا الـــــــــروض المـــــــــزدان بـــــــــالألوان
هو الـروض الملـيء بالشّوك فـي كلّ لحظـةٍ من لحظـات حيـاتي

(١٤٩١)

أرى ذلـــــــــــــــــــــك الـــــــــــــــــــــذي لا أراه
وأقطـــــــف مـــــــن ســـــــكر شـــــــفته قصـــــــبًا
وبـــــــرغم أننـــــــي مثـــــــل الســـــــين وســـــــط ياســـــــين
لا يســـــمح لـــــي يـــــا ســـــين بـــــأن أجلـــــس لحظـــــة

(١٤٩٢)

أيهـــــــا القمـــــــر اللطيـــــــف حـــــــول بيـــــــدري
ويـــــا أيهـــــا القمـــــر المطـــــلّ برأســـــه مـــــن نافـــــذتي

أي روض وعينـــــــــــــــــي البصـــــــــــــيرة
متـــــــــــــى أراك ممســـــــــــكًا بـــــــــــــي؟

(١٤٩٣)

إن أقتـــــــــــــل فـــــــــــــي محاربتـــــــــــــك
فلـــــــن أتـــــــأوّه مـــــــن خـــــــوف إيـــــــذائك
ومـــــــن ضـــــــرب غمزتـــــــك الســـــــافكة للـــــــدم
أمـــــوت ضـــــاحكًا كـــــالورد فـــــي لقائـــــك

(١٤٩٤)

عنـــــدما رأيـــــت فيـــــك جيشـــــان دنّ العشـــــق
وصـــــلت علـــــى نضـــــجي كـــــالخمر بســـــببك
لا لا، غلطـــــت، إنـــــك الخمـــــرة وأنـــــا المـــــاء
امتزجنـــــا وأنـــــا غيـــــر ظـــــاهرٍ منـــــك

(١٤٩٥)

ذهبنـــــا يومَـــــا إلـــــى المـــــوج ثملـــــين
وأنـــا عاشـــقٌ، وأنـــت عاشـــق، ونحـــن عاشـــقان
مـــــــا أتمنّـــــــاه طـــــــوال عمـــــــري
أن تتـــذكر ذلـــك العهـــد يـــا نـــاقض العهـــد

(١٤٩٦)

مـــــا جـــــرى بينـــــي وبينـــــك الليلـــــة الماضـــــية
لا يمكـــــن أن يكتـــــب، ولا يمكـــــن أن يقـــــال

وعنـــــدما أســـــافر مــــــن هــــــذا الــــــوطن القــــــديم
تحــــــــــــدثك طيـــــــــــاتْ الكفـــــــــــــن

(١٤٩٧)

مــــــا أشــــــد ارتبـــــاطي بـــــك محبــــــة ووفــــــاء
يـــــــا مــــــن طبعـــــــك أن تــــــؤذيني دائمَـــــــا
أنــــــا أصـــــــبر ولكـــــــن ألا يصـــــــيبك العـــــار
يومَــــــا واحــــــدًا مــــــن ألــــــم قلبــــــي المتعــــــب؟

(١٤٩٨)

عنـــــــــــدما تمـــــــــــــرُّ بمقبرتـــــــــــــي
اجلـــــــس وقـــــــل: «يــــــا قتيــــــل غمـــــــي»
لكــــــي أصـــــيح مــــــن ترابــــــي النــــــديّ
أي يوســـــف الزمـــــان، يــــــا مــــــن فقـــــدت بســـــبب

(١٤٩٩)

يــــا معشـــوقي المختـــار، هـــا قـــد ذهبـــت ولـــم يـــذهب
حبــــــك مـــــــن قلبــــــي وخيالــــــك مـــــن عينـــــي
أطــــــــــوف لعلـــــــــك تقــــــــع أمـــــــــامي
يـــــــا دليــــــــل طريقـــــــــي المعقـــــــــد

(١٥٠٠)

العـــــالم كلـــــه عاشـــــقٌ لـــــي دفعــــــة واحــــــدة
المــــــدبّر والمعـــــين والعـــــاجز كلهـــــم لـــــي

الشـــمس والفلـــك غلامـــان لـــي وســـائران مـــن أجلـــي
ومشـــــاهد الكــــونين منشــــغلٌ بــــالنظر إلـــــيّ

(١٥٠١)

ســــافر قلبــــي الهـــائم فــــي أصــــقاع العــــالم
كثيــــــرًا مــــــن أجـــــل حـــــلّ مشـــــكلتي
وجــــاش مــــاء حيـــاتي الطيــــب العـــذب
فـــــي قلبـــــي القاســـــي، وخـــــرج

(١٥٠٢)

يـــا مـــؤنس الزمـــان، كيـــف حالـــك مـــن دونـــي؟
أيهـــا النّجـــيّ المزيـــل للغـــمّ، كيـــف حالـــك مـــن دونـــي
أنـــا بـــوجهي المصـــفرّ كـــالخريف خـــرابٌ مـــن دونـــك
وأنـت بوجهـك المشـرق كـالربيع، كيـف حالـك مـن دونـي؟

(١٥٠٣)

إضـــــاءتي للعـــــالم مـــــن شـــــمع الأزل
وانتصـــاري مـــن تلـــك الحســـناء العظيمـــة
وكيـــف أكـــون مـــع الحســـناء وشـــمع الأزل؟
نعـــم، مـــاذا أفعـــل وهـــذا نصـــيبي

(١٥٠٤)

ذهبـــت إلـــى المعشـــوق ملطـــخ الوجـــه بالـــدم
ظـــاهرةً فـــي عينـــي ووجهـــي آثـــار الجنـــون

وكنـــــــت قــــــد مزقــــــت القيـــــــد وخرجــــــت
ســــــاحبًا بقــــــدمي سلســــــلة «كــــــن فيكــــــون»

(١٥٠٥)

ثـــــــــرت ثــــــــــورةً لا يتحمّلهـــــــــا الفلــــــــك
ثــــــورةً لا يراهــــــا المجنــــــون فـــــي المنـــــام
وتلـــــك الثــــورة جـــزءٌ ممـــا فـــي صـــدر الحبيـــب
فكيـــف يكـــون صـــدر الحبيـــب الطـــاهر، كيـــف؟!

(١٥٠٦)

أخـــذ القلـــب منـــي الليلـــة الماضـــية بمئـــة عشـــق وســـحر
شـــــق قلبـــــي فوجـــــده مليئًـــــا بالـــــدم
أمـــــر بوضـــــعه فـــــي النـــــار حـــــالا
يعنـــي أنـــه غيـــر ناضـــجٍ ؛ لأنـــه ملـــيءٌ بالـــدم

(١٥٠٧)

إن رجالــــــك فــــــي دائــــــرة «كــــــن فيكــــــون»
القلـــب هـــو نقطـــة الوحـــدة، وهـــو أكبـــر مـــن العـــرش
ولــــو الــــتقط نقطــــة الألــــم مــــن قلبــــك
لصــــرت حــــالا خــــارج دائــــرة الكــــون

(١٥٠٨)

أنـــا ثمـــلٌ منـــك أنـــت، لا مـــن الخمـــرة والأفيـــون
وقـــد صـــرت مجنونًـــا فـــلا تطلـــب أدبًـــا مـــن مجنـــون

ومـــــن جيشـــــان الخمـــــرة يجـــــيش مئـــــة جيحـــــون
ومـــــــن دورانـــــــي يظـــــــلّ الفلـــــــك حـــــــائرًا

(١٥٠٩)

طبعـــــــك كـــــــالحجر، وقلبـــــــك كالحديـــــــد
ومـــــن الحديـــــد والحجـــــر طـــــارت النـــــار نحـــــوي
عنـــدما تكـــون النـــار فـــي النـــار، يـــا حســـناء الخُـــتَن(١)
أكـــــون حمـــــارًا عنـــــدما يتعلـــــق قلبـــــي بالبيـــــدر

(١٥١٠)

تلـــك الحلـــوى التـــي لا تصـــل إلـــى الفـــم إلا قلـــيلا
جـــــــاش قلبـــــــي منهـــــــا مثـــــــل القـــــــدر
ومـــــــن غايـــــــة لطفهـــــــا وطيـــــــب طعمهـــــــا
أنـــــك تســـــتطيع أن تأكـــــل ألفـــــي مـــــن منهـــــا

(١٥١١)

يـــــا رب، أي قلـــــبٍ هـــــذا وأي طبـــــع لديـــــه
وفـــــي البحـــــث عنـــــه، أي بحـــــثٍ لـــــدى هـــــذا!
كـــــل لحظـــــةٍ يســـــجد فـــــوق تـــــراب بابـــــه
فيقـــول التـــراب لـــه: «لـــدى هـــذا ألـــف وجـــهٍ»

---

(١) عاصمة منغوليا، منطقة مشهورة بمسكها وحسانها، وتشيع في الأدب الفارسيّ والشعر الصوفيّ الفارسي فكرة أن المسك يستخرج من نافجة المسك في أسافل بطون ظبائها [المترجم].

(١٥١٢)

انظـــــــر فـــــــي الفلـــــــك ضـــــــجيج الســـــــكارى

وادخـــل فـــي بوتقـــة العـــدم، وانظـــر إلـــى الموجـــودين

أفـــــــرغ يـــــــدك مـــــــن العـــــــالمين وارقـــــــص

وانظـــــــر فـــــــي الفقـــــــر جـــــــلال العظمـــــــاء

(١٥١٣)

ذهبـــت إلـــى الطبيـــب وقلـــت لـــه: يـــا زيـــن الـــدين،

قـــــس نبضـــــي، وانظـــــر إلـــــى القـــــارورة

قـــال: إنهـــا ريـــح، وقـــد صـــارت قرينـــة للجنـــون

قلـــــت: أدام الله ذلـــــك علـــــيّ مـــــا دمـــــت حيَـــــا

(١٥١٤)

أتكـــون حـــال قلـــبٍ أكثـــر تشـــتتاً مـــن هـــذا؟!

أتكـــون واقعـــة أكثـــر فوضـــى مـــن هـــذا؟!

مـــــــن رأى فـــــــي العـــــــالم مبتلـــــــىً

مندهشَـــا مـــن فعـــل الزمـــان وأكثـــر حيـــرةً مـــن هـــذا؟!

(١٥١٥)

امـــض، واختـــر الألـــم، اختـــر الألـــم، اختـــر الألـــم ؛

لأنـــــــه لا حيلـــــــة لـــــــديّ إلا هـــــــذه

لا تنـــــزعج مـــــن أن لا يكـــــون عنـــــدك لبـــــاسٌ

بـــــل احـــــزن مـــــن أن لا يكـــــون عنـــــدك ألـــــم

(١٥١٦)

إن كنـــــــت مشـــــــتاقا، فـــــاجلس عنــــــد المشــــــتاق

اجلـــــس النهـــــار والليـــــل فــــــي حلقـــــة العشــــاق

وعنـــــــــدما اجتـــــــــذبت هــــــــذه الحلقـــــــــة

اتــــــرك النــــــاس، واقعـــــــد عنـــــــد الخــــــلاق

(١٥١٧)

اليـــــوم يـــــوم الميـــــدان عنـــــدي، فـــــلا تجلـــــس

انطلـــق كـــــالكرة أمـــــام الصـــــولجان، ولا تجلـــــس

أظهـــــــر الرجولــــــــة ولا تجلـــــــس كـــــــالحيران

اليـــوم يـــومُ القيامـــة، أيهـــا المعشـــوق فـــلا تجلـــس

(١٥١٨)

قلـــــــت: لا تجلـــــــس عنـــــــد نـــــــديمٍ حـــــــزين

لا تجلـــس إلا عنـــد مســـروري القلـــوب الـــرائعين

وإن دخلـــت البســـتان، فـــلا تمـــض إلـــى الأشـــواك

ولا تجلــــــس إلا مــــــع الــــــورد والياســــــمين

(١٥١٩)

نحـــن كَســـالى العشـــق، وقـــد وضـــعنا جنوبنـــا علـــى الأرض

فقـــــد جعـــــل كرمــــــه الأرض مركبَـــــا وســــــرجا

لكــــــي يحمـــــل هــــؤلاء النــــائمين فــــي المنــــام

مثـــــل أصـــــحاب الكـــــف، نحـــــو عليــــين

(١٥٢٠)

يـــــــا أوحــــــــد بالجمــــــــال، يــــــا روحـــــــــي
لعلــــــك نــــــادمٌ علــــــى عهــــــدي أيهــــا الحبيــــــب؟
قــــــد كنــــــت تحبنــــــي فقــــــل: كيــــــف الحــــــال
واليــــــوم هجرتنــــــي، فقــــــل مــــــن ذا أنــــــت

(١٥٢١)

إذا وصــــلت إلــــى وظيفــــة [حِصّــــة] وصــــاله قليلــــة
فــــإن ذلــــك مــــن دلالــــه، لا مــــن قلتهــــا
وبعدئــــذ يقــــول: «كــــل مــــا أكلــــت مــــدخرٌ لــــك»
أنـــــــا عبــــــــدٌ لدلالـــــــــه وحيلتــــــــــه

(١٥٢٢)

التركــــــي الــــــذي تــــــبهج ضــــــحكته قلبــــــي
وتجعلنــــــي طرتــــــه الشــــــعثاء مغتمَــــــا
أخــــــــذ منّــــــــي كتابَــــــا بإعتاقــــــــه
وأتــــى بكتــــاب [يعلــــن فيــــه:] صــــرت عبــــده

(١٥٢٣)

صــــرنا خرابَــــا لــــه مــــن أجــــل كنــــز القــــدم
ومــــــن حكايتــــــه صِــــــرنا حكايــــــة لــــــه
آه مــــــــن عهــــــــده ومــــــــن كأســــــــه
لا يعــــرف أحــــدٌ بيتــــه مــــن بيتــــه [الحبيــــب]

(١٥٢٤)

ذلـــــك الملـــــك الـــــذي العقـــــل مجنـــــون بـــــه
ومـــــن العشـــــق، صـــــار قلبـــــي مُســـــاكِنه
بعـــــث رســـــالة [يقـــــول فيهـــــا:] أن لـــــك
واشـــــتعلت مئـــــة شـــــمعةٍ مـــــن أجـــــل فراشـــــته

(١٥٢٥)

يصـــــل مئـــــة عـــــدلٍ مـــــن جـــــوره
فكيـــــف أتصـــــور ســـــروره؟
وعنـــــدما تحـــــرّر الســـــرو مـــــن العبوديـــــة
مـــــزق الـــــورد ثيابـــــه مـــــن حريتـــــه

(١٥٢٦)

قلـــــت يومَـــــا: «روحـــــي معـــــك»
لـــــم أتغيـــــر أيهـــــا المعشـــــوق، أنـــــا معـــــك كمـــــا كنـــــت
لكنّنـــــي أعـــــرف أن كـــــلّ مـــــا أدفعـــــه تأخـــــذه
وأنـــــا أدفـــــع لكـــــي أبقـــــى معـــــك

(١٥٢٧)

جعلنـــــي العمـــــر إلـــــى جانبـــــك
ولأن العمـــــر يمضـــــي فإنـــــه خيـــــرٌ لـــــي أن يمضـــــي معـــــك
لا لا، غلطـــــت، متـــــى يمضـــــي العمـــــر مـــــن دون الملـــــك؟!
ذلـــــك العمـــــر الـــــذي ظفـــــر بالمضّـــــي معـــــك

(١٥٢٨)

إن شـــــئت أن تكـــــون مقيمَـــــا معنــــا وســــعيدا
فــــألق مــــن رأســــك تلـــك الوسوســـة والغوغـــاء
وعنـــــدما تغــــدو مثلمــــا كنــــت معــــي
أغــــــدو مثلمـــــا كنـــــت معـــــك

(١٥٢٩)

يـــا مـــن قالبـــك ألطـــف مـــن القلـــب والـــروح
مـــا أبعـــد المســـافة مـــن الســـكر إلـــى شـــفتك
الشـــمس والقمـــر يـــدوران طـــوال عمرهمـــا
الأيـــام والليـــالي علـــى أمـــل ليلـــك

(١٥٣٠)

لا تنفـــــتح شـــــفتي مـــــن دون شـــــفتك
لا جعـــل الله أساسَـــا للكـــلام مـــن دون شـــفتك
أغلـــق الحـــق بـــاب قلبـــي مـــن دون شـــفتك
وقـــال لـــي: «لا تفـــتح شـــفتك مـــن دون شـــفته»

(١٥٣١)

الأبـــــواب كلهـــــا مغلقـــــة إلا بابـــــك
لكـــي لا يجـــد غريـــبٌ طريقَـــا إلا إليـــك
يـــا مـــن الشـــمس والقمـــر والنجـــوم
خـــدمٌ لـــك فـــي الكـــرم والعـــزّة والضـــياء

(١٥٣٢)

لا يتســـــع الفلـــــك لمــــن صــــــار نحـــــيلا بســـــببك
والـــــروح غـــــلامٌ لمــــن صــــار غلامَـــــا لـــــك
دخلــــــت بابـــــك عاضَّـــــا إصــــبعي [حيــــرةً]
وخرجــــت مــــن عنـــدك مصـــــفقا [مســــرورًا]

(١٥٣٣)

أســـاء القلـــب الظـــن فيـــك حـــين كـــان بعيـــدًا عنـــك
وذلـــك مـــن ضـــعفه أيضَـــا وهـــو بعيـــدٌ عنـــك
أنـــت مـــرٌّ فـــي فـــم كـــل مصـــابٍ بالصـــفراء
والســـكر نفســـه حســـدك وهـــو بعيـــدٌ عنـــك

(١٥٣٤)

مبـــــــدأ الســـــــرور خيالـــــــك الفتـــــــان
وأصـــــل الحـــــرارة، أيهـــــا القمـــــر، نـــــارك
ومـــن أن ظهـــر فـــي قلبـــي خيـــال وجهـــك
يـــا رب، كـــم هـــو جميـــلٌ وجهـــك الشـــبيه بـــالقمر!

(١٥٣٥)

مبـــــــدأ الســـــــرور هـــــــواك الجميـــــــل
وأصـــــل الحـــــرارة، أيهـــــا القمـــــر، نـــــارك
وكلمــــــــا عانــــــــد عاشــــــــق
تهدئـــــه طرتـــــك الجميلـــــة العنيـــــدة

(١٥٣٦)

ســــــــمعت مـــــــن الـــــــرّوح أنـــــــين غمــــــك
لا، الأرواح نفســــــــــــــــها ذرات غمــــــــــــــــك
وتلــــك الصـــــور التــــي تـــــتلألأ فــــي الــــداخل
تــــــتلألأ مــــــن ضــــــياء هــــــوى غمــــــك

(١٥٣٧)

منـــــــــذ أن ســـــــــمعت أنــــــين غمـــــــك
صــــــــرت راقصَـــــــا مثــــــل ذرات غمــــــك
ومـــن ضـــياء هـــوى غمـــك صـــارت الـــذرة ظـــاهرةً
وهــــوى غمـــــك لـــــيس مــــن الهـــــواء

(١٥٣٨)

ســــــمعت فـــــي الــــــروح هـــــوى غمــــك
لا، الأرواح نفســــــــــــــــها ذرات غمــــــــــــــــك
وهـــــذه الصـــــور التــــي تـــــتلألأ فــــي البــــاطن
إنمــــا تــــتلألأ مـــــن ضـــــياء هــــوى غمــــك

(١٥٣٩)

فـــــي لـــــوح القلـــــب الـــــذي أحرســـــه أنـــــا وأنــــت
كتبـــــت خطـــــا لكـــــي أقـــــرأه أنـــــا وأنـــــت
قلــــت: «أقــــول لــــك عنــــدما أبقــــى أنـــا وأنــــت»
هـــــذا أيضَـــــا لأننـــــي أعـــــرف وتعـــــرف

(١٥٤٠)

فـــــي الأصـــــل روحــــــي وروحـــــك واحــــــدٌ
وظهورنــــــا واحــــــدٌ واختفاؤنــــــا واحــــــد
ومــــن الســـذاجة أن تقـــول: «هـــذا لــــي وهـــذا لـــك»
فقـــــد زال أنـــــا وأنـــــت مــــن بينــــي وبينــــك

(١٥٤١)

فـــــي الأصـــــل، روحــــــي وروحـــــك واحــــــد
وظهورنــــــا واحــــــدٌ، واختفاؤنــــــا واحــــــد
ومــــن أجـــل الفهـــم فقـــط قلـــت: «هـــذا لـــي وهـــذا لـــك»
لأنـــــه لـــــيس ثمـــــة أنــــا وأنــــت بينــــي وبينــــك

(١٥٤٢)

أيها الروح والعالم [المعشوق والمحبوب] الروح والعالم عبدان لك
وقـــد صـــار العـــالم خُلـــوًا مـــن ضـــحكك الســـكَري
مضـــى مئـــة قـــرنٍ ولـــم تـــر الســـماء أيضًـــا
علــــــى امتـــــداد الزمـــــان، مثلــــــك

(١٥٤٣)

أنـــــــا عبـــــــدك، عبـــــــدُك، عبْـــــــدك
أنـــــــا عبـــــــدٌ لرحمتـــــــك الضــــــاحكة
يـــــا مـــــاء الحيـــــاة، كيـــــف يفكـــــر بـــــالموت
مــــن صــــار كالخضــــر حيــــا بســــببك؟!

(١٥٤٤)

لـــــــو حســـــــد قصـــــــب الســـــــكر ضـــــــحكتك

ولـــــو صـــــار الملـــــك والبطـــــل عبـــــدين لـــــك

لأن قبلتـــــــــــــك جيفـــــــــــــة الـــــــــــــدنيا

فأنــــت ميــــتٌ وكثيــــرٌ مــــن النــــاس رائحــــتهم نتنــــة منــــك

(١٥٤٥)

يـــــا مـــــن ســـــتار الـــــوهم جميـــــلٌ عنـــــدك

ويـــــا مـــــن وهـــــم الـــــذات فـــــي قلبـــــك المضـــــطرب

لســـت شـــيئا ولا يمكـــن جعـــل «مـــن لـــيس شـــيئًا»

كـــــالجوهر أحســـــن مـــــن هـــــذا فـــــي عينـــــك

(١٥٤٦)

نحـــــن مُـــــدّبرو العـــــالم، ولا تـــــدبير لنـــــا بوجـــــودك

نحـــن نـــاظرون إلـــى الـــروح، والـــروح نـــاظر إليـــك

والشـــــمس الـــــدائرة حـــــول الأرض هـــــي ســـــيارتك

وقـــد انشـــقّ القمـــر مـــن عشـــق شِـــقّة قمـــرك

(١٥٤٧)

دواء الملـــــــــــــل وجهـــــــــــــك وخـــــــــــــدك

وعينـــــــك المخمـــــــورة المســـــــببة للخمـــــــار

وفيـــــك ملـــــحٌ كيـــــرٌ، أتعـــــرف لمـــــاذا؟!

مـــــن أجـــــل عنـــــاد اكـــــل كبِـــــدِك

(١٥٤٨)

فيـــروز العـــالم [فـــاتح العـــالم] غلامـــك الفيـــروزي
وزنبيـــــل العـــــالم مســــتجدٍ عنــــد بابــــك
وإن خـــــدم الفلـــــك ترابـــــك لمئـــــة عـــــامٍ
فإنــــه لا يـــؤدي حـــقّ يـــومٍ مـــن أيامـــك

(١٥٤٩)

يـــــا مـــــن الفلـــــك سُـــــلمك الفيـــــروزي
إن زنبيـــــل العـــــالم مســــتجدٍ عنــــد بابــــك
وإن خـــــدم الفلـــــك ترابـــــك لمئـــــة عـــــامٍ
فإنــــه لا يـــؤدّي حـــقّ يـــومٍ مـــن أيامـــك

(١٥٥٠)

ذلـــــــك الـــــــذي حســـــــد لباســـــــك
دعـــــــه يحســـــــد قلبـــــــك المســـــــتبد
أو يحســـــــــد وجهـــــــــك الســـــــــعيد
أو يحســـــــد عظمـــــــة روحـــــــك العلـــــــيم

(١٥٥١)

قلـــــت: أيـــــن منزلـــــك، أيهـــــا المعشـــــوق
قـــــــــال: قلبـــــــــك الخـــــــــرب
أنـــــــا شـــــــمسٌ أدخـــــــل الخرائـــــــب
أيهـــــا الثمـــــل، خـــــرب الله منزلـــــك

(١٥٥٢)

عنـــــدما تطهــــر صـــــدرك مـــــن «ذاتـــــك»
صـــرت تـــرى نفســـك فـــي حبيبـــك القـــديم
إنـــك لا تســـتطيع أن تـــرى وجهـــك مـــن دون مـــرآة
انظــــر فــــي حبيبــــك ؛ لأنـــــه مرآتــــك

(١٥٥٣)

أيهـــا القمـــر، بكيـــت كثيـــرًا كالســـحاب فـــي غيابـــك
ولـــم أنظـــر إلـــى القمـــر بنشـــاطٍ فـــي غيابـــك
تخليـــت عـــن الـــروح عنـــدما جلســـت فـــي غيابـــك
ومـــت خجـــلًا عنـــدما لـــم أتحـــرر فـــي غيابـــك

(١٥٥٤)

مـــت خجـــلًا ؛ لأننـــي لـــم أتحـــرر فـــي غيابـــك
وتخليـــت عـــن الـــروح عنـــدما جلســـت فـــي غيابـــك
لـــم أتحـــرر مـــن يـــد فراقـــك فـــي غيابـــك
وبكيـــت دمًـــا مـــن يـــد الفـــراق فـــي غيابـــك

(١٥٥٥)

أقســـــــم بوجهـــــــك ووجـــــــودك
لـو كنـت أعـرف أحـدًا خيـرًا منـك لكـان هـذا ضـعة لـك
إن ســـــكرك وفقــــرك أتيــــا بــــك إلــــي
وأنــــا عبـــــدٌ لســـــكرك وفقــــركس

(١٥٥٦)

أيهـــا القلـــب، إذا كنـــت مطلعَـــا علـــى هـــذا الحـــديث

فلمـــــــــــاذا تريـــــــــــد انفصـــــــــــالك؟!

وإن غبـــــت لحظـــــة واحـــــدةً عـــــن الحضـــــور

فـــاعلم أنـــك فـــي تلـــك اللحظـــة مشـــركٌ فـــي الطريـــق

(١٥٥٧)

لـــــم تكـــــدح وتســـــعى فـــــي أوديـــــة الخيـــــال؟!

ولـــــم تغســـــل هـــــذه العـــــين بـــــدم القلـــــب؟!

الحـــقّ يملكـــك مـــن أعلـــى رأســـك حتـــى أخمـــص قـــدميك

يـــا مـــن لا خبـــر لـــك عـــن نفســـك، لمـــاذا تبحـــث؟!

(١٥٥٨)

أحســـــد المشـــــط والحجـــــر، أيهـــــا المعشـــــوق

فلمـــــاذا يـــــذهبان معـــــك إلـــــى الحمّـــــام

لـــــم يتعلـــــق ذلـــــك [المشـــــط] بطرتـــــك؟!

ولـــم يحـــك هـــذا [الحجـــر] وجهـــه براحـــة قـــدمك؟!

(١٥٥٩)

ابحـــــث عـــــن نفســـــك فـــــوق النـــــار كالقـــــدر

جـــــش بنفســـــك، لا تمـــــض إلـــــى كـــــل جهـــــة

إن مقصـــودك هـــو الجـــوهر، فـــانطلق وابحـــث عنـــه

أنـــت تجـــيش منـــه، ولـــذلك اغســـل الجـــوهر ســـريعًا

(١٥٦٠)

يـــا مــــن منعـــت النـــوم عنـــا بعينـــك الســـاحرة
أيــن مــاء الحيــاة وأطــراف الحــديث لســمر الســاهرين؟
متـــــى أرى المـــــاء وأنـــــا غريـــــق النهـــــر؟
أحـــــاط بــــي المــــاء مــــن الجهـــات الســـت

(١٥٦١)

أيهـــا المـــاء، اجـــر مـــن هـــذه العـــين الســـاهرة
أيتهـــا النـــار، امضـــي مـــن هـــذا الصـــدر الممـــزق
أيهـا الـروح، عنـدما ذهـب الجسـد الـذي كـان مسـكنًا لـك
لا تبحـــث عـــن جفافـــك، انـــدفع إلـــى المـــاء

(١٥٦٢)

أيهـــا القلـــب، إن لـــم تطـــق الغـــم فـــامض
إن شـــهرة عشـــقٍ مثـــل عشـــقك ليســـت قليـــل، فـــامض
أيهـــا الـــروح، تعـــال إن لـــم تخـــف
وإن خفـــت، فلـــيس هـــذا العمـــل عملـــك، فـــامض

(١٥٦٣)

أي ســـاقي الـــرّوح، امـــض إلـــى هـــذا الحســـن الصـــوت
هـــذا لحـــن الأزل، فـــامض إلـــى هـــذا اللحـــن
أيهـــا البـــازيّ، إذا ســـمعت طبـــل بـــازه
فـــإن الملـــك ينتظـــرك، فعـــد إليـــه ســـريعًا

(١٥٦٤)

العشـــــق هــــو الــــذي فيــــه كيميـــــاء الإشــــراق

وهـــو الســـحاب الـــذي فيـــه مئـــة ألـــف بـــرق

فـــــي داخلـــــي بحـــــرٌ مـــــن عظمتـــــه

والكائنــــــات جميعًــــــا غارقــــــة فيــــــه

(١٥٦٥)

بــــرغم أن الســــرو لـــــه قـــــد لا نظيــــر لــــه

أي مكـــــانٍ للســـــرو أمـــــام قـــــدّ حبيبــــــي؟

يقـــــول حينًـــــا: إن قـــــدّي مثـــــل قـــــدّه

يـــــا رب، أي دمـــــاغٍ مختـــــل لـــــدى الســـــرو

(١٥٦٦)

يــــا روح الــــروح، لا تــــذهب بحــــق إحســــانك

أنــــا ثمــــلٌ ثمِــــلٌ مــــن حليــــب ثــــديك

انثــــر الســــكر فــــي القفــــص، ولا تــــذهب

فيـــا ببغـــاء الـــروح، لا تـــذهب مـــن مزرعـــة ســـكرك

(١٥٦٧)

اجلـــس حينًـــا فـــي قلوبنـــا مثـــل الأســـرار، ولا تـــذهب

واجلـــس حينًـــا فـــوق رؤوســـنا كالعمامـــة ولا تـــذهب

قلـــت: «أذهـــب ســـريعًا وآتـــي ســـريعًا كالقلـــب»

لا تخـــدع أيهـــا المعشـــوق الـــذكيّ، ولا تـــذهب

(١٥٦٨)

أيهـــا المعشـــوق، لـــو ذهـــب الجميـــع، فـــلا تـــذهب

يـــا مؤنســـنا ومزيـــل غمنـــا، لا تـــذهب

امـــلأ الكـــأس، وناولنـــا الخمـــرة، واضـــحك كالســـكر

أيهـــا الســـاقي الجميـــل المـــزين للعـــالم، لا تـــذهب

(١٥٦٩)

أنـــا ثمـــلٌ مـــن شـــفتيك الســـكريتين، يـــا قمـــريَّ الوجـــه

أنـــا وضـــيعٌ أمـــام قـــدّك الصـــنوبري، يـــا قمـــريّ الوجـــه

إن وجهـــك كالـــذهب [أصـــفر] مـــن غـــم جســـمك الفضـــي

فـــلا تـــرك ذهبـــك، يـــا قمـــري الوجـــه

(١٥٧٠)

إذا صـــرت عاشـــق عشـــقنا، يـــا قمـــريّ الوجـــه

فـــاخرج مـــن هـــذه الجهـــات الســـتّ ذات الطيـــات

ادخـــل هـــذا العشـــق إن كنـــت باحثـــا

وادخـــل بحـــر القلـــب، فلـــم تكـــون عنـــد الشـــاطئ؟

(١٥٧١)

أيهـــا الحبيـــب، الرجـــل الـــذي تـــأتي منـــه رائحـــة الفقـــر

يعـــرف الفقـــراء مـــاذا يصـــدر عنـــه

والله إنّ الســـماء وكـــل مـــا فيهـــا

تظفـــر بنصـــيبٍ وبمـــا تحتـــاج إليـــه منـــه

(١٥٧٢)

ذلـــــك الـــــذي أنـــــا متـــــألم القلـــــب دائمَـــــا منـــــه
ومجـــــروح الصـــــدر ومصـــــفر الوجـــــه منـــــه
رمـــــــــاني اليـــــــوم بثمـــــــرةٍ تـــــــــدللا
المنـــــة لله، أننـــــي أكلـــــت ثمـــــرةً مـــــن ثمـــــاره

(١٥٧٣)

ذلـك الـذي وجهـه كشـقائق النعمـان، وأنـا مصـفرٌ الوجـه منـه
وذلـــك الـــذي هـــو دواءٌ للألـــم الـــذي ألمـــي كلـــه منـــه
رمـــــاني يومَـــــا بثمـــــرةٍ ونحـــــن فـــــي الســـــوق
لا يصـــــدق أحـــــدٌ أننـــــي أكلـــــت ثمـــــرةً منـــــه

(١٥٧٤)

ذلـــــك القـــــاطع لطريـــــق القلـــــب الـــــذي أرقـــــص بســـــببه
أنـــــا مثـــــل مـــــرآة خيـــــال الحســـــان بســـــببه
هـــــو الـــــرّوح الـــــذي عنـــــدما يـــــأتي راقصَـــــا
يـــــا رب، يـــــا ربّ، كيـــــف تغـــــدو روحـــــي بســـــببه

(١٥٧٥)

يـــــا ســـــــرورنا القريـــــــب، لا تبتعـــــــد عنّـــــــا
ولا تمـــــــــــل مجلســـــــــــنا ولا تهجـــــــــــره
كنـــــــت عِنَـــــــبَ العـــــــدم، فجعلـــــــوك شـــــــرابا
فـــــلا ترجـــــع أيهـــــا الشـــــراب، لا تصـــــر عنبـــــا

(١٥٧٦)

إن كنـــت عـــاقلا وعالمَـــا فصـــر أبلـــه بالعشـــق

وإذا كنـــت قمـــر الفلـــك قصـــر كتـــراب الطريـــق

صـــر واحـــدًا إزاء الحســـن والقبـــيح والشـــيخ والشّـــابّ

كـــن الـــوزير والبيـــدق، وصـــر بعـــد ذلـــك ملكـــا

(١٥٧٧)

إذا كـــــان لـــــديك أي ميـــــلٍ إلينـــــا فقـــــل

وإلا، فقـــــل إنـــــك عبـــــدٌ عاشـــــقٌ وحيـــــد

وإذا كـــــان فـــــي قلبـــــك مكـــــانٌ لـــــي فقـــــل

قلـــب بصـــدقٍ، إن كـــان موجـــودًا، وإن لـــم يكـــن موجـــودا

(١٥٧٨)

مـــــن لـــــي مثلـــــك فـــــي العـــــالمين؟ قـــــل

ومـــــن ذا الـــــذي عـــــاش مـــــن دون أملـــــك؟ قـــــل

إن أســـــئ أنـــــا وتجـــــازني أنـــــت بالســـــوء

فمـــــا الفـــــرق بينـــــي وبينـــــك؟ قـــــل

(١٥٧٩)

أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب، مـــن موجـــودٌ ســـواك؟ قـــل

أيعـــيش أحـــدٌ مـــن دون معشـــوق ومحبـــوب؟ قـــل

إن أســـــئ أنـــــا وتجـــــازني أنـــــت بالســـــوء

فمـــــا الفـــــرق بينـــــي وبينـــــك؟ قـــــل

(١٥٨٠)

أيهـــــا البلبـــــل البســـــتاني الثمـــــل، تـــــرنم
أنــــت ســــكر الـــــرأس وراحـــــة الـــــروح، تــــرنم
أنـــا ثمـــلٌ، ولـــيس فـــي وســـعي تشـــخيص نغمتـــك
فيـــا أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب، تـــرنم بقـــدر مـــا تســـتطيع

(١٥٨١)

أيهـــــا العــــــارف المنطيــــــق، تغــــــن بــــــالنغم
قـــــل قـــــولا صـــــحيحًا أو خاطئـــــا
افـــــتح أبـــــواب البســـــتان والمـــــرج
وكالبلبـــــل الثمـــــل، تحـــــدث عـــــن العرفـــــان

(١٥٨٢)

لا تتحـــــدث عـــــن الأســـــرار مـــــع الغربـــــاء
ولا تقـــــصّ حكايـــــة الحبيـــــب للمـــــردودين
ولا تتحـــــدث مـــــع الأغيـــــار، مثـــــل الأغيـــــار
ومـــع الجمـــل الآكـــل للشـــوك، لا تتحـــدث إلا عـــن الشـــوك

(١٥٨٣)

ألا أيهـــا الجســـد الترابـــي، لا تتحـــدث عـــن التـــراب
لا تتحـــدث إلـــى عـــن قصـــة تلـــك المـــرآة الصـــافية
فـــــي داخلـــــك صـــــفة مـــــن خـــــالق الأفـــــلاك
فـــلا تتحـــدث إلا عـــن صـــفة خـــالق الأفـــلاك

(١٥٨٤)

لا تســـــــــم حكـــــــــيم العشـــــــــق مجنونـــــــــا
لا تســـــــم جـــــــار الـــــــروح غريبـــــــا
لا تســـــــم البحـــــــر المحـــــــيط كأســـــــا
هـــو يعـــرف اســـمه فـــلا تتحـــدث بمـــا لا طائـــل فيـــه

(١٥٨٥)

أيهـــا المشـــفق علـــى الولـــد، أنشـــد (دوبيتَـــا)
أنشـــد مـــل لحظـــة «دوبيتَـــا» فـــي الموعظـــة
أنشـــد «دوبيتَـــا» فـــي الفـــراق والوصـــال
أمـــا فـــي صـــميم الغـــزل فأنشـــد عـــدّة «دوبيتـــات»

(١٥٨٦)

أهـــــــوى قمـــــــرًا ســـــــهامه عينـــــــاه
مـــا شـــوش عـــزم خـــاطري إلا هـــو
روحـــــي تلفـــــت ومهجتـــــي تهـــــواه
قلبـــي أبـــدًا يقـــول: يـــا هـــو، يـــا هـــو[1]

(١٥٨٧)

أي قلبـــي، أمســـك بعنـــان ملـــك الملـــوك
[قـل لـه:] انـزل هـذه الليلـة ضـيفًا علينـا يـا قمـريّ الوجـه
وإن قـــال: «غـــدًا»، فـــلا تســـمع وقـــل ســـريعًا:
«لا حـــــول ولا قـــــوة إلا بـــــالله»

(١) هذه الرباعية بالعربية في الأصل [المترجم].

(١٥٨٨)

في عبوديتك وضعت الحلقة في أذني أيها الملك

وفي خدمتك أسعى من صميم قلبي أيها الملك

وفي خدمتك أندفع كالظل

أنت أسدٌ وأنا عناق الأرض أيها الملك

(١٥٨٩)

منذ أن رأيت وجهك على حين غرة، أيها المعشوق

صرت حائرًا مندهشًا من العشق، وضللت طريقي

سترى أيها القمر، أنهم سيقولون يومًا في شأني:

«أنا الله» ؛ بسبب غم عشقك

(١٥٩٠)

أقول: انتهى الوقت أيها العمر

فيقول: «قمرٌ، تمّ تأخيرٌ!»

إذا انحرف القمر عن الشمس

صار، حالا، كالليل المعتم المظلم

(١٥٩١)

في طريق التوحيد، ما الطاعة وما الذنب؟

وفي فضاء الخرابات ما الدّرويش وما الملك؟

ووجه القلندري، أيّة قيمة لأن يكون لألاءً أو معتِمًا

وعلى شرفة العرش، ما الشمس وما القمر؟

(١٥٩٢)

أيهـــا القمـــر، أنـــت كفـــارةٌ لكـــل الـــذنوب
لا، أنـــت حبـــل يوســـف الـــروح فـــي الجـــب
لا، بـــل الـــدليل فـــي طريـــق الجنـــة
أنـــت مفتـــاحٌ لألـــف شـــمسٍ، أيهـــا القمـــر

(١٥٩٣)

اطلـــب منـــي فـــي العشـــق خلاصـــة الجنـــون
اطلـــب منـــي روحًـــا مزهقـــا وعقـــلا مخـــتلا
اطلـــب منـــي مئـــة واقعـــةٍ تتزايـــد يومًـــا فيومًـــا
اطلـــب منّـــي مئـــة باديـــةٍ مملـــوءةٍ بنـــار الـــدّم

(١٥٩٤)

لا تتـــب أنـــت، فـــإني كســـرت التوبـــة
لا تـــأتي توبـــة أبـــدًا مـــن روحـــي الثمـــل
تبـــت مئـــة مـــرةٍ وألـــف مـــرة
وتبكـــي التوبـــة دمًـــا مـــن ممـــاطلتي

(١٥٩٥)

يقـــول لـــي الفلـــك: «يـــا مـــن أنـــت حـــائرٌ مثلـــي»
الحـــائر هـــو، ومـــا يخلـــق منـــه،
فـــلا يكـــون حـــائرًا مـــن لديـــه تفكيـــرٌ بالحبيـــب
الـــذي منـــه يأخـــذ كـــل فلـــكٍ مبـــدأه

(١٥٩٦)

عنـــــدما تصـــــل إلـــــى الجـــــوهر غيـــــر المثقـــــوب
تجتمــــع لــــك الأفكـــــار، وتـــــذاع لـــــك الأســـــرار
وإن صـــار مخـــزن قـــشّ العـــالم مضـــطربًا مـــن الـــريح
فهـــو عنـــدك كحبـــة شـــعير عنـــدما تكـــون ثمـــلا ونائمَـــا

(١٥٩٧)

كنـــت أحتســـي الخمـــرة مـــع المعشـــوق المضـــطرب
غلبنـــي النعـــاس، ولـــم أتحـــدث عـــن أحـــوال قلبـــي
صـــــحوت مـــــن نـــــوم الســـــكر فرأيـــــت
المعشـوق قـد ذهـب، والشـمع قـد انطفـأ، والسـاقي قـد نـام

(١٥٩٨)

يــــــا مـــــن روحـــــك لائـــــمٌ للمقصـــــرين
إن اضـطراب روحـك عـذرٌ أيضًـا لاضـطراب أرواحهـم
وإن أحــــــاط طوفــــــان الــــــبلاء بالعــــــالم
فهـو عنـدي كحبتـي شـعيرٍ عنـدما أكـون ثمـلاَ ونائمـا

(١٥٩٩)

يــــــا مـــــن منعـــــت نـــــومي ودفنتـــــه
جعلـــــت ليلـــــي حـــــائرًا وجعلتنـــــي مجنونًـــــا
وقـــد قطعـــت عنـــق الـــروح بتعويـــذتك الحـــارة
وأخرجـــــت القلـــــب مـــــن المنـــــزل ظلمـــــا

(١٦٠٠)

يـــا مـــن جعلـــت العميـــان بلطفـــك مبصـــرين للطريـــق
وجعلـــــت المجـــــوس أئمـــــة فـــــي الـــــدين
وجعلـــت الـــدراويش فـــي الملـــك مثـــل كســـرى
يـــا مـــن ذهبـــت بكســـرى وجعلتـــه شـــيرين

(١٦٠١)

يـــا مـــن مِـــتّ فـــي طلـــب حـــلّ المشـــكلات
يـــا مـــن ولـــد بالوصـــال ومـــات بـــالفراق
يـــا مـــن نمـــت عنـــد شـــاطئ البحـــر عطشـــان
ويـــا مـــن مـــت عنـــد الكنـــز مـــن الاســـتجداء

(١٦٠٢)

يـــا مـــن خبـــز النـــاس خبـــزهم بملحـــك
ووضـــعت علـــى مركبـــك إشـــارةً وعلامـــة
مـــن الحَيـــف أن يـــذهب ذلـــك الفضـــي الجســـد
إلـى المـنجم خفيـة مثـل الـروح ولـم يلتفـت إلـى أهـل الـدنيا

(١٦٠٣)

يـــــا رب أعطـــــه حبيبًـــــا حافيًـــــا
أعطـــه معشـــوقا ســـيئ الطبـــع آكـــلا للكبـــد
لكـــي يعـــرف نـــوع الغـــم الـــذي يلقـــاه العاشـــقون
أعطــه عشــقا أعطــه عشــقا، أعطــه الكثيــر مــن العشــق

(١٦٠٤)

إنـــــه فصـــــلٌ مبـــــارك مثـــــل وصـــــل الحبيـــــب
ومـــــن مـــــوت الجســـــد أضـــــاء مصـــــباح القلـــــب
ومـــــن ضـــــحكة البـــــرق بكـــــى الســـــحاب
ومـــــن بكـــــاء الســـــحاب ضـــــحك البســـــتان

(١٦٠٥)

أيّهـــــا الحبيـــــب، لا تهمـــــس لـــــي كثيـــــرًا
لأن هـــذا الهمـــس يأخـــذ منّـــي كـــلّ صـــغير وكبيـــر
وحـــــقّ روحـــــك ورأسِـــــك أقـــــول أمامـــــك معجبًـــــا:
مـــن الهمـــسِ أســـخّن المـــاء للجميـــع [أروّج أعمـــالهم]

(١٦٠٦)

يـــــا رب، لا تســـــلمني إلـــــى نفـــــسٍ مـــــذل
لا تـــــــدعني موافقـــــــا إلا لـــــــك
أفـــــر إليـــــك مـــــن فتنـــــة نفســـــي
أنـــــا لـــــك فـــــلا ترجعنـــــي إلـــــى نفســـــي

(١٦٠٧)

يـــــا كـــــم أجريـــــت ملكـــــك ودولتـــــك يـــــوم «ألســـــت»
يـــــا مـــــن قـــــرأك العبـــــد مثـــــل «قـــــل هـــــو الله»
ادخـــــل بـــــابي مثـــــل ضـــــياء النهـــــار
وانظـــــر فـــــإن رقبتـــــي بقيـــــت ملتفتـــــة نحـــــو البـــــاب

(١٦٠٨)

يـــا مـــن أنــت حتــى بــروح هــذا العــالم
أخــزاك الله، لــم أنــت حــيّ هكــذا؟
لا تكــن مــن دون عشــق، لكــي لا تكــون ميتًــا
مــت بالعشــق، لكــي تبقــى حيّــا

(١٦٠٩)

يـــا مـــن ســرق السَّــرو قــدّه مــن قامتــك
يـــا مـــن مــزق الــورد أمامــك قميصــه
بـــالله عليـــك، خـــذ مـــرآةً [وانظـــر فيهـــا لكـــي تتبـــين:]
أســمعت أو رأيــت مثلــك؟

(١٦١٠)

البارحــة ذهبــت إلــى المــرح مضــطربًا
بســبب عشــقك، وثيــابي ممزقــة كــالورد
ومــن كــل حســنات الربيــع لــم أحــظ
فــي غيابــك إلا بمــاءٍ جــارٍ مــن عينــي

(١٦١١)

ســرقت منّــي ثلاثــة أشــياء مختــارة:
صــبرًا مــن القلــب، ولونًــا مــن الوجــه، ونومًــا مــن العــين
أنــت مــاهرٌ ؛ لأنّ عملــك صــحيح
لــم يلــد تصــوير العقــول أحــدًا مثلــك

(١٦١٢)

هـــــو كنـــــزٌ مخفـــــيّ فـــــي الأرض مســـــتور

محجـــوبٌ عـــن أهـــل الكفـــر وأهـــل الـــدّين

رأينـــــا العشـــــق مســـــتورًا يقينًـــــا

وقـــد صـــرنا عـــراةً مـــن أجـــل هـــذا المســـتور

(١٦١٣)

يـــــا مـــــن فارســـــيتك وعربيتـــــك مخفيـــــة

رأى الـــروح القـــدح ولـــم يشـــرب الخمـــرة

لا بـــدّ أن يجـــيش البحـــر مـــن فضـــل الحـــق

إن ســـعي الســـاعي لأمـــرٌ واضـــح

(١٦١٤)

يـــــا مـــــن نحـــــت بســـــببك بوقاحـــــة

فســـــمعت الغيـــــرة، وفركـــــت أذنـــــي

ســـأذهب إلـــى مكـــانً وأنـــوح مـــن دون أن يرانـــي أحـــد

فـــي ذلـــك المكـــان الـــذي لا يطلـــع عليـــه قلـــبٌ ولا عـــين

(١٦١٥)

يـــا مـــن العـــالم بوجـــودك ظريـــفٌ ومملـــوء بالســـرور

أنـــــت جـــــامع الســـــرور، ونحـــــن أشـــــتاتٌ

الشـــــمس وحـــــدها تعطـــــي العـــــالم

مـــــا لا يعطيـــــه القمـــــر وألـــــف نجـــــم

(١٦١٦)

قلـــــت: «مـــــاذا أفعــــل؟» قــــال: «أيهـــــا المســــكين»

اجعـــــــل عملـــــــك كلـــــــه «مـــــــاذا أفعــــــل»

وإن تأذيـــت مـــن قولـــك «مـــاذا أفعـــل» وصـــرت حـــائرًا

فســـتذهب إلـــى المكـــان الـــذي كنـــت فيـــه دائمًـــا»

(١٦١٧)

عـــــــاد الحبيـــــــب بقلـــــــبٍ كالحجـــــــارة

ومـــــن حجارتـــــه صـــــار قلبـــــي مئـــــة قطعـــــة

كنـــــت فـــــي مجلـــــسٍ وقـــــد أمســـــك بـــــي عشـــــقه

كالصـــــــــنج وأنـــــــــا لا حيلـــــــــة لـــــــــي

(١٦١٨)

بــــــاعني الحبيـــــب بقليـــــل مـــــن الخضـــــار

لهـــل ذلـــك الحبيـــب المخلـــص يشـــتريني ثانيـــة

وقـــد ضـــرب مـــثلا جيـــدًا صـــاحب الشـــجرة:

مـــن اشـــترى بـــرخيصٍ بـــاع بـــرخيص

(١٦١٩)

نحــــن رجــــالٌ جالســــون فــــي وادٍ ضــــيق

نحــــن الــــذين مــــرّ بنــــا الــــذئب والأســــد

وقــــد امتزجنــــا بــــالفقر والصــــفاء

مثلمـــا يكـــون عنـــد ارتضـــاع الخـــروف النعجـــة

(١٦٢٠)

بـــــــدا وجهــــــك كالصــــــلاة وعينــــــك كالصــــــيام

وهــــذان الاثنــــان يســــتجديان عنــــد شــــفتك

وقــــد اكتســـبت إثمَـــا، لعلنـــي كنـــت ثمـــلا

وشــــربت مــــاءك، وكســــرت الكــــوز

(١٦٢١)

افتـــرض أن هـــذا الصـــيام مثـــل الســـلة

لكـــي يســـتجدي لـــك الصـــوم مـــن الحـــق

إن مـــاء الحيـــاة يبـــرد القلـــب المحتـــرق

وهـــذا الصـــوم كـــالكوز، فـــلا تكســـر الكـــوز

(١٦٢٢)

هـــا قـــد جـــاءت نوبـــة الصـــبر وشـــهر الصـــيام

فـــلا تتحـــدث عـــن القصـــعة والكـــوز أيامَـــا قليلـــة

در حـــول مائـــدة الفلـــك مـــن أجـــل الاســـتجداء

لكـــي يـــتخلص قطـــن الـــروح مـــن لـــوزة القطـــن

(١٦٢٣)

الحيـــــرة حرفـــــة لأصـــــحاب النظـــــر

وللعميـــــان التفكـــــر والتأمـــــل

إن مئـــة فـــرعٍ طيـــب مـــن الغيـــب نـــاثرة الـــورد عليـــك

فلمـــاذا تضـــرب فـــرع الرّضـــى بالفـــأس

(١٦٢٤)

هنـــــــــاك روحٌ غـــــــــذاؤه الغـــــــــم والخـــــــــوف
وهنـــــــاك روح آخـــــــر مثـــــــل أســـــــد الغــــــاب
إن التفكيـــــر مثـــــل الفـــــأس، فـــــلا تفكـــــر جزافـــــا
فحـــــــــــــذار أن تقتـــــــــــــل نفســـــــــــــك

(١٦٢٥)

جـــــــاءني خيـــــــال المعشـــــــوق منـــــــذ الفجـــــــر
فـــي يـــده قـــدح الخمـــرة [قـــائلا:] خـــذه منـــذ الفجـــر
اشـــــرب هـــــذه الكـــــأس حتـــــى النهايـــــة منـــــذ الفجـــــر
وادخـــــل ثمـــــلا بـــــين الثملـــــين منـــــذ الفجـــــر

(١٦٢٦)

انتهـــــى الوقـــــت، ولـــــم يتحـــــرّر القلـــــب مـــــن النـــــواح
ولا يمكـــن الحـــديث عـــن غـــم مئـــة ســـنةٍ فـــي يـــوم واحـــد
أيهـــا المعشـــوق والحبيـــب، إن مـــن يعـــرف غصّـــة انقضـــاء
الوقـــــــــت هـــــــــو مـــــــــن ضـــــــــاع عملـــــــــه

(١٦٢٧)

يـــــــا أميـــــــر مليحـــــــي العـــــــالم، شـــــــيءٌ لله[1]
ويـــــــا راحـــــــة الـــــــروح وطمأنينتـــــــه، شـــــــيء لله
يـــــا مـــــن كـــــل صـــــباحٍ تقـــــول شـــــمس العـــــالم
أمـــــــــــام وجهـــــــــــك: «شـــــــــــيء لله»

(١) يعني تعبير « شيءٌ لله » في العرفان الإسلامي : « أعطنا من أجل الله » [المترجم].

(١٦٢٨)

انتزعت قلبي، أيها المعشوق المغرور

وجرحته، وجعلته ألف قطعة

أستعيد القلب بألف حيلةٍ

والناس يعطون الثوب للخياط السيئ مرة واحدة

(١٦٢٩)

أنت من وجودك وعدمك هو

وأساس سرورك وغمك هو

وليس لديك العين لكي تنظر إليه

وإلا فأنت من رأسك إلى أخمص قدمك هو

(١٦٣٠)

برغم أنكم جميعًا أسارى في هذا الحجاب

فإن تحرجوا من هذا الحجاب فأنتم أمراء

يقول ماء الحياة للناس:

«موتوا جميعًا عند شاطئ نهرنا»

(١٦٣١)

نحن جميعًا لعبة قدرة الحق

الغني له، ونحن الفقراء

فلم يطلب كلّ منكم الآخر بإلحاح؟!

في النهاية نحن أهل بيت واحد

(١٦٣٢)

نحـــــن جميعَـــــا مرايـــــا، نحـــــن جميعَـــــا وجـــــوه
وكلنــــــا ثملـــــــون مـــــــن كـــــــأس البقـــــــاء
وكلنــــــا دافعـــــــون لـــــــلأم، وكلنــــــا شـــــــفاء
وكلنــــــا مـــــــاء الحيـــــــاة، وكلنــــــا ســـــــقاؤون

(١٦٣٣)

أنـــــــت مـــــــاءٌ ونحـــــــن جميعَـــــا أعشـــــــاب
أنـــــــت ملـــــــكٌ، ونحـــــــن جميعَـــــا مســـــــتجدون
أنـــــــت القائـــــــل، ونحـــــــن جميعَـــــا صـــــــدى
أنـــــــت الباحـــــــث فلِـــــــمَ لـــــــم نـــــــأت جميعَـــــا؟!

(١٦٣٤)

أتعـــــــرف مـــــــا الليـــــــل، اســـــــمع أيهـــــا العاقـــــــل
إنّـــــــه مبعـــــــد العاشـــــــقين عـــــــن الغربـــــــاء
خاصـــــــة هـــــــذه الليلـــــــة التـــــــي القمـــــــر فيهـــــا مُســـــــاكنِي
أنـــــا ثمـــــلٌ، والقمـــــر عاشـــــقٌ، والليـــــل مجنـــــون

(١٦٣٥)

عليـــــك أن تصـــــير بعيـــــدًا عـــــن صـــــحبة الغربـــــاء
واســـــتمع إلـــــى قـــــول الحـــــق مـــــن هـــــذا المجنـــــون
تمـــــلأ مئـــــة بيـــــتٍ بالشـــــهد مثـــــل النحـــــل
إن تَبعِـــــــد بيتَـــــــك عـــــــن بيـــــــوتهم

(١٦٣٦)

قلـــــــت: أنـــــــت الخمـــــــرة وأنـــــــا الكـــــــأس

أنـــــــا ميـــــــتٌ، وأنـــــــت الـــــــروح المعشـــــــوق

والآن افـــــتح بـــــاب الوفـــــاء، قـــــال: اصـــــمت

أيتـــــــرك أحـــــــدٌ مجنونَـــــــا فـــــــي بيـــــــت؟!

(١٦٣٧)

قلـــــــت: «صـــــــرت مجنونَـــــــا مـــــــن عشـــــقك:

هـــــل أرى طرتـــــك فـــــي المنـــــام أو لا أراهـــــا؟»

قـــــال: «اصـــــمت، إلـــــى متـــــى هـــــذه التّرهـــــات؟!»

مجنـــــونٌ ونـــــومٌ؟ عجبَـــــا لـــــك أيهـــــا العاقـــــل»

(١٦٣٨)

طرتـــــك هـــــي التـــــي لـــــم يضـــــئ بســـــببها نهـــــاري

ووصـــل رأس طرتـــك إلـــى التـــراب ولـــم يصـــل إلـــي

وكــل شـــيء وصـــل إليـــه رأس طرتـــك صـــار حيَـــا بســـببه ؛

لأن هـــــــذا الـــــــرأس روحٌ كلـــــــه، لا جســـــــد

(١٦٣٩)

مـــــــن غـــــــاب عـــــــن نفســـــــه لا تؤاخـــــــذه

وعنـدما صـار فانيَـا بـالخمرة لا تضـع عليـه علامـة الوجـود

إن تمزيـــــــق القيـــــــد ســـــــهلٌ علـــــــى الرجـــــــال

فـــــلا تضـــــع أي قيـــــدٍ علـــــى الجمـــــل الثمـــــل

(١٦٤٠)

الميـــدان واســـعٌ، لكـــن رجـــل الميـــدان غيـــر موجـــود
وأحـــــوال الـــــدنيا ليســـــت كمـــــا تعرفهـــــا
يشـــــــبه ظـــــــاهرهم الأوليـــــــاء ولكـــــــن
لـــــــيس فـــــي بـــــاطنهم رائحـــــة الإســـــلام

(١٦٤١)

إذا كـــــان علـــــى العبـــــاد مـــــا أهـــــواه
مـــــا يـــــذكرنا فكيـــــف مـــــا ينســـــاه
قـــــــد ران بـــــــه القلـــــــوب والأفـــــــواه
قـــــــد أحســـــــن لا إلـــــــه إلا هـــــــو[1]

(١٦٤٢)

عشـــــقٌ غلـــــب القلـــــب وقـــــد صـــــار بـــــه
حتـــــى فنـــــي القلـــــب بمـــــا جـــــاز بـــــه
القلـــــب كطيـــــرٍ خفـــــض الـــــريش بـــــه
عشـــــقٌ نَتَـــــفَ الـــــريش وقـــــد طـــــار بـــــه

(١٦٤٣)

يجتـــــاز الأرض وهـــــو فـــــي مشـــــيته
كـــــي يقتـــــل عاشـــــقيه مـــــن حســـــرته
مـــــا ثـــــمّ ســـــوى أنـــــك فـــــي الحـــــب لـــــه
أرضٌ لعلـــــيُ تغـــــور مـــــن نظرتـــــه

(١) هذه الرباعية والثلاث التي تليها بالعربية في الأصل [المترجم].

(١٦٤٤)

السـكر صـار كاسـدًا مـن شـفتيه
والبـدر تـراه سـاجدًا بـين يديـه
بالحسـن عليـه كـل شـيء وافـر
إلا فمـه، فإنـه قـد ضـاق عليـه

(١٦٤٥)

انهـض وادخـل إلـى ذلـك الطيـب السـمعة
ادخـل فـي صـحبة ذلـك الحبيـب المـروح للقلـب
تخلـص مـن هـذا الفـخ، وادخـل فـي ذلـك الفـخ
ولـو دفعـك مـن البـاب، فادخـل مـن السـقف

(١٦٤٦)

الليلـة الماضـية جـاء القمـر إلـى البيـت عنـد وسـادتك
قلـت: أضـرب رأسـه وقدمـه مـن الغيـرة
مـا القمـر لكـي يجلـس معـك فـي مكـان واحـد؟
طـوافٌ فـي الليـل، وسـائحٌ، ومشـارٌ إليـه بالبنـان

(١٦٤٧)

يـا مـن عطفـت علـي بلطفـك
وجعلـت ذريعـة الآن لـدفعي
لـو عاملـت الجميـع بمثـل هـذا العشـق
لمـا عرفـت قيمـة أي حبيـب

(١٦٤٨)

اللطـــــــف الـــــــذي لاطفتنـــــــي بـــــــه لـــــــيلا
ألقيتـــــــه اليـــــــوم وراءك مثـــــــل طرتـــــــك
عينـــــك ثملـــــة منـــــك وأنـــــا ثمـــــلٌ مـــــن عينـــــك
ولـــــم تنشـــــغل عـــــن ذلـــــك الثمـــــل بهـــــذا الثمـــــل

(١٦٤٩)

يـــــا مـــــن أشـــــعلت وجهـــــك كالنـــــار
إلـــــى متـــــى تحرقنـــــي؟ لقـــــد أحرقتنـــــي مئـــــة مـــــرة
تقـــــول: لـــــم تـــــديم النظـــــر إلـــــى وجهـــــي؟!
لا لا، لـــــــــم تعلمنـــــــــي ذلـــــــــك

(١٦٥٠)

أيتهـــــا الشـــــمس التـــــي أشـــــعلت وجهـــــك
قـــــد علمـــــت الكمـــــال بشـــــعاعك
كـــــل النجـــــوم التـــــي أشـــــعلتها
أنـــــت أكثـــــر منهـــــا ؛ لأنـــــك احترقـــــت أكثـــــر

(١٦٥١)

تعـــــال اليـــــوم ؛ فقـــــد تزينـــــت جيـــــدًا
لعلـــــك نهضـــــت مـــــن وســـــط الحســـــن
اصـــــعد إلـــــى الفلـــــك وافـــــرك أذن القمـــــر [عاقبـــــه]
وادخـــــل البســـــتان، لأنـــــك ســـــروٌ مـــــزدان

(١٦٥٢)

مـــــــــلأت روحـــــــــي بـــــــالطرب كالســـــــــكر

وجعلتنــــــــــي كــــــــالورق فــــــــي الســــــــكر

واليـــــــــوم تحـــــــيط بــــــــي الضـــــــحكة

فـــــأي ضـــــحكات جعلـــــــت فــــــي فمـــــــي!

(١٦٥٣)

أيهـــا الحبيـــب، هـــا قـــد نزعـــت قلبـــك عـــن الحبيـــب

أيكـــون مـــن الأفضـــل أن تنـــزع قلبـــك عـــن الحبيـــب؟!

لا يكـــاد جلـــد العـــدو يتســـع لـــه مـــن الســـرّور ؛

لأنـــــك نزعـــــت قلبـــــك عـــــن الحبيـــــب

(١٦٥٤)

لـــــيس هـــــذا مـــــا ظننتـــــه طريـــــق الوصـــــال

ولـــــيس هـــــذا عـــــالم الـــــروح الـــــذي تركتـــــه

العـــين التـــي شـــرب الخضـــر منهـــا مـــاء الحيـــاة

هـــــي فـــــي طريقـــــك لكنـــــك ملأتهـــــا

(١٦٥٥)

يـــــا مـــــن لـــــك وطـــــنٌ فـــــوق الفلـــــك

وظننـــــت نفســـــك مـــــن العـــــالم الطـــــاهر

رســـــمت علـــــى التـــــراب صـــــورتك

وتركـــــت مـــــا هـــــو أصـــــلك

(١٦٥٦)

[أنـــــا فســـــيلك] فـــــإن ســـــقيتني زرعـــــت فســـــيلك
وإن وضـــــــــــعتني فقـــــــــــد رفعتنـــــــــــي
كنـــــت ترابًـــــا تحـــــت أقـــــدام الأخســـــاء
ثـــــم رفعتنـــــي كالفلـــــك أيهـــــا القمـــــر

(١٦٥٧)

أنـــت تضـــحك، هـــا قـــد ظفـــرت بالذريعـــة
وبـــــدأت فـــــي بيتـــــك بـــــالمكر والخديعـــــة
يـــا مـــن أغمضـــت عينـــك مثـــل المظلـــومين
هـــا قـــد شـــققت الشـــعرة فـــي المكـــر والحيلـــة

(١٦٥٨)

يـــــا مـــــن كنـــــت ملازمًـــــا للعبنـــــا
هـــــذا مجلـــــسٌ للـــــروح فلـــــم تتنحّـــــى؟!
كنـــت كالسوســـن والســـر متحـــررًا مـــن الغـــم
وقـــد صـــرت عبـــدًا للغـــم، منـــذ أن صـــرت ســـيدا

(١٦٥٩)

أيهـــا الســـرور الفـــاني، هـــا قـــد صـــرت موجـــودًا
أيهـــا الشـــيخ الزاهـــد، هـــا قـــد صـــرت عابـــدًا للصـــنم
لا غـــــــــم إذا صـــــــــرت فقيـــــــــرًا
وقـــد صـــرت ثمـــلا مـــن الكـــوز الواســـع الفـــم

(١٦٦٠)

يـــــا مـــــن صـــــرت روحَـــا لروحـــي
هـــا قـــد صـــرت شـــمع الإيمـــان فـــي ظلمـــة الكفـــر
وصـــــرت منشـــــدًا فـــــي قلبـــــي
وصـــرت راقصَـــا فـــي رأســـي مثـــل الخمـــرة

(١٦٦١)

لا أعــــرف بــــأي طريــــق جئــــت اليــــوم
فقــــد جئــــت ثمــــلا منــــذ أول الصّــــباح
وإن تشــــرب دم قلبــــي فلــــن أتخلــــى عنــــك ؛
لأننــــي حصــــلت عليــــك بــــدم قلبــــي

(١٦٦٢)

أيهـا المعشـوق الفتـان، هـا قـد جئـت جمـيلًا وناضـر الوجـه
جئــت ضــاحكًا عاضَــا علــى شــفتك الياقوتيــة
ألـيس بكـافٍ أن نزعـت فـي ذلـك اليـوم قلبـي مـن صـدري
حتــى جئــت اليــوم مــرةً أخــرى قاصــدًا روحــي؟!

(١٦٦٣)

إذا كنـت مـع الجميـع، ولسـت معـي، فلسـت مـع الجميـع
وإذا كنـت مـن دون الجميـع، وكنـت معـي، فأنـت مـع الجميـع
لا تكـــن فـــي قيـــد الجميـــع، كـــن أنـــت الجميـــع
أنـــت صـــاحب اللحظـــة التـــي أنـــت مســـخرٌ لهـــا

(١٦٦٤)

لــــــولا نـــــار عشـــــقك مــــا شـــــربت مـــــاءً
ولـــــولا نقـــش خيالــــك مـــا رأيـــت منامَــــا
وفـــي مائـــك الـــذي هـــو كالشـــراب الصـــافي
أئـــــــــنّ وأدور مثـــــــــل الـــــــــدّولاب

(١٦٦٥)

يـــا مـــن فـــي قلـــب كـــل إنســـانٍ ضـــياءٌ مـــن حبـــك
ويـــا مـــن لـــك أن تضـــرعٌ فـــي كـــل محـــراب
لا بـــدّ مـــن ليـــلٍ خالـــدٍ وضـــياء قمـــرٍ جميـــل
لكـــي أحـــدثك عـــن الغـــم بكـــلّ أنواعـــه

(١٦٦٦)

خوخـــة واحـــدة مـــن تلـــك الشـــفة العُنّابيـــة
مـــلأت الـــدنيا برائحـــة التفـــاح والكمثـــرى
مـــزّق [الحبيـــب] حجـــاب الليـــل وحجـــاب النهـــار
ومـــن أجـــل عشـــق وجهـــه، وا عجبَـــا لهـــذه الوقاحـــة

(١٦٦٧)

إن وجـــدت نفســـك لحظـــة نـــديمًا للحبيـــب
وجـــدت فـــي تلـــك اللحظـــة نصـــيبك مـــن العمـــر
فحـــــذار أن تضـــــيع تلـــــك اللحظـــــة ؛
لأنّـــك لـــن تظفـــر بتلـــك اللحظـــة مـــرةً أخـــرى

(١٦٦٨)

أيهـــا الـــرأس أنـــت ســـببٌ فـــي ســـبب فـــي ســـبب
أيهـــا الجســـم أنـــت عجـــبٌ فـــي عجـــبٍ فـــي عجـــب
أيهـــا القلـــب، أنـــت طلـــبٌ فـــي طلـــبٍ فـــي طلـــب
أيهـــا الـــروح أنـــت طـــربٌ فـــي طـــربٍ فـــي طـــرب

(١٦٦٩)

يـــا مـــن قعـــدت فـــي أول الطريـــق، تطلـــب الطريـــق
ووقعـــت فـــي بيـــدر القمـــر تطلـــب القمـــر
وفـــي بئـــر غمـــازة يوســـف الحســـن
أنـــت الـــدلو، تطلـــب يوســـف البئـــر

(١٦٧٠)

إذا لـــم تـــردّ ســـلامنا [فـــلا بـــأس]
لأنـــك كلـــك نشـــاط وســـلامٌ مثـــل الخمـــرة
أنـــت راعـــي العـــالم وأمـــان الأرواح
فـــإذا لـــم تـــدفع الـــذئب فهـــذا عجيـــب عجيـــب

(١٦٧١)

ذهبـــت إلـــى الحبيـــب مـــن غيـــر قصـــد
فقـال: «انصـرف عـن بـابي ؛ لأنـك ثمـلٌ فـي هـذه اللحظـة»
قلـــت: «افـــتح البـــاب، فلســـت ثمـــلاً»
فقـــال: «اذهـــب، إنـــك علـــى مـــا أنـــت عليـــه»

(١٦٧٢)

عندما يمد المعشوق يده نحو الكأس
يأتيه من كل عدمٍ سُكرٌ
فإذا كانت رائحة الشراب تثير مثل هذه الفتنة
فانظر ما حدث عندما وصل إلى القدح

(١٦٧٣)

تحرق عينك بكل غمزةٍ ثملا ؛
لأنك سفكت آلف دمٍ بفتنتك
فني القلب، وليس لديه ثبات
من يد إنسانٍ ليس لديه قدرة

(١٦٧٤)

إن جيرة الثمل تضاعف السكر
وعندما صرت ثملا تحررت من الوجود
وعندما جلست في صفّ الرجال تحررت
وعندما شربت الخمرة تحررت من الماء والنار

(١٦٧٥)

قلت لأستاذي وأنا ثملٌ:
أخبرني عن الفناء والوجود
فأجابني وقال: اذهب
أبعد أذاك عن الخلق، تتحرر

(١٦٧٦)

شـــبعت أنـــت، ولـــم أشـــبع مـــن هـــذا الســـكر
صـــرت عـــدمًا وأنـــت علـــى مـــا أنـــت عليـــه
فمـــا دام المـــاء ينصـــبّ مـــن ميـــزاب الطـــاحون
فـــإن الحجـــر يـــدور والمـــاء ينحـــدر إلـــى الأســـفل

(١٦٧٧)

قلـــت: «أي طريـــقٍ هـــو طريـــق الوجـــود؟»
قـال القلـب: «إن طريـق الوجـود إنمـا هـو فـي التواضـع»
فقلـــت: «لـــم يفـــر القلـــب مـــن التواضـــع؟»
قـــال: «لأنّـــك علقـــت قلبـــك بهـــذا [الوجـــود]»

(١٦٧٨)

لا بـــدّ مـــن أن تمـــر بـــروض الحبيـــب
لا بـــدّ مـــن نظـــرةٍ واحـــدة إلـــى محيـــاه
كنـــت ســـباقًا فـــي عـــدم المعرفـــة
ولا بـــدّ مـــن أن تطلـــع علـــى أنـــواع عـــدم المعرفـــة

(١٦٧٩)

قلـــت كثيـــرًا حتّـــى زاد ذلـــك عـــن حـــد البيـــان
ودرت حولـــه حتـــى صـــرت إيـــاه
وكثيـــرًا مـــا أجريـــت ســـفينة الكـــلام فـــي المـــاء
فلـــم تبـــق ألـــواح الســـفينة، ولا أنـــت، ولا الســـفينة

(١٦٨٠)

أيهـــــــا القمـــــــــر، طلعـــــــــت وصـــــــــرت لألاء
ودرت حـــــــــــول فلكــــــــــك متبختـــــــــــرًا
وعنـــــــدما عرفـــــــت أنـــــــك أمـــــــام الـــــــروح
نزلـــــــت علـــــــى حـــــــين غـــــــرة، وغبـــــــت

(١٦٨١)

مـــــن عشــــق الأزل صـــــرت منشـــــدًا وقـــــوالا
ومـــــن حيـــــرة العشــــق صــــرت أحمــــق وجــــاهلا
ومـــــن كثـــــرة مـــــا مـــــتّ مـــــن غمّـــــه أنقـــــذت نفســـــك
ومـــــن كثـــــرة مـــــا تحـــــدثت عـــــن غمـــــه صـــــرت إيـــــاه

(١٦٨٢)

مـــــل ليلـــــةٍ عنـــــدما تصـــــير جليسَـــــا لـــــي
تكـــــون كنـــــور القمـــــر عنـــــدما تقـــــع علـــــى الأرض
أنـــــــا عبـــــــدٌ لعينـــــــك الثملـــــــة الناعســـــــة
عنـــــــدما تقـــــــع هكـــــــذا وهكـــــــذا

(١٦٨٣)

الليلـــــة الماضـــــية تركتنـــــي، فنمـــــت نومَـــــا هانئَـــــا
وفـــــي هـــــذه الليلـــــة تنـــــام فـــــي كـــــل ناحيـــــةٍ بـــــدهاء
قلـــــت: «أنـــــت قرينـــــي حتّـــــى يـــــوم القيامـــــة»
فـــــأين تلـــــك الكلمـــــة التـــــي قلتهـــــا عنـــــدما كنـــــت ثمـــــلا

(١٦٨٤)

أي موســــانا، ذهبـــــت إلـــــى طـــــور ســـــيناء

وغبـــــــت عـــــن ظاهرنـــــا وباطننـــــا

ولـــــم تصـــــر بـــــاردًا مـــــن تلـــــك الســـــخونات

كيـــف تصـــير بـــاردًا وقـــد ذهبـــت إلـــى الســـخونة؟

(١٦٨٥)

يـــــا نـــــار الحـــــظ، ذهبـــــت نحـــــو الفلـــــك

ويـــــا مـــــاء الحيـــــاة، ذهبـــــت نحـــــو جيحـــــون

قلـــــت لـــــك: «أنـــــا عاشـــــق، أنـــــا عاشـــــق»

وقـــــد صـــــرت الآن حـــــائرًا ؛ لأنـــــك ذهبـــــت

(١٦٨٦)

يـــا غصـــن الـــورد، إنّـــك تتـــأذى مـــن الصَّـــبا

وإذا كنـــــت وردًا فلمـــــاذا تتـــــأذى؟!

فـــي النهايـــة، أليســـت الصَّـــبا مشّـــاطة الـــورد؟!

إنـــه لعجيـــبٌ أن تتـــأذى مـــن لطـــف الله

(١٦٨٧)

مـــا تـــأثير عـــين الحســـد فـــي المعشـــوق الفتـــان؟!

ومـــا تـــأثير ســـوء الســـمعة فـــي العاشـــق الولهـــان؟!

صـــرنا فـــي طريـــق العشـــق نشـــيطين وســـريعين

وإن صـــارت رجـــل أحـــدهم عرجـــاء، فمـــا شـــأننا؟!

(١٦٨٨)

انقضـــى الليـــل، ولـــم يشـــبع قلبـــك، يـــا مـــن لســـت شـــيئا
فـــإن لـــم يأخـــذك القمـــر يـــدك فلســـت شـــيئًا
نـــــام النّـــــدامى جميعَـــــا، ولا حيلـــــة لـــــك إلا
أن تنشـــغل بـــالخمرة الياقوتيـــة وبمـــا فـــي رأســـك

(١٦٨٩)

قلـــــت: «أيهـــا القلـــب، وقعـــت فـــي الـــبلاء»
قـــال: «أنـــا ســـعيدٌ، أيـــن وقعـــت أنـــت؟!»
قلـــــت: «لا بـــــدّ للـــــدماغ مـــــن دواء» فقـــــال:
«أنـــت مجنـــونٌ ؛ لأنـــك وقعـــت فـــي الـــدواء»

(١٦٩٠)

يـــــا مـــــن ذهبـــــت إلـــــى ديـــــار حبيبنـــــا
رأيـــت ذلـــك الوجـــه، فوقعـــت علـــى قفـــاك
كـــانوا ينثـــرون لـــك اللؤلـــؤ والجـــوهر
فلـــــم وقعـــــت فـــــي حلقـــــة المحتـــــالين؟

(١٦٩١)

ذلـــــك المظلـــــوم الـــــذي أنصـــــفته
وذلـــك المغـــتمُّ الـــذي أعطيتـــه كـــأس الســـرور
أنســـــــياه خمـــــــرة الأولـــــــين
فـــإذا لـــم تعطيـــه، فلـــم تـــذكره بـــذلك؟!

(١٦٩٢)

ســــــألتك قبلـــــــة واحــــــــدة، فـــــــأعطيتني ســــــتّا

تلميــــــذ مــــــن كنــــــت؟ إنــــــك أســــــتاذ رائــــــع

أي أســــــاسٍ جميــــــلٍ أنــــــت للحســــــن والكــــــرم

يــــــا مــــــن للــــــدنيا منــــــك ألــــــف ســــــرور

(١٦٩٣)

أيهـــا الســـــاقي، نـــــاولني رطلـــين مـــن تلـــك الخمـــرة

التـــــي نـــــاولتني إياهـــــا أول مـــــرة، وزد الســـــرور

فإمّـــــــــــــا أن لا تـــــــــــــذيقني البتـــــــــــــة

وإمـــا أن تجعلنـــي ثمـــلا وخربَـــا، إذ فتحـــت رأس الـــدن

(١٦٩٤)

يــــــا مــــــن ذكرتنــــــي بالليلــــــة الماضــــــية

ذكرتنــــــي بتلــــــك الحــــــال المليئــــــة بالجيشــــــان

كيــــــــف أنســــــــى تلــــــــك الرّحمــــــــة؟!

وقــــــد ذكرتنــــــي بــــــالكنز المنســــــي

(١٦٩٥)

ولــــــدت ضــــــاحكًا منــــــذ البــــــدء كــــــالورد

وأنــــــت مســــــرورٌ بطالعــــــك وحظــــــك

أخضــــــر كغصــــــن الــــــورد، وحــــــر كالســــــرو

أنــــت سَـــروٌ عجيـــب ؛ لأنـــك متحـــررٌ مـــن الأرض

(١٦٩٦)

أنـــــت الخضـــــرة للبســـــتان والـــــروض والعوســـــج
أنـــــت مُـــــرقِصُ القلـــــب، وأصـــــل الســـــرور
يـــــا مـــــن أعطيـــــت أرواحًـــــا لآلاف المـــــوتى
أصـــــير تلميـــــذك ؛ لأنـــــك أســـــتاذ بـــــارع

(١٦٩٧)

يـــــا مـــــن للســـــرور منـــــك ألـــــف ســـــرور
وللخرابـــــات منـــــك ألـــــف عمـــــران
ولســـــرو الـــــروض الـــــذي هـــــو أصـــــغر عبيـــــدك
تحـــــررٌ مـــــن خـــــدمتك وألـــــف ســـــرور

(١٦٩٨)

أيهـــــا النـــــدامى، ســـــرورٌ ســـــرورٌ ســـــرور
مـــــن ذلـــــك السوســـــن الحـــــر، ألـــــف ســـــرور
كـــــان يقـــــول: «أعطيـــــت حـــــق العشـــــق»
أعطيـــــت، أعطيـــــتَ، أيهـــــا القمـــــر، أعطيـــــتَ، أعطيـــــت

(١٦٩٩)

إذا لـــــم توجـــــد أيـــــة علامـــــةٍ فـــــي الـــــوادي
فـــــإن فـــــي اليـــــأس كثيـــــرًا مـــــن الآمـــــال
أيهـــــا القلـــــب، لا تيـــــأس ؛ لأنّـــــه فـــــي الروضـــــة
إذا كنـــــت شـــــجرة صفصـــــافٍ أعطيـــــت التمـــــر

(١٧٠٠)

مـــــن ســـــرورك امــــتلأت الحواضـــــر والبـــــوادي
يــــا مــــن أنــــت ســــرور الأرض والســــماء
ولــــــيس لأحــــــدٍ شــــــكوى منــــــك إلا الغــــــم
لأنــــــك حــــــررت الجميــــــع مــــــن الغــــــم

(١٧٠١)

ذهــــب مــــن كــــان لقلبــــي ألــــمٌ مــــن غمــــه
وكــــان وجهــــي الأصــــفر أصــــفر مــــن منجمــــه
عنــدما كنــت مــع الآخــرين بعثــت فــي قلــوبهم البهجــة
فــــإن لــــم أعــــرض عنــــك فقــــد أســــأت

(١٧٠٢)

إن لــــم تكــــن جذبــــة مــــن الحبيــــب معينًــــا لــــي
فمــــا شــــأن المســــتجدي مــــع الملــــك؟!
لــــو لــــم يكــــن الكــــرم القــــديم كثيــــرًا
متــــى كــــان يوســــف الــــروح وســــط الســــوق؟!

(١٧٠٣)

لــــو لــــم يكــــن العقــــل دلــــيلا فــــي ناحيــــة الحبيــــب
لمــــا كــــان وجــــه العاشــــق مزعفــــرًا
ولــــو لــــم يكــــن للصّــــدف غــــم الجــــوهر
لمــــا كــــان مفتــــوح الشــــفة وعاشــــقًا ومضــــطرًا

(١٧٠٤)

مـــاذا يكـــون لـــو لـــم يكـــن هنـــاك خبـــرٌ عـــن الجهالـــة؟!
مـــاذا يكـــون لـــو لـــم تكـــن فكـــرة الخيـــر والشـــر؟!
فيـــا عقلـــك، ويـــا أذنـــي، ويـــا حلقـــة البـــاب
مـــاذا يكـــون لـــو لـــم توجـــد حلقـــة الفضـــة؟!

(١٧٠٥)

إذا جالســـــت الغـــــافلين نجحـــــت
وإذا جالســـــت العقـــــلاء مِـــــتّ
فـــامض وأعِـــدّ صـــومعة كالـــذهب فـــي الكـــور
إنـــك إن خرجـــت مـــن الكـــور جمـــدت

(١٧٠٦)

هنـــاك رجـــلٌ يشـــق الفلـــك مـــن الألـــم
وهنـــاك رجـــلٌ ليـــت الحـــق لـــم يخلقـــه
إنـــه غـــبنٌ وألـــف غـــبنٍ أن هـــؤلاء النـــاس
يســـمون ذلـــك رجـــلا وهـــذا رجـــلا

(١٧٠٧)

رأيـــت الغـــم ممســـكًا بكـــأس فيهـــا دردي [عكـــر الشـــراب]
فقلـت: «أيهـا الغـم، خيـرٌ إن شـاء الله، لـم أنـت أصـفر الوجـه»
قـــال: «مـــاذا أفعـــل إذا أتيـــت بالسّـــرور
جعلـــت ســـوقي خربـــة وكاســـدة»

(١٧٠٨)

كيــــف حالــــك؟ يـــا مــــن أنــــت فــــردٌ فــــي الجمــــال

أجرتنــــــــي مئـــــــة مـــــــرةٍ عـــــــن طـــــــوري

كيـــــــــف عرفتـــــــــك، وكيـــــــــف رأيتـــــــــك؟

عنـــــــــدما أخـــــــــذت علمـــــــــي وبصـــــــــيرتي

(١٧٠٩)

كنــــــت ذرةً، فجعلتنــــــي أكبــــــر مــــــن الجبــــــل

كنــــــت متــــــأخرًا فجعلتنــــــي أســــــبق الجميــــــل

جعلتنــــــي علاجًــــــا للقلــــــب الخــــــرب والمجــــــروح

وجعلتنــــــي ثمــــــلا بــــــك، ومصــــــفقًا لــــــك

(١٧١٠)

أيهـــا الســـيد، لـــم جعلتنـــي مـــن دون جنـــاحٍ وريـــش؟!

وعلـــى أمـــل الثـــواب ألقيتنـــي فـــي الوبـــال

لـــــم أســـــرق مـــــن عـــــدلك شـــــعيرًا

فبـــأي ذنـــبٍ جعلتنـــي فـــي جوالـــق [خـــدعتني؟!]

(١٧١١)

نــــــــــــــاح قــــــــــــــائلا: أهلكتنــــــــــــــي

أذهبـــت حيـــائي، وجعلتنـــي مـــن دون ريـــش وجنـــاح

قلـــت: «آتيـــك مـــن قبُـــل فأتيـــت مـــن دُبُـــر

انظـــــــــر كيـــــــــف خـــــــــدعتني»

(١٧١٢)

جعلتنـــــي مـــــن دون اســـــمٍ وعلامـــــة كالقلـــــب والـــــروح
جعلتنـــــي مصـــــفقًا مـــــن دون كـــــف مثـــــل الطـــــرب
قلـــــت: «أيـــــن أذهـــــب؟ إذ هـــــو روحٌ للـــــروح»
جعلتنـــــي مثـــــل الـــــروح جاريًّـــــا ولا مقـــــر لـــــه

(١٧١٣)

جعلتنـــــي نـــــديمًا للمصـــــفقين
جعلتنـــــي مجـــــذوب الأذن مثـــــل الكمـــــان
جعلتنـــــي معضوضَـــــا بكـــــل فـــــم مثـــــل الخبـــــز
فـــــي الجملـــــة، حـــــدث مـــــا أحدثتـــــه لـــــي

(١٧١٤)

كنـــــت شـــــيخًا فانيَـــــا فجعلتنـــــي شـــــابًّا
كنـــــت ميتَـــــا فجعلتنـــــي مـــــن الأحيـــــاء
أخشـــــى أن أضـــــيع فـــــي طريقـــــك
والآن لا أضـــــيع ؛ لأنّـــــك وســـــمتني بعلامـــــة

(١٧١٥)

عنـــــدما عملـــــت عمـــــل المســـــافرين فـــــي الـــــدين
جعلتنـــــي حمـــــالًا لأمانـــــة اليقـــــين
قلـــــت: «أنـــــا ضـــــعيفٌ، وهـــــذا الحمـــــل ثقيـــــل»
فـــــأعطيتني القـــــوة وجعلتنـــــي حديـــــدًا

(١٧١٦)

كنت زاهدًا فجعلتني منشدا
جعلتني أمير أهل الزور، وباحثا عن الخمرة
رأيتني جليس السّجّادة ذا وقار
فجعلتني لعبة لأطفال الحيّ

(١٧١٧)

اليوم جعلتني مشتت الذهن كثيرًا
كشفت كل أموري
في الليلة الماضية لم أصر نديمك بسبب النوم
شربت أنت، وأخفيت نصيبي

(١٧١٨)

جعلت القمر ضاربًا للطبل من عشقك
وجعلت مئة بحر مصفّقة من أجلك
جعلت تلك الوسوسة التي فرّت من «لا حول»
شجاعة ومقدامة في قتلنا

(١٧١٩)

كنت تمر يومًا بالخرابات
كنت تنظر نظرًا مائلًا تدللا
أولئك الذين جعلوا عالي الدّنيا سافلها
كنت تبعثرهم مثل عمل الدنيا

(١٧٢٠)

جعلـــــت كـــــل قطعــــــة تــــراب مثـــــل القمــــــر

وبعدئـــــذٍ جعلـــــت القمــــــر قـــــرين الملوكيــــــة

وفــــي النهايــــة تأوّهـــت مــــن فـــــراق الاثنـــين

وجعلــــــت طريقــــــا مـــــن تلـــــك الآه إليـــــك

(١٧٢١)

مــــن وجـــه الشـــمس تصـــير شـــبيهاً بـــالقمر

ومــــن صـــحبة الكبريـــت تصـــير نـــــارا

تجتهـــد لكـــي تحـــوّل ســـيئ الطبـــاع إلـــى حســـن الطبـــاع

وهـــو لا يغـــدو حســـنًا بـــل تغـــدو أنـــت ســـيئا

(١٧٢٢)

تصــــير زحـــل عنــــدما تـــــدور حــــول زحـــل

وتصـــير رجـــلاً عنــــدما تـــــدور حــــول الرجـــال

وتصـــير ياقوتًـــا عنــــدما تـــــدور حــــول هـــذا المـــنجم

وتصـــير منجمًـــا عنــــدما تـــــدور حــــول المعشـــوق

(١٧٢٣)

إن شــــئت أن تغـــدوا فــــردًا فـــي هـــذا الزمـــان

أو تغـــدو فـــي طريـــق الـــدين ذا هـــمٍ وألـــم

فـــلا تطلـــب هـــذا إلا بصـــحبة الرجـــال

تغـــدو رجـــلا عنـــدما تطـــوف حـــول الرجولـــة

(١٧٢٤)

أيهـــــا الصـــــــافي الـــــــذي ينطلـــــــق ويـــــــدور
إن كنـــــــت تـــــــدور هكـــــــذا فـــــاجلس ولا تـــــــدر
أيهـــا المعشـــوق، هـــا قـــد جُرحـــت قـــدماي مـــن الطلـــب
وأنـــــــت تـــــــدور علـــــــى قـــــــدمٍ أخـــــــرى

(١٧٢٥)

أيهـــــا القلـــــب، الـــــزم ألمـــــه إن كنـــــت رجـــــلاً
الـــــروح عبـــــدٌ لـــــك إن كنـــــت ذا ألـــــم
لا تشـــــتر مئـــــة ســـــعادةٍ صـــــافية بحبـــــة شـــــعير
إن شـــربت درديًّـــا [عكـــرًا] واحـــدًا مـــن يـــد ألمـــه

(١٧٢٦)

ضـــربت ســـرداق ضـــياء القمـــر فـــوق ظلمـــة الليـــل
كـــان العقـــل ينـــام، وأنـــت تســـكب المـــاء علـــى وجهـــه
وعـــــــدت الجميـــــــع بنـــــــوم الأرنـــــــب
وفصـــــلت عنـــــق النـــــوم بســـــيف الفـــــراق

(١٧٢٧)

أيهـــا الـــورد، أتضـــحك مـــن لطـــف روض الـــورد؟
أم مـــــــن أنفـــــــاس عشـــــــق البلابـــــــل؟
أم مـــــــن وجـــــــه المعشـــــــوق الخفـــــــي؟
إن شـــيئًا منـــك يشـــبه الحبيـــب، وأنـــت تضـــحك مـــن ذلـــك

(١٧٢٨)

لـــــــم ترضـــــــــى بالضـــــــحك الخفـــــــيّ؟!
عليـــك أن تضـــحك مـــن دون تكلـــف مثـــل الـــورد
هنـــاك فـــرقٌ بـــين العشـــق الـــذي يكـــون مـــن الصّـــميم
وذلـــــك الـــــذي تشـــــدّه إليـــــك بخـــــيط

(١٧٢٩)

لـــو وصـــلت مئـــة يـــومٍ طويـــلٍ بعضـــها بـــبعض
لمـــا كـــان للـــروح راحـــة مـــن هـــذا النـــواح
يـــــا مـــــن تضـــــحك مـــــن حـــــديثنا
لـــم تصـــر مجنونًـــا، وأنـــت الآن عـــالم

(١٧٣٠)

لـــو كـــان ألـــم قلبـــي ظـــاهرًا للعيـــان
لكانـــت كـــل ذرة ســـوداء الوجـــه مـــن الغـــم
ولـــو كـــان ثمـــة طريـــقٌ إلـــى جوهرنـــا
لكانـــت كـــل قطـــرةٍ كـــالبحر فـــي الجيشـــان

(١٧٣١)

لـــو لـــم يكـــن الحـــق نقـــاش وجهـــك
لحـــار أســـتاذك فـــي نقشـــك
ولـــو لـــم تكـــن علامـــة حبـــك فـــي الـــروح
لكـــان بـــذل الـــروح ســـهلا فـــي عشـــقك

(١٧٣٢)

لـــــو كـــــان إفشــــــاء أســــــرارك ممكنَـــــا
لكـــان أســفل العـــالم وأعـــلاه روضَـــا للــــورد
ولـــو لــــم تكــــن غيـــرة النخـــوة موجـــودةً
لكـــان كـــل فرعـــون موســـى بـــن عمـــران

(١٧٣٣)

لــــو قطــــع الســـيف عنـــق الـــروح
لمـــا ســـمعت [قولـــه تعـــالى:] «بـــل أحيـــاء عنـــد ربهـــم»
وإن لــــم يكـــن روح يحيـــى باقيًـــا
فكيـــف جـــرى الـــدم فـــي رأســـه لثلاثـــة أشـــهر

(١٧٣٤)

لســـت يائسَـــا بـــرغم أنــــك هجرتنــــي
أو آثـــرت علـــيّ حبيبًـــا آخـــر
ومـــا دمـــت حيًّـــا ســـأظل أتجـــرع غمـــك
ففـــي اليـــأس آمـــالٌ كثيـــرة

(١٧٣٥)

جـــاء العيـــد وجـــاء العيـــد، وهـــو عيـــدٌ مبـــارك جـــدّا
ولـــو كـــان الفلـــك فـــمٌ لضـــحك
هـــذه هـــي الحـــال، ولكـــن لـــو ســـمعت منـــي
وا أســـفاه، فقـــد وافـــق هـــذا العـــين عيـــدنا

(١٧٣٦)

باختصـــار، إن لـــم أكـــن جمـــيلا فـــإنني محـــب للجمـــال

باختصـــار، إن لـــم أكـــن خمـــرةً فـــإنني ثمـــلٌ بـــالخمرة

جـــــائزٌ أن لا أكـــــون مـــــن أهـــــل المناجـــــاة،

لكننـــــي، باختصــــــار، مـــــن أهـــــل خراباتـــــك

(١٧٣٧)

صــــادف أن يكـــون لـــي حــــديثٌ مـــع معشـــوقي

قلـــــت: «أشـــــبعت منـــــي؟» قـــــال: «نعـــــم»

قـــــال: «أعـــــط ذلـــــك الشـــــيء الـــــذي أولـــــه زايٌ»

قلـــــت: «مـــــا ثانيـــــه، قـــــل؟» قـــــال: «راء»[1]

(١٧٣٨)

عنـــــدما تـــــزرع الشـــــوك تخـــــدش خـــــدّ الـــــورد

وإذا لـــم تـــأت بـــالورد فلـــن تحصـــل علـــى الجلنـــار

الأعمـــــال كالحـــــب، وهـــــذه الـــــدنيا كالطـــــاحون

عنـدما تأخـذ القرميـد إلـى الطـاحون ستحصـل علـى التـراب

(١٧٣٩)

إذا كنـــــت ثمـــــلا مـــــن ســـــوء العمـــــل

فاذهـــــب أيهـــــا الســـــيد، أنـــــت عاقـــــلٌ وصـــــاح

(١) يشير الشاعر الكبير هنا إلى كلمة « زَرْ » بالفارسية ، بمعنى « ذهَب » [المترجم].

أنـــــت مغـــــرورٌ بالطاعـــــة ولـــــديك الطاعـــــة
لـــــيس ذلـــــك رأس الجســـــر كمـــــا تظـــــن

(١٧٤٠)

جـــــاء العيـــــد، وكـــــل حســـــب اســـــتطاعته
زيـــــن نفســـــه مـــــن أجـــــل اللقـــــاء
ولأنـــــك عيـــــدنا اهـــــتم بنـــــا
يـــا مـــن ألقيـــت خلعـــة الـــورد علـــى كـــلّ شـــوك

(١٧٤١)

قـــال لـــي المعشـــوق، «إن كنـــت مشـــتريًا قبلـــة
مـــن كـــل معشـــوق، فاشـــتر قبلـــة منـــي مـــرّة واحـــدة»
قلـــت: «بالـــذهب؟» قـــال: «ومـــاذا أفعـــل بالـــذهب؟»
قلـــت: «بـــالروح؟» قـــال: «نعـــم، نعـــم»

(١٧٤٢)

أيهـــا الحبيـــب، أنـــا عاشـــق وأنـــت معشـــوق
عليـــك أن لا تتـــأذى مـــن كـــل كلمـــة منـــي
فإمـــا أن تعيـــد قلبـــي الـــذي أخذتـــه
وإمـــا أن تقبـــل كـــل مـــا أفعلـــه مـــن الهيـــام

(١٧٤٣)

أنـــت الـــذي تجعلنـــي ثمـــلا فـــي الصّـــومعة
تجلنـــي عابـــدًا للأصـــنام وأنـــا جـــالسٌ فـــي الكعبـــة

لا سـلطان لـي علـى حسـنك وسـيئك
أنـا فـي تصـرفك، اجعلنـي كمـا تشـاء

(١٧٤٤)

تجعـل همـومي كلهـا راحـة
تجعلنـي فـي غمـك كـالبكرة [محاطـا بـالهموم]
تقـول: «أنـا لـك، لـم تغـم»
أخشـى أن لا تكـون، فتجعلنـي كالمصـباح [محترقـا]

(١٧٤٥)

لـك عـين مخمـورة ووجـه لألاء
لـديك مـنجم الجـواهر ويـاقوت بدخشـان
أفتـرض أن لـك ضـحكًا خفيًـا كـالبُرعم
وأنـت تجعـل الـورد ضـاحكًا مـن جمالـك

(١٧٤٦)

أي صـاحب الـذقن الكـرويّ، لـديك ُطـرة مثـل الصـولجان
لـديك حاجـب كـالقوس، وأهـدابٌ كالسـهام
لـديك جبـين مثـل الشـمس، ووجـه كـالقمر
لـديك شـفة بلـون الخمـرة وعـينٌ كـالثملين

(١٧٤٧)

أيهـا الشـمع، كأنـك صـوفي الصـفات
إذ لـديك سـتّ سـمن صـفات أهـل الصّـفاء:

قيـــــام الليـــــل، ونـــــور الجبـــــين، وصـــــفرة الوجـــــه
وحرقـــــة القلـــــب، ودمـــــع العـــــين، واليقظـــــة

(١٧٤٨)

يـــــا مـــــن أعطيتنـــــي صـــــحوًا كعشـــــقك
ويـــا أيهـــا الشـــمع وســـط هـــذا العـــالم المظلـــم
أنـــــا صـــــنجٌ، وأنـــــت لا تتـــــرك المضـــــراب
وبعدئـــذ تقـــول: «كـــافٍ، إلـــى متـــى تنـــوح؟!»

(١٧٤٩)

يـــــا مـــــن أعطيتنـــــي اليقظـــــة فـــــي النـــــوم
صـــــار كـــــل صـــــعبٍ ســـــهلاً فـــــي قلبـــــي
تحـــررت مـــن ظلمـــة الجهـــل والكفـــر دفعـــة واحـــدة
عنـــــدما عرفـــــت أنـــــك عـــــالم الأســـــرار

(١٧٥٠)

تقـــــــدم، أي خيالـــــــه! إن لـــــــديك ثـــــــورة
اجلـــــس فـــــي عينـــــي ؛ لأن لـــــديك نـــــورا
لـــــديك فـــــي طالعـــــك وليمـــــة مـــــن الزّهـــــرة
وفـــــي صـــــدرك زبـــــورٌ، مثـــــل داود

(١٧٥١)

أيهـــا القمـــر، لـــديك دائمًـــا عـــزمٌ علـــى الســـفر
فتجعـــــل عـــــاليّ ســـــافِلي مثـــــل الفلـــــك

أنـــــت أســـــدٌ وأنــــا الصـــيد فـــي مخالبـــك
أكلـــت قلبـــي، وتقصـــد كبـــدي

(١٧٥٢)

إن كـــان لـــديك حرقـــة الصـــدر لأحـــد
وإن كـــان لـــديك ضـــميرٌ مملـــوءٌ بـــالهوس بســـبب العشـــق
عنـــدما يكـــون نواحـــك راحـــة للقلـــب
عليـــك أن تجعـــل ذلـــك النـــواح قرينًـــا لأنفاســـك كلهـــا

(١٧٥٣)

تفعـــل القبـــيح وتطمـــع بالحســـن
إن جـــزاء الســـيئة ســـيئة مثلهـــا
وبـــرغم أن الحـــق كـــريمٌ ورحـــيمٌ
عنـــدما تـــزرع الشـــعير لا يعطـــي قمحًـــا

(١٧٥٤)

لـــم يخطـــر فـــي قلبـــي أن تخرجنـــي مـــن قلبـــك
أو تتركنـــي فـــي الوَحـــل وقـــد وقـــع منـــاعي
أدعيـــت حبـــك كثيـــرًا أمـــام العـــدو والصـــديق
فويـــلٌ لـــي، إن تتركنـــي خجِـــلا

(١٧٥٥)

أيهـــا الجـــافي، كـــم مـــن هـــذا الفتـــك؟!
إنـــك لا تَظهـــرُ مـــا فـــي باطنـــك

إن لـــــــــــم تلتـــــــــــزم بخـــــــــــط وفائنـــــــــــا

أفتحســـب أننـــي غيـــر مطلـــع علـــى مـــا فـــي الضـــمير

(١٧٥٦)

يـــــا مـــــن أنـــــت فـــــخّ لألـــــف فتنـــــةٍ وتلصّـــــص

يـــــا للعجـــــب، أي فـــــتنٍ فـــــي رأســـــك!

يـــــا مـــــاء الحيـــــاة، لـــــو صـــــار العـــــالم حجـــــرًا

لأدرتـــــــــــــه، والله، كالطـــــــــــــاحون

(١٧٥٧)

أيهـــــا الجـــــافي، كـــــم مـــــن هـــــذا الفتـــــك؟!

لـــــــم تخفـــــــي مـــــــا فـــــــي ضـــــــميرك

لـــــــديك ألـــــــف مُشـــــــرِفٍ داخـــــــلا وخارجَـــــــا

يصـــــــرخون جميعًـــــــا، لأنـــــــك تمكـــــــر

(١٧٥٨)

أنـــــت الـــــذي لا تشـــــفع لـــــي بـــــأن أقبـــــل قـــــدمك

مـــــرةً واحـــــدة، بمئـــــة تشـــــفّع وضـــــراعة

فـــــإن تعطنـــــي المـــــاء، والنـــــار، فأنـــــت باختصـــــار

ســـــــــلطان الولايـــــــــة والآمـــــــــر

(١٧٥٩)

تحـــــــت الأغـــــــزال والنـــــــواح والضّـــــــراعة

دخـــــــانٌ لـــــــي مـــــــن الوجـــــــوه الناريـــــــة

بــــــــرغم أن طرائــــــــق فتنتــــــــه جميلــــــــة

أيـــــن ذلـــــك الحســـــن الـــــذي يجعلـــــه معشـــــوقا؟!

(١٧٦٠)

صـــــرت البارحـــــة عـــــاقلا وذكيًّـــــا فـــــي العمـــــل

فجعلنـــــي مضـــــطرِبًا أحـــــد العيـــــارين الليلـــــة الماضـــــية

رأيـــــت أنّ القلـــــب لـــــه وأنـــــا مـــــن الأغيـــــار

فخرجـــــت مـــــن المـــــرة مـــــرةً واحـــــدة

(١٧٦١)

عينـــــك الثملـــــة مـــــن عـــــادة الخمـــــار

وا أســـــفاه، ابتـــــدعت طريقـــــة الأكـــــل وحيـــــدةً

إذا لـــــم يكـــــن لـــــك نـــــديمٌ فلـــــم هـــــذا البخـــــل؟!

لا تشـــــرب الخمـــــرة وتعصـــــر العنـــــب

(١٧٦٢)

مـــــا قصـــــر العشـــــق فـــــي الخمـــــار

فـــــلا تقصـــــر أنـــــت أيهـــــا الســـــاقي، فـــــي الجاذبيـــــة

إن كـــــان لـــــديك خمـــــارٌ، فاعتـــــب علـــــى نفســـــك

إن تـــذهب إلـــى الطـــاحون بالقرميـــد، تحصـــل علـــى التـــراب

(١٧٦٣)

أيهـــــا الحبيـــــب، لا تطمـــــع منـــــي بالاغتمـــــام

لا تطمـــــع منـــــي إلا بالســـــكر، والظـــــرف، والخمـــــار

ولأن الحــــــق خلقنـــــــا مــــــن أجـــــــل هــــــذا
نحــــــن خصــــــومٌ للعقــــــل، وأعــــــداءٌ للصــــــحو

(١٧٦٤)

لكــــــلّ إنســــــان حبيــــــبٌ، ولكــــــل إنســــــان صــــــاحب
فــــأين مضــــى الحبيــــب الــــوفيُّ دفعــــة واحــــدة؟
ولــــو وضــــعت أمــــام الكلــــب قــــدرًا هــــائلا مــــن الســــكر
لظــــــــل ميــــــــل قلبــــــــه إلــــــــى الجيفــــــــة

(١٧٦٥)

لكــــــــل إنســــــــانٍ حبيــــــــب وصــــــــاحب
لكــــــــل إنســــــــانٍ فــــــــنّ وعمــــــــل
ونحــــــن وخيــــــال الحبيــــــب وكــــــور القلــــــب
مثــــل أحمــــد وأبــــي بكــــر، فــــي زاويــــة الغــــار

(١٧٦٦)

الخبَــــــرُ منــــــك ثمــــــلٌ، أو أنّــــــك خبــــــرٌ
النظــــــر حــــــائرٌ فيــــــك، أو أنّــــــك نظــــــر
اكــــــتظ بيــــــت القلــــــب بــــــالحور والحِســــــان
وأنــــــت تســــــترق النظــــــر مــــــن زاميــــــة

(١٧٦٧)

أنــــت كــــافرٌ، بــــل أنــــت الكفــــر، بــــل أســــوأ مــــن الاثنــــين
أنــت مــؤمنٌ بــل أنــت الإيمــان، بــل أســمى مــن الاثنــين[(١)]

---

(١) جاءت هذه الرباعية من بيت واحد في الأصل [المترجم].

(١٧٦٨)

أيهـــا القلـــب، أنـــت مســـكينٌ لأنـــك مـــرآةٌ لكـــل أثـــر
إن خالفـــــت الصـــــفات، أصـــــابك الصـــــداع
يـــا مـــن أنـــت كـــالمرآة القابلـــة للخيـــر والشـــر
أي غـــم لـــك مـــن هـــذه الصـــورة وأنـــت لا تعلـــم شـــيئًا؟

(١٧٦٩)

أنـــت شـــجريُّ القـــد، ســـكري الشـــفة، حجـــري القلـــب
سلســـلي الطـــرة، فضـــي الجســـم، محســـود الحـــور
عنــــــدما تمــــــرّ، وتنظــــــر تنــــــزع القلــــــب
أبعـــد الله عنـــك عـــين الحســـد ؛ لأنـــك فتـــان الصـــورة

(١٧٧٠)

لــــــم أر شــــــجرًا أكثــــــر خضــــــرةً منــــــك
ولــــــم أر قمــــــرًا أكثــــــر نــــــورًا منــــــك
ولــــــم أر ســــــحرًا أكثــــــر ســــــهرًا منــــــك
ولــــــم أر سُــــــكرًا أحلــــــى منــــــك

(١٧٧١)

كنــــــت الليلــــــة الماضــــــية سَــــــحَرًا أعــــــزف
ألحــــــان النــــــواح علــــــى هيكــــــل الربــــــاب
فـــدخل محســـود الحـــور [الفتـــان] وبيـــده قـــدح الخمـــرة
وقـــال: «إن عزفـــت ألحـــان النـــواح ضـــربتك بـــالكوز»

(١٧٧٢)

وجـــــــه حبيـــــــب حـــــــامضٌ إزائـــــــي قلـــــــيلا

ولـــــم أر ســـــكرًا أحلـــــى مـــــن هـــــذا الحـــــامض

يغـــــــدو الســـــــكر نـــــــافرًا مـــــــن حلاوتـــــــه

لـــــو علـــــم شـــــيئًا عـــــن ذلـــــك الســـــكر الحـــــامض

(١٧٧٣)

إذا لـــــــــم تمـــــــــزق حجـــــــــاب التفكيـــــــــر

فأنـــــت فـــــي حجـــــابٍ، فـــــي حجـــــابٍ، فـــــي حجـــــاب

تقـــــــول: «أنـــــــا عـــــــالمٌ بكـــــــل فـــــــن»

يكفـــــــي بـــــــك جعـــــــلا أن تجهـــــــل نفســـــــك

(١٧٧٤)

يـــــا مـــــن جلســـــت فـــــي قلبـــــي، وفتحـــــت بابَـــــا

لا أطلـــــب أحـــــدًا مثلـــــك، وأيـــــن هـــــو؟!

وكـــــل مـــــن حدّثتَـــــه عـــــن قلبـــــي دفعنـــــي

فـــــلا تـــــدفعني أنـــــت، لأنـــــه لا مفـــــر لـــــي منـــــك

(١٧٧٥)

صـــــار خيالـــــك ضـــــيفًا لعينـــــي أثنـــــاء مـــــروره

فاســـــتوطن عينـــــي بســـــبب جـــــوهره الطيـــــب

فصـــــارت عينـــــاي ســـــاقا للخيـــــال وقالـــــت:

«أنـــت ضـــيفي، فاشـــرب مـــا شـــئت مـــن المـــاء [الـــدموع]»

(١٧٧٦)

مـــــررت مـــــع الحبيـــــب بروضـــــة الـــــورد

فوقعـــت منـــي نظـــرةٌ علـــى الـــورد مـــن دون قصـــد

فقـــــال لـــــي المعشـــــوق: «أخـــــزاك الله

وجهـــي ههنـــا وتنظـــر أنـــت إلـــى الـــورد؟!»

(١٧٧٧)

الليلـــــة الماضـــــية جـــــاء خيالـــــك مـــــارًّا

فقلـــت: «كـــن عنـــدنا ؛ لأنـــك صـــاحب نظـــر»

وحتّـــى الصـــباح كانـــت عينـــاي تقـــولان لـــه وهمـــا تبكيـــان:

«أنـــت ضـــيفنا، فاشـــرب مـــا شـــئت مـــن المـــاء»

(١٧٧٨)

أظهـــــرت الخيـــــر، لكنـــــك شـــــر

إنـــــك نـــــاعمٌ وخبيـــــثٌ، كالثعبـــــان

أنـــــت صـــــدرٌ وعظـــــيمٌ وغنّـــــي ولكـــــن

أنصـــــفنا ؛ فإنـــــك ســـــيئ الأصـــــل

(١٧٧٩)

قـــــالوا: إن للحبيـــــب ثـــــورةً وفتنـــــة

فقلـــت: قـــل مـــرةً أخـــرى، فقـــد جئـــت بخبـــر طيـــب

فقـــال: إن وجهـــه الجميـــل حـــامضٌ قلـــيلا

فقلـــت: وا عجبَـــا افتريـــت علـــى الســـكر

(١٧٨٠)

لا تنظـــر علـــى هـــذا النحـــو، مهمـــا تكـــن صـــاحب نظـــر
حتـــــى لا تتحمـــــل دم ألـــــف إنســـــانٍ فـــــي رقبتـــــك
فحـــــذار لا تطـــــر بهـــــذا الجنـــــاح فـــــي كـــــل ناحيـــــةٍ
قلــــت هــــذا ومضــــيت، يــــا محســــود الحــــور

(١٧٨١)

أيهـــا القلـــب، كنـــت البارحـــة ثمـــلاً، ونشـــيطا، ومســـافرًا
واليـــوم مـــاذا أكلـــت حتـــى صـــرت أســـوأ مـــن البارحـــة؟
كنـــــــت راقصَـــــــا نضـــــــرًا مثـــــــل الشـــــــجر
أو حاجبَـــــــا للشـــــــمس مثـــــــل الســـــــحر

(١٧٨٢)

لســـت مـــاءً، لســـت ترابَـــا، بـــل أنـــت شـــيء آخـــر
مســـــافرٌ خـــــارج عـــــالم المـــــاء والطـــــين
القالـــــب نهـــــرٌ، والـــــروح فيـــــه مـــــاء الحيـــــاة
وأينمـــــا كنـــــت، أنـــــت غافـــــلٌ عـــــن الاثنـــــين

(١٧٨٣)

الليلـــــة الماضـــــية رأيـــــت فـــــي المنـــــام قمـــــرًا
بَحـــــريَّ الصـــــفات ذا عجائـــــب، فضـــــي الجســـــم
واليـــــوم كنـــــت أدور حـــــول كـــــل بـــــابٍ
[باحثـــا] عمـــن لديـــه خبـــرٌ عـــن حبيـــب الليلـــة الماضـــية

(١٧٨٤)

وا أسفاه، أن تعزف على الطنبور أمام أصم

أو يغدو يوسف مساكِنًا لأعمى

أو تضع السكر في فم مريض

أو يتزوج مخنّثَ من حورية

(١٧٨٥)

يا فردوس الحق المملوءة بالحسان والحور

كيف تكونين بعيدةً عن أعين الخلائق!

أيها القلب، لم تذق الخمرة المنصورية[١]

فإن أنكرت هذه الفردوس فأنت معذور

(١٧٨٦)

إذا أكلت النقل والكباب وشربت الداذيّ صِرفًا

فاعلم أنك تشرب الماء في المنام

وعندما تنهض من النوم تكون عطشان

لا يروي ظمأك الماء الذي تشربه في المنام

(١٧٨٧)

حاذر أن تأسف لما مضى من الأعمال

إذا كنت صوفيًا فلا تتحدّث عن المنام الماضي

أنت ابن الوقت، شابًّا وشيخًا

حذار أن تفوتك اللحظة الحاضرة

(١) نسبة إلى الصّوفي الكبير الحسين بن منصور الحلاج (قتل سنة ٣٠٩ هـ).

(١٧٨٨)

أي طالـــــــــب الـــــــــدنيا، أنـــــــــت أجيـــــــــرٌ
أي عاشـــق الخلـــد، أنـــت بعيـــدٌ عـــن هـــذه الحقيقـــة
ويـــا مـــن أنـــت مســـرورٌ فـــي هـــذين العـــالمين بجهلـــك
لـــــم تـــــر ســـــرور غمـــــه، فأنـــــت معـــــذور

(١٧٨٩)

أيهـــا القمـــر، بـــرغم أنـــك مضـــيء ومملـــوء بـــالنّور
أنـــــت بعيـــــدٌ عـــــن نـــــور وجـــــه معشـــــوق
أيهـــا النـــرجس [العـــين] بـــرغم أنـــك نِضـــرٌ ومخمـــور
فـــامض لـــم تـــر عـــين معشـــوقي، فأنـــت معـــذور

(١٧٩٠)

إذا كنـــــــــت نـــــــــديمًا للزهـــــــــرة والقمـــــــــر
فاذهـــب واصـــنع بيتًـــا مـــن القمـــر، إن كنـــت صـــانعا
الســـــقف الـــــذي يتقـــــوض برفســـــةٍ واحـــــدة
خيـــــــــرٌ أن ترفســـــــــه وتقوضـــــــــه

(١٧٩١)

يـــــــا مـــــــن تنظـــــــر باحتقـــــــار وازدراء
اعلـــم لحظـــة الفـــرق بـــين اللعـــب وتقـــديم المهجـــة
أيهـــا الـــروح الغريـــب، إنـــك تجـــاري هـــذه الـــدنيا
عـــاش المـــروزي مـــع الـــرّازي لعـــدّة أيـــام

(١٧٩٢)

إذا كنــــــت أمينًــــــا ومَحَــــــلًا لهــــــذا الســـــــر

فــــــلا تســـــخر مــــــن لعــــــب الـــــــوالهين

إنـــــــه لعــــــبٌ، ولكـــــن نـــــاره الصـــــادقة

كثيـــرًا مـــا قتلـــت مـــن العشـــاق، وهـــي تلعـــب

(١٧٩٣)

وجـــــد الـــــروح أنسًـــــا مـــــن معشـــــوق الأزل

وهــــو يريـــــد أن يأخــــذ منـــــي أنيســـــي

تلـــــك الألعـــــاب التـــــي أظهرهـــــا الـــــرّوح

قتلتنـــــــا تمامًـــــــا وهـــــــي تلعـــــــب

(١٧٩٤)

يـــا مـــن تصـــنع مـــن التـــراب المعـــتم نطعًـــا

فـــي كـــل لحظـــةٍ تلقـــي عليـــه لعبًـــا جديـــدا

حينًـــــا تمـــــوت، وحينًـــــا تظـــــل قائمًـــــا

أحسـنت مـا أجمـل هـذه الصّـنعة التـي تلعبهـا مـع نفسـك!

(١٧٩٥)

يـــا قاصـــد روحـــي، أنـــت أســـمى مـــن الـــرّوح

مـــا الـــروح؟ أنـــت أســـمى مـــن العـــالمين

لـــيس هـــذا العـــالم القـــديم جمـــالٌ فـــائق مـــن دونـــك

اطلـــب ذلـــك الجمـــال منـــه ؛ لأنـــك تســـاويه

(١٧٩٦)

حينَـــــا تمـــــزق الحجـــــاب وحينَـــــا تخيطــــه
حينَــــا تلاطفنـــــي وحينَــــا تحرقنــــي
علمتنــــي الشـــباب فـــي الشـــيخوخة
يـــا أيهـــا النـــاس، هـــذه دعـــوة لـــتعلم الشـــيخوخة

(١٧٩٧)

هــــذا البــــرعم ســــيثمر يومَــــا
وبـــازيٌّ الطلـــب هـــذا سيصـــطاد يومَــــا
يــــأتي خيالــــه إليــــك ويــــذهب
ومهمـــا ذهـــب، فسيســـتقر يومَــــا

(١٧٩٨)

سيوصـــلك القلـــب إلـــى المعشـــوق يومَـــا
وسيوصـــلك الـــروح إلـــى المعشـــوق يومَـــا
فـــلا تتـــرك الألـــم الـــذي هـــو لـــك ؛
فـــإن ذلـــك الألـــم سيوصـــلك إلـــى العـــلاج يومَـــا

(١٧٩٩)

البارحـــة كانـــت هـــذه الســـعادة وهـــذا الســـرور
واليـــوم هـــذه النـــار المحرقـــة للعاشـــق
وا أســـفاه، إن يـــدَ الحـــقّ خطـــت فـــي دفترنـــا
ذلـــك ليـــومٍ وهـــذا ليـــوم

(١٨٠٠)

أيهــا الحطــب الرطــب، ألا تصــير جافًــا يومًــا مــن الأيــام؟

لكـــي تقـــع فيـــك حرقـــة مـــن نـــار القلـــب

ولكـــي تمـــزّق خرقـــة الجســـد مـــن دون شـــفقة

تعلـــم العشـــق مـــن الـــرّوح المعلـــم للعشـــق

(١٨٠١)

كنـــت حينًـــا فـــي فـــارقٍ محـــرقٍ للعـــالم

وكنـــت حينًـــا فـــي ســـرور مفـــرح للـــروح

وا أســـفاه إن الـــدهر كتـــب علـــى لـــوح أبـــيض

ذلـــــك لـــــيمٍ، وهـــــذا ليـــــوم

(١٨٠٢)

حينًـــــا تلاطفنـــــي وحينًـــــا تحرقنـــــي

تمـــزق الحجـــاب جيـــدًا وتخيطـــه جيـــدا

علمتنـــــي الشـــــباب فـــــي الشـــــيخوخة

فهـــذه دعـــوة لـــتعلم الشـــيخوخة مـــن الحـــظ الشـــاب

(١٨٠٣)

يقـــــول المعشـــــوق شـــــيئًا تحـــــت شـــــفتيه

فصـــرت مجنونًـــا ولـــم يبـــق شـــيء مـــن العقـــل

يـــــا رب أي ســـــحرٍ هـــــذا الـــــذي يقولـــــه؟!

إنـــــه يتـــــرك أثـــــرًا فـــــي قلـــــب الحجـــــر

(١٨٠٤)

بســــبب عشـــقك هنـــاك ســـاهرٌ فـــي كـــل ناحيـــة

وقـــد صـــار الليـــل مـــن طرتـــك نـــاثرًا للعنبـــر

إن نقـــاش الأزل يصـــورّ فـــي كـــل ناحيـــة

تبريزيَـــا مـــن أجـــل قـــرار قلبـــي

(١٨٠٥)

أفـــر مـــن الـــروح إذا فـــررت مـــن الـــروح

وأفـــر مـــن القلـــب إن فـــررت منـــه

أنـــت ســـهمٌ ونحـــن كـــالقوس الآن

فمـــا العجـــب إن فـــر الســـهم مـــن القـــوس

(١٨٠٦)

يفـــر الـــروح إذا فـــررت مـــن الـــروح

وأفـــر مـــن القلـــب إن فـــررت منـــه

أنـــت ســـهمٌ ونحـــن كـــالقوس الآن

فمـــا العجـــب إن فـــر الســـهم مـــن القـــوس؟!

(١٨٠٧)

إن تفـــر ففـــر كـــالغزلان

وإن تعانـــد فعانـــد كالحديـــد

أيهـــا الطـــائر الـــذكي، تعلـــق بقـــدميك

بغصـــن الـــورد الـــذي تعلقنـــا بـــه

(١٨٠٨)

أيهـــا الحبيــــب، بـــــدأت مــــزج الشــــراب
تقـــوم الســــاعة عنــــدما تقـــوم أنـــــت
صــــبَّ الشــــراب لأنـــــك تصــــبه جيــــدًا
أيهــا العقــل إلــى أيــن تفــر عنــدما صــار الأمــر كــذلك؟!

(١٨٠٩)

مـــــن الخيـــــر أن صـــــاحب تمييـــــزٍ
مـــن دون أن يطلــــب منـــــه أو يقـــول شــــيئًا
يعطـــــــي الضـــــيف مـــــن دون طلــــــبٍ
بــــاكورة فاكهتــــه الطيبــــة مــــن بســــتانه

(١٨١٠)

لـم يقـل الحبيـب فـي شـأني: «كثيـرًا مـا كانـت قـدمي فـي الطـين
وقطعــــوا رأســــي فجــــاءةً بهــــوسٍ
ألـــم أجــــرح جرحًــــا بالغًـــا بيـــد خســـيس
فتقبّــــل عــــذري إن نحــــثُ لحظـــــة»

(١٨١١)

هطـــل الـــدمع مـــن عينـــي غزيـــرًا فـــي عشـــقك
ونـــاح الـــرّوح فـــي جســـدي كثيـــرًا مـــن غمـــك
أيهـــا المعشـــوق والحبيـــب، لســـت مطلعًـــا علـــى حـــالي
مـــا أكثـــر مـــا عركنـــي الفلـــك مـــن أجلـــك

(١٨١٢)

عنـــدما أخطـــئ فـــي كـــل شـــيء، أنـــت كـــافٍ لصـــوابي
وأنـــت كـــافٍ لتكـــون قصـــدي مـــن هـــذا العمـــر الخـــرب
أعـــــــــرف أنـــــــــه عنـــــــــدما ســـــــــأذهب
ســـــيقولون: «مـــا فعلـــت؟» وأنـــت كـــافٍ لجـــوابي

(١٨١٣)

أنـــت كـــافٍ لأن تكـــون معشـــوقي وحبيبـــي فـــي هـــذين العـــالمين
لأنــــــــك مغيثـــــــي فـــــــي كـــــــل غـــــــم
أيهـــا القمـــر، لا أحـــد فـــي العـــالمين ســـواك
إلا إنســـــانًا تغفـــــر لـــــه تكرّمَـــــا

(١٨١٤)

تســـأل عـــن أحـــوالي أنـــا العـــاجز الحـــزين
فـــلا تســـأل أكثـــر مـــن هـــذا، إن ســـألت بهـــذه الطريقـــة
مزقـــــت مـــــن غمـــــك أذيـــــال القلـــــب
ثـــــم تســـــألني عـــــن الكـــــم

(١٨١٥)

إذا لـــم تتـــألم فلـــن تصـــل إلـــى العـــلاج
وإذا لـــم تضـــح بـــالروح فلـــن تصـــل إلـــى المعشـــوق
وإذا لـــم تـــدخل فـــي النـــار مثـــل الخليـــل
فلـــن تصـــل إلـــى مـــاء الحيـــاة مثـــل الخضـــر

(١٨١٦)

مــــا دمـــن صـــاحيًا فلـــن تصـــل إلـــى طعـــم الســـكر
وإذا لـــم تقـــدم الجســـد فلـــن تصـــل إلـــى عبـــادة الـــروح
وإذا لـــم تصـــر فانيًـــا عـــن نفســـك فـــي طريـــق عشـــق الحبيـــب
مثـــل النـــار والمـــاء، فلـــن تصـــل إلـــى الوجـــود

(١٨١٧)

أيتهـــا الـــنفس العجيبـــة الحبيبـــة إلـــى قلبـــي،
أنـــا عبـــدٌ لـــذلك الصـــبح الـــذي تصـــلين إليـــه ضـــاحكة
يـــا مـــن أنـــت فـــي قلـــب الليـــل كالنهـــار، أي شـــخص أنـــت؟!
أنـــت الشـــحنة واللـــص ورئـــيس مئـــات العســـس

(١٨١٨)

أنـــا ثمـــلٌ، أنـــا ثمـــلٌ، أنـــا ثمـــلٌ بســـبب أحـــد
شـــربت المـــدام، شـــربت المـــدام مـــن يـــد أحـــد
كســـرني كالقـــدح ثـــم ملأنـــي
وأخيـــرًا لـــيس كســـر أحـــدٍ أمـــرًا جزافـــا

(١٨١٩)

البارحـــة حكـــي أحـــدهم قصـــة بـــاردةً
وكـــان هـــو أبـــرد كثيـــرًا مـــن حكايتـــه
إن علـــى مائـــدة العشـــق ذبابًـــا كثيـــرًا
فـــوا عجبًـــا، مـــا أقـــل الـــذباب الـــذي فـــر مـــن الذبابيّـــة

(١٨٢٠)

إن فـــــــــــي عينـــــــــــي الآن دلال إنســـــــــــان
وفـــــــــي أذنـــــــــي الآن صـــــــــوت إنســـــــــان
وفـــــــــــي صـــــــــدري نـــــــــديمٌ ونجـــــــــيّ
أنــــــا ثمـــــلٌ، فكيـــــف أخفـــــي سِـــــرّ أحـــــد؟!

(١٨٢١)

إن تخلفـــــت عـــــن الحبيـــــب صـــــرت بعيـــــدًا
وإن قطعـــت مـــن فـــرع الشـــجرة صـــرت حطامًـــا
إن تحـــــل نفســــــك فـــــي عـــــين أحـــــد
تكـــــن إنســـــان عـــــين ذلـــــك الإنســـــان

(١٨٢٢)

إن أتـــــــذكرك تكـــــــن وســـــــط ذاكرتـــــــي
وإن أفـــتح شـــفتي تكـــن فـــي هـــذه الفتحـــة
وإن صـــرت مســـرورًا تكـــن ضـــميري المســـرور
وإن أطلـــــب الحيلـــــة، تكـــــن أســـــتاذي

(١٨٢٣)

إن تـــذهب إلـــى موضـــعٍ مـــن دون دعـــوة تكـــون غمـــا
وإن ذهبـــت بـــدعوةٍ كنـــت نـــديمًا لـــذلك الجمـــع
إذا لـــم يـــدع الحـــق الكـــافر فإنـــه لا يـــذهب
أخـــزاك الله، إن تكـــن أقـــلّ مـــن الكـــافر

(١٨٢٤)

إن كنـــــــت حبيبَـــــا لمـــــــن ليســــــوا أهـــــــلاً
فمـــــا يضـــــيرني؟! أنــــــت فــــــي الخســـــران
أفتـــــــرض أن تكـــــــون معشـــــــوقا للعــــــالم
هـــــذا صـــــحيحٌ، ولكــــــن لـــــن تـــــداوم عليــــه

(١٨٢٥)

مـــــع صـــــورة الــــدين رســـمت صـــورة زردشــــت
ومثــل الحمــار، لــم تأكــل ســكرًا، وحملــت علــى ظهــرك
وإذا مـــــــــا أَظهـــــــرت المـــــــــرآة قبحـــــــك
جننـــــــت وضـــــــربت المـــــــرآة بقبضـــــــتك

(١٨٢٦)

كتبـــــت ســـــيرة زردشـــــت فـــــي صـــــورة القلـــــب
ومثــل الحمــار، لــم تأكــل ســكرًا، وحملــت علــى ظهــرك
وإذا مـــــــــا أَظهـــــــرت المـــــــــرآة قبحـــــــك
جننـــــــت وضـــــــربت المـــــــرآة بقبضـــــــتك

(١٨٢٧)

يـــــا ســــــلطان الكـــــلام، التزمـــــت الصـــــمت
إن هـــــــــادي اللســـــــــان لا يهـــــــــدي
لـــــــم تســــــتر الشـــــــمس بــــــالطين
لكــــــي تلقـــــي الغبــــاوة فــــي قلـــــب الفلـــــك

(١٨٢٨)

إلـــــى متـــــى تفكّـــــر بــــــالروح المســــــكين؟!
إلـــى متـــى تخشـــى الــــدّنيا المليئــــة بالآفــــات؟!
مــــا يمكــــن أن يُؤخـــذ منــــك هـــو القالــــب
افتـــرض أن لـــيس ثمـــة مزبلـــة فـــإلى متـــى التفكيـــر؟!

(١٨٢٩)

يـــــا مـــــن تفكـــــر فـــــي المهـــــرب
تخـــــال أن الأمـــــر وفـــــق مـــــرادك
جـــــذبك الملـــــك فـــــلا تطلـــــب منـــــه المزيـــــد
إن ســـــــلطان الفقـــــــر يقتلـــــــع الجبـــــــل

(١٨٣٠)

لســـت روحـــك، لا تســـمني روحـــك، أنـــت مخطـــئ
أنــــــا روح الجنيــــــد وسَـــــــريّ الســـــــقطي
كيـــف أكـــون روحَـــا لكـــل حمـــارٍ أعمـــى القلـــب؟!
مــــن لا يميــــز بــــين السّــــقطي والسَّــــخَط

(١٨٣١)

كــــــن طيبَــــــا ؛ فالصــــــوفي طيــــــب الــــــنفس
الصــــــوفي مســــــرورٌ فــــــي باطنــــــه
الصــــوفيُّ صــــافٍ، لا يقــــف الغــــم عنــــده
الصــــوفي هــــو كيخســــرو وكيقبــــاد [الملــــك]

(١٨٣٢)

الليلة الماضية بتأثير العشق والاشتياق
طلبت الخمرة من الساقي
وعندما أظهر لي عظمته وجماله
فنيت وظل الساقي باقيا

(١٨٣٣)

عمري وقفٌ لهذا الاشتياق
أحسنت، ما أجمل الطراوة والنقاء
لن أصفّق إذا لم تكن أنت المطرب
ولن أشرب الخمرة، إذا لم تكن أنت الساقي

(١٨٣٤)

من بدر التمام ذي الأربع عشرة الذي يأتي منه الإشراق
صِرت مصفرًّا كالذهب في اللمعان
ثم أخذ ذلك [اللمعان] مني لكي يمحوني
فإن أخذ اللمعان فنيت وبقيت الأربع عشرة [الحبيب]

(١٨٣٥)

أمس الأول أقسم ذلك الساقي
فقال: «بحقّ ساعة الاشتياق
إنني أعطي الخمرة لأهل المدائن والآفاق
ولا أبقي عقلا في هذه الدنيا»

(١٨٣٦)

أيهـــــا الســـــــاقي مــــــن لا ينفعـــــــه الزهـــــــد
لا يكـون ذلـك الـذي قـام بـه زهـدًا، بـل تظـاهرًا، أيهـا السـاقي
ادخـــــل برجولـــــةٍ وقــــل ســــريعًا أيهـــا الســـاقي:
«مـــا كـــان فـــي الأزل لا بـــدّ كـــائن» أيهـــا الســـاقي

(١٨٣٧)

أيهـــــا الســـــاقي مـــــن لا يـــــؤثر فيـــــه الســـــم
لا يكـــون مـــا تعاطـــاه سُـــمًّا بـــل تظـــاهرًا، أيهـــا الســـاقي
أيهـــا الســـاقي، مـــن كـــان، ثـــم فنـــي، كأنـــه لـــم يكـــن
يشـــرب الخمـــرة مـــن بحـــر الجـــود، أيهـــا الســـاقي

(١٨٣٨)

إلـــــــى متـــــــى أكـــــــون شـــــــقيًّا معـــــــك؟
وإلـــــــى متـــــــى تفـــــــر منـــــــا؟
أيهـــا الطـــالع، إلـــى متـــى تســـتجيب لرغائـــب عـــدوي؟
إلـــى متـــى أنـــا فـــي غمـــك، وأنـــت لا تعبـــأ بـــي؟

(١٨٣٩)

مـــاذا يكـــون الجـــوهر فـــي بحـــره غيـــر حجـــرٍ؟!
ومـــاذا يكـــون الفلـــك عنـــد بابـــه ســـوى بـــوابٍ؟
فـــي دولـــة الحبيـــب لا ينفـــذ عنـــدي شـــيء
إلا الصـــبر، لأنـــه لا صـــبر لـــي البتـــة

(١٨٤٠)

أيهـــــا القلـــــب، إذا رأيـــــت وصـــــال الحبيـــــب
فمـــت حـــالا عنـــد قـــدمي غمـــه، فـــإلى متـــى تنـــوح؟!
فالشــــرط أنــــه عنــــدما تظهــــر الشــــمس وجههــــا
إذا لـــــم يمــــت الشــــمع، يميتونــــه حــــالا

(١٨٤١)

الطيـــور فـــي القفـــص، والقفـــص خـــالٍ مـــن الطيـــور
أيهـــا الطـــائر، مـــن أيـــن أنـــت؟! إن لـــديك ســـرورًا كثيـــرا
مـــــن نواحــــــك تـــــأتي رائحـــــة البقـــــاء
فـــنح بهـــذا الـــنغم، إنـــك تنـــوح نُواحَـــا أخّـــاذا

(١٨٤٢)

ضـــح بـــالروح فـــي طريقنـــا، إذا كنـــت شـــجاع القلـــب
وإلا فانصرفــــ فأنـــــت فـــــي حـــــل منّـــــا
لـــــن يظفــــر أحـــــدٌ بـــــذلك الملـــــك بجبنـــــه
تنشـــد الحـــق، وأنـــت بـــاقٍ فـــي المـــاء والطـــين؟!

(١٨٤٣)

هـــــذه الســــاحة التــــي لا طـــــول لعرضــــها
دع عمارتهــــــــــا لكـــــــــــل جاهــــــــــل
الـــدنيا مـــالٌ، وقيمتهـــا أقـــل مـــن حبـــة شـــعير
أو ربـــــــاط لا يســـــــــاوي شــــــــيئا

(١٨٤٤)

يـــــا مـــــن أنـــــت شـــــاربٌ لـــــدم العاشـــــقين

ويـــــلاه مـــــن العشـــــق والاضـــــطراب

أيهـــــا الحبيـــــب، أنـــــا أســـــير مـــــراد عـــــدوي

فـــــي النهايـــــة، هـــــذه الفضـــــيحة ترجـــــع إليـــــك

(١٨٤٥)

تقـــول: لعلـــك جعلـــت نفســـك خيطـــا فـــي بســـتان الـــذهب

أو زرعـــــت الزعفـــــران علـــــى خـــــدك

ذلـــــك الوعـــــد الـــــذي قطعتـــــه لا يـــــأذن لـــــي

وإلا قتلـــــت نفســـــي بســـــهولة

(١٨٤٦)

أنـــــت تلـــــك الفاكهـــــة النـــــادرة فـــــي الزمـــــان

التـــي يمكـــن أكـــل ألـــف مَـــنّ منهـــا وهـــي فجـــة

فـــــلا تختـــــر لنـــــا الهجـــــرة ومـــــراد العـــــدو

ففـــــي النهايـــــة، هـــــذه الفضـــــيحة ترجـــــع إليـــــك

(١٨٤٧)

يـــا ســـاقي الـــروح، يـــا مـــن أنـــت ســـاقي الأيـــام

يـــا مـــن أنـــت راحـــة القلـــب المتعَـــبِ المعنّـــى

ســـــكاراك اليـــــوم كلهـــــم مخمـــــورون

فـــــي النهايـــــة، هـــــذه الفضـــــيحة ترجـــــع إليـــــك

(١٨٤٨)

لـــــو عرفـــــت مقـــــدار كمـــــالي

لتخليـــــت عـــــن التـــــراب

وأســــــرعت إلـــــى السّــــــماء فارغَــــــا وســــــريعا
ورفعــــــت رأســــــي فـــــوق الفلــــــك التاســـــع

(١٨٤٩)

لــــــو لــــــم أكــــــن عاشــــــقًا صـــــادقا لوجهــــــك
لمـــــــا وقفــــــت كثيـــــــرًا عنـــــــد بابــــــك
قلـــــت: «لا تقـــــف علـــــى بـــــابي، قـــــم واذهــــب»
أيهـــــا الحبيـــــب، إذا لــــم أقـــــف أكـــــون عــــدمًا

(١٨٥٠)

أنـــا جـــاف الشّــفة، ولـــو تحـــدثت معـــك حـــديثا نـــديا
لخربـــــــــت عالمَـــــــــا فـــــــــي عشـــــــــقاك
ولـــــــــو اســــــــتطاعت شــــــــفتي تقبيـــــــــل
قـــدمك قبلـــة واحـــدة، لصــفّقت ويـــداي فـــوق رأســـي

(١٨٥١)

لــــــو كنــــــت لائقـــــا بمجلــــــس الأنــــــس
لجئـــــت كـــــل لحظـــــةٍ إلـــــى بابـــــك، كالعبـــــد
ولــــــــولا آفــــــــة الإزعــــــــاج والمــــــــلال
لجئـــــت كـــــل يـــــومٍ إليـــــك ألــــف مـــــرة

(١٨٥٢)

يـــــا مـــــن أقـــــل ضـــــيافتك المـــــاء الحــــار
الـــــذي مـــــن لذتـــــه ثملــــت الوقاحــــة

يـــــا خـــــالق الفلـــــك، اجعلنـــــي ضـــــيفًا عنـــــدك
أيـــن ذهـــب الفلـــك [بضـــيفه]؟ إلـــى المـــاء الحـــار

(١٨٥٣)

الاحتشـــــــــام عـــــــــارٌ للـــــــــدراويش
الاحتشـــــــام عـــــــبءٌ فـــــــي خـــــــاطرهم
الفقـــــر التّـــــام خيـــــرٌ فـــــي طريـــــق الحبيـــــب
لأنّ الاحتشـــــــام فـــــــي طريقـــــــه شـــــــوك

(١٨٥٤)

لـــــــولا أننـــــــي أحـــــــاذر غيـــــــرة الرجـــــــال
لفعلـــــت ذلـــــك الـــــذي قلتـــــه الليلـــــة الماضـــــية
ولـــــــولا الحســـــــد لجعلـــــــت الصـــــــحاة كلهـــــــم
غـــائبين عـــن أنفســـهم، وخـــربين، وسُـــكارى، وحيـــارى

(١٨٥٥)

أنـــــا لســـــت أنـــــا، ولـــــو كنـــــت أنـــــا لحظـــــة
لبـــــــدّدت هـــــــذا العـــــــالم كالـــــــذرات
ولـــــو كنـــــت أنـــــا الـــــذي نُـــــزِعُ قلبـــــي منـــــي
لاقتلعـــــت نفســـــي كالشـــــجرة مـــــن الأرض

(١٨٥٦)

أنـــــت فـــــي عينـــــي، وإلا فكيـــــف أكـــــون مبصـــــرًا؟
أنـــــت فـــــي عقلـــــي وإلا فكيـــــف أكـــــون والهَـــــا؟

وفـــي ذلـــك المكـــان الـــذي لا أعـــرف أيـــن هـــو
لـــولا عشـــقك، فكيـــف أكـــون أنـــا هنـــاك

(١٨٥٧)

اســـمع الأســـرار مـــن الببغـــاء الربـــاني
إنـــك ابـــن الببغـــاء تعـــرف لغتـــه
لِـــمَ تبقـــى حـــائرًا فـــي الطيـــر والقفـــص؟!
أيهـــا الطـــائر، اكسِـــرِ القفـــص ؛ لأنـــك مـــن تلـــك الطيـــور

(١٨٥٨)

عـــالمٌ أخضـــر، وفـــي كـــل ناحيـــةٍ بســـتان
ومـــن صـــورة جمـــال الـــورد وجـــهٌ ضـــاحك
وفـــي كـــلّ ناحيـــة جـــوهرٌ مشـــتعلٌ فـــي المـــنجم
وفـــي كـــل ناحيـــةٍ روحٌ متصـــلٌ بالحبيـــب

(١٨٥٩)

انظـــر إلـــى وجهـــه النّضـــر كقصـــباء الســـكر
وانظـــر إلـــى عينـــه الجميلـــة كـــأعين الهنـــود
وقـــد اصـــطفت أمـــام قـــدّه جماعـــة الســـرو
وكســـرت أمـــام كفّـــه كـــلّ قـــوة

(١٨٦٠)

لأنـــك لا تأخـــذ القلـــب منّـــي، أيهـــا السَّـــرُ الممشـــوق القـــد
تريـــد أن تأخـــذ منـــي أكثـــر مـــن القلـــب

إذا لــــم تعـــط شـــفتك فلـــن تأخـــذ منـــي قلبـــي
فهنـــــاك قـــولٌ: لا تأخـــــذ حتّـــــى تعطـــــي

(١٨٦١)

أيهـــا الحبيـــب، بحـــقّ أنـــك روحٌ للـــرّوح
عنـــدما تصـــل إليـــك رســـالتي، اقرأهـــا
والعجيـــب أنـــك لـــم تمـــزّق رســـالتي
وأنـــت تعـــرف حـــال قلبـــي الخـــرِب

(١٨٦٢)

فـــي العشـــق الموافقـــة كـــالرّوح
[وهـذا صـحيح] فـي مـذهب كـل ظريـفٍ عـارفٍ المعـاني
إذا صـــارت سِـــنّ واحـــدةٌ مـــن اثنتـــين وثلاثـــين طويلـــة
صـــار الجســـم مـــن دون أســـنان بســـبب هـــذه الســـن

(١٨٦٣)

إذا دخـــل الجســـم فـــي التـــراب مـــن دون الـــروح
ضـــرب الـــرّوح خيمـــة فـــوق الفلـــك
عنـــدما بقـــي البنفســـج فـــي التـــراب نمـــا
فكيـــف لا ينمـــو سَـــرو مثـــل هـــذا البســـتان؟!

(١٨٦٤)

أنـــت روحٌ إن كنـــت طالبَـــا منـــزلا للـــروح
وأنـــت خبـــزٌ، إن كنـــت طالبَـــا لقمـــة الخبـــز

وإن عرفـــــت هـــــذه النكتـــــة الرمزيـــــة عرفـــــت
فكـــــلّ مـــــا تبحـــــث عنـــــه أنـــــت هـــــو

(١٨٦٥)

قلـــت للقلـــب: «أيهـــا القلـــب، أتعـــرف مـــن أنـــت
محـــــرومٌ مـــــن خدمتـــــه بســـــبب الجهـــــل؟»
فقـــال لـــي القلـــب: إنّـــك تقـــرأ اللـــوح قـــراءة خاطئـــة
أنـــــت مـــــلازمٌ للخدمـــــة، وأنـــــت حـــــائر

(١٨٦٦)

أيهـــــا السّـــــحاب المبعـــــد لضـــــياء الشـــــمس
اعلـــــم أنـــــك تعمـــــل عمـــــلاً مقلوبَـــــا
مـــــن ظلمـــــك لنـــــا صـــــار العـــــالم مظلمَـــــا
فالبكـــــاء نصـــــيبنا وأنـــــت بـــــاكٍ

(١٨٦٧)

أنـــــت تعـــــرف مـــــا فـــــي ســـــلة العـــــالم
وتعـــــرف أســـــرارها إلـــــى الأبـــــد
كـــــل يـــــومٍ أقـــــول لـــــك، وأنـــــت تتـــــذكر فـــــي الليـــــل
وأقـــــول فـــــي الليـــــل أيضَـــــا مـــــا تعرفـــــه

(١٨٦٨)

ليلـــــى التـــــي تـــــرى أنهـــــا جاهلـــــة بـــــالغم
ليســـت واحـــدةً أخـــرى، بـــل أنـــت تراهـــا واحـــدةً أخـــرى

هـــي فـــي البيـــت، وتظـــن أنـــت أنهـــا عنـــد البـــاب
أنـــــــت جاهـــــــل، وتراهـــــا جاهلـــــــة

(١٨٦٩)

يـــــا مـــــن تعـــــرف مــــراد كـــــل لســـــان
وتعـــــــرف عنـــــــدما يغلقـــــــون أفـــــــواههم
ولـــــو تـــــوارى روحـــــي وقلبـــــي تحـــــت التـــــراب
لكـــــان روحـــــي مســـــرورًا ؛ لأنـــــك تعـــــرف ســـــريعًا

(١٨٧٠)

يـــــا مـــــن تعـــــرف أحـــــوال العبيـــــد
أنـــــت العـــــين والسّـــــراج فـــــي الليـــــل المظلـــــم
بـــــازيٌّ قلبنـــــا الـــــذي تَطيـــــره
ألا تعـــــرف أخيـــــرًا أنـــــك تـــــدعوه؟!

(١٨٧١)

أتعـــرف مـــا رأيـــت فـــي المنـــام الليلـــة الماضـــية؟
لا، إنّ معرفـــة ذلـــك ليســـت بهـــذه الســـهولة
إن ســـــارق جســـــمك أخفـــــى البضـــــاعة
أيهـــا الشّـــحنة، لـــم لا تعاقبـــه علـــى ذلـــك؟!

(١٨٧٢)

عنـــدما تكـــون فـــي صـــفّ الأحبـــة تكـــون طـــائرًا
وعنـــدما تكـــون بعيـــدًا عـــنهم تكـــون ريشَـــا ســـاقطا

وعنـــــدما تكـــون طــــائرًا تكــــون حاكمَــــا علــــيهم
وعنـــــدما تكـــــون ريشَـــــا تبعثـــــرك الريـــــاح

(١٨٧٣)

يـــــا مـــــن عشـــــقك عـــــين عـــــالم الحيـــــرة
وأســـــــــاس عشـــــــــقك الحيـــــــــرة
إلـــى متـــى تســـأل عـــن حـــالي وأنـــا محتـــرق القلـــب؟!
وأنـــــــت أعلـــــــم بحـــــــالي منّـــــــي

(١٨٧٤)

أيهـــا النـــرجس، أنـــت حـــائرٌ بـــلا عـــين ولا فـــم
أنـــت حـــائر فـــي وجـــوه عـــرائسِ المـــرج
لا، أنـــا مخطـــئ، فأنـــت وعـــرائس المـــرج
حيـــــــارى بمليكـــــــي المســـــــتور

(١٨٧٥)

مـــا دمـــت فـــي طلـــب جـــوهر المـــنجم فأنـــت مـــنجمٌ
ومـــا دمـــت فـــي هـــوس لقمـــة الخبـــز فأنـــت خبـــزٌ
وإن عرفـــت هـــذه النكتـــة الرمزيـــة عرفـــت
كـــل مـــا تبحـــث عنـــه أنـــت هـــو

(١٨٧٦)

كيـــــف تكـــــون علاجَـــــا لآلام الآخـــــرين
وتكـــون عـــاجزًا عنـــدما تصـــل نوبـــة ألمنـــا؟!

سأصـــــــبر حتـــــــى تتخلـــــــىّ عـــــــن الجميـــــــع

تـــأتي إلينـــا، وتكـــون باقيَـــا كالحلقـــة علـــى البـــاب

(١٨٧٧)

حاشـــــــى أن أقـــــول إنّـــــك تشـــــبه القمـــــر

أو أن يكـــــون سَـــــرو البســـــتان مثـــــل قـــــدك

فمـــن أيـــن للقمـــر الشّـــفة الياقوتيـــة النـــاثرة للســـكر؟!

وأيـــــن الحركـــــة الروحانيـــــة فـــــي السّـــــرو؟!

(١٨٧٨)

لـــــو قـــــرأت ورقـــــة واحـــــدة مـــــن كتابنـــــا

لصـــرت حـــائرًا إلـــى الأبـــد، ومـــا أجمـــل حيرتـــك!

ولـــــو جلســـــت لحظـــــة واحـــــدة لـــــدرس القلـــــب

لأجلســـــــــت الأســـــــــاتذة لدرســـــــــك

(١٨٧٩)

أيهـــــا القمـــــر، كـــــل لحظـــــةٍ تـــــدعوني إليـــــك

تســـــأل عـــــن أحـــــوالي، وأنـــــت تعرفهـــــا

أنـــــت ســـــرٌ متبختـــــرٌ والكـــــلام أمامـــــك ريـــــحٌ

أتحـــــــــدّث أنـــــــــا وتهـــــــــزّ أنـــــــــت

(١٨٨٠)

يـــــا مـــــن عشـــــقك عـــــين عـــــالم الحيـــــاة

وأســـــــــاس عشـــــــــقك الحيـــــــــرة

إلـــى متـــى تســـأل عـــن حـــالي وأنـــا محتـــرق القلـــب
وأنـــــت تعــــرف أنــــك أعلــــم بحـــــالي منّــــي

(١٨٨١)

قلـــــــب الرجـــــــل شـــــــمعٌ قابـــــــل للاحتـــــــراق
وثمـــة تمــزّقٌ مـــن هجــر الحبيــب قابــلٌ لإعــادة الخياطـــة
أيهـــــــا الجاهــــــــل بالصّـــــــــفة والاحتـــــــــراق
العشـــــــــــق اســـــــــــتعدادٌ لا تعلـــــــــــم

(١٨٨٢)

تبـــــــــت عـــــــــن الثـــــــــورة والولــــــــــه
وقـــــد ســـــمع عشـــــقك منّـــــي هـــــذا الامتحــــان
وقـــــــد أشـــــــعل النّــــــار حطـــــــب تـــــــوبتي
فـــأحرقني [قـــائلا:] حـــذار، أتتـــوب مـــرّة أخـــرى؟!

(١٨٨٣)

كـــــــل يـــــــومٍ تثيـــــــر هـــــــذا الجمـــــــع
فتقتلــــــــع أســــــــاس ألــــــــف عافيــــــــةٍ
أدام الله هــــــــذا الــــــــدّوران إلــــــــى الأبــــــــد
إنـــــه كـــــرمُ غنـــــيّ مثلـــــك علـــــى أرواح الفقـــــراء

(١٨٨٤)

أيهـــا الحبيـــب، إنّـــك تقـــرع بـــاب الحـــرب بكـــلّ كلمـــة
وتطلـــق مئـــة ســـهمٍ مـــن الجفـــاء علـــى هـــذا القلـــب

فـــي عينـــك أنـــا نحـــاسٌ والآخـــرون ذهـــبٌ أحمـــر
وغـــــدًا أريـــــك، عنـــــدما تضـــــربنا بـــــالحجر

(١٨٨٥)
لا تقـــــــول كلمـــــــــة واحـــــــــدةً بمزاجــــــــك
لكـــــي تقطـــــع رقبـــــة الغـــــم بكلامـــــك
وبـــــرغم أنـــــك ملـــــولٌ فاســـــتيقن أنـــــك،
بـــــرغم أنـــــك ملـــــولٌ، لا تنـــــتقص الآخـــــرين

(١٨٨٦)
عنـــدما تغـــدو ثمـــلا تـــدوس علـــى القرابـــة بقـــدمك
وتستشـــــــــــير عـــــــــــدوَّ روحـــــــــــك
تأكـــل الفســـتق، أيهـــا القمـــر، وتعـــزف علـــى النـــاي
فـــلا تطمـــع بـــأن تجمـــع هـــذين الاثنـــين

(١٨٨٧)
كـــل يـــوم منـــذ الفجـــر تضـــرب خيمـــة عنـــد شـــاطئ النهـــر
وترســـم مئـــة صـــورةٍ علـــى الـــروض الطيـــب الشـــذا
يبـــــدأ قلبنـــــا بالســـــماع مثـــــل الـــــدّف
عنـــدما تضـــرب علـــى وجهـــه كـــل لحظـــةٍ ألـــف مـــرة

(١٨٨٨)
لـــو وضـــعت الشـــوك فـــي هـــذه العـــين الشـــبيهة بـــالنهر
ولـــو أطلقـــت ســـهم الجفـــاء علـــى القلـــب الشـــبيه بالشـــعرة

لمـــــــاذا تخليـــــــت عـــــــن الإمســـــاك بـــــك

حتـــى لـــو ضـــربت علـــى وجهـــي ألـــف مـــرةٍ، مثـــل الـــدف

(١٨٨٩)

قلـــت: صـــرت المعشـــوق الـــذي هـــو وطـــنٌ للـــروح

قـــال: لا تتحـــدث عـــن الـــروح إذا كنـــت منّـــي

قلـــت: كـــم تضـــربني بســـيف الحجـــة؟!

قـــال: الآن، أنـــت عاشـــقك لنفســـك

(١٨٩٠)

لا ميـــــل لـــــديك الآن لأن ترتفـــــع

أنـــــت عاشـــــقٌ لأن تهـــــبط

تقـــول: «الحمـــد» مـــن دون أن تقـــول «بســـم الله» [عجلـــة]

مـــن طمـــع تفطِـــر قبـــل أن يـــأتي الصـــباح

(١٨٩١)

إن أنصـــفت أنصـــافًا لائقـــا بـــك

مســـكين ذلـــك الـــذي تتـــذكَّره

قلـــت: تـــذكرتك كثيـــرًا

أنـــا أعـــرف كيـــف تتـــذكرني

(١٨٩٢)

أيتهـــا الخمـــرة، أنـــت التـــي تنصـــفين الإنصـــاف كلـــه

فتحـــررين مئـــة عبـــدٍ بصـــبوح واحـــد

عينـــــــــي بســـــــــبيك وضـــــــــاءة كالشـــــــــمس

وآوي إليـــــــك أيضَـــــــا ؛ لأنّـــــــك تســـــــعدينني

(١٨٩٣)

لـــــــم تشـــــــكو مـــــــن المنـــــــا وضـــــــجرنا؟!

ومـــــن الخيـــــر أن تســـــر الوصـــــل بالشـــــكر

لـــــــم تفـــــــر منـــــــا، ولـــــــم تتركنـــــــا؟!

فحاضـــــــر أن تـــــــذكر الوصـــــــل كثيـــــــرًا

(١٨٩٤)

أيهـــــا الحبيـــــب، يليـــــق بـــــك أن تتـــــدلل

تخـــــــالف، ثـــــــم توافـــــــق لحظـــــــة

أخشـــــــى أن تفـــــــتح بـــــــاب الجفـــــــاء

تمكـــــــــر، وتبـــــــــدأ بالتعلـــــــــل

(١٨٩٥)

يـــــا مـــــن تقيـــــدني بمئـــــة فـــــخ

تقـــول: «اذهـــب» وترســـل فـــي الليـــل ســـفيرا

وإن ذهبـــــت أنـــــا، فمـــــع مـــــن ترتـــــاح؟

ومـــن تســـميه، أيهـــا الحبيـــب، باســـمي أيضَـــا؟

(١٨٩٦)

أنـــــــت لا تنظـــــــر إلينـــــــا أبـــــــدًا

أفتـــرض أنـــه [النظـــر إلينـــا] إثـــمٌ، ألا تـــأثم؟

القلــــــب يــــــئنّ حزينَــــــا فــــــي ورد وجهــــــك
ألا تتــــــــاوّه فــــــــي مــــــــرآة قلبــــــــي

(١٨٩٧)

تصــــــنع مــــــن الطــــــين قفصَــــا لهدهــــد الأرواح
وتنثــــــر السّــــــكّر علــــــى التــــــراب المظلــــــم
ومــــــن كحلتَــــــه بهــــــذا الكحــــــل يعــــــرف
أنهــــا [الأعمــــال] تــــأتي منــــك، وأنــــت تفعلهــــا

(١٨٩٨)

كيــــــــف يتَضِــــــــع مــــــــن ترفعــــــــه؟!
ســــــعيدٌ ذلــــــك الــــــروح الــــــذي تحزنــــــه
يعطــــي الفلــــك مئــــة قبلــــةٍ مرفــــوع الــــرأس
كــــل يــــومٍ لتلــــك القــــدم التــــي تقيّــــدها

(١٨٩٩)

لــــم تصِــــرْ كــــافرًا، فلــــم تتحــــدّث عــــن الإيمــــان؟!
ولــــم تقــــدم روحــــك، فلمــــاذا تتحــــدث عــــن المعشــــوق؟!
لــــم تتحــــدث عــــن سِــــر الســــلطان جزافــــا
وأنــــت فــــي عربــــدة الــــنفس الضــــعيفة الآن؟!

(١٩٠٠)

أنــــا ريــــحٌ، وأنــــت ورقٌ، فلــــم لا تطيــــر؟!
لــــم لا تعمــــل العمــــل الــــذي أعطيتــــك إيــــاه

وعنـــــدما ألقيـــــت الحجــــر وكســــرت إبريقـــــك
إن لـــم تعـــدل مئـــة جـــوهرٍ ومئـــة بحـــر، فمـــاذا تعمـــل؟!

(١٩٠١)

أيهـــا الباطـــل، إن لـــم تفِـــرّ مـــن الحـــق، فمـــاذا تعمـــل؟!
أيهـــا الســـم، غيـــر المـــرارة والإحـــراق مـــاذا تعمـــل؟!
العشـــق مـــاء الحيـــاة والمنكـــر مثـــل الحِمـــار
أيهـــا الحِمـــار، إذا لـــم تقبـــل علـــى المـــاء، فمـــاذا تعمـــل؟!

(١٩٠٢)

تجعـــــل نفســـــك كالفـــــأس فـــــي التقطيـــــع
وتفكـــــر أيضَـــــا بالقطعـــــة والحيلـــــة
ابحـــث عـــن طرّتِـــه الزنجيـــة فـــي ذلـــك النـــور
واحتـــــرف هـــــذا التفكيـــــر الـــــدقيق

(١٩٠٣)

جـــاء القمـــر إليـــه قـــائلا: أنـــت روحـــي
فقـــال لـــه: أنـــت أقـــلّ غلمـــاني
وبـــرغم أنـــه كـــان يتكبّـــر علـــى ذلـــك الجمـــع
كـــان يطمـــع أن أقـــول لـــه: أنـــت لـــي

(١٩٠٤)

قلـــت: أيهـــا الفتـــان، لعلـــك معشـــوقي
والآن إذ أتأمّـــــل تكـــــون روحـــــي

أغــــــــدو مرتـــــــــدًا إذا تحولـــــــــت عنّـــــــــي

أيهـــا المعشـــوق والمحبـــوب، أنـــت كفـــري وإيمـــاني

(١٩٠٥)

أنـــا لســـت أنـــا، وأنـــت لســـت أنـــا، ولســـت أنـــتَ أنـــا

وبـــرغم ذلـــك أنـــا أنـــا، وأنـــتَ أنـــتً، وأنـــت أنـــا

أنـــــا معـــــك هكـــــذا، يـــــا حســـــناء الخـــــتن

أنـــا متـــردّدٌ فـــي كـــوني أنـــت، أو كونـــك أنـــا

(١٩٠٦)

هــــــذه الليلــــــة أنــــــا ونــــــديمٌ مثلــــــي

أعــــــددنا مجلسَــــــا مثــــــل المــــــرج

كـــأس المـــدام والنّقـــل والشـــمع والمطـــرب كلهـــا موجـــودة

ليتـــك كنـــت موجـــودًا، وتغيـــب هـــذه جميعًـــا

(١٩٠٧)

يـــا مـــن أنـــت نـــور قلبـــي وعينـــي وروحـــي كيـــف حالـــك؟

ويـــا أمـــل عـــالمي كليهمـــا كيـــف حالـــك؟

أنـــا فـــي غيـــاب شـــفتك الياقوتيـــة فـــي أســـوأ حـــال

وفـــي غيـــاب وجهـــي المصـــفرّ لا أعـــرف كيـــف حالـــك

(١٩٠٨)

قلـــت: كيـــف حالـــك؟ أيهـــا القمـــر، مســـرورٌ أنـــت؟ أم حـــزين؟

قـــال: أيســـأل أحـــدٌ القمـــر: كيـــف حالـــك؟

كيـــــــف تكـــــــون طلعـــــــة قمـــــــر الفلـــــــك؟

لألاءٌ ولطيـــــــــف وجميـــــــــل ومـــــــــوزون

(١٩٠٩)

عنــــدما تغيــــب عــــن نفســــك، تــــرى ألــــف رحمــــةٍ

وعنــــدما تحــــتفظ بنفســــك، تجــــد ألــــف مشــــقة

ومثــــــــل فرعــــــون، لا تمشّــــــــط لحيتــــــــك

وإن تمشــــط تجــــد جــــزاء شــــاربك [ادّعائــــك]

(١٩١٠)

إن تنظــــــر ظــــــاهرًا تــــــر صــــــورة إنســــــان

تــــر خلقــــا عجيبًــــا مــــن الــــرّوم والخراســــانيّين

قــــــال: «ارجعــــــي» والرجــــــوع معنــــــاه

انظــــر إلــــى البــــاطن ؛ لكــــي تــــرى الإنســــانَ وحــــدَه

(١٩١١)

إن تَــــــرِد أن تــــــرى حيــــــاة الخلــــــود

وأن تــــــرى للفقــــــر علامــــــة بينــــــة

لا تسـلك سـلوكًا منحرفًـا فـي طريـق الفقـر، لكـي لا ينـأى عنـك

اســـلك ذلـــك الطريـــق برجولـــة، لكـــي تـــرى الحيـــاة

(١٩١٢)

يـا مـن أنـت غـلامٌ لــ «خسـرو وشـيرين» [الحـبّ الصّـادق]

فصــــانع العشــــق إن كنــــت مــــن أهــــلِ الــــدّين

كـــــــن دائمَــــــا نـــــــديم العشـــــــق الحـــــــار
حتـــــى يســـــتلّ العاشـــــق الحـــــار منـــــك العنينيـــــة

(١٩١٣)

فـــــي هـــــذه الليلـــــة، انصـــــرف أيهـــــا النـــــوم
فإنــك إن جلســت فســتجد مــن نــار القلــب جــزاء ادّعائــك
أيهـــــا العقـــــل، انصـــــرف، فإنـــــك نمّـــــام
أيهـــــا العشـــــق تعـــــال ؛ فإنـــــك ذو تمكـــــين

(١٩١٤)

أآخـــــذ الـــــورد المعطـــــر رائحتـــــه منـــــك؟ لا، لا
أم رأتـــــــك الشـــــــمس والـــــــنجمُ؟ لا، لا
تقـــول: «الوقـــت ليـــلٌ فـــانظر نحـــو النافـــذة»
إن تـــذهب فهـــذا هـــو الليـــل، وإلا فـــلا

(١٩١٥)

أيهـــــا المعشـــــوق، أأنفـــــر منـــــك؟ لا، لا، لا
أأغـــــدو حبيبَـــــا لغيـــــرك؟! لا، لا، لا
عنـــــدما أرى كـــــل وردٍ فـــــي بســـــتان وصـــــالك
أأنشـــــغل بـــــأيّ شـــــوكٍ؟ لا، لا، لا

(١٩١٦)

أيهـــــا القمـــــر، أنـــــت المفـــــرح لقلبـــــي
وثمـــــة آخـــــرون لكـــــنّ المشـــــفِق أنـــــتَ

أهـــــل الـــــدنيا مبتهجــــون بـــــالنيّروز والعيـــــد
وعيـــــدي ونيـــــروزي اليـــــوم هـــــو أنـــــت

(١٩١٧)

مــــــا القلـــــــب؟ أنـــــــت كـــــــل عظمتـــــــه
أنـــــت خيـــــره وشـــــره وكفـــــره وزهـــــده
إن نظـــرت عينـــي نظـــرًا معوجًـــا فمـــاذا أفعـــل؟!
أشـــــك مـــــن نفســـــك ؛ لأنـــــك ضـــــياؤها

(١٩١٨)

بنـــاء إنســـانٍ مـــثلاك لا يكـــون مـــن مـــاءٍ وطـــين
يـــــا رب، مـــــاذا فعـــــل مـــــن أجلـــــك!
فـــإن كنـــت معربـــدًا مـــن أجـــل مثلـــه
فإنـــــه مُلـــــبّ مـــــن أجـــــل مثلـــــك

(١٩١٩)

فـــــي عـــــالم الجمـــــال، أيُّ ســـــلطانٍ أنـــــت!
وفـــــي خطـــــة اللطـــــف، أي برهـــــانٍ أنـــــت!
بحثنـــا عـــن الـــروح فـــي قالـــب العاشـــقين
وأنصـــــفنا، أي روحٍ جميـــــلٍ أنـــــت !!

(١٩٢٠)

أي عــــدوّ للـــــروح وروحٍ حلـــــوٍ أنـــــت
أنـــــت نـــــور موســـــى وطـــــور ســـــينين

أيهـــــا الحبيـــــب الـــــذي لا جـــــرأة للـــــروح أبـــــدًا
علـــى أن تســـميك اســـمًا محـــدّدًا يـــدلّ عليـــك تمامًـــا

(١٩٢١)

يـــــا مـــــن أنـــــت نســـــخة الكتـــــاب الإلهـــــي
ويـــا مـــن أنـــت مـــرآة الجمـــال الشـــاهيّ [الملكـــيّ]
كـــل مـــا هـــو موجـــودٌ فـــي العـــالم لـــيس خارجًـــا عنـــك
فاطلـــب كـــلّ مـــا تريـــده فـــي نفســـك فأنـــت هـــو

(١٩٢٢)

أيهـــا القلـــب، إنّـــك كـــلّ لحظـــةٍ تـــذهب مـــع الرّيـــاح كـــالتراب
تضـــع الـــروح علـــى كـــفّ الغَـــمّ وتغـــدو مســـرورا
هـــــذه المـــــرّة أنـــــتَ فـــــي النّـــــار، فتركتُـــــك
لعلـــــك تغـــــدو بهـــــذه الطريقـــــة أســـــتاذا

(١٩٢٣)

أيهـــا الســـيد، إنـــك تغـــدو فخـــورًا بكـــلّ خيـــال
وتغـــدو منقبِضًـــا بـــأدنى ســـبب، ثـــم تغـــدو مســـرورًا
رأيتـــــك فـــــي النـــــار، وتركتـــــك
لكـــــي تغـــــدو ناضـــــجًا وذكيًـــــا وأســـــتاذا

(١٩٢٤)

تغـــــدو عاشـــــقًا لوجـــــه ابنـــــة الحـــــور
وبعدئـــذ تطيـــر مـــع الـــرّيح كـــالتراب كـــلّ لحظـــة

أعلـــــــم أنــــــــك فـــــــي النـــــــار وتركتـــــــك
لعلـــــــك تغـــــــدو بهـــــذه الواقعـــــــة أســـــتاذا

(١٩٢٥)

لـــــو صـــــرت مطلعَــــا علـــى الأســـرار للحظــــةٍ
لصـــرت مشـــتريًا للتضـــحية بـــالرّوح مـــن أعماقـــك
ومـــا دُمـــتَ ثمـــلا بنفســك فســتبقى إلـــى الأبـــد مظلمَـــا
وعنـــدما تغـــدو ثمِـــلا بـــه تغـــدو صـــاحيا

(١٩٢٦)

لـــم أتركـــك فـــي قلبـــي ؛ لكـــي لا تَجـــرَح
ولـــم أجعلـــك فـــي عينـــي ؛ لكـــي لا تصـــغر كثيـــرًا
أجعلـــك فـــي الـــروح، لا فـــي العـــين والقلـــب ؛
لكـــي تغـــدو قرينَـــا للـــنفس الأخيـــر

(١٩٢٧)

مـــن قلـــة الأكـــل تغـــدو ذكيًّـــا وصـــاحيًا
ومـــن الكِظـــة تغـــدو أبلـــهَ وعـــاطِلا عـــن العَمَـــل
إن كثـــرةَ وهنٍـــك كلهـــا مِـــن كِظتـــك
تغـــدو قليـــل الـــوهن عنـــدما تغـــدو قليـــل الأكـــل

(١٩٢٨)

إن تبتعـــــد عـــــن ظـــــلّ العشـــــاق
تلفحـــــك الشـــــمس وتغـــــدُ مريضـــــا

فـــــاجر كالظـــــــل أمـــــام العشــــــاق وخلفهـــــــم
لكــــــي تغـــــدو وضـــــــاءً كـــــالقمر والشـــــمس

(١٩٢٩)
فـــي الصّـــوم عنـــدما تتطهـــر لحظـــة مـــن ســـلطان الطبـــع
تجـــــري فـــــوق الأفـــــلاك خلـــــف الطــــــاهرين
ومِــــــن حرقـــــة الصـــــوم تغـــــدو نـــــورًا كالشـــــمع
ومــــــن ظلمــــــة اللقمـــــة تغـــــدو لقمـــــة للتـــــراب

(١٩٣٠)
عنـــــدما تغـــــدو خفيفـــــا ونشـــــيطا فـــــي طريـــــق الحـــــق
تكـــــــون نـــــــور الفلـــــــك، تعـــــــود إلا الأفــــــلاك
مجلســــــــــــك العــــــــــــرش، ألا تخجـــــــــــل
أن تغـــــدو ملازمَـــــا لِخِطـــــةِ التـــــراب كالظـــــل

(١٩٣١)
إن تغـــــــد عاشـــــــقًا لوجـــــــه قيصـــــــر الـــــــروم
فثمـــــة أمـــــلٌ أن تغـــــدو مـــــن جهـــــة الحـــــي القيـــــوم
فـــــلا تتحـــــدّث عـــــن الهجـــــرِ أمـــــامَ ســـــلطانٍ الوصـــــال
واخـــــشَ أن تغـــــدو محرومَـــــا مـــــن هـــــذا الحـــــديث

(١٩٣٢)
إذا لـــــم تغـــــد ترابَـــــا لقـــــدوم كـــــل مقـــــدّم
فلـــــن تغـــــدو قائـــــد جـــــيش نفـــــسِ آدم

وإذا لـــــــــم تـــــــــتخلص مـــــــــن أنانيتـــــــــك

فلـــــن تغـــــدو نـــــديمًا ونجيًّـــــا لهـــــؤلاء الملـــــوك

(١٩٣٣)

أيتهـــــا العـــــين، إنـــــك لا تهـــــونين مـــــن البكـــــاء

أيهـــا القلـــب، لـــن تغـــدو دمًـــا مـــن هـــذه الواقعـــة

أيهـــا الـــروح، إذا وصـــلت إلـــى شـــفتي مـــن أعمـــاق وجـــودي

فـــــي النهايـــــة، بأيـــــة جاذبيـــــة لا تغـــــدو خارجًـــــا؟!

(١٩٣٤)

إن صِـــــرت صـــــيد الحـــــقّ تحـــــررت مـــــن الغـــــم

وإن مضـــــيت بصـــــفتك صِـــــرتَ مقيّـــــدا

فـــــاعلم أن وجـــــودك حجـــــابٌ فـــــي طريقـــــك

فـــــلا تجلـــــس مـــــع نفســـــك ؛ لأنـــــك ســـــتتعب

(١٩٣٥)

يـا نسـيم السَّـحر، فـي ناحيـة تلـك الحسـناء ذات الطـرّة المجعّـدة،

تحـــدث عـــن أحـــوال قلبـــي، إن كانـــت هنـــاك مناســـبة

وإن لـــــم يكـــــن الحبيـــــب وفـــــقَ المـــــراد

فحـــــذارِ مـــــا رأيتنـــــي، لا تقـــــل شـــــيئا

(١٩٣٦)

نحـــــــنُ وهـــــــوى وجـــــــهِ الملـــــــك

نحـــن فـــي مـــاء حيـــاة عشـــقه كالأســـماك

انقضـــــــــى الوقـــــــت ولنـــــــا صـــــــبحٌ
ويــــــلاه مــــــن ضــــــجيج هــــــذا الانقضـــــاء!

(١٩٣٧)

الــــروح فـــي النهـــار كالحيّـــة، وفـــي الليّـــل كالسّـــمَك
فتأمَّـــــــــــل رفيـــــــــق أي روحٍ أنــــــــــت؟
حينَـــــا مـــــع هــــاروت الســـــاحر فـــــي البئـــــر
وحينَـــــا فـــــي قلـــــب الزّهـــــرة حارسَـــــا للقمـــــر

(١٩٣٨)

وضـــــــعت العِمامـــــة، ولا تعطيهـــــا للمطـــــرب
أعـــط العمامـــة، لكـــي تتحـــرر مـــن التكبـــر
حـــــرر نفســـــك ؛ لأنـــــك تضـــــع العمامـــــة
أعـــط العمامـــة، وخـــذ بـــدلا منهـــا تاجَـــا ملِكيَـــا

(١٩٣٩)

لأنـــــه مــــن غيــــر الممكــــن أن تتحــــرر منّـــــا
أو تحتـــــال، وتفـــــر مـــــن تـــــدبيرنا
تـــــدفع المـــــال لتشـــــتري نفســـــك
خيـــــرٌ لـــــك أن لا تعصـــــي، وأن تـــــذعن

(١٩٤٠)

هـــــذه الليلـــــة إذ وقعـــــت فـــــي قبضـــــتي
تســـعى كثيـــرًا ولكـــن تتحـــرر بصـــعوبة

والله، لــــن تتحـــرّر منـــي أيهـــا الســـرو الممشـــوق القـــد
إلا إذا وقعـــــت صـــــدرك فــــي قلبـــــي الخـــــرِب

(١٩٤١)

لـــــن تتحــــرّر مـــــن الخلــــق بشــــدّة الإصــــغاء
ولــــن تتحــــرر مــــن نفســــك ببيــــع الكـــــلام
وحتّـــى لـــو ســـعيت ســـعيًا كثيـــرًا لـــن تتحـــرّر مـــن هـــذين
لـــن تتحـــرّر مـــن الخلـــق ومِـــن نفســـك إلا بالصـــمت

(١٩٤٢)

تضـــع شـــفتك علـــى شـــفة كـــل مختطِـــفٍ للقبلـــة
وعنـــدا تصـــل النبـــوة إلينـــا، تجعـــل لـــذلك ثمنًـــا،
تغفـــــر ذنــــوب الجميــــع مـــــن دون ســــبب
وأمـــا ذنبـــي فتعاقـــب عليـــه عقابًـــا شـــديدا؟

(١٩٤٣)

أنــــت مـــــن يـــــأتي إلـــــى العشـــــاق متـــــأخرًا
وعنــــدما تـــــأتي تعطــــي الوقــــت كـــــاملا
تـــأتي حينًـــا فـــي صـــورة غـــزال، وحينًـــا فـــي صـــورة أســـد
تـــــأتي ناعمًـــــا وخشِـــــنًا مثــــل الســـــيف

(١٩٤٤)

عنــــدما تـــــأتي إلـــــيّ لـــــيلا مصــــفقًا ومنشـــدًا
تظهــــر وســــط الليــــل صــــبح الطــــرَب

تحـــــــل طـــــــرة الليـــــــل عقـــــــدةً عقـــــــدة
حمـــــــاك الله، إنـــــــه لا مثيـــــــل لـــــــك أبـــــــدا

(١٩٤٥)

يـــــا صـــــوت الربـــــاب مـــــن أيـــــن تجـــــيء؟
إنّـــــك مملـــــوء بالنـــــار وبالفتنـــــة وبالضـــــجيج
أنـــــتَ جاســـــوس القلـــــب ورســـــول تلـــــك الصـــــحراء
وكـــــل مـــــا تقولـــــه هـــــو أســـــرار القلـــــب

(١٩٤٦)

عنـــــدما أســـــلم قـــــدَمي ليـــــد الأجـــــل
أثيـــــر ضـــــجيجًا فـــــي كـــــتمِ العـــــدم
فيحتـــــار العـــــدم [قـــــائلا:] لـــــيس فـــــي مكـــــانٍ مـــــن
العـــــالمَين مثـــــل هـــــذا العاشـــــق

(١٩٤٧)

عنـــــدما تصـــــحب العيـــــارين وغيـــــر المبـــــالين
عنـــــدما يُجَـــــنّ روحـــــك فـــــي العشـــــق
لا تتـــــألم ولا تفـــــرَّ إلـــــى مكـــــانٍ
وأعلـــــم أنـــــه لـــــن يســـــعك مكـــــانٌ بعـــــد ذلـــــك

(١٩٤٨)

يقـــــول الحـــــق: يـــــا مـــــن أنـــــتَ فـــــي كـــــلّ مكـــــان
اتـــــرك عامـــــة الخلـــــق لأنـــــك خاصـــــتنا

تعـــــوّد علينـــــا فإنـــــه فـــــي آخِـــــر الأمـــــر
يـــــأتي إليـــــك لـــــيلا، وحيـــــدا

(١٩٤٩)

عنـــــدما تكـــــون مجنونَـــــا ومفتونَـــــا
تـــــأتي فـــــي سِلســـــلة أهـــــل الحظـــــوة
واليـــــوم أنـــــت محـــــرومٌ مـــــن هـــــذه السّلســـــلة
لأنـــــك اليـــــوم عاقِـــــلٌ وشـــــديد الانشـــــغال

(١٩٥٠)

الليلـــــة الماضـــــية جـــــاء الحبيـــــب إلـــــى بـــــابي والِهَـــــا
فقلـــــت: انصـــــرِف، ولا تـــــدخل هـــــذه الليلـــــة
انصـــــرفَ وكـــــان يقـــــول: أيّ عشـــــقٍ هـــــذا
جـــــاءت إليـــــك الســـــعادة ولا تفـــــتح لهـــــا البـــــاب؟

(١٩٥١)

يـــــا مـــــن حِرفـــــة وجهـــــك تـــــزيين العـــــالم
ويـــــا مـــــن عمـــــل طرتـــــك ســـــحق العنبـــــر
يحـــــق لسلســـــلة سِـــــحرِك
أن تعضّـــــها، وتقتلعهـــــا، وتمضـــــغها

(١٩٥٢)

يـــــا مـــــن أنـــــت كالرّايـــــة العاليـــــة فـــــي الصـــــحراء
ويـــــا مـــــن أنـــــتّ كالسّـــــكّر العجيـــــب فـــــي الحلـــــوى

أخشـــــى أن ســـــيّئ الأصـــــل وســـــيئ الـــــرّأي
يُلقـــــي فـــــي عقلِـــــك فتنـــــة أخـــــرى

(١٩٥٣)
يـــا مـــن أنـــتّ كـــالعلم الأبـــيض فـــي الصـــحراء
يـــا مـــن أنـــت الرّحمـــة المزجـــاة مـــن أعلـــى
مـــــــن هوَسِـــــــك أطـــــــبخ الحلـــــــوى
فـــانظر إلـــى الحلـــوى فـــي صـــورة الفتنـــة

(١٩٥٤)
كـــــل يـــــوم تـــــأمر للعاشـــــق بقمـــــيصٍ
مـــــــن العشـــــــق وحســـــــن الـــــــرأي
أي يوســـــــف الزمـــــــان، نحـــــــن يعقـــــوب
إن قميصـــــــــــك إبصـــــــــــارٌ للعَـــــــــــين

(١٩٥٥)
عنـــــدما يبـــــداَ العَـــــدَم بوَهـــــب الحيـــــاة
تأخـــذ مـــن العـــدم لقمـــة وتمضـــغها جيّـــدا
تصـــــل إليـــــك الحلـــــوى طبَقَـــــا طبقَـــــا
مـــن حيـــث لا يوجـــد دّكـــان ولا بـــائع حلـــوى

(١٩٥٦)
لـــــدى روحـــــي مـــــن عشـــــق واهـــــبِ الحيـــــاة
ألطـــــــف فتنـــــــةٍ مـــــــن الفـــــــتن

وهـــو راحـــلٌ عـــن مدينـــة جســـدي مثـــل الغجـــر

كـــل يـــومٍ فـــي منـــزل، وكـــل ليلـــةٍ فـــي مكـــان

(١٩٥٧)

يـــا مـــن أنـــت واهـــبٌ للحيـــاة أكثـــر مـــن الحـــدّ

لا حـــدّ لـــك، وتحـــدّدُ حـــدًا لكـــلّ نفـــس

تعـــرف أنّـــك لا متسّـــع لـــك فـــي العـــالم

التصـــقتَ بالغيـــب ولـــم تظهـــر

(١٩٥٨)

يـــا مـــن عنـــدك صـــليبٌ وأنـــا مســـيحيٌ

دائمَـــا تســـتحق العنبـــر الطـــريّ فـــي طرتـــك

تضـــع شـــفتك علـــى شـــفتي قلـــيلا فـــي التقبيـــل

لا تـــأتي إلـــيّ وعنـــدما تـــأتي، تـــأتي خائفـــا

(١٩٥٩)

قلـــت للطبيـــب: أعطنـــي الـــدواء

أخـــذ نبضـــي مـــن أجـــل العِلـــم

قـــال: مـــاذا يؤلمـــك؟ بـــيّن

أخـــذت يـــده نحـــو قلبـــي العاشـــق

(١٩٦٠)

جـــاء إلـــيّ الليلـــة الماضـــية قمـــرٌ يغمـــائيّ [١]

قلـــت: امـــض، ولا تـــأت إلـــى هنـــا هـــذه الليلـــة

(١) نسبة إلى يغما ، وهي مدينةٌ في تركستان مشهورةٌ بحسن حسانها [المترجم].

انصـــــــرف وكـــــــان يقـــــول: أيُّ عشــــــق هـــــــذا
جـــــاءت إليـــــك السّـــــعادة، ولا تفتـــــه لهـــــا البـــــاب؟!

(١٩٦١)

يـــــــا مـــــــن أنـــــــت الطبيــــــب لآلامنـــــــا
هـــــذا الألـــــم تجـــــاوز الحـــــد، فمـــــاذا تقـــــول؟
والله، لـــــــو كـــــــان عنـــــــدك ألـــــــف دواء
لمـــــــا شُـــــفيتُ، حتـــــــى تَظهـــــــر وجهـــــــك

(١٩٦٢)

نحـــــن فـــــي هـــــذا الزمـــــان نـــــذرع الأرض [طوافـــــون]
تـــــــاركين كـــــــل مدينـــــــةٍ لمـــــــزين المدينـــــــة
نحـــــــن كالســـــــفينة الضـــــــائعة فـــــــي البحـــــــر
كـــــل يـــــومٍ فـــــي منـــــزلٍ، وكـــــل ليلـــــةٍ فـــــي مكـــــان

(١٩٦٣)

يـــــــا صـــــــاحب النـــــــاي، إن نايـــــــك كالســـــــكر
لـــــــن يغـــــــدو مليكنـــــــا حلـــــــوًا إذا لـــــــم تـــــــأتِ
كـــــــل صـــــــباحٍ عنـــــــدما تطلـــــــع كالصـــــــباح
تَخـــــــرج شـــــــبابًا مـــــــن عـــــــالم الشـــــــيخوخة

(١٩٦٤)

ذهبـــــــت إلـــــــى الطبيـــــــب، وقلـــــــت: أيهـــــــا البصـــــــير
مـــــــاذا تقتـــــــرع لِصَـــــــريع العشـــــــق؟

أمرنـــــــي بتــــــرك الصــــــفات ومحـــــو الوجـــــود

أي: تخـــــلّ عـــــن كـــــلّ مـــــا هـــــو موجـــــود

(١٩٦٥)

اعلـــــــم ولا تقـــــــل ؛ لكـــــــي لا تفتضـــــــح

إن جمـــــال الإنســـــان فـــــي ســـــعة صـــــدره

قـــــال: مـــــا الحاجـــــة؟ ههنـــــا مِلـــــكٌ

يشـــــق الشـــــعرة فـــــي مجـــــال البصـــــيرة

(١٩٦٦)

أيهـــــا القلـــــب، بهـــــذا الإفـــــلاس وهـــــذه الفضـــــيحة

أنصـــــف، كيـــــف تكـــــون لائقـــــا بالعشـــــق؟

العشـــــق نـــــارٌ محرِقـــــة ولا مـــــاء عنـــــدك

أيهـــــا المســـــكين، لمـــــاذا تهـــــذر بـــــلا طائـــــل

(١٩٦٧)

أرِنـــــي وجهـــــك، اعمَـــــل عمـــــلا إنســـــانيًا ؛

لكـــــي أفخـــــر بـــــأنّني رأيـــــت الســـــعادة

أيهـــــا المعشـــــوق والحبيـــــب، مـــــاذا ينقصـــــك؟

أن يغـــــدو إنســـــانٌ مســـــرورًا برؤيتـــــك

(١٩٦٨)

أنـــــا ثمـــــلٌ، ثمـــــلٌ مـــــن كـــــأس المُـــــدام

مـــــن كـــــأسِ بطـــــلٍ مســـــاوٍ لمئـــــة شـــــخص

ســــــــحقني كالكحــــــــل ثـــــــم اكتحــــــــل بــــــــي
وفـــــي النهايـــــة، فــــإن عمــــلَ مِثلِـــــه لــــيس جُزافـــــا

(١٩٦٩)

ادخــــل البســــتان مــــع الــــورد، إن لــــم تكــــون شَــــوكًا
وتقـــدّم إلـــى الموافقـــة، إن لـــم تكـــن مـــن الأغيـــار
لا تجعـــــل وجهـــــك كالســــم إن لـــــم تكـــــن حيـــــة
واقـــرأ هـــذا الـــنقش، إن لـــم تكـــن نقـــش جـــدار

(١٩٧٠)

يـــــــا مـــــــن لســــــــت إلا ســـــــــرورًا ونـــــــورا
لـــــم أعربـــــد؟! إذا لـــــم تكـــــن بعيـــــدًا عنـــــي
بــــــرغم أن مِلــــــح العــــــالم مــــــن شــــــفتك
مـــــاذا أفعـــــل إذ لســـــت فـــــي هـــــذه الوليمـــــة؟!

(١٩٧١)

أي معشــــوقي، كـــم تفـــنن عشـــقك فـــي الجاذبيـــة
فقـــد مـــارس أنـــواع الســـحر فـــي قتلـــي
تعطـــــي عشـــــقك كلـــــه لســـــمرقَندِ قلبـــــي
لا تعـــرف كـــم ترتكـــب مـــن أنـــواع الكفـــر

(١٩٧٢)

إن تَـــــــرخِص ذلـــــــك الرطـــــــل الغـــــــالي
تجعـــــل أجـــــزاء العـــــالم كلهـــــا روحَـــــا

وإن تنتشـــــر الســــــكر مــــــن تلــــــك الشـــــفة الحلــــــوة
تجعــــــــــل الجبــــــــــل راقصَــــــــــا كالــــــــــذرة

(١٩٧٣)

قلـــــت: لـــــم صـــــرت حامضَـــــا [مكفهـــرًا]؟ لســـــت خـــــلا
قــال: لأنــك مــع العــدو كالمــاء والصــهباء [شــديد الامتــزاج]
قلـــــت: مــــــن الآن فصـــــاعدًا أكـــــون كالمــــــاء والزيـــــت
فضــحك [قــائلا:] اذهــب، متــى كنــت علــى فعــلٍ واحــد؟

(١٩٧٤)

امـــــض أيهـــــا الغـــــم والقلـــــق، إنـــــك تقـــــول خطـــــأ
لــــــم تتحــــــدث بجفــــــاءٍ عــــــن مــــــنجم الوفــــــاء؟!
يخــــــــــــــوف الأطفــــــــــــــال بالجفــــــــــــــاء
صِـــرت شـــيخًا فـــي هـــذا، ثـــم تقـــول هـــذا عنّـــي؟!

(١٩٧٥)

أيهـــا القلـــب، لـــم تبحـــث عـــن الأحاديـــث والقصـــص؟!
أنـــا معـــك، أيهـــا القلـــب، إن كنـــت تبحـــث عنّـــي
وإن لـــــــــم تَرَنـــــــــي، فعمّـــــــــن تبحـــــــــث؟!
وإن أنـــــــت رأيتنـــــــي، فلـــــــم تبحـــــــث؟!

(١٩٧٦)

قـــــال لـــــي القلـــــب: «قـــــل، عمّـــــن تبحـــــث؟
لـــــمِ تســـــعى حـــــول العـــــالم مـــــن دون طائـــــل؟»

قلـــــــــت: امـــــــضِ، ســـــــتقول هـــــــذا لـــــــي

أنــــا حــــائرٌ بســــببك، وتقــــول هــــذا لــــي

(١٩٧٧)

قلــــــــت: أنـــــــت مجنــــــــون الطبـــــــع

أنـــت مجنـــونٌ ؛ لأنـــك تطلـــب منـــي عقـــلا

قلــــــــت مـــــــا أوقحـــــــك وأصـــــــفقك!

يُصـــنع وجـــه المـــراة دائمَـــا مـــن حديـــد

(١٩٧٨)

أيهـا التركـيّ، لمـاذا أنـت كالهنـدي فـي طرتـك [طرتـك سـوداء]؟!

وأنــت رومــي الوجــه، وزنجــي العِــذار، ومجعَّــد الشــعر

لا يمكــــــن إضـــــــاعة القلـــــــب خطـــــــأ

أخشـــى أن تكـــون تركيَـــا، وتـــتكلم بالتركيـــة

(١٩٧٩)

حينَـــــا تضـــــحّي بروحـــــك مـــــن غمـــــه

وحينَـــا تقـــصّ قِصّـــتَه موجَـــعَ القلـــب

لـــــــم تجـــــــوب العـــــــالم حـــــــائرَا

ومـــن تبحـــث عنـــه لـــيس خارجـــك؟!

(١٩٨٠)

يـــــا نســـــيم السّـــحر، ليتَـــك تقـــصّ

حكـــايتي تلطفَـــا، لـــذلك القمـــر

لا، لا، غلطـــــتُ بـــــل إن كـــــان لـــــك طريـــــقٌ
إليـــــه، فعمَّـــــن تبحـــــث حـــــول العـــــالم

(١٩٨١)

عايَنـــــتُ حمامـــــة تحـــــاكي حـــــالي
تبكـــــي وتصـــــيح فـــــوق غصـــــنٍ عـــــال[1]
كانـــــت تنـــــوح وكنـــــت أقـــــول لهـــــا:
نـــــوحي بهـــــذا اللحـــــن ؛ فإنـــــك تحســـــنين النـــــواح

(١٩٨٢)

لـــــو كـــــان أقـــــلّ هـــــذه الأشـــــواق
للشـــــمس لأذهلـــــت عـــــن الإشـــــراق[2]
لـــــو قسّـــــم ذا الهـــــوى علـــــى العشّـــــاق
العُشـــــر لهـــــم ولـــــي جميـــــع البـــــاقي

(١٩٨٣)

أَقـــــدي رشـــــاء الـــــذي إذا أبصـــــرني
يهتـــــزّ يَهَـــــشّ ينثنـــــي يقتُلنـــــي
بـــــدرٌ بِلِحـــــاظ بانِـــــهِ بَلبَلنـــــي
كالبَـــــدر أذوبُ كلمـــــا كلمنـــــي

(١) هذا البيت بالعربية في الأصل [المترجم].
(٢) هذه الرباعية والتي تليها بالعربية في الأصل [المترجم].

مستخلص

يتناول هذا الكتاب أثرًا من آثار شاعر الصوفية الأكبر الشعرية ذات الأهمية الفائقة، ألا وهي رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، وترجمتها إلى العربية.

ويعرّف الرباعيَّ لغة واصطلاحًا، ويشير إلى أنه أكثر ضروب الشعر الفارسي أصال، وأكثر تجليات الروح الإيراني والثقافة الإيرانية إشراقًا، وينطوي على الفكر الإيرانية الصرفة ببيان بسيط وجذاب، بعيد عن كل ضروب التفكر والتصنع.

ويوضع أوزان الرباعيّ وقوافيه ومصطلحاته، وكيفية نشأته وزمن بدايته وأول من أنشأه، وأنواعه الثلاثة في الفارسية، ويوضح منها الرباعي العشقي، والرباعي الصوفي.

ويبين أهمية الرباعيات الصوفية، وحاجتها إلى التأمل، وتعلّق الناس بها، وشروطها الفنية، ويذكر الشعراء المجيدين بها، وأصولها، وخصائص صنعتها الفنية.

كما يتحدث عن رباعيات الرومي التي بلغت (١٩٨٣) رباعية، والتي تدور حول رحلة الإنسان إلى الحق سبحانه بطيف واسع جدًا، يشمل آفاق التجربة الروحية الواسعة لمبدعٍ مسلمٍ قليل النظير في تاريخ الثقافة الإنسانية، بلْهَ الإسلامية.

ثم يورد الرباعيات التي تصور حال العاشق مع المعشوق والصلة بينهما وما يكتنف سير السالك في طريق الحق سبحانه، برسالةٍ تحملٍ جمال التسليم لمبدع كلّ جمال، وروعة التوجه إليه، لتأتي مع بترجمتها العربية آيةً من آيات الإبداع والتألق والإشراق.

Abstract

A book handling a poetical excessively significant work of the greatest Sufi poet, called " Quartets of Master Jalal Al Din Al Rumi ". Befor indulging in the world of quartets, he stops at the issues of the quartet in the Persian poetry, the quartets of Master Jalal Al Din Al Rumi and translating them into Arabic.

It defines " The Quartet " linguistically and terminologically and notifies that it is the most genuine type of Persian poetry and the brightest Iranian spirit and culture. It involves the purest Iranian nations in a simple and attractive style, far away from all types of affection. The summit quartet is " Al – Khayyam's Quartets ".

It clarifies the Quartet's meters, rhymes & terminology, how it was established and the time of its starting point time, the first ones who established it and its three types in Persian.

It also states the significance of the Sufi Quartet, how much meditation it requires, people's clinging to it, its artistic conditions and its skillful poets and origins as well as the characteristics of its make.

It discuses in detail Al – Rumi's Quartets which numbered up to 1983 speaking about the human's trip the absolute Truth, Allah, the Exalted and the All – High in a very broad spectrum involving the horizons of the broad spiritual experiment of a uniquely creative Muslim in the human and Islamic culture.

عيسى علي العاكوب
من مواليد محافظة الرقة في سوريا ١٩٥٠
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها (النقد والبلاغة)
عضو الهيئة التدريسية لقسم اللغة العربية في جامعة حلب ثم رئيسه
أستاذ في عدد من الجامعات العربية
نال الجائزة العالمية للباحث المتميز في الدراسات الإيرانية من رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية لعام ٢٠٠٣ م.
تميّز باهتمامه بأدب الصوفية وكتبها الرفيعة

له عدد من المؤلفات القيّمة، منها:

- تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي
- المفصل في علوم البلاغة
- التفكير النقدي عند العرب
- موسيقا الشعر العربي
- جماليات الشعر النبطي: دراسة نقدية تحليلة لشعر الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

وترجم عددًا مهمًا من الكتب، منها:

- الخيال الرمزي
- الرومانسية الأوربية بأقلام أعلامها
- اللغة والمسؤولية
- قضايا النقد
- يد الشعر (خمسة شعراء متصوفة من فارس)
- الشمس المنتصرة
- جلال الدين الرومي
- رباعيات مولانا جلال الدين الرومي
- المجالس السبعة لجلال الدين الرومي

QUARTETS of
MASTER JALAL AL DEEN AL ROOMI

Rubā'īyāt Mawlānā Jalāl al-Dīn al-Rūmī

tr. & intro.: Dr. 'Īsá 'Alī al-'Ākūb



بذل الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب جهداً غير عادي لترجمة رباعيات مولانا جلال الدين إلى العربية، وهي الترجمة الأولى لهذا الأثر الأدبي العظيم.. الذي يأتي في المكانة والمنزلة بعد كتابه الآخر المشهور ((المثنوي)). ولذا فإنّ الرباعيات تأتي رديفاً للكتاب المذكور، أو نغمة أخرى في نتاج ذلك المفكر الشاعر الصوفي الكبير، الذي تربّع على سدّة الأدب الراقي عند الصوفية، بما لديه من إشراقات تهذب العقل وتربي النفس التربية الصحيحة، وتصفيها من الأدران التي تعكرها وترقى بها إلى آفاق التوحيد والروحانية..

إننا اليوم بحاجة إلى مثل هذا النوع المتميز من الأدب في زمن طغت فيه المادية ومشكلات الحياة.

ISBN 1-59239-338-1



SROUR ALWANI 2003